صرخات وهمسات

محمد الفقي

♦ رواية: صرخات وهمسات

♦ تأليف: محمد الفقي

حقوق النشر © محمد الفقي 2025

حقوق النشر والحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة

لا يجوز نشر أو استخدام أو إعادة طبع أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة من دون الحصول على الموافقة الخطية من المؤلف.

m.a.elfeki@gmail.com

فهرس

المقرات 4

الجنة 40

النار 50

ماسبيرو 53

محمد محمود 66

مجلس الوزراء 73

بورسعيد 100

العباسيّة 128

المنصة 151

المحكمة 175

الاتحادية 196

التمثال 219

المقطم 241

وكر الأفاعي 260

أبو النمرس 287

دائرة الجحيم 297

ملاحق 326

أولاً- بعض وصفات الأكل لسامح شكري 327

ثانياً- تقرير لِديا ماكنزي 333

ثالثاً- كتاب التعريفات 352

المقرات

"بماذا شعرت؟ حسناً، تجلسين هناك في مواجهة قاتل متسلسل، وبينما نبضاتكِ تتسارع، ويكاد قلبكِ يقفز من صدركِ، يداكِ ثابتتان! يداكِ ثابتتان ثباتاً تاماً! هذا ما اكتشفته في نفسي؛ إن يديَّ لا ترتعشان مطلقاً!"

تعلق نظر رجب بشاشة التلفزيون السوني الأربعة وعشرين بوصة، المعلق بالقرب من سقف مطعم (فلفلة الهرم). كان التلفزيون يذيع تقريراً عن اقتحام حشود غفيرة من الشباب والمراهقين لمقرات مباحث أمن الدولة المصرية بمدينة نصر، والمقر الكائن بشارع جابر بن حيان بالدقي ومقرات مدينة ستة أكتوبر، والإسكندرية، ضمن برنامج (العاشرة مساءً) الذي تقدمه المذيعة منى الشاذلي بقناة دريم الفضائية.

"كنت في شقة سامح في حدائق القبة لما علمت بخبر اقتحام المقرات لأول مرة. كنا ليلاً. كنا نطبخ وصفته الليبية من المكرونة المبكبكة، صعقت لحظتها حين سمعت الخبر، كنت عاجزاً عن استيعاب ما يجري، شلل في الجهاز العصبي! من الخوف، بل الذعر! سامح يقول على الذعر إنه الخوفُ أس ثلاثة. في حالتي أنا كانُ أس ثلاثة وثلاثين! ماذا لو عثر أحدهم على ملف لي؟!

بالرغم من ذلك تماسكت، واحتفظت بكامل سيطرتي على جسدي. أما الأعصاب، فكانت مدمرة تدميراً يستعصى على الوصف! غريب أمر الإنسان! الإنسان المُدرَّب، لا الإنسان العادي.

بماذا كنت أشعر! حسناً، تجلسين هناك في مواجهة قاتل متسلسل، وبينما نبضاتكِ تتسارع ويكاد قلبكِ أن يقفز من صدرك، يداكِ ثابتتان! يداك ثابتتان ثباتاً مطلقاً! هذا ما اكتشفته في نفسي؛ إن يديَّ لا ترتعشان أبداً!

رب أنعمت فزد!

لاحظت هذا الأمر في نفسي من قبل، في كل مرة تحدث فيها مصيبة أو حادث جلل يتصرف جسدي بمنتهى الهدوء والثبات. بالرغم من أن الأعصاب تكون في حالة ضياع! ليس بهدوء وثبات فحسب، ولكن أيضاً بتمهل، تمهل لا يتناسب مع فداحة المصيبة، وكأن الجسد قد ثمل من المصيبة! لا يخلو ذلك من شعور باللذة أيضاً! غريب، غريب فعلاً، اللذة في المصائب!

أسمع ساعتها صوتاً داخلياً يقول لي: ها قد وقعت المصيبة، وقع أفدح وأقصى ما يمكن أن يقع، ها قد وقع ما لا يمكن تصوره، فلا داع بعد الآن للجزع ولا للخوف، ها قد دخلت الكرة في المرمى، وليس هناك شيء يمكن أن يُلغي الهدف ولا أن يعيد عقارب الساعة للوراء، المحتوم محتوم وما فيش منه مهروب، إذن سلم أمرك لله وانهض واستمر في الطريق، استمر في المباراة، أكمل الماتش.

غريب أمر الإنسان المُدرَّب!

تجلسين هناك في مواجهة قاتل متسلسل، وبينما نبضاتكِ تتسارع ويكاد قلبكِ أن يقفز من صدرك، يداكِ ثابتتان، يداك ثابتتان ثباتاً تاماً، هذا ما اكتشفته في نفسي؛ إن يديَّ لا ترتعشان مطلقاً."

رفع رجب فنجان القهوة إلى فمه، وارتشف رشفة طويلة متمهلة وعيناه معلقتان بشاشة التلفزيون الذي كان مستمراً في عرض حشود الشباب وهم يتجولون في أروقة مقرات أمن الدولة، ويدخلون مكاتب الضباط، ويفتشون الأدراج والدواليب، ويقرأون الملفات التي فيها. ثم حانت منه التفاتة خاطفة للعقيد يونس الجالس قبالته إلى مائدة المطعم، فوجد أن نظره هو الآخر معلق بشاشة التلفزيون، فعلق ساخراً:

- هرج ومرج وفوضى! دول عملاء الفوضى، عملاء الشيطان!

- الشمَّام ده بيدوَّر على إيه في مكتب وزير الداخلية؟! مافهوش حاجة مهمة يا بهيم!

ثم نظر العقيد يونس إلى رجب، وأكمل شارحاً، وفي نيته أن يطمئن رجب مزيداً من الاطمئنان، لأنه شعر بأن الولد لا يزال خائفاً، حتى وإن حاول إخفاء أمارات الخوف.

- الورق المهم كله اتنقل لمبنى الوزارة في لاظوغلي، وفيه جزء استلمه الجيش ونقله لمبنى وزارة الدفاع، إتساب لهم بس اللي يسليهم ويحرقوا بيه بعضهم!

- الشمَّامين في نعيم!

ورفع رجب نظره من جديد إلى شاشة التلفزيون.

- ده لسه بيدوَّر في نفس المكان عن اللي هوَّ نفسه مايعرفش إيه! والنعمة متخلف!

"يا عاض بظر أمك!" تمتم بها رجب لروحه، وأحجم عن نطقها في حضرة العقيد يونس، لعلمه كراهية العقيد يونس لتلك الألفاظ. هي شتيمة جديدة كان قد تعلمها مؤخراً وهو يقرأ كتاب (البخلاء) للجاحظ، بعد أن سمع سامح شكري يتحدث عن الكتاب بحماس.

نظر رجب للعقيد يونس، الذي قال بجدية:

- تلاقيه بيدوَّر على ملفه هوَّ شخصياً، أو ملفات صحابه عشان يبتزهم بيها! كلهم ملعوب في أساسهم الأخلاقي.

- يا افندم دول ماعندهمش أصلاً أساس أخلاقي! مافيش أي مسطرة أخلاقية!

- وهنا الخطورة، عدم وجود مسطرة أخلاقية يخليهم يعملوا أي حاجة تخطر على بال أي حد فيهم، مادام الأفعال نفسها ما بتصدرش عن معيار أخلاقي.

- ربنا يستر!

شعر العقيد يونس بندم خفيف لأنه ظن أن تعليقه الأخير قد زاد من مخاوف رجب.

كان العقيد يونس قد أكد لرجب، خلال اجتماع الليلة في مطعم "فلفلة"، بأنه من المستحيل أن تقع أية أوراق خاصة برجب، أو أية أوراق مذكور فيها اسمه، في أيدي النشطاء والمتظاهرين الذين اقتحموا مقرات أمن الدولة، أكد له هذا الأمر أكثر من مرة، بأكثر من صيغة، مباشرة وغير مباشرة، لكي يطمئنه. لكنه لا يزال يشعر بأن الولد خائف.

"كيف يمكن أن أثق في تأكيدات هؤلاء! نمور من ورق! أيمكن أن يحموننني وهم غير قادرين على حماية أنفسهم! والدليل اللواء فؤاد ذات نفسه! هرب إلى أبو ظبي هو وأسرته وقت الجد! إخص عليك! العقيد يونس نفسه لا يستطيع أن ينزل من بيته بالبدلة الميري، ويقابلني في فلفلة كما الحرامية! طيب إفرض أنهم نسوا ورقة واحدة وسط أكوام الورق الهائلة التي نقلوها للأقبية المؤمنة في لاظوغلي ووزارة الدفاع، ورقة عليها اسمي، أو توقيعي، أو وصل استلام مكافأة، أو تقرير عني أو تقييم كتبه اللواء فؤاد أو العقيد يونس أو أي من ضباط الإدارة، أو حتى تقرير

لمرشد آخر في الجهاز يذكر فيه اسمي!

لا تستبق الأحداث، حافظ على هدوئك، القوة في الهدوء، الإنجليز يقولون:

Don't bother bother, till bother bothers you.

الحمدلله سترها معنا حتى الآن، الملك! ألف حمد وشكر، رب أنعمت فزد."

تمتم العقيد يونس وكأنه يسأل نفسه، وعيناه معلقتان على شاشة التلفزيون الذي كان مستمراً في عرضه للشباب الذين اقتحموا أحد مكاتب ضباط أمن الدولة بمدينة نصر وأخرج أحدهم من أحد الدواليب المعدنية بدلة رقص شرقي راح يريها لزملائه وهم يضحكون ويعرضونها أمام الكاميرا التي تصور:

- إيه الكراهية والغل ده! العيال دي بتكرهنا كده ليه؟!

شعر رجب بأن من واجبه إبداء مجاملة تأييد للعقيد يونس، فتمتم بدوره وعيناه تبحلقان في بدلة الرقص:

- زي الشيطان ما بيكره الإنسان الصالح تاجي ربه!

ثم ألهمته سرعة بديهته بقول ما يعلم أنه يبسط العقيد يونس، فقال:

- قال له إنت مؤمن تاجي ربك؟ لو في الكلام ده تجربلك..

فحدث تماماً ما توقعه رجب؛ التفت العقيد يونس لرجب، وشرع من فوره في إكمال (موال شفيقة ومتولي) للريّس حفني أحمد حسن، الذي يحبه ويحفظه عن ظهر قلب، مُرفقاً التلاوة بإشارات وإيماءات وحركات من أصابع يده اليمنى المضمومة كأنه يقول لمحدثه "انتظر قليلاً" أو "اهدأ قليلاً":

إنت زبونها ولاَّ تجربلك؟!

قال له أنا راجل ريّس كل 200[1]

والحب بهدل كل متين

وعايز أجابلها في كلمتين

وفي العذاب جلبي بربيه

عشان يآمن بربيه

خده من إيده وطلع بره بيه

قال له شفيقة ع البلكونة دي

شاف اخته والعقل منه زَل

وبعت صحابه طلعوا المنَزَل

يا متولي يا جرجاوي

متولي ده راجل تجيل وساكن

وراه بيبان البيت سَاكّين

أتى بالغضب وفـ يده السَكَّين

[1] يُقال إن العريف متولي الجرجاوي كان مسؤولاً عن تدريب 200 فرداً في كتيبته العسكرية، وفي قول آخر إنه كان مسؤولاً عن مراقبة نفس العدد من عمال السُخرة الذين حفروا قناة السويس.

وقال دي لو كان عليلة مين يزورها!

وجه سريع تلف منظرها

عزل الجتة من زورها

كان رجب يفكر أثناء ذلك في أن (موال شفيقة ومتولي) للريّس حفني أحمد حسن هو النشيد القومي للصعايدة، الأطفال هناك يحفظونه عن ظهر قلب، والعقيد يونس من المنيا. صحيح أن الصعايدة، وخصوصاً الأسايطة الذين هم أجدع الناس تماً، يُنزلون أهل المنيا منزلة دونية عن باقي أهل الصعيد، ولكن في النهاية هو صعيدي أيضاً بشكل أو بآخر ومحسوب علينا برضو وأمرنا لله!

- وده مصير العيال السيس دي إن شاء الله! هايتعزلوا من زورهم! علق رجب.

- شمَّامين الخراب والفوضى!

- شمَّامين المجتمع المدني والمنظمات يا افندم! وعايم على عومهم عيال هتافجية مقطعين البطاقة من كل باكابورت فيكي يا مصر! يا افندم لما ببقى في ميدان التحرير بشوف صيَّع وبلطجية من الناصرية، وشق التعبان، والمدبح، وعزبة ابو حشيش، ومنشية ناصر، ودار السلام، ونزلة السمان، والمَبيَّضة..

وأمسك رجب لسانه في آخر لحظة عن إضافة (والمَكسسة!)، لأنه يعلم أن مزاج العقيد يونس هو نقيض مزاج اللواء فؤاد الذي يعشق البذيء والفاحش من الكلام. لكن قريحته ألهمته بالإضافة التالية:

- عاملين فيها عنتر بن شداد لكن ساعة الجد تلاقيهم عسران الضبع!

- مخلوقات أقل من الأميبا، اللي هيّ كائنات مفردة الخلية!

تذكر رجب أنه سمع سامح شكري يقول ذات مرة: "أسوأ القطع جرح الورق"، وقال له يومها إن العبارة هي لبلوم من (عوليس) لجيمس جويس.

"اشتريت الرواية بعدها مباشرة، سألت سامح أولاً فقال إنني يجب أن أقرأها بترجمة الدكتور

طه محمود طه وليس بأي ترجمة أخرى، تماماً كما لا ينفك يُوصي الجميع بقراءة دوستويفسكي بترجمة الدكتور سامي الدروبي وليس بأي ترجمة أخرى، واشتريت (عوليس) في نفس الليلة، وحاولت قراءتها، في نفس الليلة، وفي الليالي التالية، لكنني لم أقدر على إكمال أكثر من خمسين صفحة بشق الأنفس! لماذا يقول إنها أعظم عمل أدبي أنتجه البشر حتى الآن؟! رواية مملة جداً جداً، وصعبة جداً جداً، مقدمة الناشر يقول فيها إن الدكتور طه نفسه استغرق في ترجمتها عشرين عاماً! من أجل ترجمة هذا الهراء؟! سبحان الله! تفضيلاتي الجمالية في السينما والأدب مختلفة عن تفضيلات سامح، بل ومتناقضة أشد التناقض، رغم أنني أحب تصريحاته الشفهية ونحن نتكلم عن السينما والأدب، الكلام الشفوي بتاعه بيبقى حلو، لكن لما تيجي تتفرج على القرف اللي بيتكلم عنه، أو تقرا الزبالة اللي بيحبها في الأدب، شتان يا أخي! شتان ما بين حلاوة الكلام الشفوي، حلاوة الكلام عن التفضيلات الجمالية، والتفضيلات الجمالية ذات نفسها! كلامه أحلى كثيراً من الأعمال نفسها التي يتكلم عنها؛ برجمان ده ممل جداً، وأنطونيوني ألعن وأضل، وتاركوفسكي بطيء بطيء بطيء، البطء اللي هو وحش مش حلو، وديفد لنش أعوذ بالله! وطالع لي مؤخراً في واحد مجري شغله يقرف وممل جداً اسمه تار بيللا! الناس عنده طول الوقت يا إما بيمشوا مسافات طويلة والكاميرا دايرة تصورهم في لقطة واحدة، أو قاعدين مكانهم ما بيعملوش حاجة والكاميرا برضو بتصورهم في لقطة واحدة، أو بيقولوا مونولوجات طويلة جداً والكاميرا برضو بتصورهم في لقطة واحدة! إيه القرف ده! وقبل كده كان طالع لي في موضة المخرج الياباني ياسوجيرو أوزو اللي كل لقطة عنده كاسر فيها الآكس وشغله ممل وزبالة الزبالة! ماشي "أسوأ القطع جرح الورق" حلوة ما قلناش حاجة، بس تيجي إيه الحكم اللي في (عوليس) في الحكم اللي في القرآن الكريم ولا في الحديث النبوي! عاوز حكمة بجد إقرا القرآن اللي هوَّ كلمة الله عز وجل وفيه سر الوجود، أو اقرا الأحاديث النبوية وخد منهم حكمة وموعظة واستفادات عملية في الحياة اليومية زي ما انت عايز، أو حتى كتب الصوفية العظيمة، هوَّ فيه زي مولانا ابن عربي و(الفتوحات المكيَّة) و(فصوص الحِكم) و(الإنسان الكامل)، ولا مولانا جلال الدين الرومي و(الرباعيات) و(المثنوي) و(الرسائل) و(شمس تبريز)، ولا (المواقف والمخاطبات) للنفري، ولا ابن عطاء الله السكندري و(الحكم العطائية)، ولا غيره ولا غيره، مش تقولي عوليس أبو طيز!

على كلٍ بلاش نقوله "أسوأ القطع جرح الورق"، مش وقتها خالص، هايقلق منها، بل من المؤكد إنه ها يشك في إيماني بالجهاز وثقتي فيهم، مشيها تطيب خواطر أحسن."

- صحيح يا افندم، صحيح والله العظيم، أنا عارفهم وشفتهم وعاشرتهم!

وشعر رجب أن من واجبه إبداء ملاحظة تأييد مجدداً للعقيد يونس، ملحومة بمعلومة إضافية تؤكد له ضمنياً استمرار علاقته القوية برفيقته الإنجليزية مَرجريت وعدم تأثرها بالأحداث الجارية، فأضاف:

- عارف سيادتك مَرجريت قبل ما تسافر قالت عليهم إيه؟ قالت كلمة حكمة والله! قالت:

It is not a revolution, it is a confusion!

- كُنفيوجن فعلاً، صحيح! تمرد بلا قيادة! القادة بتوعهم مش قادة، كل واحد فيهم همه نفسه فقط لا غير، تهافت السياسيين هو مأساة البلد دي، الماسورة الأم للخراب.

- ولا سياسيين ولا نيلة يا افندم! لا مؤاخذة سيادتك.

- أشباه سياسيين قصدي.

ثم أكمل العقيد يونس:

- الخولات قالعين اللباس للخواجة وعايزين يرضوا أسيادهم أصحاب التمويلات.

"غريبة! أول مرة أسمع مثل تلك الألفاظ من العقيد يونس! يبقى أكيد مشحون منهم شحنة سودة ولسانه فلت غصب عنه، رغم إنه مشهور في الجهاز بالأدب وعفة اللسان وكراهته للألفاظ البذيئة.

ليه حق والله! وقفوه بالعربية وهو سايق، وشمَّامين الكُلَّة اللي كانوا واقفين في اللجنة نزلوه من عربيته وفتشوه هوَّ والعربية ورخموا عليه جامد لما عرفوا من البطاقة إنه ضابط شرطة! قال إن واحد فيهم كان مبرشم سأله: معاك مخدرات؟ حشيش، بانجو، صليبة، ترامادول؟ يحمد ربنا إن المدام والولاد ماكانوش معاه في العربية وإلا كانوا شافوه وهوَّ بيتهزق وبتتمرمط كرامته في الأرض وهوَّ لا حول ولا قوة! قاللي إن كان معاهم كلب بلدي جربان رابطينه بفتلة خلوه يدور حوالين العربية يشمشم فيها، قال يعني كلب بوليسي، ها ها هه!"

سمح رجب لنفسه، ولأول مرة، بنطق لفظ لم يكن يقدر على نطقه من قبل في حضور العقيد يونس، قائلاً لنفسه: مادام هوَّ قال خولات الأول، يبقى ناخد راحتنا بقى! لكن برضو في حدود والوسطيّة حلوة مافيش كلام.

- على ذكر الخولات يا افندم، تخيل سيادتك، آخر مرة كنت في ميدان التحرير قابلت واد تركي في المظاهرات اسمه دانيال عبد الفتاح، طب منين دانيال ومنين عبد الفتاح! وقابلت واحدة إيرانية اسمها محلى زماني! تخيل سيادتك، محلى زماني راحت محلى زماني جت، روحي يا محلى زماني تعالي يا محلى زماني، ها ها هه!

ابتسم العقيد يونس وهو منشغل في تدوير عروة فنجان قهوته بسبابته اليمنى في اتجاه عقارب الساعة، وبدا كمن فقد الاهتمام بمتابعة الحديث.

قابل رجب أيضاً في ميدان التحرير شاباً أمريكياً من نيويورك قال إنه من أصول إيطالية كان اسمهُ كسُّمينه. حين سمع رجب الاسم أمسك نفسه بصعوبة عن الضحك في وجه صاحبه، لكنه ضحك بينه وبين نفسه وهو يقول: يعني يا جدع ده اسم تقابل بيه ربنا!ُكسُّمينه!ُكسُّمينه راحُكسُّمينه جه! لأ ولقب كمان! يعني سليل عائلةُكسُّمينه العريقة! إيه العاهات دي يا رب اللي بتتحدف علينا من كل باكابورتات العالم!

ومن أجل أن يستعيد انتباه العقيد يونس مرة أخرى، الذي استمر سرحانه، فكر رجب قليلاً؛ هل يا ترى أقول اسم الولدُكسُّمينه للعقيد يونس وقد لمست فيه الآن رحابة صدر وبحبوحة فيما يتعلق بتلك الألفاظ، أم أن المسألة سيكون فيها زيادة وإفراط قد تجعله يستاء؟! لكنه لم يفكر طويلاً، وأحجم في النهاية عن ذكر اسم ذلك الشخص، وقدَّر أن ذكر ذلك الاسم العجيب سوف يستتبع، بلا شك، استرسال في السخريات والمداعبات التي ستكون بطبيعتها بذيئة، ومهما كانت رحابة صدر العقيد يونس الجديدة، إلا أنها قد لا تسمح بذلك القدر من التدني في المحادثات بينهما، فآثر السلامة على الندامة، وقال لروحه: بلاش عك، مش عاوزين نلخبط الدينا، هيّ مش ناقصة أصلاً!

تابع رجب:

- وشفت بنت إسرائيلية من عرب 48 اسمها غفران زيتون، الله أعلم إن كانت دي أساميهم

فعلاً ولا لأ! البنت دي كانت مُصرة إنها تكرر قدامي أكتر من مرة وبلا مناسبة إنها من عرب 48، لدرجة إني شكيت في الموضوع!

- عندهم في الشين بيت وحدة خاصة اسمها المستعربون، بيعلموهم اللغة العربية والثقافة العربية، ويحفظوهم كام آية من القرآن على كام حديث، وازاي المسلمين بتصلي والحاجات دي، وبعدين يندسوا وسط الفلسطينيين ويعملوا شغلهم الوسخ.

- ولاد حرام! أيوه يا افندم عارف، ماهو أنا شكيت فعلاً إنها ممكن تبقى من المستعربين وجاية تعمل شغل!

رفع العقيد يونس فنجان قهوته، ورأى سائل القهوة قد نفد، ولم يعد في الفنجان إلا ثمالة في قاعه، فأرجعه إلى طبقه مرة أخرى، ودفع الفنجان بعيداً عنه في اتجاه رجب.

- أطلب لسيادتك قهوة كمان؟

- لأ أنا هأقوم بقى يا دوبك انا عشان ها صحى بكرة بدري، ما تيجي أروَّحك في سِكتي؟

- لا كتر خيرك يا افندم أنا ها ستنى شوية لغاية ما يجي ميعاد علاء فهمي وبعدين ها طلع من هنا على بيته في الرماية، سيادتك عارف إنه ما بيبقاش موجود إلا بعد اتناشر بالليل.

- ها يوريك حاجة النهارده؟!

- أيوه يا افندم قاللي إنه ها يفرجني على جزء من الاربعة جيجا اللي مصورهم في ميدان التحرير، والمفروض إن الفيديو ها يبقى فيه عناصر من الإخوان وهما بيضربوا نار على المتظاهرين من سطوح عمارة في الميدان.

- ده مهم جداً، إبقى حاول تقنعه إنه يديلك الفيديو.

- حاولت معاه والله يا افندم قبل سيادتك ما تقول، قولتله نعمل فيلم تسجيلي عن الأحداث والمادة ها تبقى قوية جداً وها تعلّي من الفيلم، بس للأسف هوَّ رافض تماماً إن حد يشوف المادة إلا المقربين منه، الظاهر إنه خايف من الإخوان، سيادتك عارف إن على راسه بطحة!

- اتجوزوا هوَ وجاسر أبو النجا ولا لسه؟ سأل العقيد يونس مشمئزاً.

سمح رجب لنفسه بالقهقهة عالياً بعض الشيء، بينما هز العقيد يونس رأسه بازدراء.

- ها يتجوزوا الشهر ده غالباً، أعلنوا ده لصحابهم خلاص.

- آدي يا سيدي النشطاء والزفتاء والبؤساء، آهو كلهم خولات من العينة دي، حاجة تقرف!

- ناس وسخة والله العظيم!

وأحب رجب أن يحكي حكاية لطيفة للعقيد يونس، قائلاً في نفسه: لعلها تضحكه! وفي نفس الوقت ستؤكد له أنني مهتم بشغلي وواخد بالي من كل حاجة.

- حاجة يا افندم من الحاجات الوسخة بتاعة العيال دي، قابلت من كام يوم في ميدان التحرير بنت لبنانية اسمها دارين فاضل، في حدود سبعة وعشرين تمانية وعشرين سنة، بتقول إنها صحفية في جرنال النهار، وشاكك جداً على فكرة إنها ممكن تكون تبع حزب الله! المهم، تخيل بقى حضرتك البت دي لما بتروَّح من الميدان، هي ساكنة في شارع قصر النيل، لما بتروَّح بالليل من الميدان عارف سيادتك مين بيطلع لها الشقة فوق! عم حنفي بتاع الورد بتاع كشك الورد اللى تحت كوبري أكتوبر! ها ها هه!

ضحك العقيد يونس ضحكة طلقة مرحة طويلة، وشاركه رجب في وصلة الضحك، حتى إنه سعل بشدة في نهايتها، ولما هدأت رئتيه قليلاً، أضاف:

- والله العظيم يا افندم! وكل الناس عارفة على فكرة! المهم إن حنفي ده يجي ستين خمسة وستين سنة، واسود ومعفن جداً، أفيونجي أصلاً! إيه اللي يعجبها في الوساخة دي ما تعرفش؟!

- ما انت قلت، ناس وسخة.

- هي تروَّح من هنا، وهو يقفل الكشك ويطلع لها!

- ها ها هه! إبقى خلي عينك على البت دي برضو ممكن فعلاً تكون حزب الله والجدع بتاع الورد ده مجرد َكاڤر!

- أكيد طبعاً يا افندم، تلميذك!

- لأ العفو دانت أستاذ كبير.

- العفو يا افندم دانا ليّا الشرف اكون تلميذ سعادتك!

- حبيبي.

ونظر العقيد يونس في ساعته ذات السوار البني من جلد التمساح والعلبة الذهبية عيار 18، والتي كان رجب يعرف أنها ماركة "فاشرون كونستانتين" السويسرية، التي لا يُصنع منها إلا عدد قليل جداً على مستوى الكوكب، ويعرف أن ثمنها لا يقل بأي حال من الأحوال عن مئة ألف دولار أمريكي، وأن العقيد يونس قد اشتراها من أبو ظبي في إحدى سفرياته إلى هناك، كما يقول، وإن كان يشك شكاً يقارب اليقين بأنها إنما ُأهديت إليه هناك من قبل مسؤول أمني إماراتي كبير.

لملم العقيد يونس علبة سجائره المالبورو الأبيض، وولاعته الصيني البلاستيكية السخان الرخيصة، ومفاتيح سيارته، وكيس مناديل كارمن، وقال وهو ينهض عن المائدة بحسم:

- يا دوب انا بقى، إبقى بلغني الجديد في موضوع علاء فهمي.

نهض رجب بسرعة احتراماً.

- تمام سيادتك ها يحصل يا افندم.

- آه صحيح، إبقى ابعتلي الليلة دي صور العيال اللى قابلتهم في التحرير، صورتهم مش كده؟

- أيوه طبعاً يا افندم كلهم مصورهم.

- عشرة على عشرة، يللا يا باشا، سلام.

قال العقيد يونس "سلام" لرجب بإيماءة من ذقنه، ثم التفت سريعاً متجهاً نحو باب الخروج من المطعم.

- مع ألف سلامة سيادتك في رعاية الله.

تمتم رجب بـ " في رعاية الله" لنفسه ولظهر العقيد يونس الذي راح يبتعد بسرعة.

كذب رجب على العقيد يونس بشأن السبب الذي دفعه للبقاء في مطعم وكافيه "فلفلة الهرم" بعد انتهاء المقابلة.

في الحقيقة، لم يكن ذلك بسبب رغبته في الذهاب إلى شقة الناشط علاء فهمي في ساعة متأخرة من الليل ومشاهدة ما بحوزته من مادة فيلمية كان قد صورها بكاميرته السوني الديجيتال الصغيرة لأحداث المظاهرات والاعتصامات في ميدان التحرير منذ يوم 26 يناير 2011 وطوال الأسبوعين التاليين، وتتضمن لقطات للقنّاصة من أعلى أسطح البنايات المطلة على الميدان وهم يصوبون بنادقهم ومسدساتهم على المتظاهرين العُزَّل، فرجب كان قد ذهب في أول المساء بالفعل إلى شقة علاء فهمي، وشاهد هناك كل شيء، الأربعة جيجا كاملة، وحاول الحصول على نسخة من بعض هذه المادة الفيلمية، ولكن علاء فهمي رفض رفضاً قاطعاً، وبعد أن نزل رجب من شقة علاء فهمي، القريبة من مطعم "فلفلة" السياحي بالهرم، توجه إلى المطعم، ودخل وجلس هناك في انتظار العقيد يونس، وفقاً للموعد الذي اتفقا عليه مسبقاً.

ما جعل رجب يكذب على العقيد يونس، هو أن امرأة كانت قد دخلت أثناء حديثه مع العقيد يونس، وجلست إلى المائدة التي في ظهر العقيد يونس، وقد لاحظها الولد رجب فوراً، لكنه لم يحب أن يلفت انتباه العقيد يونس إليها بتحديقه فيها، وكان قد لاحظ أيضاً أن الجرسون قد أحضر لها بيرة وطبق مَزَّة.

بالنسبة لرجب لم يكن جسد المرأة التي جلست أمامه من عينة الجمال الأوروبي الذي يفضله؛ فقد كانت الست ذات جسم بلدي من تلك النوعية التي يفضلها عامة المصريين، وإن كانت بضة، وخمرية، وهُيّء لرجب من ملامحها البعيدة وإيماءاتها وحركاتها أنها تتوق لمغامرة ليلية، فإذا ما أضفنا إلى هذا دخولها في هذه الساعة المتأخرة للمطعم بمفردها، وخلو المكان تقريباً من الزبائن، وطلبها للبيرة، فسيكون من قبيل تحصيل الحاصل القول بإنها أشعلت الغريزة الجنسية لرجب على الفور.

كانت الست في منتصف الثلاثينيات، كما قدر رجب عمرها، في حدود المئة وسبعين سم طولاً، والخمسة وسبعين كجم وزناً، سافرة بشعر أسود قصير آلا جرسون لا يكاد يصل لكتفيها

ويبدو أنها هي من صففته في البيت على عجل، ذات حركات ونظرات واثقة جريئة، وخمن رجب، تخميناً يقترب كثيراً من اليقين لديه، أنها في حاجة إلى الجنس، وخمن أيضاً أنها غنية، أو مستريحة مالياً على أقل تقدير، بسبب ملابسها وإكسسواراتها وحقيبة يدها والمعطف البني الطوبي الذي ترتديه، والذي قدَّر أنه من الصوف الثمين. قال في نفسه إنها ربما حضرت للمطعم بسيارتها، أو قد تكون من سكان البنايات القريبة، أو كليهما معاً. كانت الست تتابع برنامج منى الشاذلي في التلفزيون، مثل رجب والعقيد يونس، وحرص الولد رجب على النظر إليها من تحت لتحت، دون أن يلفت نظر العقيد يونس، وأن يبتسم وهو ينظر ناحيتها ابتسامة رقيقة هادئة. ونحن من جانبنا نزعم بأن العقيد يونس ربما يكون قد رأى ابتسامة رجب، لكنه لم يشك أنها للمرأة التي وراءه، بل وصلت إلى وعيه على أنها سخرية من النشطاء شمَّامين الكُلَّة، وهو الأمر الطبيعي الذي يتفق مع سياق الحديث الذي كان يجري بينهما حينها. بالنسبة للمرأة، وصلتها ابتسامة رجب، وفسرتها تفسيراً مختلفاً عن تفسير العقيد يونس، وفهمت السيدة لغة العيون الكاشفة لمكنون الصدور، لكنها لم ترد على الابتسامة الرجبية بابتسامة مقابلة من ناحيتها، بل استمرت في احتساء البيرة على مهل ومتابعة شاشة التلفزيون بملامح محايدة.

تمنى رجب لو أن المقابلة مع العقيد يونس تنتهي بأسرع ما يمكن، ويغور في ستين داهية، حتى يتفرغ للصيد اللذيذ؛ قال في نفسه: مَرَة مستويَّة وعلى آخرها! ما تقوم بقى يا عم وتحل عن سمايا بدل ما دفش[2] تاني يخش يشقطها! دودودودو دودودودو دودودودو دودودودو! يا عم دماغك بقى، طق!

بعد أن غادر العقيد يونس المطعم، طلب رجب فنجان قهوة جديد ليطيل جلوسه بالمكان، وأثناء رشفه لأول رشفة من قهوته، رأى السيدة وهي تُخرج سيجارة رفيعة طويلة من علبة سجائر أخرجتها من حقيبتها البنيّة الجلدية الفاخرة، لم يكن متأكداً تماماً من ماركة السيجارة من مكانه هذا وإن خمَّن أنها من السجائر الحريمي البيضان، لكنه رآها وهي تبحث في حقيبتها عن ما يبدو أنها الولاعة بعد أن وضعت السيجارة بين شفتيها، فقال في نفسه على الفور: هذه هي اللحظة المُنتظرة!

---

[2] دفش: زبون بلهجة الخِرتيّة.

قام بهدوء واتجه إليها، وأخرج ولاعته الزيبو السخان التي تعمل بالغاز، لا بالبنزين، من جيب جاكتته الجلدية السوداء الفاخرة، وانحنى بأدب، وأشعل لها سيجارتها بابتسامة رقيقة ونظرة جريئة مُلحَّة:

- مساء الجمال!

- مساء العسل، تسلم إيدك.

اطمئن رجب إلى الرد، وحدثته نفسه بإنه لا مانع من السرعة والمغامرة والقفز فوراً إلى يمُّها بدلاً من اللف والدوران والمط واللَّت والعجن والتحوير والتلوين، ولعل ما شجعه على المباشرة والتهور في الكلام مع السيدة المجهولة والدخول رأساً في الموضوع، هو أنها حين فتحت فمها بالكلام لأول مرة، رأى سنتيها الأماميتين في الفك العلوي؛ أي القاطعين الأماميين بالتعبير التشريحي، أو الثنايا بالتعبير الفصيح، أكبر كثيراً من المعتاد، وأكثر بروزاً من المعتاد؛ أي كانت السيدة بضب بالتعبير العامي، أو بعضة عميقة أو فرط عض بالتعبير الطبأسناني، ونحن من جانبنا نظن أن هذا الديفوه في ثناياها قد منحه شعوراً فورياً بالتفوق والسيادة عليها، وقد تكون خبرته مع السيدات والفتيات قد علمته أن من هن بضب شهوانيات أكثر من غيرهن، أو أنهن أسهل من غيرهن، أو أنهن أضعف ثقة بأنفسهن من غيرهن، أو اثنين أو ثلاثة مما سبق، أو كل ما سبق.

- تسلمي يا ست الكل أنا تحت أمرك.

ابتسمت السيدة وهي تنظر إلى عيني رجب الجريئتين بنظرة تشجيع لم تخف عليه.

- شرف لأي راجل إنه يولع سيجارتَك!

قالها رجب للسيدة بصيغة المُذكر.

بان الخجل بعض الشيء على ملامحها، وحولت عينيها إلى كوب البيرة أمامها الذي كان ممتلئاً لنصفه، وصمتت.

- يا ترى مستنية حد؟

نظرت إليه من جديد.

- ليه فيه حاجة؟

- لا أبداً بس انا قاعد لوحدى زي مانتي شايفة، وشايفك انتي كمان قاعدة لوحدك، فلو يعني مافيهاش إزعاج أو تطفل مني إيه رأيك لو تسمحي أجيب قهوتي ونقعد سوا.

ابتسمت السيدة، وحولت نظرها من جديد إلى كوب البيرة.

- يعني، عشان القمر لو حب يولع سيجارة تانية أكون جنبَك، أكون تحت أمرَك!

قالها أيضاً بصيغة المُذكر.

تطورت الابتسامة إلى ضحكة رقيقة خافتة من جانب الست، ونظرها بعد على شُوب البيرة النصفية، وقبل أن تنتهي الضحكة الأنثوية القصيرة، قرَّبت بيدها السيجارة من فمها، وسحبت نفساً طويلاً، وفي اللحظة التي لامست السيجارة فيها شفتيها، انسحب رجب بخفة إلى مائدته، ورفع فنجان قهوته، وعلبة سجائره المالبورو الأبيض، واتجه بهما إلى مائدة السيدة المجهولة، وجلس إلى الكرسي أمامها.

- أنا اسمي رجب.

- عاشت الأسامي.

- ماتشرفتش باسمك؟

- هبة.

- يا ترى مدام هبة، ولاّ آنسة هبة؟

- مدام.

- عشرة على عشرة! أكيد طبعاً لازم تبقي مدام!

- إشمعنى!

- مش معقول الجمال ده كله وتبقي آنسة!

ابتسمت المرأة في تواطؤ دون أن تنظر لعيني رجب.

همس رجب بجرأة:

- مش معقول الجسم الجامد ده كله وتبقي آنسة!

استمرت ابتسامة السيدة، واستمر نظرها معلقاً بكوب البيرة.

- جسمك جامد جداً على فكرة!

- ميرسي.

- تسمحيلي أقولك..

وهمس بشهوانية مؤكداً على الكلمات:

- يخرب بيت جمالك!

ضحكت المرأة المجهولة، ونظرت إلى رجب.

- مش قوي كده، على إيه يعني!

- لأ إزاي دانتي عشرة على عشرة، عشرين على عشرة، مليون على عشرة! متجوزة ولا منفصلة؟

- منفصلة.

- حمار!

- النصيب بقى.

- لأ، اللي زيك ما تتسابش! لما انتي تتسابي، أمال مين اللي تتاخد!

نظرت السيدة إلى عيني رجب بلا ابتسامة، ورأى في وجهها أمارات الشهوة، وبدا له أن عينيها تنظران له في تضرع وضعف أنثوي يعرفهما ويحفظهما عن ظهر قلب من طول التجربة.

- منفصلة بقالك قد إيه؟

- أسبوعين.

سحب رجب نفساً طويلاً مسموعاً بشهوانية.

- طازة!

- إيه؟!

همس بصوته الشهواني مقطعاً الجُمل وهو يبحلق بجرأة زائدة وبجاحة في شفتيها، ورقبتها، وصدرها الوافر.

- لسه طازة! متطلقة طازة! لسه بسلوفانتك! لسه بورقتك! ورقتك لسه سخنة!

زادت النظرة الأنثوية الضعيفة المتضرعة للسيدة إلى عيني رجب وشفتيه الشهوانيتين، فعض رجب شفته السفلى بأسنانه العليا، عندها، شعر أن السيدة قد ابتلت من الشهوة وهي تنظر إليه.

صدق توقع رجب بالنسبة للسيدة المجهولة، فقد وصلت شهوتها إلى الذروة أو تكاد، وأفلح معها هذا الأسلوب الصريح السافر الوقح في إثارتها بشدة، بل كان هذا الأسلوب هو عين ما تتمناه في أحلامها السريّة، وهي تنام وحيدة في شقتها وتمارس مع نفسها العادة السريّة كل ليلة، لكنها، وحتى هذه اللحظة، كانت قد عزمت على ألا تذهب إلى شقة هذا الرجل إذا ما عرض عليها الذهاب إلى شقته، أو شقة أحد أصدقائه أو معارفه، لممارسة الجنس الكامل فيها، وقررت أن يقتصر الأمر على جنس فموي تمارسه معه في سيارتها الفيات 127 الحمراء بوية بلدي، ثم ترجع إلى بيتها.

لم يكن السبب هو الوقت المتأخر، ولا حالة القلق والاضطراب والفوضى في الشوارع بعد 25 يناير والانفلات الأمنى، لأنها كانت طبيبة في مستشفى الحسين الجامعي التابع لجامعة الأزهر، وكان من السهل ومن قبيل المعتاد بالنسبة لها أن تقول لأهلها، والذين يسكنون في نفس البناية التي تقع شقتها فيها، بل ويملكون البناية كلها في منطقة المعادي الجديدة، حيث يسكن أبوها وأمها في شقة في الدور الثاني، بينما أصرت هي على أن تكون شقتها في الدور السادس، لكي تصبح أبعد ما يكون عن أبيها وأمها، وهي نفس الشقة التي تزوجت فيها من ضابط الشرطة، النقيب فلان الفلاني،

والذي كانت تطلق عليه كلمة: زَبُّوط، بدلاً من ضابط، من باب التحقير، والذي طلقها بعد ثلاثة أشهر من ليلة الدُّخلة طلقة بائنة، بعد أن استفحلت المشاكل والمعارك والشتائم بينهما إلى حد أن الجيران في العمارة كانوا يظنون أثناء عراكهما أن أحدهما على وشك قتل الآخر، من كثرة الزعيق، والشتائم القذرة بالأعضاء التناسيلة للأم وسب الدين (من جهة الزوج)، والاتهامات بالجنون والشم وتعاطي المخدرات والخمور (من قبل الزوجة)، وأصوات التكسير والتخبيط على الحيطان والأرضيات وإلقاء الأثاث وخلافه، وفي هذا فقد صدقت السيدة بعض الشيء مع رجب، حيث كانت مطلقة فعلاً، وإن كان موضوع طلاقها قد مر عليه أكثر من سنة ونصف، ولم يكن الطلاق، ومن قبله الخلافات الزوجية، بسبب الأخلاق المنحطة للزوج الزَبُّوط، فمع ذلك وبرغم ذلك كان من الممكن أن تتحمل الزوجة سوء طباعه، وهي بالتأكيد لا بد وأنها قد خمنت أثناء فترة الخطوبة شيئاً من سوء الطباع هذا، بسبب عشرتهما معاً لبضعة أشهر كانا يجهزان فيها شقة الزوجية، وبسبب طبيعة عمل الزوج كزَبُّوط شرطة يتعامل مع المجرمين واللصوص والبلطجية والمغتصبين والقتلة ومن على شاكلتهم، لكن السبب الحقيقي، في الحقيقة، لاستحالة استمرار المعاشرة كان نفورها منه في ليلة الدُّخلة ذاتها، حيث كانت تتوقع، لكونه زَبُّوط شرطة وجسم ميري، أنه رجل يجيد النكاح، وفوجئت، والأصدق القول إنها صُدمت صدمة عمرها وخاب ظنها وانكسرت نفسها وُأحبطت توقعاتها وضاعت أحلامها وانتكست آمالها لما انكشف ووضح وبان بياناً لا مجال للشك فيه أو الظن أن الباشا الزَبُّوط مابيعرفش وضعيف جنسياً، وهو ما أدى إلى إضافتها لعبارات مكررة أثناء المشاجرات بينهما، من قبيل: "طلقني طلقني طلقني، لو راجل طلقني، لو عندك كرامة طلقني، لو عندك إحساس طلقني، بكرهك بكرهك بكرهك مش طايقاك ولا طايقة تلمسني إبعد عني إبعد عني يا مجنون إنت مش راجل أصلاً يا مجنون يا مجنون يا مجنون" إلى قائمة الشتائم والسباب في المعارك اليومية بينهما التي كان يسمعها الجيران، والذين فهموا الرسالة ووصلت إليهم الغاية من الشتيمة، وهي أن الزوج فاشل في إرضاء زوجته في السرير.

نقول إنه كان من السهولة بالنسبة لها أن تقول لأهلها بإنها سوف تتأخر في المستشفى أو أن لديها مناوبة ليلية، وهذا أمر طبيعي وعادي ومعتاد ومتكرر في عملها كطبيبة أمراض نساء وتوليد في المبنى القديم لمستشفى الحسين الجامعي، في حي الدراسة، والقريب من مسجد الحسين والجامع الأزهر، والذي شرعت في العمل به بعد أن تخرجت من كلية طب الأزهر، والتي كانت تذهب

إليها محجبة، ثم استمرت في الذهاب إلى عملها في مستشفى الحسين الجامعي بالحجاب، أما خلعها الحجاب وسفورها الحالي والآني في مطعم "فلفلة" بالهرم، فكان من قبيل التنكر والتمويه من ناحية، ولكي تجرب وتستمتع وتتلذذ بمشاعر الحرية والانطلاق والمغامرة من ناحية أخرى، ولسهولة وسرعة العثور على رجل من ناحية ثالثة، لأن معظم الرجال في مصر في تلك الفترة، وإلى الآن، وفي المستقبلين القريب والبعيد على السواء، يظنون أن السافرة إن لم تكن مسيحية فهي شرموطة، وحتى لو كانت السافرة مسيحية فهي شرموطة أيضاً ومستباحة وسهلة ومشتهية وهايجة وكل تلك الأشياء.

أما عن السبب الحقيقي الذي جعلها تزمع في نفسها ألا تتعدى المغامرة الليلية الجنس الفموي، بعد أن حققت مغامرتها الأولى بشرب البيرة، ومن قبل مغامرتها بخلع الحجاب الذي كان مطبقاً ومطوياً بعناية في حقيبة القفازات في تابلوه سيارتها الفيات 127 الحمراء بوية بلدي، فلعله كان خشيتها وخوفها من الذهاب مع رجل غريب لا تعرفه إلى شقة مغلقة، سواء أكانت شقته هو أو شقة أحد أصدقائه، فهي في النهاية، كما قالت لنفسها: خليكي ماشية جنب الحيط يا بنتي إنتي مطلقة والعين عليكي وبلاش الاحتياج الجنسي والشهوة يعملولك مشاكل.

هناك الكثير من التفاصيل التي حدثت منذ أن بالت السيدة على نفسها من الشهوة أثناء همسات رجب الوقحة لها وحتى نومها معه في شقته في شارع القصر العيني، والتي هي شقة مَرجريت في الحقيقة، في حجرة نومه هو ومَرجريت، وعلى سريرهما، ولعله لن يكون من المناسب سرد تلك التفاصيل في هذا المقام، من ناحية لاعتبارات الأخلاق العامة، فقد تصدم القارئ فيعزف عن متابعة قراءة الرواية، وهي رواية في البداية وفي النهاية وفي الوسط، ويجب أن نؤكد ونعيد التأكيد على هذا الأمر، وعلى إنها مجرد خيال وفِكشن ليس إلا، لأن قارئ اليوم قد أصبح محافظاً ذا ذقن وبلا شارب ينفر من التفاصيل التي من هذا النوع ويدينها ويشتم كاتبها وقارئها وطابعها وناشرها، وهو معذور في هذا ونلتمس له العذر تلو العذر، بسبب الثقافة ومن قبلها التعليم والإعلام والفن والأدب والكتابة والرواية وانسحاب أولي الأمر منهم جميعاً وترك الساحة للتخلف والرجعية والعفن والفساد والتطرف والتزمت والتشدد والتشدق والمزايدة والمبايعة حتى تغيرت كيمياء المجتمع فما بالك بكيمياء الفرد الواحد المنفرد الضعيف المسكين الأعزل الأبكم الأخرس المغلوب عليه وعلى أمره وشأنه وحاله ومحتاله وحاضره وماضيه ومستقبله، لذلك جميعاً ولكل هذه وتلك

الأسباب، ولا نريد أن نطيل في الأسباب والمسببات والدوافع والدواعي حتى لا نصير مثل عبد الفتاح القصري وهو يترافع أمام القاضي في المحكمة في فيلم (الأستاذة فاطمة، 1952)، وعليه، فسنأتي بالخلاصة التي تحمل الإفادة، وهي أن السيدة لحست كل ما أزمعت وعقدت العزم عليه من الاقتصار على الجنس الفموي مع رجب، واستجابت لإصراره وإلحاحه، وكما قال مَنْ قبلَنا: "الزَّن على الودان أمرّ من السِحر"، فوافقت أخيراً على الذهاب إلى شقته، التي هي شقة مَرجريت.

هناك أسباب ضرورية ما كانت لولا توافرها ستوافق السيدة على عرض رجب وإلحاحه بالذهاب إلى شقته، لكن هذه الأسباب في حد ذاتها لم تكن هي السبب الكافي الذي حسم قرارها بالموافقة؛ أما عن الأسباب الضرورية، أو العوامل المساعدة إن شئت، التي ساعدت الست وشجعتها وطمأنتها على اتخاذ تلك الخطوة الجريئة الغير محسوب حسابها مسبقاً فيمكن إجمالها حصراً في العوامل التالية:

أولاً، هو ذكر رجب لها بأن شقته تقع في شارع القصر العيني، وهو حي آمن وشيك وعليه الرِجل ذهاباً وإياباً وعامر ومضيء وكل هذا، وليس في مكان آخر قد يكون الذهاب إليه مبعثاً على قلق السيدات والفتيات مثل: إمبابة، أو بولاق الدكرور، أو بولاق أبو العلا، أو ناهيا، أو العمرانيّة، أو الكيت كات، أو المُنيب، أو بين السرايات، أو الوَرَّاق، أو دار السلام، أو مدينة السلام، أو المقطم، أو الحي السادس، أو الحي السابع، أو الحي الثامن، أو عين شمس، أو المَطريّة، أو باب الشعريّة، أو الضاهر، أو السكاكيني، أو العباسيّة، أو القرافة، أو الوايلي، أو الشرابيّة، أو المَرج، أو شبرا، أوُطره، أو الخليفة، أو الزتون، أو روض الفرج، أو الحِلميَّة، أو الدرب الاحمر، أو زينهم، أو عزبة النخل، أو الجَماليّة، أو فم الخليج، أو الزاوية الحمرا، أو المَعصرة، أو الساحل، أو الزبَّالين، وهلم جرا.

ثانياً، بسبب أسلوب رجب الهادئ والمتحضر في التعامل معها، والذي لا ينفي كونه وقحاً بذيئاً في الكلام الجنسي، وسخاً في الأفعال والأداء والأوضاع، فرجب قد تعلم، منذ فترة طويلة، ومنذ أن صار خِرتيّاً محترفاً، لا خِرتيّاً هاوياً، بمعنى أن رزقه وأكل عيشه وخبز يومه هو من مصاحبة ومعاشرة السيدات المستريحات مادياً، سواء الأجنبيات أو حتى المحليّات منهن، وليس صحيحاً ما يُشاع عنه من أنه يقبل أيضاً معاشرة الرجال المستريحين مالياً، لأن الولد لا يفعل ذلك والحق يُقال، لكنها إشاعة أطلقها المنافسون والمغرضون والحاقدون عليه، وربما وجب القول بإن

تلك الإشاعة البذيئة المغرضة الكاذبة والمخالفة لحقيقة الواقع قد آلمته وجرحت نفسيته، المهم في الموضوع أن رجب قد تعلم منذ فترة طويلة التقنيات والتكتيكات العملية الصحيحة في التعامل مع السيدات والفتيات، ومن ضمنها، وليس كلها بطبيعة الحال لأن هذا بابٌ واسعٌ شرحٌ برحٌ، أن يجمع بين التأدب والتحضر والهدوء والسكينة والثقة بالنفس عند التعامل مع جنس الحريم، مع الوقاحة والبذاءة والمصارحة والمكاشفة والإقدام والشجاعة في آن معاً، وأن هذا لا ينفي ذاك، ونجد أن من وجبنا التحذير قبل أن ننتهي من هذه النقطة بألا يتسرع القارئ على الإقدام على ممارسة هذه التقنية في التعامل مع السيدات، لإنها تقنية صعبة وسهلة في آن معاً، لكنها تحتاج إلى التدريب والتجريب والممارسة والتعديل أثناء الممارسة وصولاً إلى النسب الصحيحة في الجمع ما بين الاثنين وإلا كانت النتائج كارثية ومصائبية وفضائحية، ولذا لزم علينا التنويه.

ثالث هذه العوامل، هو استحسان واستلطاف السيدة لمنشار رجب حين أخرجه من سوستة بنطلونه الجينز وهما في سيارتها الفيات 127 الحمراء بوية بلدي، فمع أنه وبرغم أنه لم يكن استثنائياً في طوله ولا في عرضه، إلا أنه كان عظيماً في انتصابه، مُشرِّفاً في طول باله، وقد جربت السيدة بنفسها كلا الأمرين أثناء ممارستها للجنس الفموي مع رجب، حيث ظل بوز إبريقه محافظاً على مائه بداخله لمدة استثنائية بحسابات الست التي فشلت في حلب عسل رجب بعد ما يقارب الربع ساعة من المصمصة والملحسة والرضاعة والتقبيل والعض والتدليك، وكذا، وكذا، الأمر الذي أبهرها وأدهشها، فضلاً عن كونه أثارها وحمَّسها، ومن نافلة القول القول بإنه قد متعها وكيَّفها.

أما السبب الكافي، أو العامل الحاسم، الذي بناءً عليه حسمت السيدة أمرها ووافقت على الذهاب إلى شقة رجب القصرعينية، والتي هي في الحقيقة شقة مَرجريت كما قلنا وكررنا قبلاً لكننا لا نشك في أن في للتكرار فائدة عظيمة لقارئ اليوم، فكان أنها وجدت في رجب رجلاً قد فهمها بسرعة، وفهم ما تريد، وفهم ما تحتاج إليه، حتى دون أن تضطر للنطق أو الإجهار به أو الإفصاح عنه، ليس هذا فحسب، ولكن أيضاً ما قام به رجب أثناء ممارستها للجنس الفموي، حيث سحبها من شعرها برفق حتى تركت عضوه، ثم احتضنها في حنان وحنو، حنان وحنو كانت تفتقدهما طيلة حياتها، وتتمناهما وتحلم بهما من الرجل الذي سترتبط به، وها هي الآن تتذوق وتستطعم وتستحلي لأول مرة الإحساس الذي كانت تتمناه من أن يأخذها رجلها في حضنه بحنان.

ومسألة الحاجة إلى الاحتضان هذه مسألة أساسية في احتياجات الكائنات البشرية مثل الحاجة إلى الطعام والماء والجنس، وربما تكون قد سمعت عن نزلاء السجون الذين قد يمقت أحدهم الممارسات المثليَّة طيلة حياته ويدين من يقترفها بأقوى وأبشع وأحط الألفاظ، فإذا ما وجد نفسه في عزلة السجن الطويلة مارس المثليَّة مع زملائه المساجين، ليس بسبب الاحتياج الجنسي أساساً، ولكن بسبب حاجة الإنسان، أي إنسان، إلى أن يحتضن إنساناً آخر، وأن يحتضنه إنسان آخر، وفي مسألة الاحتضان والحنان والحنيَّة هذه وأشباهها من المسائل، كانت الست تشعر بغريزتها أن رجب هو النقيض لطليقها المأفون، وأحست، بالغريزة أيضاً، أنه هو المطلوب، وأنه مختلف عمن تقابلهم من الشباب الطائشين عديمي الرجولة الذين يحاولون التباهي بما ليس عندهم مثل طليقها الزَبُّوط العنين الذي كان يتركها في شهر العسل ليسرح بسيارته اللادا ريفا 2107 البيضاء المعفنة في شارع اللاسلكي بالمعادي محاولاً شقط شراميط من هناك وهو أصلاً لا يعرف كيف ينيك، ولهذا ولكل ذلك، تطلعت السيدة المجهولة إلى قضاء وقت أطول مع رجب.

بعد الحضن الحنون الحنيِّن، حاول رجب تقبيلها قبلة رقيقة حنونة حنيّنة على شفتيها، فسارعت الست بالقول وقد تفاجئت:

- بس أنا مَصِّتلك!

- دوقيني طعم زوبري.

فزادت إثارة الست إثارة فوق الإثارة وهاجت هيجاناً فوق الهيجان، وأمسك الولد رجب بيمناه رأسها من الخلف، وأحاطت يسراه بعنقها في حنان وحنو، وقبلها قبلة رومانسية أولاً، سرعان ما تطورت إلى قبلة فرنسية باللسان من جانبه، سرعان ما تطورت إلى قبلة باللسانين من كلاهما، وهمس رجب أثناءها وأنفاسهما مختلطة:

- دوّقيني ريقك.

جفلت السيدة وابتعدت برأسها قليلاً مصطنعة المفاجأة وعدم الفهم.

- إزاي؟!

قال رجب بثقة وشهوانية وهو يحدق في عينيها:

- إنتي عارفة كل حاجة.

ثم صار ما صار.

-3-

استيقظ رجب في الصباح الباكر قبل أن تشارف الساعة السادسة، وترك أميرة نائمة في سابع نومة على سريره.

الدكتور هبة قالت له إن اسمها أميرة، ولذلك ظل يناديها طيلة الليل بـ ميرو تدليلاً.

هبة أيضاً لم تقل له بإنها طبيبة نساء وتوليد ولا أي شيء من هذا القبيل، بل قالت إنها ست بيت لا تعمل، وإنها من سكان مصر الجديدة.

اتجه رجب إلى المطبخ متحسساً طريقه في الظلام، لأنه لم يكن يحب أن يضيء النور في تلك الساعة المبكرة من الصباح، وعلى إضاءة اللمبة السهاري التي تنير الطرقة الصغيرة التي تتوسط غرفة النوم والمطبخ والحمام وصالة البيت، شرع في إعداد قهوة الصباح، التي كان يحبها مركزة قوية.

أشعل أقوى عيون الموقد، ووضع عليها براد الشاي الذي ملئه بما يكفي من ماء بما يكفي مج النسكافيه، وسحب المج الأسود البورسالين الفرنسي المفضل لديه المزين ببعض الورود الزرقاء، ووضع في قعره ثلاث ملاعق شاي سكر، وأربع ملاعق شاي نسكافيه سريع الذوبان مستوردُتحضره معها مَرجريت من لندن كلما سافرت وهو من النوعية الممتازة المخصصة لشرب سكان العالم الأول والتي تختلف اختلافاً بيناً من حيث المذاق والنكهة والتركيز والكثافة والرغوة عن السقط الذي يُباع لسكان العالم الثالث حتى وإن لم تختلف الماركة، ووقف أمام البوتاجاز منتظراً جيشان الماء في إبريق الغلي، لأنه كان يحب ماء قهوته في درجة الجيشان، لا في درجة الغليان.

أثناء ذلك وبعده؛ أي أثناء ما كان يصب الماء ويقلب قهوته، ثم فيما بعد أثناء شربه للقهوة وهو واقف أمام النافذة الزجاجية العريضة بطول عرض الصالة كلها تقريباً يتفرج منها على شروق الشمس، برغم أن الشمس نفسها كانت محجوبة بالبنايات المواجهة، وفيما هو أيضاً يتابع بعينيه حركة المارة والسيارات بالأسفل في شارع القصر العيني، راح ذهنه يستعرض النقاط المهمة التي دونتها ذاكرته مما قاله له العقيد يونس أثناء اجتماع مطعم "فلفلة" بالأمس؛ وفيما يلي

هذه النقاط، ثم تعليقات ذهن رجب عليها، وعلينا أن نلفت الانتباه إلى أنه، ولسبب مجهول لدينا، استرجع ذهن رجب بعض تعليقات العقيد يونس باللغة العربية الفصحى، واسترجع بعضها الآخر بالعامية المصرية، ومع ذلك ورغم ذلك، كان ذهنه يُعلق على كل منها دائماً أبداً بالعامية:

"من المستحيل أن تتواجد بين المتظاهرين وألا تسري فيك عدوى التخريب والتدمير والإحراق. بل ربما وجدتَ لذة أيضاً في القيام بما يقومون به. لا يوجد حشد إلا ووسطه الشيطان. اللهم إلا في بيوت الله أثناء الصلاة، بخلاف ذلك، كل حشد فيه الشيطان. لا بأس، إندمج معهم وافعل كما يفعلون، كسِّر وخرِّب ودمِّر، ولا يأخذك تأنيب الضمير إلى الامتناع عن ذلك. وزر التخريب والتدمير يقع عليهم لا عليك."

صحيح، صحيح جداً!

فيه وقت لمستر جيكل، وفيه وقت لمستر هايد.

رجب في بلاد العجائب، ها ها هه!

وهو نفسه قالها: الوزر عليهم مش عليَّا!

"يجب أن تظل دائماً في حركة مستمرة وانتباه كامل، ممنوع الآن الوقت الميت، ممنوع الفكر الميت، ممنوع الشرود، افتح أذنيك وعينيك على اتساعهما. "

فتَّح يابني فتَّح شوف مين بيكلمك،

دانا عنتر المفتَّح بشمالي أخرشمك، أوعى!

إنت تهزني، أوعى،

إنت تزقني، أوعى!

وادي عبلاتي محبوبتي ترالالّا لالالّا

فتَّح عينك تاكل ملبن

فينك فينك تاكل ملبن

أوعى يجيلك لحسن فينك فينك تاكل ملبن

تالالالّا تاكل ملبن

يا وابور يا موَلَّع حط الفحم

وانا اقولك وَلَّع حط الفحم

حط الفحم، حط الفحم

عض الفحم، عض الفحم.

"إياك والخوف لأنهم ذئاب، الذئب إن اشتم خوفك هجم عليك، الخوف مسألة عقلية، وإذا نزعت الخوف من عقلك فلن تبدو الأمور سيئة كما يبدو لك الآن. "

وحياة امك!

طيب جرب كده تنزل التحرير في مليونية

ويبقى الأعداء حواليك من كل ناحية

وتحس إنك عريان ملط وسط الشمَّامين والعربجيَّة والوبش

وبعد كده ابقى كلمني عن الخوف اللي مسألة عقلية!

ناس قاعدة على طيازها في البيت وإيديها في الميّة الباردة!

الذئاب تفرح في الفوضى، مثل يوناني سمعته مرة من كوسكينا

وقلته للواء فؤاد وعجبه قوي، حتى إنه ضرَّط بعدها

كان بيضرِّط قدامي كتير قوي في الفترة الأخيرة

ها يتكسف من إيه؟!

هوَ الملك يتكسف لو ضرَّط قدام خادمه!

الله يكسفك يا سيادة اللوا

قصَّرت رقبتنا وخلتنا مسخرة للي ما يسووش بصلة!

تهرب على أبو ظبي! وفي عز البلد ما هي محتاجالك!

إخص عليك الله يخيبك!

تجلس هناك في مواجهة قاتل متسلسل، وبينما نبضاتك تتسارع

ويكاد قلبك أن يقفز من صدرك، يداك ثابتتان!

يداك ثابتتان ثباتاً مطلقاً! يداي لا ترتعشان أبداً.

ألف حمد وشكر يا ملك!

اللهم أنعمت فزد.

"الثورة درع صفيح، الفولاذ راجع تاني. "

راجع مين يا عم انت بتحلم!

وبعدين إنت متأكد إنكم فولاذ؟!

آه بأمارة ما وقعتوا زي الورق قدام عيال شمَّامين كُولة لسَّه خارجين من اللفَّة

وفي 48 ساعة بس!

آهو كلام فارغ لا يودِّي ولا يجيب!

البلد راجعة مارشيدير!

راجعة بطيزها لورا!

"لا تخف من صوتهم العالي، كلما زادت مساحة الفراغ في الطبل، كلما صدرت عنه أعلى الأصوات. "

دربكة نبيتي.

المقاس الأكبر اسمه دُهلَّة.

"ماتخليش جعجعة الإعلاميين تخضَّك، تيوس الإعلام قرونهم طويلة، لكن وقت الجد ها يبقى فيه كلام تاني. "

وقت جد مين يا عم! أمال احنا فين دلوقتي، في شهر العسل!

بضاعتكم خلاص أتلفها الهوى!

بضاعة بلا ضمانات

والنبي يابا تسد حنكك بقى وترحم اللي خلفونا!

خليتونا فرجة الله يخرب بيوتكم!

"الإخوان لهم الجماعة، والإسلامجية لهم الخلافة، والعسكر لهم الجيش، حتى النشطاء الشمَّامين لهم المنظمات والمجتمع الدولي، أما نحن فلنا جمهورية مصر العربية، نحن حراس مصر الحقيقيون، نحن حراس مصر الوحيدون، الباقي ما هم إلا خونة أو طابور خامس. "

صحيح!

وإن كان سارق العبارة من فيلم ذا جود شِبارد، الراعي الصالح، 2006!

إنتاج وإخراج وتمثيل روبرت دي نيرو،

دي نيرو كان عامل شغل حلو والله!

مات ديمون كان شغال في السي آي إ،

وقابل مرة زعيم من زعماء المافيا في أمريكا،

وهوّ اللي قاله عبارة شبه كده.

العقيد يونس بيحب يتفرج على أفلام الجاسوسية الأمريكاني

عشان يسرق منها في شغله!

زيه زي اللوا فؤاد،

وكل ضباط الجهاز اللي قابلتهم!

الله يكسفك يا حضرة اللواء،

قصرت رقبتنا الله يخيبك!

"إذا لم تستطع أن تقضي على عدوك بالضربة القاضية، تستطيع أن تقضي عليه بعشرين طعنة صغيرة. "

ماشي يا ريِّس ماقلناش حاجة، بس ده علينا وعليهم،

وهمَّا اللى راكبين دلوقت!

"هم سريعو الغضب والاهتياج، علينا نحن أن نكون في منتهى الهدوء، القوة في الهدوء. نحن الآن في مرحلة إعادة تنظيم أنفسنا، وفي هذه الأثناء علينا أن نستغل الوقت في تشجيعهم على التمادي أكثر في غرورهم والإعجاب بأنفسهم حتى يظنوا أنهم أقوياء قادرون على فعل المستحيل. تدهور المعنويات مسألة مهمة، لكن المعنويات الزائفة أهم مليون مرة. "

والله العظيم الواحد محتاج معجزة عشان يخرج سليم من بحر الخرا ده!

معجزة زي معجزة عبور سيدنا موسى البحر

مش كتير على ربنا، رب المعجزات

الملك!

والنعمة البلد دي بقت عاملة زي مدينة جوثام!

خطر داخل خطر داخل خطر داخل خطر!

زي فيلم جوَّه فيلم جوَّه فيلم

زي الحكاية اللي جوَّه حكاية جوَّه حكاية

ألف ليلة وليلة، قصة كل ليلة!

"كلما صعدوا إلى أعلى كلما أصبحت السلالم زلقة، وكلما صار أسهل أن تزل أقدامهم. الصبر. "

أوكى، كابيش

يواش يواش يا مرجيحة

ماتصدهاشي يا مرجيحة

دي صبية حلوة ومليحة

لكن يا عيني منكسرة وجريحة

وحياة أمك منك ليه لتاخدوا الطريحة!

"مصر أكبر كثيراً مما يتوهمون، والثورة لن تنجح أبداً،

إنه كابتلاع حيَّة لفيل. "

لا يا ريِّس الإخوان كرشهم يساع!

دي عالم تاكل البقرة بخراها!

من إمتى الإخوان ركبوا ونزلوا تاني!

"لا جبن في الاحتماء من العاصفة،

من لا يفعل ذلك معتوه أو متخلف عقلياً."

باي باي يا سلامة

أهلاً وسهلاً بالحذر والاحتياط

أيام النوَّات السكندراني

أيام الآفات والأمراض والعدوى والوبا

سكت الهوا والناموس طار

السبع طاطى بعينه

خليها ده النوم أستار

لما الهلف ياخد يومينه

خشب المراكب من السنط

في البحر ياخد مهاجه

واجب على الحُر يلزم الصمت

لما الندل ياخد مهاجه

جالي طبيبي مع العصر

وفي إيده ماسك عصاية

أتاري طبيبي قليل أصل

من خصمي جابلي الوصاية

ولابد من يوم معلوم

تترد فيه المظالم

أبيض على كل مظلوم

أسود على كل ظالم

أوعى تقول للندل يا عم

ولو كان على السرج راكب

ولا حد خالي من الهم

حتى قلوع المراكب.

وتذكر رجب شيئاً روتينياً كان يفعله في كل مرة يُحضر فيها فتاة غريبة إلى الشقة في غياب مَرجريت أو سفرها إلى الخارج.

كاد أن ينسى، ربما لانشغال باله بمقابلة العقيد يونس التي جرت ليلة أمس، والتي راح يسترجع في ذهنه أهم الدروس والنقاط المُستخلصة منها، وربما أيضاً بسبب الحالة العامة في البلد التي جعلته في خوف دائم من افتضاح أمره وعمله كمرشد لجهاز أمن الدولة، وهو ما كان يعني خسارة كل أصدقائه الأجانب والمصريين، والأهم، هو خسارة مَرجريت نفسها، بعد أن ظل يبني أسس علاقته بها لأكثر من عام ونصف، ويرسم الأحلام تلو الأحلام على مستقبل تلك العلاقة.

ولعله كاد أن ينسى روتينه لسبب آخر غير ما سبق ولا علم لنا به، لكن المهم أنه انتبه أخيراً وهو مستغرق في تأملاته واستذكار دروسه وهو أمام النافذة إلى أن عليه أن يُسرع بإخفاء الأشياء

الثمينة التي في البيت عن عيني أميرة قبل أن تصحو من النوم لأنه لا يضمن أن تمد يدها إلى شيء أو آخر، من باب الحاجة، أو حتى من باب النزوات الغريبة، فهو في النهاية لا يعرفها، وليس متأكداً من أي من المعلومات التي قالتها عن نفسها، ولا حتى إن كان اسمها الحقيقي هو أميرة أم لا؟

لا قدر الله، في حال قيامها بمد يدها إلى شيء ما في الشقة وهو غافل، فربما لن يكون باستطاعته العثور عليها بعد اليوم، لأن ليس لديه إلا رقم موبايل لها فقط، أي ليس لديه شيء في الحقيقة.

حَرَّص ولا تخونش، قد أفلح من حَرَّص.

افتكرت في آخر لحظة، افتكرت قبل البت ما تصحى!

علامة!

ألف حمد وشكر يا ملك!

رب أنعمت فزد!

الجنة

تلقى سامح لكمة ضالة على رمانة كتفه.

- سوري يا صاحبي معلش سامحني!

أومىء سامح إيماة امتعاض خاطفة بهزتين خفيفتين من رأسه ملحومة بزم شفتيه ورفع حديهما الأيسرين، إيماءة قد يُفهم منها أنه "لا بأس"، أو قد يُفهم منها أنه "ليس من المستغرب أن تصدر تلك الخراقة من بهيم مثلك!"، ثم واصل طريقه مبتعداً عن الشابين العابثين اللذين كانا مستمرين في محاولة ضرب بعضهما البعض وهما يتضاحكان، واستمر في تأملاته وهو يمشي وقد نحت عقله من الموقف الجديد عبارة جديدة: "يا ماشيين يكفيكم شر الواقفين!"، وكررها مرة أخرى بينه وبين نفسه، ووزنها، وأعجبته، فقال لنفسه: "حلوة، تصلح للخاص، وتصلح للعام."

وسمع الرنة المميزة لتليفونه المحمول، فأخرجه من جيبه، ورأى اسم عماد فكري مكتوباً على شاشة التليفون.

- عمدة! مساء الفل.

- "إزيك يا عم الخول!"

ونغَّم صوت عماد من كلمة "الخول" ماداً حرف الخاء ومشدداً عليه.

- إيه بس يا عماد فيه إيه؟!

رد سامح بابتسامة، وبنبرة متسامحة.

- "مش انت اللي قلت تحيا الثورة! إشرب بقى يا خول!"

قالها عماد بنبرة تشفي ممزوجة باستهزاء.

سكت سامح ولم يرد.

- "رحت الاستفتا ولا لأ؟"

سأله صوت عماد.

- آه رحت.

- "شفت ياله الدقون قد إيه! الطابور اللي وقفت فيه كان كله دقون طبعاً، مش كده؟! عشان تبقى تقول تحيا الثورة!"

- والله يا عماد من ساعتها والواحد عمال يلف في الشوارع ومش قادر أروَّح البيت! إنت رحت الاستفتاء؟

- "آه اتهببت رحت."

- وكان كله دقون برضو؟

- "يا بني بقولك كنت أنا المدني الوحيد اللي فيهم، الباقي كله جلاليب باكستاني ودقون ومنقبات وخيم سودا وحاجة وسخة! بقولك، إنت فين دلوقتي؟! ما تعدي عليّا."

- ماشي، أنا بتمشى في سليمان باشا، ممكن أركب أي حاجة واجيلك.

- "خد السرفيس اللي تحت كوبري الجلاء."

- ماشي، عايز حاجة وانا جاي؟

- "تعرف تجيب بيرة معاك؟!"

- ماشي.

- "معاك فلوس؟!"

- آه آه.

توقف سامح، ثم التفت وعكس اتجاهه 180^{o}، فأصبح مواجهاً لميدان سليمان باشا، واستمر متوقفاً على وضعه الجديد.

- ها جيب من المحل اللي في محمود بسيوني قبل ما اركب، أجيب سقارة العشرة في الميّة؟

- "إيه؟ لأ البيرة العادية القزايز، أو الكان."

- إنت ما جربتش سقارة الكنج العشرة في الميّة؟

- "لا ماجربتهاش."

- لأ هاتعجبك قوي.

- "ماشي."

- أجيب فول سوداني؟

- "ماشي، هات أسواني بقى!"

- ماشي.

- "تعالى يللا قوام انا مستنيك ما تتأخرش."

- لأ مسافة السكة واكون عندك.

- "ماشي وأول لما توصل الموقف عندنا كلمني هه!"

- ماشي.

- "يللا سلام يا باشا."

- سلام يا عمدة.

استأنف سامح السير وفي نيته أن يعرج على محل الخمور الكائن في تقاطع شارعي محمود بسيوني مع شامبليون، ثم على محل آخر للمحمصات الطازجة الممتازة كان مجاوراً لمحل الخمور.

"صار عماد يقلق كثيراً في الآونة الأخيرة! خصوصاً إذا كان ينتظر زائراً لمنزله، يصر على

أن يتصل به الضيف حين يصل إلى موقف حلوان، ويظل معه على التليفون حتى يدخل الضيف من باب الشقة، عنده حق والله! الفوضى والسرقات والجرائم صارت كالنار في الهشيم في موقف حلوان وحوله! ازدحام وفوضى وعشوائية لا ينتج عنهم إلا العنف والجريمة، شيء حتمي! يوم الحشر في موقف حلوان! لا مكان لقدم! عشرات الآلاف في كيلو متر مربع، وكلهم من الباعة الجائلين والبلطجية والمسجلين الخطر، والمغتصبين! يتلهفون على أي فرصة للاعتداء على المارة والركاب الذين يقصدون الموقف، وهؤلاء بالملايين كل يوم! يوم الحشر! أكثر ازدحاماً حتى من الليلة الكبيرة للسيدة زينب وسيدنا الحسين، أكثر بكثير!

الحمد لله أنه تذكر فقط "تحيا الثورة" التي كتبتها على الفيسبوك أيام أحداث البوعزيزي في تونس، الحمد لله أنه لم يتذكر "الثورة + الإخوان أفضل من مبارك + الإخوان."

كان سامح قد كتب مرة على صفحته على الفيسبوك "الثورة + الإخوان أفضل من مبارك + الإخوان"؛ وكان ذلك عقب أن دفع الإخوان المسلمون بشيوخهم وخطبائهم إلى ميدان التحرير، وراحوا يأمون المتظاهرين المسلمين في كل صلاة، ويخطبون خطب كل جمعة، وصار واضحاً للجميع أن بلطجيتهم أصبحوا يسيطرون على ميدان التحرير ويقفون على مداخله ومخارجه يفتشون الناس ويفحصون بطاقاتهم الشخصية.

عاد من الميدان في ليلة جمعة إلى بيته ليستحم ويغير من ملابسه، وقد أصبحت فئران كثيرة تلعب في عبه، لكنه قال لنفسه: "ما هما الإخوان برضو متسابين دلوقتي بموافقة مبارك، يدخلوا مجلس الشعب، ويسيطروا على النقابات، وأمن الدولة بينسق معاهم وبيقسموا البلد سوا! لأ، لو الإخوان كده كده موجودين يبقى الثورة + الإخوان أفضل من مبارك + الإخوان! نحت سامح هذه العبارة من عبارة أخرى سمع أنها قيلت على لسان ياسر عرفات.

حكى أحمد فرحات لسامح مرة أنه في عز الحرب الأهلية اللبنانية، وحين كانت المقاومة الفلسطينية تتعرض لقصف مزدوج من الطائرات الإسرائيلية مرة ومن الطائرات السورية مرة أخرى، وكانوا يتنقلون باستمرار من قبو بناية إلى قبو بناية أخرى، ومن مخبئ إلى مخبئ آخر، ألقت عناصر الأمن الخاصة بياسر عرفات القبض على أحد المقربين منه، والذي اتضح أنه يتجسس لصالح إسرائيل، لكنهم حين أرادوا تنفيذ حكم الإعدام في الخائن، قال لهم ياسر عرفات،

على عهدة أحمد فرحات:

- كلكم شرفاء، وكلكم وطنيون، وكلكم ثوريون، وكلكم أبطال، وهذا واحد فقط! هو خائن، نعم، لكنه كان معنا تحت الحصار، وتحت القنابل، وتحت قصف الطائرات، وحياته تعرضت للخطر مثلنا، وهو في النهاية شخص واحد، اتركوه لحاله، الثورة زائد واحد.

لم يعد سامح يتذكر في أي مناسبة حكى له أحمد فرحات تلك القصة، وإن كان متأكداً من المغزى الذي أراد أحمد فرحات تمريره من خلالها، ألا وهو: لا بأس من وجود شخص نشاز أو خائن في أي عمل جماعي، مادامت الجماعة كلها متماسكة وقوية وعلى قلب رجل واحد، لأنه حينئذ يكون باستطاعتها تحمل وجود هذا الواحد النشاز وسطها، ويا سيدي ما يهمش "الثورة زائد واحد."

"ركب الإخوان والسلفيون! ساقعة وحلوة ماركبش ليه! والنشطاء لا يوجد بينهم اثنان يطيق أحدهما الآخر! ساقعة وحلوة ماركبش ليه! كنا مخطئين، غلطة الشاطر بألف غلطة! غلطة تودي البلد في ستين داهية! ربنا يستر على البلد، عماد عنده حق؛ كنا خولات! السكينة كانت سرقانا، قانون ميرفي، على رأي محب، إذا كان هناك احتمال لأن تسوء الأمور فإن الأمور سوف تسوء فعلاً، إذا كان هناك احتمال لأن يركب الإخوان والسلفيون فإن الإخوان والسلفيين سوف يركبون فعلاً! كانت ثورة لغاية مادخلتها الدقون! القانون مافيهوش زينب، والثورة مافيهاش دقون، وعلى رأي محب برضو، عدد الذقون في بلدنا صار أكثر من عدد العقول! وإذا كان عدد الذقون في بلدنا قد صار أكثر من عدد العقول فإنه يترتب عليه قانون ميرفي."

اشترى سامح ست علب بيرة سقارة العلبة نصف لتر عشرة في المئة كحول من دكان الخمور الصغير على ناصية شارع محمود بسيوني. كان الدكان بلا اسم، وكان يقع في الجهة المقابلة لإحدى البنايات التي سكن سامح فيها لفترة مع إحدى رفيقاته الأمريكيات منذ نحو عشر سنوات.

وضع البائع العجوز المخضرم علب البيرة في كيس كبير متين أسود ومعتم حتى لا يظهر ما بداخله، كان سامح كلما رأى البائع العجوز في دكان الخمور يتذكر على الفور أستاذه الليبي في اللغة الإنجليزية في مدرسة أسامة بن زيد الإعدادية للبنين بطرابلس.

البائع العجوز، القصير، ضئيل الجسم، دقيق الملامح، ذو الشارب الرمادي الكث الذي يماثل في ضخامته وكثافته شوارب كبار الشيوعيين، المخمور على الدوام والذي إن كلمته لا يكاد يرد عليك من فرط سكره، كان يُذكِّره بأستاذه "بوخة" الليبي، الممتلئ الجسد، ضخم الوجه، ذو الشارب الرمادي الكث الذي يماثل في ضخامته وكثافته شوارب كبار الشيوعيين، المخمور على الدوام والذي لا يكاد ينطق بكلمتين طوال الحصة، ويظل جالساً هناك وراء طاولة الأستاذ من أول الحصة إلى آخرها، يبحلق في ذهول في التلاميذ، ويلعب في عضوه من تحت الطاولة، ومن جانبنا نجد أنه من المناسب أن نقول، والحق يقال في هذا المقام، بإنه لم يتحرش أبداً بأي من التلاميذ، وكان الأمر يقتصر فقط على البحلقة في كل منهم، وكان الممتلئ المتخنخ منهم ينال نصيباً أكثر من بحلقة الأستاذ بوخة، ولعله أجساد الفتيان الممتلئين المتخنخين كانت تثير الأستاذ بوخة أكثر، فيشتد لعبه في عضوه حتى تأتي شهوته.

"كان مسطولاً على الدوام! كنا نسميه "بوخة"، فيما أتذكر كانت الخمور ممنوعة في ليبيا، وكان الموجود منها إما مُهرب بصعوبة بالغة، أو مصنوع محلياً ارتجالياً في بيت هذا أو ذاك، أظن أنهم كانوا يسمون النوع الأخير "بوخة"، لم أعد أتذكر! هل كنا نطلق عليه الأستاذ "بوخة" أم الأستاذ "تكيلا"؟! لم أعد أتذكر! من علامات الاستفهام الكبيرة في حياتي والتي لن أعثر لها أبداً على إجابة هي: كيف، ولماذا، وفي أية ظروف استثنائية كلفوه بتدريس اللغة الإنجليزية لنا؟! الرجل كان طور الله في برسيمه في الإنجليزي! لم نتعلم منه كلمة إنجليزية واحدة توحد ربنا! أبي، والذي هو في النهاية عامل في مصانع حلج القطن، كانت إنجليزيته مثل إنجليزية سفير فوق العادة إذا ما قارنتها بإنجليزية البوابين بتاعة العم بوخة! أنا لا أذكر حتى أنني سمعت منه كلمة إنجليزية واحدة طوال فصل دراسي كامل درَّسه لنا! أغرب شاذ مثلي خول رأيته في حياتي! ومع هذا يُحسب له أنه لم يمد يده على أي منا في يوم من الأيام، بالرغم من أن الظروف والبيئة وأعمارنا وقتها كانت مواتية وتسمح بالاستغلال، شوف اليومين دول بنسمع بلاوي شكلها إيه! الآباء القساوسة أنفسهم كل يوم والتاني فيه فضيحة في كل حتة في الدنيا! أبونا وبتاع عيال، ها ها هه! بس بوخة كان بيحبني والله، ها ها هه! أكتر من بقية العيال في الفصل، ها ها هه! سقى الله تلك الأيام! والله زمان يا ليبيا! الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، شركاء لا أجراء، من تحزَّب خان، التمثيل تدجيل، في الحاجة تكمن الحرية، الفاتح ثورة شعبية، الفاتح ضد الرجعية، يااااه، كنا بنمتحن في الكلام ده! نجاح وسقوط يا باشا! بس المدرسين عمرهم ما سقطوا

حد في الكتاب الأخضر، نسبة النجاح ميّة في الميَة، فراخ الجمعية، أنا كنت عظيم في الكتاب الأخضر! يا ما لميت منه درجات!"

ومن دكان المحمصات المجاور لدكان الخمور، اشترى سامح نصف كيلو سوداني أسواني محمصاً ومملحاً ملحاً خفيفاً كان لا يزال دافئاً من التحميص الطازج، عبئه البائع أولاً في كيس ورقي، ثم وضعه في كيس من أكياس المحل عليه اسم وشعار المحل، وناوله لسامح الذي فتح كيس البيرة الأسود ووضع السوداني على العلب القصديرية الدافئة في حمل واحد، ثم استأنف سيره في اتجاه ميدان التحرير.

"طارق البشري هوَّ اللي كتب الإعلان الدستوري، متوقع إيه يعني! وزقوا شيوخهم يقولوا للناس على المنابر: نعم في الجنة، ولا في النار.،وعايزني اكسبها!

علشان البند بتاع الشريعة الإسلامية، هيّ الشريعة دي ورانا ورانا! من أيام السادات ودستور 71 وهي ورانا ورانا! تتغير الأنظمة، وتتغير الوجوه، وتظل الشريعة ورانا ورانا! الله يخرب بيت الشريعة على الإسلام على المسلمين! إحنا ها نفضل كده في التخلف ده يا رب! مكتوب علينا! ذنب!العمل اللي معمولنا ده هايتفك إمتى! في قاع الأمم كده علطول! في الاستبداد، وفي الثورة كمان!"

كانت أعداد الدبابات والمدرعات والمصفحات أكثر من كل يوم بمناسبة الاستفتاء على الإعلان الدستوري، الذي كلف المجلس العسكري الذي يدير شؤون البلاد المستشار الإخواني طارق البشري بكتابة مسودته.

"العسكر مهزوزين وخايفين من الإخوان، بل وجزء منهم إخوان أصلاً! أمال انت فاكر إيه! التخلف موجود في الجيش زيه زي كل حتة في مصر، أمال مين يعني اللي قتل السادات!

شوف عدد المحجبات من زوجات الضباط قد إيه! محب كان قال مرة إن مركز دراسات الشرق الأوسط اللي تبع المخابرات كان عمل دراسة سرية أيام اللوا أحمد فخر عن نسبة المحجبات من زوجات الضباط في نوادي الجيش، وانزعجوا جداً لما طلعت النسبة 85%، وده إيه، ده في بداية التسعينيات! شوف دلوقتي النسبة بقت كام! وعايزني اكسبها!

يبقى الإخوان والسلفيين ليهم حق يركبوا! والخولات النشطاء ماسكين لي في إن أجمل ما في ثورتنا إنها بلا قادة! هوَّ يا خول منك ليه فيه ثورة من غير قادة! تبقى فورة شعبية مش ثورة شعبية! هبَّة، هوجة، وتاريخنا مليان هوجات! عشوائية بلا ضابط ولا رابط، ولا هدف ولا نتيجة، تنفيسة، عن غضب، عن إحباط، عن كبت.،وتفسي بعد كده! فسية شعبية، وريحتها بدأت تبان بنت الوسخة!

زي ما قال ماركس: ارتجال لثورة دون توفر شروطها، وشروطها هي القيادة والتنظيم، ودول مش موجودين إلا عند الإخوان! وعند العسكر! وإذا استبقنا عملية تطور ثوري دون توفر شروطي القادة والتنظيم أدى ذلك إلى نتيجة كارثية! تكتسب الثورة المضادة قوة جديدة، ويعود النظام القديم أشرس مما سبق! كأنها قبلة الحياة، وانت اللي بتبوسه من بقه يا خول! كأنها عملية تطعيم، بتدي الجسم نسخة ضعيفة من الفيروس عشان جهاز المناعة يكوّن الأجسام المضادة، فلما يقابل الفيروس الحقيقي يقدر يقاومه ويقضى عليه.

قال ثورة بلا قادة قال! ده قصر ديل يا ازعر!"

ولغرام سامح القديم والمستمر لحد الآن بالقوائم، راح ذهنه يستدعي الأمثال الشعبية التي تطرأ على باله، تعقيباً وتعليقاً على مقولة "جمال الثورة في عدم وجود قادة لها"، وكان بعضها قريباً من المعنى الذي يريده، وبعضها أكثر بعداً، وهو الأمر الطبيعي في عملية تداعي المعاني التي تطرأ لحظياً ارتجالياً على الذهن دون ترتيب أو إعداد مسبق.

"ده قصر ديل يا ازعر. اللي ما يعرفش يقول عدس. الاقرع يتباهى بشعر بنت اخته. اللي خدته القرعة تبقى تاخده ام الشعور. جبت الاقرع يونسني قلع الطاقية وخوفني. هبلة ومسكوها طبلة. إلا الحماقة قد أعيت من يداويها. عدوك العاقل ولا حبيبك العبيط. الرفيق قبل الطريق. الجار قبل الدار. إذا حضرت الملائكة غابت الشياطين. الريّس في حساب والنوتي في حساب. إسأل قبل ما تناسب يبان لك الردي من المناسب. تزرعه يقلعك. قالوا أبو فصادة بيعجن القشطة برجليه قالوا كان بان على عراقيبه. قالوا الجمل طلع النخلة قلت آدي الجمل وآدي النخلة. لو الجمل شاف أتبه كان ميّل عليه قطمه. اللي تحوشه النملة في سنة ياخده الجمل في خفه. خلاص البلد كلها بقت فتوات، أمال مين اللي ها ينضرب. لما انا أمير وانت أمير أمال مين فينا اللي ها يسوق الحمير. أبو

بلاش كتر منه. طول الخيط يضيّع الإبرة. إدي العيش لخبازه ولو أكل نصه. يا طالب السمنة من بز النملة حرمت عليك التقلية. يغرك رخصه وترمي نصه. الغالي تمنه فيه. عدس بترابه وكله بحسابه. ضربة المعلم بألف. شغل المعلم لابنه. ابن الوز عوّام. بنت الفارة حفارة. الديك الفصيح من البيضة يصيح. ما يجيبها إلا رجالها. فيه رجالة كلام وفيه كلام رجالة. ولا كل من لبس العمّة زانها ولا كل من ركب الحصان خيّال. من جاور السعيد يسعد ومن جاور الحداد ينكوي بناره. اللي مالوش كبير يشتريله كبير. اللي مالوش خال يشتريله خال. العيلة اللي ما فيهاش صايع حقها ضايع. قبل ما تناسب حاسب. اللي جوزها يقولها يا عورة الناس تلعب بيها الكورة. اللي ما يقدر على المهرة وعليفها يميل من طريقها. أبو البنات مصطبة للأندال. اللي يربط في رقبته حبل ألف مين يسحبه. ربنا مش ها يديك حمل تقيل إلا لما يكون عندك كتف يشيل. تاريخك كله فضايح وجاي تديني نصايح. أقف عوج واتكلم عدل. يا ما جاب الغراب لامه. عشمتني بالحلق خرّمت انا وداني لا وداني خفت ولا الحلق جاني. إيد لوحدها ماتصفقش. المال السايب يعلم السرقة. اتصالحت المقشة مع البلاعة والاتنين بقوا جماعة. إن غاب القط العب يا فار. سكتناله دخل بحماره. طول ما الحمار ساكت العربجي بيزوّد في الحمولة. اللي يسلم دقنه للناس ينتفوها. اللي ما عندوش ما يلزومش. الجعان يحلم بسوق العيش. الأعمى يحلم بقفة عيون. أعمى ويقول شفت بعيني. جه يكحلها عماها. إنت جيت ولا الهوا رماك. الناس خيبتها السبت والحد وانت خيبتك ما وردت على حد. تبقى في بقك وتقسم لغيرك. يدِّي الحلق للي بلا ودان. قلت للنحس انا رايح أتفسّح قال وراك وراك هوّ انا مكسّح. المتعوس متعوس ولو علقوا على راسه فانوس. يطلع من نقرة يقع في دحديرة. ما تخافش من الهبلة خاف من خلفتها. إدلعي يا فحلة الزريبة وحلة. إدلعي يا عوجة في الليلة السودا. إمسح مكياج صاحبتك ها تلاقي سيد ابن عمتك. قالوا جابوا الاقرع يسرّح بنت السلطان. إيش تعمل الماشطة في الوش العكر. جات الحزينة تفرح ما لقيتلهاش مطرح. لا الحاوي ها ينسى موت ابنه ولا التعبان ها ينسى قطع ديله. إن كنتو نسيتوا اللي جرى هاتوا الدفاتر تنقرا. بتقرا مزاميرك على مين يا داوود. عامل شيخ على صاحب البار اللي بيسكر عنده. أسمع كلامك أصدقك أشوف أمورك استعجب. قالوا للحرامي إحلف قال جالك الفرج. أقوله تور يقول احلبوه. ماكنش انعزر ولا باع جزر. إيش ياخد الريح من البلاط. بكرة نقعد على الحيطة ونسمع الزيطة. أبوك البصل وامك التوم ها تجيلك الريحة الحلوة منين يا مشؤوم. طمعنجي بناله بيت فلسنجي سكنله فيه. يا دي الشيلة ويا دي الحطة رحنا على جمل وجينا على قطة."

كان ذهن سامح مستغرقاً في عملية تداعي الأمثال والأقوال المأثورة حين اقترب من مجموعة ميكروباصات الترامكو المتهالكة الصدئة التي كان منظر تهالكها وعدم صلاحيتها للسير على الطرقات يُضفي سمة كئيبة على ليل القاهرة.

- نفرين حلوان محطة، حلوان محطة، حلوان محطة، نفرين حلوان محطة، واحد وخطيبته، واحد وخطيبته..

اتجه سامح إلى الميكروباص المعفن الذي كان سائقه العشريني الأسمر ينادي، وبصره على بنطلون السائق الجينز المهترئ المثني من أسفل عدة ثنيات مظهراً ساقيه العاريتين المشعرتين وقدميه المتسختين في فردتي الشبشب الزنوبة.

النار

مقدم خالد الخولي. مقدم إياد إمام. رائد محمد عمر. رائد حسن عبد الحميد. رائد محمد عبد القادر. نقيب إبراهيم الشرع. نقيب محمد طارق الوديع. نقيب محمد فهمي. ملازم أول أحمد أبو الحسن. ملازم أول محمود سامي بدير. ملازم أول أحمد الخولي. ملازم أول عصام خيري بدران. ملازم أول محمد رفعت. ملازم أول إبراهيم الجعفري. ملازم أول مصطفى عبد المجيد. ملازم أول حسين سعد. ملازم أول أحمد رشاد. ملازم أول أحمد سمير. ملازم أول ياسر بخاتي. ملازم أول محمد الحنفي. ملازم أول رامي أحمد.

انتهى نصار من قراءة قائمة ضباط الجيش الذين انضموا إلى المتظاهرين المعترضين على تسويف المجلس العسكري وتلاعبه بمطالب الثوار وتعمده تصفية الثورة مادياً ومعنوياً، والذين عُرفوا باسم "ضباط 8 أبريل"؛ وهو التاريخ الذي انضموا فيه إلى المعتصمين في ميدان التحرير، وهم من تم القبض عليهم فجر يوم السبت 9 أبريل 2011 في فض اعتصام ميدان التحرير، الذي شاركت فيه قوات من الجيش، والشرطة العسكرية، وسلاح المظلات، وقوات الأمن المركزي في أول ظهور لها بعد اختفائها من يوم 28 يناير 2011.

- مين عطاك الأسامي؟

سأل نصار، بعد أن رفع عينيه عن الورقة التي كان يقرأها، وإن كان لا يزال ممسكاً بها بين أصابعه.

- ضابط كان في الاعتصام وهرب قبل اقتحام الجيش للميدان.

رد فتحي بابتسامة هادئة وشت بثقته التامة في مهنيته.

"هل يظن حقاً أني سأوافق على هذا؟! مؤكد لا! هو أذكى من هذا! يريد إحراجي، يرغب في سماعها بصريح العبارة، ثم يروح يجلس على مقاهي وسط البلد مع رفاقه من أشباه الشيوعيين الذين يصلبون أنفسهم زوراً على صليب الشيوعية ويستعطون عليها ويأخذ في التبجح ويقول بالفم المليان إن القناة هواها مع الجيش، وإنني أمنع التقارير التي تحرج العسكر، صفيق ابن كلب! طيب يا أخو الشرموطة!"

- إيش اسمه؟

سأل نصار بوجه بارد، وعينيه في عيني فتحي، دون أن ترمشا، زاماً شفتيه في جدية وصرامة، أجبرت عينا فتحي أخيراً على الهروب، فراحتا تتخبطان هنا وهناك بحثاً عن شيء تثبتان عليه.

تمتم فتحي:

- يا ريس حضرتك سيد العارفين الحق في حماية المصدر!

- بس مش على رئيس التحرير! أنا المسؤول أولاً وأخيراً، ولو جهة رسمية سألتني أنا اللي بقول الحق في حماية المصدر مش إنت! أنا اللي بحميك إنت والمصدر.

قال نصار ببرود وجه أبي الهول.

- تمام يا ريس، ده رائد اسمه حسام أبو الفتوح كان مع المجموعة، وانفصل عنهم ساعة ما كان رايح يشتري أكل في نفس توقيت الاقتحام والقبض على زمايله.

- طيب هل بيقدر حسام إنه يطلع يقول هيك؟

- لأ مستحيل طبعاً يا ريس دي فيها محاكمة عسكرية!

- طب أنا إيش بيدي! خبر متل هيك لازم المصدر نفسه يطلع يحكي بتمه، إنت عم تتهم الجيش! ولازم كمان تجيب إلي مصدر تاني موثوق فيه يأكد إدعاءات حسام، خبر متل هيك، مسؤولية متل هيك، المهنية بتقول إنه لازم مصدرين تنتين مش واحد، إنت بتعرف هالحكي.

رد فتحي بتوتر من يعدو بمحاذاة قطار بدء بالتحرك:

- طيب ها حاول أشوف مصدر تاني غير حسام بس يا ريس أنا متأكد إن حسام بيتكلم دلوقتي مع الجزيرة والجزيرة ها تذيع من غير ما هوَّ يطلع ولا حتى ها يجيبوا مصدر تاني يأكد كلامه!

- الجزيرة ليست نموذجاً يحتذى به مهنياً يا فتحي وانت بتعرف هالحكي، خصوصاً الجزيرة مصر!

رد فتحي بيأس المتعلق بقشة:

- بس ده سبق يا ريس والجزيرة ها تذيع الأول لو اتأخرنا!

- بيشرفني نكون آخر قناة تذيع الحقيقة مش أول قناة تذيع الكدب.

وتمتم نصار في نفسه: " يلا يا منيوك يا أخو الشرموطة!"

ماسبيرو

حاول محب مجدداً أن يدس إصبع البعبوص في خرم استه. افلتت منه آهة ألم شديد رغماً عنه. شعر بنهاية العالم، وكأن السماء تنطبق على الأرض، وأن البشرية تضمحل وتنتهي والكون يتداعى وينكمش على نفسه، وغمرته أجواء سفر الرؤيا. حاول دفع إصبعه إلى الداخل متحاملاً على نفسه رغم شدة الألم، على أمل النجاح في إخراج قطعة أخرى من البراز المتجمد حول قشور اللب الأبيض الذي يملئ القولون ويسد فتحة المستقيم والشرج. حزق مجبراً معدته على الضغط على البراز المتجمد عله يتحرك من مكانه، إلا أن ألم قشور اللب الحادة الذي أحس بها في أعصاب الشرج كانت فوق ما يطيق. استسلم في النهاية، كما في المرات العديدة السابقة، فشد المَصرَّة الشرجية، بشد عضلات معدته وشرجه إلى الداخل بقوة عدة مرات، وشعر بعدها بخفوت الألم بعض الشيء.

قام من على المرحاض وهو يعتمد بكفه على حوض الغسيل، وبالكف الآخر على حوض الاستحمام، القريبين من المرحاض، واستغرقت هذه العملية، التي كان في العادة يقوم بها في ثانية واحدة أو اثنتين، بضع دقائق. تحامل على نفسه من شدة الألم التي يشعر بها في شرجه، ونجح في النهوض في النهاية وهو منكفئ على نفسه، نصفه العلوي في زاوية قائمة مع نصفه السفلي، واتكئ بمرفقيه على جانبي حوض الغسيل، وفتح الصنبور، وراح يصبون يديه جيداً. ولما انتهى، تشمم يديه وأحس بالقرف لما غمرته الرائحة القوية للبراز التي لا تزال عالقة في يديه. كرر العملية مرة أخرى. ثم أغلق الصنبور، مقرراً ألا يتشمم يديه كي لا يعود لغسلهما مرة ثالثة، لأن الألم كان أشد مما يطيق. سجد على أربع، دون أن يجفف يديه في منشفة الحمام، وكما جاء إلى الحمام، زحف بطيئاً على يديه ورجليه حتى وصل إلى غرفة النوم، ماراً بالردهة، ثم بصالة الشقة. صعد على السرير المفروش بمشمع شفاف، كان قد وضعه سابقاً، لأنه أثناء استلقائه على أحد جانبيه على السرير، كانت فتحة شرجه يسيل منها أحياناً برازاً سائلاً، نتيجة تعاطيه كمية كبيرة من المسهلات.

تمنى لو يحظى ولو ببضع دقائق من النوم، لأن الألم الشديد كان يمنع عنه النوم خلال الأيام الماضية. هذا هو اليوم الثالث لمعاناته على هذا النحو، بعد أن التهم، في ساعة سرحان ونزق وغفلة عن العواقب، كيلو كاملاً من اللب الأبيض بقشوره، وهو يتابع تداعيات حادث ماسبيرو على

القنوات الفضائية، وهو الحادث الذي قتل فيه جنود الجيش المصري دهساً بالدبابات 26 مواطناً مسيحياً وأصابوا أكثر من 300 آخرين وفقاً لتقرير المجلس القومي لحقوق الإنسان عن الأحداث الصادر يوم الأربعاء 2 نوفمبر 2011؛ وذلك بسبب احتجاجهم واعتصامهم أمام مبنى التلفزيون المصري بماسبيرو، مطالبين بإقالة محافظ أسوان؛ اللواء مصطفى السيد، الذي تخاذل أولاً، ثم أدلى بتصريحات أججت الفتنة الطائفية وأشعلت فتيلها، بعد قيام المتطرفين بحرق كنيسة في قرية المريناب بمحافظة أسوان.

في تلك الأيام الثلاثة كانت أكبر سعادة في حياته هي رؤيته لقطعة، ولو صغيرة، أو حتى متناهية الصغر، من البراز. كانت سعادته أكبر حتى من سعادته عندما حصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي، أو فرحته عندما نجح في الظفر بوظيفة مدرس في كلية لندن للاقتصاد، أو حتى من سعادته عندما ينجح في الإيقاع بامرأة كان يشتهيها فيقنعها أخيراً بالدخول إلى فراشه. كان محب عندما ينجح في إخراج قطعة من البراز المتجمد من استه باستخدام إصبعه، يمتلئ أملاً في الحياة، ويغمره شعور طاغ بأن السيستم شغال، وأن الفرج قريب، وأن لكل مجتهد نصيب، وأن النجاح حليف من سعى، وإن بكرة تروق وتحلى، وإن الصبر مفتاح الفرج، وإن يا عيني ع الصبر، وأن الله موجود، وأن الله محبة، وأن يا اهل المحبة المحبة إدوني حبة.

أما في غير تلك الأوقات السعيدة، والتي كانت قليلة للغاية، بل ونادرة، حتى لتكاد تقول إن محب لم ينجح في إخراج ولو واحد في الألف مما هو متجمد داخل أمعائه، بل ربما نصف أو ربع أو ُثمن في الألف إن شئت الدقة، كان اليأس يسيطر عليه بالكامل، ويغمره شعور طاغ بأن السيستم خربان ومعيوب وبايظ ونص لبَّة، وأن هذه المحنة لا نهاية لها، وأنه سيُضطر آخر الأمر للجوء للمستشفى لإجراء عملية جراحية ويستخرج الأطباء البراز المتجمد في أمعائه من عدة أيام. "يا دي الفضايح!" هكذا كان لا يكف عن الترديد بينه وبين نفسه، خصوصاً في أعقاب نوبات الألم الشديدة الناتجة عن احتكاك مسامير قشور اللب الأبيض المدببة في مصارينه عقب قيامه بأقل حركة، أو حتى من دون قيامه بأية حركة في أغلب الأحيان.

كان التلفزيون الموضوع في مواجهة سرير نومه مفتوحاً على قناة الجزيرة-مصر. أحضر محب تلفزيون غرفة النوم البلازما الخمسين بوصة معه من لندن، ضمن أشياء كثيرة أخرى أحضرها معه من هناك، عندما قرر أخذ إجازة مفتوحة من جامعة لندن والبقاء في مصر إلى أن

يأذن الله، طامحاً في الانخراط في العمل السياسي في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ البلاد. قال لنفسه حينها: "هذا الزمن مثل زمن الانفتاح، فرصة لن تتكرر لبناء النفس سياسياً، كما كان الانفتاح فرصة للحرامية لبناء النفس مالياً." لم يكلفه تلفزيون البلازما، الذي اشتراه أصلاً مستعملاً من أحد مخازن الأجهزة المستعملة النظيفة استعمال الأطباء الواقعة في ضواحي لندن، إلا عُشر تكلفته لو اشتراه من القاهرة من محلات العجيل.

كانت الجزيرة-مصر تذيع لقاءًا مع إحدى السيدات القبطيات، التي كانت، على ما يبدو، تقف وسط حشد كبير من الأقباط من الجنسين ومن مختلف الأعمار، وينبغي علينا القول إننا لم نتمكن من استجلاء مكان وقوفهم بالضبط، فلم يكن هذا واضحاً في الصورة، وإن كان يُفهم من مجمل الموقف أنهم كانوا يحتجون على ما قام به الجيش المصري من قتل لإخوتهم الأقباط الذين كانوا يعتصمون أمام مبنى ماسبيرو يوم 9 أكتوبر 2011، والتي سُميت أحداث الأحد الأسود والأحد الدامي.

كانت السيدة الخمرية التي ترتدي فستاناً أسود وتعلق حقيبة يد حريمي سوداء على رمانة كتفها الأيمن، ومحاطة من كل جانب بالمسيحيين المحتشدين حولها في استياء وغضب يرددون بعض الهتافات المعادية للحكومة والجيش، وإن كانت غير واضحة لمُشاهد التلفزيون، تقول:

- ممكن أوجه كلمة بقى للي بيحصل في الإعلام؟! أولاً عايزة أقول لشرف باشا، ماشي، بتاع رئيس الوزرا، لو، مش عارفة أقول إيه! لو، بيبي صغير عنده 4-5 سنين لسه بيتعلم الكلام مش ها يقول حديث زيك، ها يقول حديث أقوى منك، ده ده أولاً يا شرف بيه، وبقولك إحنا مش عايزينك، عشان إنت إخوانجي مش عايزينك، وتطلع بره لإن انت ما ينفعش تبقى مصري، دي حاجة، أقول لسيادة المشير، حسني مبارك قعد 30 سنة قلبه ما جابوش إنه يعمل اللى انت عملته، ومع ذلك يوم ما اتفق معاك على حادثة القديسين آهو اترمى في السجن، فعايزة أقولك يا سيادة المشير لما بتقف تصلي إن كانت بتصلي بتقول يا رب إزاي! لما بتقف تصلي تفتكر ربنا ها يسمعك! ولا بتصلي بتقول زي الشيوخ اللهم جمِّد الدم في عروقهم! يا ريت يقولنا بيصلي إزاي، عارف بيعرف ربنا إزاي، بس عايزة أقولك مفاجأة حلوة خالص وعلى لساني، ومش لساني ده على كل قلوب المسيحيين، لإن إحنا إلهنا قوي، إلهنا قوي وانت عملت حاجة فظيعة ما يعملهاش اليهود، فصدقني ربنا ها يعاقبك عقاب أصعب من مبارك مبارك ده بالنسبالك ملاك، حاجة تاني، عايزة أقول إيه

تاني، بالنسبة لسيادة اللوا ولا إن كان ما عرفش، آه، بالنسبة لسيادة المشير عايزة أقوله إيه أخبار السيفين اللي على العلم! هي مصر اتقلبت السعودية! ما تحلمش بكده لإن عمرها ما ها تبقى السعودية! دي حاجة، وبقول للمؤتمر الصحفي المحترم اللي قال النهارده، جايبلي صور وقعد يقول وّقف هنا يا ابني وّقف هنا يا ابني على صور هوَّ عايزها، ماشي! بيوّقف على صور إيه؟! بعد إيه هوَّ جايب إيه، جايب الحاجة بعد ما خلصت خالص يعني بعد الليلة، بعد الليلة ما خلصت، بعد ما دبّحونا الحمد لله، واللي مخه طار واللي عينه طارت واللي مصارينه طلعت، بعد ما دبّحونا خالص والدم ملا الشوارع، ماشي، وكسَّروا اللى كسروه، جايبلك شوية بس عيال في الشارع وبيضربوا طوب ويقولك المسيحيين شوفوا عملوا إيه، شوف الولد داهوت على الدبابة، ده ده دخل جوه الدبابة يا عيني! والعسكري المسكين مش معاه حاجة خالص، عسكري، جيش، قوات مسلحة في دولة كبيرة زي مصر ماشي من غير سلاح، إزاي، الله أعلم! كويس إنه هوَّ لابس هدوم أنا والله خفت عليه، ده داوت أولاً، عايزة أقول، ده المحترم اللوا اللي كان عامل مؤتمر صحفي هوَّ والتاني، اتقوا ربنا! اتقوا ربنا! اتقوا ربنا! ثواني لو سمحت، وعايزة أقول تاني، آه وعايزة أقول بالنسبة لشهداء الجيش، والله صعبوا عليّا، مبروك عليهم جهنم إن كان فيه شهدا! لإن هما مش شهدا، أولاً فين الجنازة بتاعتهم! سيبك من الجنازة، هما انتوا بتدفنوا الناس من غير ما تصلي عليهم! دي حاجة، فأنا عايزة أعرف يا يا سيادة اللوا، ويا مشير طنطاوي، واسمه إيه ده مش عارف الباز، والشيوخ اللي بتطلع على القنوات وتقولك اللى اللى المسيحيين! المسيحيين إه قتلوا الجيش، يا ريت يورونا فين الشهدا، وصلوا عليهم ولا احنا نصلي عليهم! وشهدا ازاي وهوَّ ضربني بالنار وداس عليّا بالدبابة! وشهدا 25 يناير مش شهدا لإن كلهم كانوا بيضربوا في بعض دول بلطجية، إحنا بس الشهدا فقط للمسيح، الشهدا فقط للدين المسيحي، الشهدا فقط للي رايح يدافع عن دينه لكن رايح يدافع عن وطن برضو مش شهيد، إنتوا كل حاجة عندهم شهادة، ماشي، دي حاجة، واللي بيقول إن احنا كفرة، أنا يشرفني يشرفني يشرفني إن أكون كافرة بالإسلام، لإن ديني المسيحي بفتخر بيه، لإن دين المحبة، دين حبوا أعدائكم، دين بيقول إيه، من يأمن، من أخذ بالسيف بالسيف يُؤخذ، مش قاتلوا الناسَ جميعاً حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله محمد رسول الله! أو، وأعدوا ما استطعتهم من قوة ترهب عدو الله وعدوكم! أقولكم فتحوا عقولكم معلش سامحوني إن انا بقول كده، بس فتحوا عقولكم، واعرفوا إن الإرهاب مش عندنا، ماعندناش إرهاب، واحنا عندنا محبة، ومافيش حد كان معاه غير الصلبان الخشب، ومسكوا طوب من الشوارع، اتقوا ربنا لو انتوا

تعرفوا ربنا، بس كده."

اتصل عاطف من سويسرا بمحب لكي يطمئن على حالته الصحية؛ اتصل من بلدة تبعد عن جينيف حوالي خمسين كيلو متراً، يصعب علينا تذكر اسمها الصعب.

- إزيك يا ابني دلوقتي عامل إيه؟

- كويس الحمد لله نشكر ربنا.

- أيوه يعني فيه حاجة خرجت ولا لسه؟

- لا والله لسه مافيش.

- طب يا ابني انت كده لازم تروح المستشفى!

- لأ مستشفى إيه!

وغمر محب الإحساس بالخجل والدونية من تصور فكرة أنه سيضطر لشرح أسباب الانسداد في أمعائه لطبيب أو طبيبة، ويقول إنه أكل كيلو من اللب الأبيض المملح بقشوره وهو يتفرج على التلفزيون.

- يا ابني المرض مافهوش كسوف، لا انت أول واحد يجي له إنسداد ولا آخر واحد!

- لأ يا عم مستشفى لأ مستشفى إيه!

كان الإحساس بالخجل والدونية يغمره حتى وهو يتحدث إلى أخيه شقيقه، فما بالك لو عرف الغريب.

- طيب أنا هاشوف حد كده من زمايلنا يعدي عليك في البيت مادام انت رافض موضوع المستشفى، مَعنها مافيهاش حاجة والله يا ابني!

- لأ ماتشغلش بالك انت يا باشا، بص بس عشان تطمن يا عاطف، لو التعب زاد والموضوع احتاج دكتور هاكلم ياسين والله أوعدك.

- ياسين مين بس يا عم هو ده بيفهم حاجة!

عدم اعتراف الدكتور عاطف بمهنية الدكتور ياسين بدأ منذ اليوم الذي علم فيه الدكتور عاطف بأن الدكتور ياسين يضع الأشعة السينية على شاشة الإضاءة الخاصة بجهاز كاشف الأشعة لكي يتمكن من قرائتها.

- ليه بس يا دكتور ده دكتور كويس والله!

- إنت اللي تقول ولا انا اللي اقول!

- إنت طبعاً يا باشا بس انت عارف أهالينا عودونا إننا ما نروح للدكتور الشاطر نروح للدكتور اللي بنستريح له، ونحلق عند الحلاق اللي بنستريح له، ونشتري م الجزار اللي بنستريح له.

وأمسك محب عن قول: "وننيك الشرموطة اللي بنستريح لها."

- يا عم سيبك بقى من كلام الجهلة اللي جايين من ورا الجاموسة ده!

قال محب لأخيه الدكتور عاطف ما كان معتاداً على قوله في مثل هذه الحالات من أن أهلنا قد عودونا على أن نذهب للطبيب الذي نستريح له، ونشتري من البقال الذي نستريح له، ونتعامل مع الخياط الذي نستريح له، ونركب مع السائق الذي نستريح له. ورد عليه الدكتور عاطف بما كان معتاداً على قوله في مثل تلك الحالات: "يا أخي بطل بقى كلام الفلاحين اللي جايين من ورا الجاموسة ده!"

- يا دكتور إنت ياسين سقط من نظرك مهنياً من ساعة ما عرفت إنه بيقرا الأشعة على الجهاز! حرام عليك يا عم، ما هو جهاز الأشعة معمول ليه، أكيد علشان الدكاترة تستعمله!

- يا ابني ما فيش دكتور صنايعي يحط الأشعة على الكشاف عشان يقراها! الواحد يمسك الأشعة في إيده كده يقرا علطول!

- معلش يا دكتور ما هو مش كل الدكاترة صنايعية زيك.

- خلاص بقى اعمل اللي تعمله!

- مش ها كلم ياسين ولا حاجة أنا بقول بس لو التعب زاد ها بقى أكلمه عشان انت تطمن.

- ماشي، جبت الدافلون؟

- آه جبته إمبارح وباخد منه.

- مين اللي جابهولك؟

- اللي في الأجزخانة بعتهولي دليفري.

- لسه برضو الحركة فيها صعوبة مش كده؟

- آه بتحرك بالعافية والله!

- معلش، وما فيش حاجة لسه نزلت؟

لم ينسَ الدكتور عاطف أن محب قد أخبره من قبل بهذه المعلومة، ولكنه قال ما قال وسأل عن ما سأل من باب أنه لم يجد شيئاً آخر حاضراً في ذهنه لكي يقوله ويستمر الحديث.

- لا والله لسه.

محب كان يعرف أنه يكرر المعلومة للمرة الثانية لأخيه الدكتور عاطف، ولذا شعر بأن من واجبه أن يجد نافذة جديدة يفتحها لاصطياد شغف الدكتور عاطف بالاستمرار في المكالمة التليفونية.

- بس انا بشرب حليب كتير وباخد مسهلات وربنا يسهل.

- المسهلات ها تبقى صعب برضو إنها تنزل كمية قشر لب كتيرة، وبعدين لما بتقعد في الأمعاء فترة طويلة بتحجَّر أكتر، ما تفكر تاني يا ابني وتراجع نفسك في موضوع المستشفى، مافيهاش حاجة تكسف والله!

- معلش يا عاطف وحياتك خليني على راحتي أنا نفسيتي أصلاً مش مستحملة!

- خلاص يا ابني انت حر اللي يريحك.

وظننا أن الدكتور عاطف كان يشعر بضجر متزايد من شعور أخيه بالخجل من حالته الصحية؛ فبالنسبة للدكتور عاطف لم يكن هناك محل للخجل لا في العلم ولا في الطب، ونحن نعرف عنه أنه إنسان عملي جداً في هذا المقام، ونحسب أن ما زاد من حالة الضجر لديه أنه ما زال يتذكر الحادثة المشابهة التي وقعت لأخيه محب منذ ما يقارب الأربع سنوات مضت، حين التهم بشراهته المعهودة نصف كيلو من السوداني اللبناني المحمص المتعب جداً للأمعاء، وما زال يتذكر أن محب قد حدث له انسداد أيضاً في ذلك الوقت، وإن يكن على نحو أخف كثيراً من هذه المرة، لأن الشظايا الزجاجية للسوداني اللبناني المحمص التي كانت محشورة في أمعائه قد خرجت بسلام أخيراً على مدار يومين، ونقول "بسلام" في هذا المقام من قبيل رحابة صدر اللغة العربية المعروفة برحابة صدرها واتساع ذمتها فهي قد تقبل، كما تعرف، المعنى ونقيضه في نفس اللفظ، والحق أن الشظايا الزجاجية للسوداني اللبناني الكروي المحمص كانت قد خرجت من أمعاء محب مع دماء ونزيف كثيرين، حتى اضطر محب إلى استشارة أخيه الدكتور عاطف، الذي أشار عليه بتناول دواء دافلون 500 لوقف النزيف والتخفيف من التهاب الناسور، وهذا هو سبب علم الدكتور عاطف بتلك الواقعة، فلولا اضطرار محب لاستشارة طبيب، لما جرؤ أبداً على إخبار أخيه وفضح أمره؛ وهكذا فأنت ترى الآن حقيقة شراهة محب مع الطعام، ناهيك عن الجنس والمال والقوة بشقيها: النفوذ والسلطة، فما الحقيقة إلا واقعة ثم واقعة، مثلما الكف الذي ما هو إلا إصبع ثم إصبع.

- إنت في السكن دلوقتي؟

سأل محب أخاه الدكتور عاطف عما إذا كان يكلمه من المستشفى التي يتردد عليها أثناء الدورة التدريبية في سويسرا، أم أنه موجود حالياً في السكن الخاص بالبعثات والطلبة التابع للجامعة التي يتلقى فيها الأستاذ الدكتور عاطف ذكي الدورة التدريبية المتخصصة في شيء ما تفصيلي للغاية في جراحات العمود الفقري؛ قد يكون التدريب على آلة جديدة من أدوات جراحات العمود الفقري أو تكنولوجيا جديدة من تكنولوجيات جراحات العمود الفقري ليس لنا علم بها.

- آه.

- الجو عندكم برد جداً مش كده؟

- آه يا بني والله الواحد واقف في البلكونة بيتكتك من البرد!

- وانت إيه اللي موقفك في البلكونة بس؟!

- بشرب سجارة التدخين ممنوع جوه.

- بلكونة بالليل في البرد ده!

- أعمل إيه بس!

- ومتقل ولا لأ؟

- متقل مين يا عم! بلوفر وترينتج وخلاص.

- يا عم حرام عليك نفسك! لو أخدت برد فيها أسبوعين على ما تصلب طولك، إنت أصلاً ما بترضاش تاخد أدوية لما بيجيلك برد! طب على الأقل إلبس كوفية وآيس كاب، وشراب صوف أو شراب تقيل شوية.

- لابس آيس كاب.

- طب كويس، اتعشيت ولا لسه؟

- ماهو انا واقف مستني الناس اللي شاغلين المطبخ يخلّصوا! بقالهم ساعة جوه دلوقتي! ولسه سامع صوتهم بيرغوا، الظاهر نسيوا نفسهم!

- لأ لو اتأخروا يبقى خبط على الباب وادخل قولهم إنك لازم تحضر العشا بتاعك عشان ميعاد نومك وعندك شغل بكرة الصبح، ماتتكسفش يا عاطف، إشمعنى الخواجات مابيتكسفوش!

- يا ابني كسوف مين دي عالم وقحة جداً! النهارده الصبح دخلت المطبخ لقيت يافطة طويلة عريضة مكتوب فيها شكوى ومحاضرة طويلة عريضة إن حد دخل المطبخ فلقى مكرونة في الحوض، مكرونة! مكرونة واحدة بصيغة المفرد مش الجمع، مكتوب كده في اليافطة اللي قد المجلات الحائطية بتاعة المدرسة زمان! كل ده عشان مكرونة في الحوض! ومحاضرة بقى عن النضافة وعن الأخلاق وعن الذوق وكأن السما انطبقت على الأرض عشان حد ما خدش باله

ووقعت منه مكروناية في الحوض!

- اليافطة مكتوبة بالألماني؟

- آه بالألماني آه.

- يبقى حد من الألمان اللي في السكن هوَّ اللي اشتكى، السويسريين عندهم ذوق شوية.

- آه غالباً حد ألماني، مافيش هنا سويسريين، المكان كله ناس من بره سويسرا، السويسريين اللي معانا في الوِركشوب كل واحد فيهم عايش في بيته.

رداً على سؤال من محب عمن قام بكتابة الشكوى من وجود خواتم مكرونة في حوض الغسيل بالمطبخ، رد محب قائلاً إنها طبيبة ألمانية زميلة لهم في الدورة وتقطن معهم في السكن.

- وانت برضو يا عاطف لازم تبر نفسك شوية، ماتبهدلش نفسك يا ابني في السكن اللي عامل زي سكن الطلبة والقرف ده! كان لازم تحجز لنفسك في فندق وزي ما تكون المصاريف، إنت مش صغير دلوقتي على البهدلة دي! إنت أستاذ يا ابني دلوقتي! لو لسه بتحضَّر ماجستير ولا دكتوراه كنت ها اقولك معلش استحمل البهدلة شوية، إنما دلوقتي انت مقامك أكبر من كده!

- يا ابني انت عارف أوضة ف فندق ف سويسرا تتكلف كام! أنا دافع ألف دولار من جيبي تذاكر طيران، والأكل على حسابي برضو، ولسه هاجيب حاجات للعيال وانا مسافر، يلا الحمد لله نشكر ربنا، إنت مش عايز حاجة من هنا؟

- لا كتر ألف خيرك يا دكتور.

- يا عم قول ما تتكسفش!

- لا والله كله تمام كتر خيرك يا باشا، ما انا كنت لسه من أسبوعين في لندن لو كنت محتاج حاجة كنت جبتها من هناك، المهم انت ها تاكل إيه؟

- جبت بيتزا من السوبرماركت، اللي هي مجمدة دي، محتاج المطبخ بس عشان أحطها في الميكروويف وولاد اللذينا بقالهم ساعة جوه وقافلين على نفسهم الباب، حاجة تقرف!

كان محب يعلم الإجابة مسبقاً أو يكاد؛ لإنه يعرف إهمال أخيه الدكتور عاطف في مسائل التغذية السليمة والأكل الصحي المفيد، ويعرف أيضاً غرامه الأبدي بالبيتزا واللازانيا، فهو إن سافر خارج مصر، فإن الأكل يومياً في الغالب سيكون إما بيتزا جاهزة التحضير، أو لازانيا جاهزة التحضير، يشتريها من أي سوبرماركت قريب من السكن، أو المستشفى التي يُجري فيها جراحات العمود الفقري، أو الجامعة الموفد إليها لإلقاء محاضرات في تخصصه في جراحات العمود الفقري، ولطالما ألح محب على أخيه الدكتور عاطف أن يشتري، إلى جانب البيتزا واللازانيا اليومية، وسواء من مصر قبل السفر، أو حتى من الدولة الأوروبية التي سيمكث الدكتور عاطف بها بضعة أيام، عسلاً أسود وزبدة الفول السوداني؛ لأن العسل الأسود من أكبر المصادر الغذائية في العالم في الحديد، وزبدة الفول السوداني يعطونها لجنود المارينز الأمريكان في مهامهم الخاصة في الصحارى والقفار والغابات والبحار لأنها مصدر غذائي وبروتيني وفيتاميني رائع للغاية وكامل متكامل، لكن للأسف لا حياة لمن تنادي، وفي كل مرة كان محب يكرر على مسامع الدكتور عاطف هذه النصائح ويقول له إن البيتزا واللازانيا هما في النهاية كربوهيدرات وليسا طعاماً مغذياً يصلب الطول ويعين على العمل الشاق الذي يبذله الدكتور عاطف أثناء جراحات العمود الفقري التي يقوم بها؛ والتي هي جراحات مجهدة بدنياً وذهنياً للغاية بالنسبة للجراح كما لا يخفى عليك، كان الأخير يقابلها بما يمكن اعتباره سخرية واستهزاء، حتى كف محب في النهاية عن نصح أخيه.

- يا عم خبط عليهم ماتتكسفش.

- شوية كده بس أخلص السجارة، لسه الدنيا مقلوبة عندكم؟

- آه هديت شوية بعد الجنازة بس لسه برضو.

- حاجة تقرف! إحنا لِسَّالنا مية سنة لغاية ما نبقى حمير!

- عندك حق والله! الدول المتحضرة بعد تجارب طويلة ومؤلمة جداً توصلت في النهاية إلى ضرورة فصل الجيش عن الشرطة لإن التجارب أثبتت إن الجيش اللي المفروض بيحمي الدولة من الأعداء في الخارج إذا اشتغل في الداخل ها يبقى الأعداء هما المواطنين! عشان كده تلاقي دايماً الجيش يشتغل بس في الخارج ضد الأعداء والشرطة هيَّ اللي تشتغل في الداخل، ولاد الغبية

بقى منزلين الجيش في الشارع منه للشعب! طب ومتوقعين إيه يعني! حاطط البنزين جنب النار ومتوقع إن مافيش حاجة ها تحصل!

قال محب للدكتور عاطف شيئاً كان قد سبق أن قرأه من قبل، أو سمعه من التلفزيون من أحد البرامج الحوارية المصرية أو المسلسلات الأمريكية، فنحن لسنا متأكدين في هذا الشأن مئة بالمئة من المصدر، قال محب للدكتور عاطف إن مهمة الجيش هي العمل على حماية أعداء الوطن الخارجيين، في حين أن البوليس مهمته حماية الوطن من الأعداء الداخليين، وأنه إذا ما غيَّر الجيش اتجاهه وصار يعمل في الداخل، تحوَّل العدو بالنسبة له ليصبح هو المواطن.

- تفو ع الغباء يا أخي!

- مشكلة العسكر في كل حتة إنهم بيبقوا بهايم جداً في الاستراتيجي، إديهم في التكتيكي زي ما انت عايز، هما بتوع التنفيذ، وخصوصاً تنفيذ المهامات التفصيلية الصغيرة، إنما من كتر ما هما غرقانين في الصغير بتفوتهم الصورة الكبيرة، فالعك بتاع العسكر بيبقى زي ما انت راسي! وفي كل حتة في العالم مش ف مصر بس، من أول أمريكا اللاتينية لغاية آسيا، دي مشكلة العسكر الأبدية، ومشكلة بتوع المخابرات برضو، وكل البيروقراطية الأمنية المهلبية.

- زيهم زي الإخوان والإسلاميين، السمع والطاعة.

- صحيح، صحيح جداً! الفرق بس بين الاتنين إن الإسلاميين تختلف معاهم يكفروك العسكر تختلف معاهم يخونك، دول مطلعين العيال الصغيرة اللي كانت رافعة الصليب في ماسبيرو إنهم خونة وعملاء وبقية اللستة بتاعة الاتهامات الخرا اللى انت هارشها دي!

- آه طب بعد إذنك بقى يا باشا العيال خرجت من المطبخ، هالحق انا بقى.

- تمام، بونا بيتي يا ريس.

- ها كلمك بكرة اطمن عليك، سلام يا باشا.

- سلام يا دكتور تصبح على خير.

وحالما انتهت المكالمة، استدار محب بجذعه بعفوية ليضع الموبايل على الكومودينو

الملاصق للسرير ناسياً خطورة الحركات المفاجئة في حالته، ففاجئه هجوم مباغت من الألم الشنيع في استه، وأفلتت من فمه صرخة ألم:

- آه يا طيزي!

محمد محمود

شخرت رودينا عوض الله شخرة طويلة قوية وهي تُصِّلب جسدها وتدفع عمودها الفقري لأعلى، فأتى نصار على الفور.

قبلها على خدها قبلة امتنان رقيقة وهو يبتسم، ثم همس:

- حبيبي!

ثم سحب عضوه منها بسرعة، فتأوهت، وقام من عليها.

توجه نصار للحمام مرتدياً قميصه ونصفه السفلي عارياً، بينما لا تزال تسقط من عضوه تصافي المني.

أغلق باب الحمام خلفه.

فور أن سمعت رودينا عوض الله صوت تساقط الماء من صنبور حوض الغسيل، فرجت ساقيها، ثم راحت تضرب سبعة ونصف بسرعة بيمناها وهي تفرك زنبورها تارة، وتارة أخرى تدلكه بحركة دائرية من أطراف أصابعها، بينما يدها الأخرى تفرك حلمة ثديها الأيمن، حتى أتت، وشخرت شخرة حقيقية هذه المرة، وإن كانت قد حرصت على أن تكون خافتة حتى لا يسمعها نصار، ثم لملمت نفسها بسرعة وشرعت في ارتداء قميصها السماوي نصف الكم الملقى على السرير، والكلوت الفتلة الجي سترنج الأسود الملقى على الأرض.

كان نصار قد عرَّاها بالكامل، إلا من حمالة صدرها، الذي أخرجت رودينا عوض الله فرديته منه حتى يتسني له الرضع والقرص والعصر والتقفيش.

وقررت ترك الجيبة البيج على كرسي الفوتيه المجاور للسرير حتى تخرج من الحمام.

رؤية الجيبة على مسند الفوتية ذكرها كيف هجم نصار عليها منذ قليل بشهوانية فور أن خلعتها، وثبتها على الفوتيه فاشخاً ساقيها وهو يلتهم فرجها لحساً ومصاً وفركاً بلسانه وشفتيه ووجهه بعد أن زحزح الكيلوت البكيني على أحد جانبي كسها، واعترفت لنفسها بأن هذا قد أهاجها،

وأمتعها، وتحسرت حسرة تسعون بالمئة منها شماتة واحتقار من أنه شاطر فقط في اللحس. ابتسمت ابتسامة واسعة وقهقهت بصوت خافت وهي تتذكر بيتاً من قصيدة (كسميّات) لنجيب سرور:

اللحس انتشر ليه؟

عشان ما فيش ازبار!

طرقت رودينا عوض الله باب الحمام المغلق.

- ممكن أدخل؟

رد صوت نصار من الداخل:

- تعالي.

ففتحت الباب ودخلت، متوجهة فوراً إلى كرسي المرحاض، جلست على قاعدته، وشرعت في التبول، بعد أن فتحت صنبور مياه الشطافة.

قرر نصار أن يفاتحها هو هذه المرة في الموضوع الذي كانت تلح به عليه في كل مرة يلتقيان فيها طالبة موافقته، كانت رودينا عوض الله تكثر من استعطاف نصار، ومناشدته، ورجائه، وبتعبيرات نصار نفسه "لحس طيزه" حتى يوافق.

- رودي، أنا خلاص موافق، بدي أنزلك مراسلة ميدانية عن قريب.

تهللت أسارير رودينا عوض الله بالفرحة، وصاحت:

- صحيح! أخيراً يا بيبي!

ثم أغلقت صنبور مياه الشطافة بسرعة وقامت متجهة إليه ونصفه السفلي لا يزال عار تماماً، وقفت بجواره وقبلته في خده بامتنان قبلة طويلة.

- متشكرة قوي يا حبيبي عمري ما هانسالك الجميل ده، ربنا يخليك ليّا يا بيبي.

ولحست خده لحسة شهوانية، وفتحت بظهر يدها اليمنى فلقة طيزه بحركة نصف دائرية حتى أصبحت أطراف أصابعها على خرم طيزه، وبعبصته امتناناً.

صدرت آهة عن نصار، الذي كان يحب هذا جداً، ويحب في رودينا عوض الله أنها تعرف دائماً بغريزتها الأنثوية العبقرية ما يحبه ويخجل خجلاً شرقياً من طلبه صراحة.

- آه يا قذرة!

- هانيكك يا وسخ!

- وشرف أختك القحبة أنا اللى بدي أنيكك يا قحبة يا بنت المنيوكة!

وأمسكها من ذراعيها ولف جسدها حتى أصبح حوض الغسيل وراءها، ولما كانت هي تعرف الوضع الذي يتمناه، ساعدته بسرعة في التمركز بطيزها على حافة الحوض ورفع ساقها اليمنى عالياً بوضع قدمها على حافة الإطار الخزفي لحامل مناديل المرحاض، ولما كان زب نصار قد انتصب بعد البعبوص مباشرة، فقد حشره بسرعة وقوة في كس رودينا عوض الله، التي تأوهت، إما حقيقة أو اصطناعاً، وحتى تخلص البنت من هذا الأمر بسرعة، احتضنته بكلتا ذراعيها، ودست إصبعها الأوسط مرة أخرى في خرم طيزه، فأتى نصار فوراً، وكان هو في هذه المرة من يشخر ولا أجدع امرأة لبوة.

أخرج نصار زبه، ورجعت رودينا عوض الله إلى المرحاض، وشطفت نفسها، بينما كان هو يغسل زبه بالماء والصابون، ثم نشّف نفسه بالفوطة المعلقة على مشجب قريب، وأخذها معه إلى خارج الحمام، مستمراً في تنشيف زبه وما بين فخذيه.

وشرع في ارتداء باقي ملابسه؛ البوكسر، والبنطلون وفردتي الحذاء.

نادته رودينا عوض الله من الحمام، الذي كان بابه مفتوحاً.

- طب بقولك إيه يا بيبي ممكن أبدأ النهارده؟ أنا ممكن أروح محمد محمود واساعد كريم هناك.

- لأ، محمد محمود لأ، اللى هناك هلق زعران وبلطجية، أنا بدي أنزلك أول يوم خارجي في

مكان مناسب من ناحية، ومن ناحية تانية يكون الموضوع متشاف، إسمعي يا رودي، خليني أنا بوضب هالموضوع على كيفي وصدقيني ما راح تندمي.

- حبيبي يا بيبي! رودي كلها من إيدك دي لإيدك دي يا خول! بقولك، تعالى!

- إش فيه؟

- تعالى، عايزة أطرطر!

- يلعن أبو أمك منيوكة!

نزع نصار قميصه النصف كم، وشرع في نزع باقي ملابسه بسرعة وهو يهرع ناحية الحمام وهو في قمة هيجانه.

- يا قحبة يا شرموطة يا بنت الكلب!

-2-

فتح نصار باب مكتب القناة الروسية الذي يقع في الدور الثالث من البناية، والذي كان يُستعمل كمكان خاص لمدير القناة لعقد اللقاءات وللراحة الشخصية إذا كان هناك ضغط في العمل، كان نصار قد ارتدى ملابسه بالكامل، وارتدى قميصه الرمادي طويل الكم، وفوقه جاكت البدلة الرمادية الفيرانية.

فوجئ بالصحفي عبد العزيز محمود الذي يعمل بالقناة يقف في الردهة أمام الشباك المفتوح ويدخن سيجارة.

- عبده، شو بتعمل هون؟!

- بشرب سيجارة حضرتك.

- طب ليش ما بتشربها فوق؟!

- أصل أيمن لسه مبطل تدخين ما حبتش أشربها قدامه.

- لا لا تعالى أنا بفرجيك مكان بعيد عن أيمن بتقدر تدخن فيه كيف ما بدك.

وسحبه نصار من يده دون أن ينتظر إجابة، وصعد به السلالم متوجهاً إلى الدور الرابع الذي يضم مكاتب الصحفيين وصالة المونتاج ومكتب المدير بالقناة، دفع نصار بكفه ظهر عبد العزيز برفق حتى أصبح الأخير أمامه، وحانت منه التفاتة إلى أسفل حيث باب مكتب الدور الثالث، فرأى رودينا عوض الله قد وقفت متوارية خلف بابه الموارب مستطلعة وفي انتظار تسريب عبد العزيز حتى تخرج.

أخيراً خرجت رودينا عوض الله وأغلقت باب المكتب وراءها، وكانت قد ارتدت ملابسها كاملة، وارتدت قميصها الأبيض بدرجة بياض سن الفيل أبو كم طويل، وفوقه الجاكت البليزر البيج، والبنطلون القماشي من الجبردين البيج المحبوك حبكة يظهر معها حز الأندر البِكيني، وكانت أيضاً قد حرصت على إصلاح مكياج وجهها، واتجهت إلى سلالم الدرج، وشرعت في الصعود لمكاتب الدور الرابع.

-3-

كانت شاشة التلفزيون المسطحة المعلقة على الحائط أمام مكتب نصار تذيع مشاهد راهنة مما يجري في التو واللحظة للكر والفر والرشق بالحجارة في شارع محمد محمود والشوارع الخلفية الفرعية المتفرعة عنه والمحيطة به، بين مجموعات متنوعة من الشباب والمراهقين والأطفال من ناحية، وبين قوات الشرطة المتحصنة خلف الأسوار العالية لمبنى وزارة الداخلية والمدعومة ببعض العساكر والضباط المتفرقين هنا وهناك حول المبنى الذين يحاولون التصدى لمحاولات الشبان والشابات والأطفال والطفلات لاقتحام مقر الوزارة بلاظوغلي.

أجرى نصار يده اليمنى على شعره ومسح عليه، وتشمم باطن كفه، فاطمئن إلى عدم وجود رائحة لبول رودينا عوض الله عالقة به، وكان قد أغرق نفسه منذ قليل بربع زجاجة جورجيو أرماني آكوا دي جيو ليتخلص من الرائحة النفاذة لشوارد الكلور والكبريتات والفوسفاتات والكربونات والأمونيات والبولات والكرياتينات والصبغات البولية والتي هي مكونات ومحتويات بول رودينا عوض الله الأصفر الكناري بلون فانلة منتخب البرازيل حين بالت عليه عارياً.

تأمل ملياً ما تعرضه الشاشة من بث مباشر حي واقعي آني راهن لقناة الجزيرة مباشر مصر وهو يحدث نفسه قائلاً:

"والله هيدي ما هي ثورة أبداً، هيدي حلزونة! دوخيني يا لمونة دوخيني! هاي الثورة لو كانت بفلسطين كان اتخلق زعما من الشارع في التو واللحظة! زعما عن جد وحق وحقيق، زعما الشباب يطيعوهن ويمشوا وراهن.

إيش هيدا، إيش هيدا! هادولا ثوار! الثورة للأسف استولى عليها الإخوان والسلفيين الصفراويين أعداء البشرية، أجلاف ما بيضحكوا للرغيف السخن، يع، تفوه!

على رأي المصاروة: مجاري ويا ما جاري في الدنيا يا ما جاري! مجاري ويا ما جاري في الثورة يا ما جاري!

الإسلاميَّة أخيراً راح يحكموا مصر! وإذا الإسلاميَّة ركبوا ع طيز البلد وشرف أختك ما بينزلوا بالضالينّ راح يضلوا ينيكو في كس إخت البلد ليرجعوها للعصور الوسطى! وشرف أختك

ليرجعوها للعصر الحجري شخصياً!

مبارك يا عمي كان أرحم! قالوا كان فيه زلمة مستكشف بمجاهل أفريقيا، كمشوه قبيلة بدائية متوحشة، عذبوه شويّ وبعدين خيروه ما بين تناكا وأموتا، الزلمة دخيلك ما معه خبر، ما بيعرف إيش تناكا وإيش أموتا؟ فقال لحاله أختار الأولى وخلص، طلعت تناكا إنه فواحل القبيلة ينيكوه بطيزه خمس تيام ليل نهار نهار ليل! بعد ما ناكوه دشروه، شوي وهو ماشي بالغابة كمشوه قبيلة تانية، برضو عذبوه شويّ وبعدين خيروه ما بين تناكا وأموتا، الزلمة قال لحاله لأ دخيل الله تناكا تاني لأ أنا طيزي شبعت نيك ما راح تطيق نيك تاني، خلص أختار أموتا وأمري لله يمكن تطلع أرحم، طلعت أموتا إنه فواحل القبيلة ينيكوه بطيزه نيك متواصل ليل نهار لحد ما يموت!

يحرق دين أبوكو إنت واياه اخوات شراميط كلكن!"

مجلس الوزراء

الجمعة: 16/ ديسمبر/ 2011

ألح عليَّ رجب أن أرافقه إلى بيت إيفيلين في الفيوم. لعله لاحظ أني مكتئب، أو شيئاً من هذا القبيل. وافقت لأني شعرت أنني بحاجة فعلاً إلى تغيير الجو والسفر؛ لعلهما يعينان على إعطاء فرصة للنظر للغابة كلها بنظرة شاملة من الخارج، بدلاً من النظر إلى الأشجار شجرة شجرة.

استقلينا ميكروباصاً من ميدان الجيزة، الذي كان يكتظ بالباعة الجائلين على نحو رهيب مفزع لم أرى مثيلاً له من قبل، بالرغم من أني دائم التردد عليه. لعل ذلك حدث في الأسبوعين الأخيرين كعَرَض من أعراض الفوضى التي عمت كل ميادين وشوارع مصر. كنا أنا ورجب نضطر إلى الصياح: سكة وطريق يا رجالة، سكة وطريق يا رجالة! حتى يتحرك من أمامنا، والمغلوب على أمره هو الآخر، في محاولة بدت يائسة للوصول إلى موقف الفيوم.

يبدو أنني سرحت في الطريق، ربما لأن راديو السيارة كان يذيع سورة طويلة من سور القرآن، لا أدري ما هي، وكان صوت المقرئ الجلف مقرفاً بالنسبة لي، لأنه كان يحاول تقليد اللكنة والطريقة السعودية في التلاوة. أو ربما أكون قد سرحت مثل عادتي في السرحان كثيراً في الفترة الأخيرة. المهم أنني قد سرحت والسلام. لا أذكر إلا حملقتي في معسكرات الأمن المركزي في طريق القاهرة-الفيوم، على ما أتذكر في الكيلو 65، أو شيئاً قريباً من هذا. في كل مرة أمر من هذا المكان أقول لنفسي: "هذا أحد معسكرين انطلقت منهما هوجة عساكر الأمن المركزي 1986". المعسكر الآخر المتمرد كان على ما أظن في طريق القاهرة-الإسكندرية، إن لم تخني الذاكرة. ثم سرحت مرة أخرى وأنا أنظر من نافذة الميكروباص. كنت أجلس في المقعد الذي خلف السائق.

لا أتذكر طوال الطريق إلا إفاقتي من السرحان على صوت أحد الفلاحين الذي كان يجلس بجوار رجب وهو يقول له: "بس تعالى شرفنا يا باشا وانا والله أدبح لك جدي". ضحك رجب بصوت عال ورد عليه: "جدي! جدي مرة واحدة! طب والله العظيم لو كنت قلت فرخة كان ممكن أصدقك!" وضحكا سوياً.

وسألت رجب في لحظة الإفاقة عن تلفيق شرور لأني لم أسمع عنه منذ فترة طويلة ولا أعرف أين أراضيه، فقال إنه على ما يبدو قد حصل على وظيفة محرر في مجلة (الدوحة) في قطر، ولما استغربت وقلت له إن الدوحة كلها وقطر كلها إخوان مسلمون، ابتسم رجب ابتسامة قرف وازدراء وقال إن تلفيق شرور ربى ذقنه وحَفَّ شاربيه على طريقة السلفيين، بالرغم من أنه لم يكن بشارب أبداً، وقال إنه يبدو أن رهان تلفيق شرور الآن هو على الإسلامجية هنا وفي قطر وفي كل مكان. ولعلي تذكرت ما قاله لي أحمد فرحات منذ فترة قريبة من أننا سنرى في القريب العاجل عدداً كبيراً من المثقفين والصحفيين والإعلاميين يطلقون لحاهم ويحفون شواربهم تبعاً للوازم المصلحة الجديدة التي ستكون مع الإسلامجية، والشيء لزوم الشيء، واللي يحتاجه البيت لازم يحرم على الجامع والعكس غير صحيح، ولعل الجملة الأخيرة ليست في السياق الصحيح، أو لعلها في سياقها المضبوط إن تأمل المرء فيها بعض الشيء. وفكرت أن القاهرة ستكون بالتأكيد أنظف بدون تلفيق شرور، فتمنيت له من قلبي التوفيق في قطر وأن يسمع الله دعاءنا بأن يستطيب الإقامة في قطر وأن يمشي حاله على نحو ممتاز في قطر حتى تطول إقامته في قطر إلى الأبدية.

ويبدو أن رجب قد لمح بعض أمارات الاستغراب على وجهي لما عرفت بموضوع ذقن تلفيق شرور الجديدة، وهو السكيّر الذي لا يصبر ليلة واحدة بدون أن يتجرع عشرين برميلاً من الخمر أياً كانت جيدة أم رديئة، والنسوانجي على نحو مقرف وضيع حقير، فقال إنه كان بإمكاني أن أراه وجهاً لوجه لو كنت كلفت خاطري ونزلت من بيتي وحضرت العرض الخاص لفيلمه القصير الذي صوره في ميدان التحرير عن فتاة محجبة تخلع حجابها لتلف به الذراع المصابة لأحد الشبان من المتظاهرين، لأن تلفيق شرور كان هناك. وتبينت من نبرة رجب لوماً وعتاباً واضحاً صريحاً، فقلت له: معلش يا حبيبي إنت عارف الموود اليومين دول زي الزفت، بس الفيلم حلو قوي والله تسلم إيدك يا باشا! أو ربما قلت شيئاً قريباً من هذا.

ولعلي سرحت بعد ذلك وأنا أتفرج على الطريق من نافذة الميكروباص فلم أنتبه إلى الدنيا إلا حين وصلنا إلى موقف الفيوم، وكان هو الآخر يغص بالباعة الجائلين على نحو رهيب ومفزع لم أرى مثيلاً له من قبل، بالرغم من أنني أتيت إلى إيفيلين كثيراً من قبل. لعل ذلك حدث في الأسبوعين الأخيرين كعَرَض من أعراض الفوضى التي عمت كل ميادين وشوارع مصر. كنا أنا ورجب نضطر إلى الصياح: سكة وطريق يا رجالة، سكة وطريق يا رجالة! حتى يتحرك من

أمامنا، المغلوب على أمره هو الآخر، في محاولة بدت يائسة للوصول إلى موقف تاكسيات القرى. وتاكسيات هو لفظ شديد الكرم وسخي في وصف عربات الربع نقل المتهالكة التي انتهت مدة صلاحيتها من مليون سنة، والتي وضعوا دكتين متقابلتين من الخشب أو الحديد الصدئ في صندوقها الخلفي لكي يجلس عليهما الركاب. ولأننا في الشتاء فقد غطوا الصندوق بمشمع قديم مهترئ مثقوب ومخروق من كل مكان.

استقلينا أنا ورجب إحدى هذه العربات القرونوسطية لكي نصل إلى قرية تونس. حالفنا الحظ بالجلوس متقابلين على الحافة الخارجية للصندوق المكتظ بالركاب. آه نسيت أن أحد الفلاحين تكرم بالتنازل لي عن مكانه لكي أجلس عليه، ورغم إلحاحي بأنه لا يمكن أبداً والله مش هاينفع أنا كنت قاعد في الميكروباص ساعة من مصر لحد هنا وتعبان أصلاً من القعدة، إلا أن إلحاحه الكريم كان أشد، ووقف الرجل بين صفي المقاعد وسط عدد من الذين اضطروا للوقوف لأنهم ركبوا والعربة على وشك التحرك. أذكر أيضاً أنه كانت بجواري فلاحة أربعينية متشحة بالسواد، كانت خمرية، وبضة، وأهاجني احتكاك فخذها الملاصق لفخذي مما أسعدني كثيراً أيما سعادة. أذكر أني قلت في نفسي ساعتها: "يا ما انتو ممتعين نفسكو يا اهل الريف بالمواصلات الحلوة دي!"

ولما وصلنا إلى موقف تونس حرصنا على شراء فلافل ساخنة وفول وطرشي وطماطم وخيار وخبز بكميات كبيرة تكفينا وتكفي من سنجده في بيت إيفيلين، لأن الله وحده يعلم من سيكون هناك وكم عدد من سيكون هناك؟ ومشينا كعابي في الشوارع والأزقة المطينة بين البرك والمستنقعات وفيها، لأن الأرض لم تكن قد جفت بعد من أمطار ليلة أمس، حتى وصلنا إلى بيت إيفيلين.

وجدنا بالبيت ثلاث شابات فرنسيات، وشاب ويلزي، كانوا جميعاً من طلبة الفنون جاءوا من بلادهم لتعلم أسرار حرفة إيفيلين في صناعة الفخار وتلوينه وحرقه في الفرن الخاص بها حتى يتحول إلى خزف أو جليز. أولجا، وماري تريز، وجاكلين، كن جميلات نظيفات ممشوقات بقوام فرنسي رياضي وصدر صبياني ممسوح. وخمنت من الانطباع الأول أن أولجا هي أكثرهن هدوءًا ونضجاً من الناحية النفسية والاجتماعية، وماري تريز ربما كانت غبية بعض الشيء، أو سمها سذاجة، تلك السذاجة التي هي أخت البراءة، وإن كانت أجملهن تماً، ذلك الجمال الشهواني، جمال السرير، ولعلها أسهلن في السحب إلى السرير. أما جاكلين فهي الأكثر ثقافة وثقة بالنفس وعناداً

بينهن.

الولد مولين كان يرتدي تيشرتاً أحمر مكتوباً على صدره بالبنط العريض "فك ذي توريز!"؛ أي "كسم حزب المحافظين". وقد حرص هو من جهته على التأكيد لي ولرجب عدة مرات بأنه "ويلزي" وليس بريطانياً، وقدرت أنه ربما يكون من دعاة انفصال ويلز عن بريطانيا. وأمسكت بصعوبة عن التنكيت بالنادرة المشهورة حين يذكر أحد أمامك أنه من ويلز: هل تقصد بـ "ويلز" أسماك الحوت، أم البلد؟ مقدراً أنه طالما كان وطنياً إلى هذه الدرجة، فلعل النادرة تضايقه.

وحاولت بإخلاص أن أتعلم منه بعض الجمل من اللغة الويلزية، والتي اتضح أنها لغة صعبة جداً، لكن للأسف لم أوفق اليوم في حفظ ولا كلمة واحدة. وعن مولين أن ثلث سكان ويلز ما زالوا يتحدثون باللغة الويلزية، بالإضافة إلى تحدثهم باللغة الإنجليزية التي هي اللغة الرسمية هناك. ولا يحتاج الأمر ذكاءً أو ألمعية حين يتوقع المرء أن مولين عمالي، بل وتوقعت أن يكون من أقصى أقصى يسار الحزب، وهو التوقع الذي صدق، لأن الولد جاهر تقريباً بشيوعيته أو يكاد.

وحكى مولين اليوم كيف أن ويلز اتفشخت بعد مجيء مَرجريت ثاتشر للحكم وتطبيقها لسياساتها اللبرالية المتوحشة، فالعمال الويلزيين طردوا من مصانعهم التي أغلقت وصارت خرابات، وتم إغلاق المناجم وتشريد عمالها، حتى مصنع البيرة اللاجر الويلزية العظيمة التي كانت تفوز بالكثير من الجوائز في مسابقات البيرة الكبرى على مستوى العالم أغلقوه هو الآخر وسرحوا عماله، وهكذا مُسحت البيرة اللاجر الويلزية من على خريطة البيرات العالمية. ابتسمت وقلت: هذا معناه أننا لن نشرب بيرة الليلة! فضحك وقال: لا، لدينا صندوقين من البيرة المصرية، وهناك بيرة باردة في الثلاجة. وفي الليل حين سكرنا غنينا جميعاً؛ مولين وأنا ورجب والبنات الثلاث الأغنية المفضلة لدى مشجعي فريق ليفربول لكرة القدم والتي يحبون غناءها كثيراً في المدرجات: "فك ذي توريز!"، والتي اتضح أنها الأغنية المفضلة لدى شعب ويلز كذلك.

واتضح أن قراري أنا ورجب بشراء كمية مفرطة من الطعام في السكة كان قراراً صائباً، لأن الأولاد كانوا جائعين بالفعل ولم يحضّروا أي طعام للغداء، حيث كانوا لا يزالون بعد في مرحلة المناقشات والمداولات حول: ماذا يأكلون؟ فقد كانت البنات الثلاث نباتيات، وكان مولين حيوانياً، فلك أن تتصور صعوبة إيجاد شيء يؤكل يتفق عليه الأربعة. لكنهم كانوا من عشاق الفول

المصري بالطحينة والزيت والليمون والمقدونس والطماطم، والفلافل الكبيرة المخدومة خدمة عظيمة التي كانت لا تزال ساخنة ومنظرها يسر العين ويفتح الشهية، والخبز البلدي الطازج.

ودخلنا جميعاً المطبخ بربطة المعلم لكي نعد الطعام ونفرغ ما أتينا به من أكياس وقراطيس فيها فولنا وفلافلنا وخلافه في أطباق، ورغم أن مطبخ الفيللا واسع جداً، إلا أننا زحمناه بتزاحم ستتنا، وانضمت إلينا أم مينا بالطبع لتساعدنا فصرنا سبعة؛ كِنا ستة على النبعة، إجى المحبوب صرنا سبعة، طلب بوسة ما عطيته، قلت له حرام يوم الجمعة، يا عيني.

وأنا أعرف طريقي في مطبخ إيفيلين، فحين آتي إلى هنا أتولى عملية الطبخ وإعداد الطعام سواء أكان مزاجي رائقاً أم لا. وكان لدى البنات في الثلاجة، بالإضافة إلى امتلاءها بزجاجات ستللا وعلب سقارة الكبيرة العشرة في المئة، عدة عبوات من أصناف متنوعة من الجبن جئن بها من فرنسا، من ضمنها جبن الكومومبير القشدي الشهي الذي أحبه كثيراً. وكان لديهن أيضاً عدة عبوات من معجون الزيتون الأسود الكالاماتا اليوناني، الذي تذوقته على أيديهن لأول مرة، واتضح أنه أجمل شيء في الوجود، فقد تركنا الفول والطعمية والطرشي والجبن وكل شيء، بل وحتى مولين الحيواني ترك الهامبرجر والهوت دوج الذي أعدهما لنفسه، ونزلنا هتتك بتتك على أطباق "سبريد الزيتون" الصغيرة فأتينا عليها حتى كدنا نلحسها لحساً.

وفتح رجب التلفزيون ونحن على طبلية الطعام، حيث جلسنا على الأرض كالعادة حول الطبلية الكبيرة المستديرة في صالة بيت إيفيلين في مواجهة التلفزيون، الذي كانت إيفيلين تضع بجواره إطاراً كبيراً به الصورة التي التقطها لها في أحد الأيام وهي منهمكة في صنع الفخار، والتي علمت من رجب ومن محب ومن تلفيق شرور وغيرهم أنها كانت تعتز بها كثيراً، خصوصاً وقد وقعت عليها بإمضائي وأهديتها لها بعد أن أشرفت بنفسي على تحميضها وطبعها وتكبيرها عند (عنتر) في باب اللوق، هذا بالرغم من أن زوجها كان يحب أن يداعبها ويقول لها إنني بخيل لأنني لم أكبرها بمقاس أكبر، والحق أنني حتى لو كنت قد كبرتها بمقاس أكبر لظل جزءًا من شعر إيفيلين خارج إطار الصورة، لأنني قد حرصت حين التقطت الصورة على الأسلوب السينمائي في تصوير الوجوه، أي أن تتمركز الأنف في مركز الصورة، وأن تسمح لبعض أجزاء الوجه بأن تظل خارج الكادر، وهو ما يدفع خيال المتفرج إلى العمل لاستكمال الناقص من الصورة، ولعل ميشيل لم يكن يعلم ذلك ولعل ثقافته في أصول التصوير، في قواعد التصوير، كانت هي هي ثقافة

العاملين في محلات الفوتوغرافيا.

قلب رجب في القنوات حتى استقر على الجزيرة مباشر مصر، وكانت تذيع مشاهد مؤلمة نفسياً بالنسبة لي وبالنسبة للباقين عن مواجهات بين الشباب من المتظاهرين والمتظاهرات وبين جنود من الجيش في محيط مبنى مجلس الوزراء. المشهد الأكثر إيلاماً كان رؤيتي لعسكري في الجيش يعتلي أعلى مبنى مجلس الوزراء، ويفتح سوستة بنطلونه، ويُخرج زبه، ثم يشرع في التبول من فوق على المتظاهرين الواقفين تحت. وهناك مشهداً آخر أكثر إيلاماً بكثير، رأيت فيه ضابط جيش شاباً يجرجر فتاة من شعرها على أسفلت الأرض حتى يصل بها مجرورة إلى مدرعات الجيش ثم يختفي بها وراء المدرعات. ضابط خول، واللي قبلينا قالوا: الخول خول في دماغه.

كان رجب يترجم للرفاق الكلام القليل الذي يُسمع من حين لآخر من المتظاهرين أو من قوات الجيش، وإن كانت الصور في التلفزيون في الحقيقة لا تحتاج إلى ترجمة لكي تفهم ماذا يجري. وشعرنا جميعاً بالغم والهم، حتى إن البيرة لم يكن لها طعم في أفواهنا، لكننا ظللنا نأكل بلا نفس، ونشرب بلا نفس، ونحن محدقون في شاشة التلفزيون بلا نفس.

واستمرت حالة الكآبة التي أصابتنا حتى حل الليل، وسُدَّت نفسي حتى عن المحاولة مع ماري تيريز، بالرغم مما لاحظته من أنها كانت أقلنا غماً، وشعوري بأن لها رغبة في أن تتناك الليلة. وأنا إحساسي لا يخيب أبداً. ولعله شيئاً آلياً ميكانيكياً بداخلي هو الذي جعلني أحاول التقرب إليها تقرباً أفلاطونياً، بالرغم من قراري بألا أفعل معها شيئاً. فربما أكون قد عملت حساباً للغد ولبعد الغد، حين يروق المزاج، فقلت لنفسي أمهد الطريق، وأمد حبال الوصال، وأجهز الفرس للركوب، وأضبِّط أسلاك التوصيل حتى تكون المسائل جاهزة للعمل مباشرة حين أضع الفيشة في الكبس، وأشياء من هذا القبيل. وراهنت نفسي وأنا أتحدث إليها على أن البنت خول، وأنا إحساسي لا يخيب أبداً في هذه المسألة، على الأقل لم يخب حتى الآن، فحالما أنظر إلى البنت أو الست لأول مرة أحاول فوراً ملاحظة حجم ثدييها، وشكل أسنانها الأمامية، وتقسيمة طيزها وشكلها ضمن التقسيمة الرباعية الشهير للطياز، وعندئذ أخمن ما إذا كانت خول غاوية النيك في الطيز أم لا؟ لكن حتى هذا لم يحفزني للمحاولة معها الليلة، بالرغم من أنني أعشق النسوان الخولات، وبالرغم من أن حالة العدة والصولجان وبوز الإبريق كانت في عنفوانها وزبي منتصب، والشوق جارف لأنني لم

أنيك منذ ما يقرب من الشهر، وكنت على استعداد ومقدرة أن أنيك أربع نسوان وأحلي براجل.

ملعون أبو العسكر.

السبت: 17/ ديسمبر/ 2011

علمنا في الصباح أن البنت التي سحلها الضابط الخول أمام شاشات التلفزيون قد قبضوا عليها وحبسوها، وأجروا لها قبل أن يحبسوها كشفاً للعذرية ليعرفوا ما إذا كانت بنت أم مَرة؟ لعل هذا بسبب أن الفتاة مكتوب في بطاقتها الشخصية عزباء غير متزوجة، فلعلهم منّوا أنفسهم بأن يجدوها مفتوحة فيفضحوها ويجرسوها. ملعون أبو العسكر يا أخى! ثم علمنا من مذيعي السي إن إن في الستديو الإخباري الخاص بتغطية الأحداث في مصر أن مراسلتهم في القاهرة قد اكتشفت عدة حالات لعدة فتيات من المتظاهرات في ميدان التحرير وغير ميدان التحرير، قد ألقى الجيش القبض عليهن، وأجرى لهن أيضاً كشوفاً للعذرية، أي أن حالة البنت بالأمس لم تكن تصرفاً فردياً طائشاً من ضابط خول سادي ابن ستين في سبعين، ولكنه إجراء ممنهج ومقصود مع سبق الإصرار والترصد يقوم به الجيش بتعليمات من القيادة العليا. ملعون أبو الجيش يا أخي!

ذهب الرفاق إلى الورشة الملحقة بالمنزل للعمل الصباحي كلٌ في مشروعه الفخاري الخاص به؛ من إعداد للطينة وتخميرها في حوض أشبه بالبانيو حتى تصبح جاهزة للتشكيل، أو تشكيل الفخار على الدولاب الدوَّار المانيوال الذي يُدار بالقدم، أو الرسم على ما جف منه وتلوينه، أو حرق ما صار جاهزاً منه في فرن الحرق ليصبح خزفاً. وانضم لهم رجب، وأخذ بعض الطينة الجاهزة، وراح يُشكل بعض الأحجار الصغيرة جداً، ويخرمها في النهاية، لتصبح أحجاراً يمكن لضمها في قلائد من التي يصنعها للسيدات ويبيعها في جاليري ميشيل زوج إيفيلين في جاردن سيتي ويتقاسمان الأرباح.

شعرت في هذا الصباح بحالة من الاختناق، الاختناق المعنوي والذهني بسبب الأخبار الزفت على الصبح، والاختناق الفسيولوجي أيضاً لأنني شعرت فجأة وكأني غير قادر على التنفس، فاضطررت للتوقف عن التدخين حتي عادت روحي التي كادت تطلع وأنا في حديقة المنزل التي هي ليست بالحديقة، وقلت بعد أن هدأت الأزمة قليلاً: أدخل البيت وأمدد طولي حتى تعود حالتي لعادي والنورمال والطبيعي. ولابد أنني استغرقت في النوم وأنا على الأريكة في الصالة أمام التلفزيون المفتوح على السي إن إن، لأنني أفقت على صوت عال لرجب في الخارج وهو يرحب بزفت الطين تلفيق شرور!

لا يعلم إلا الشيطان كيف عرف ابن الكلب أننا هنا! ورأيت سحنته القذرة الجديدة بالذقن الطويلة والشارب المحفوف، وسحنته دائماً ما كانت قذرة فما بالك لما قلب إسلامجي! صارت القذارة أس عشرتاشر!

ودخل به رجب وهو يبتسم إلى الصالة، وكنت فارداً طولي على الأريكة أمام التلفزيون المغلق.

- شوف جبت لك مين! حبيبك توفيق آهو!

- سامح شكري! أخيراً شفناك يا سَمّوحة!

ولم أنهض من مكاني ولا غيرت من وضعي.

- توفيق، إزيك، إنت إيه اللى جابك؟!

- ها ها هه! بقى دي مقابلة يا عم، إيه اللى جابني!

- لأ صحيح إيه اللى جابك؟!

وتدخل رجب لما رأى علامات الامتعاض على وجه تلفيق شرور.

- توفيق أصله عندهم اجتماع النهارده في الجمعية بتاعة إيفيلين.

- جمعية إيه؟

- الجمعية بتاعة الفخار، إنت ما تعرفش؟ إيفيلين عملت جمعية للي شغالين في الفخار هنا في تونس.

- لأ أول مرة اعرف، وتوفيق ماله ومال الفخار؟!

- أنا واقف هنا قدامك على فكرة!

- أيوه يعني انت مالك ومال الفخار، إنت بتاع فخار؟!

- إيه يا سامح فيه إيه!

- فيه إيه! بسألك يا عم! إنت بتاع فخار؟! عمرك اشتغلت فخار؟!

- إيه يا ابني فيه إيه!

وتدخل رجب مرة أخرى، ولا بد أنه قد شعر بتصاعد سخونة الموقف، وأدرك بذكائه الاجتماعي إمكانية أن يتطور الموضوع بسهولة إلى خناقة.

- أصل إيفيلين كلفت توفيق إنه يبقى أمين سر الجمعية.

- أمين سر يعني إيه؟

- المدير التنفيذي يعني.

- وهوَّ ماله ومال الفخار؟! مدير تنفيذي لحاجة ماشتغلهاش قبل كده؟!

- يا فتاح يا عليم ع الصبح! يا فتاح يا عليم ع الصبح! لأ إنت فيه حاجة إإإ مالك يا ابني! سانن سكاكينك عليّا ليه ؟! دانتا حتى ماقلتليش حمدلله ع السلامة!

- سلامة إيه وندامة إيه! من مصر للفيوم حمدلله ع السلامة! من مصر لقطر معلش نقولك حمدلله ع السلامة!

- قطر! آه! إنت عرفت! إنت قلت له!

ونظر لرجب نظرة كلها حقد وغل وبغض.

وابتسم رجب في حرج ولم ينطق.

- ماشي يا سيدي مبروك على الشغلانة الجديدة، مهم برضو إنه يبقى عندنا الناس بتوعنا هناك في قطر.

- يعني إيه مش فاهم! الناس بتوع مين؟!

- بتوع مصر يعني، آ حبيبتي امصر!

فرد ابن الصفراوية بابتسامة صفراوية:

- إنت شارب يا ابني!

- لأ لسه.

- لأ والله شكلك شارب!

- ماشي شارب.

- لما تفوق بقى نبقى نشوف إيه الموضوع ده ومالك ومالي.

- ماشي لما افوق.

ومصمص شفتيه بامتعاض وتمتم:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله!

والتفت لرجب قائلاً:

- تعالى يا ابني لما نشوف حاجة ناكلها في المطبخ، أنا نازل على لحم بطني من الصبح!

وذهبا إلى المطبخ.

وبصقت أنا على الأرض متعمداً أن يكون صوت البصقة عالياً.

وشعرت بحنق شديد جداً، حتى إنني وجدت صعوبة مرة أخرى في التنفس. وكنت معتاداً في الحالات التي مثل تلك أن أضغط على كرة صغيرة مطاطية بيدي اليسرى عدة مرات حتى أنفس عن غضبي، ولا أتذكر من الذي قال لي التمرين العملي الناجع، لكنني جربتها وجاءت بنتيجة إيجابية جداً، ولذلك أحتفظ في البيت بعدة كرات مطاطية من هذا النوع.

ورأيت جذع الشجرة الذي أتى به ميشيل من إحدى سفرياته في أفريقيا منتصباً ومركوناً على

أحد حوائط الصالة، وكان جذعاً خشبياً في حدود المتر أو يزيد قليلاً، مغلق من كلا الجهتين، وعندما يميل أو ينقلب رأساً على عقب تسمع صوت خرير ماء بداخله وكأن بداخله شلال ماء يتدفق. فقلت لنفسي ألعب به عسى صوت الماء يهدأني قليلاً. لكن الأمر لم يفلح. فخرجت إلى حديقة البيت التي هي ليست بالحديقة لكي أدخن سيجارة وأنفث بعض طاقة بخار الحنق الذي بداخلي، ذلك أن إيفيلين تكره السجائر، وتكره أن تشم رائحتها داخل المنزل، بالرغم من أني متيقن من أن رائحة السجائر ليس بها أي عيب على الإطلاق، بل وتجدها معظم البنات والسيدات سكسي، ودليلنا على هذا ما جاء على لسان هدى سلطان في فيلم (عودة الابن الضال).

وجاء رجب ووقف بجواري تحت الشجرة العجفاء الوحيدة في الحديقة ليدخن معي. وراح يشتكي من تلفيق شرور وقال إنه حالما دخل للمطبخ أسرع بفتح باب الثلاجة وأخرج علب الجبن الفرنساوي، وزجاجة بيرة، وعلبة تونة إيطالية من النوع الباهظ الثمن، وراح يأكل حافاً بلا خبز، ويصدر أصواتاً قذرة، على عادته، من فمه وأنفه وطيزه وهو يطفح السم الهاري.

ولم أعلق على مسألة البيرة، ولا على كونه قد استشيخ وأطلق لحيته ويدعي الآن أنه مؤمن، ولا على أن الساعة لا تزال العاشرة صباحاً وليس من اللائق ولا هو شيء متحضر أن يشرب المرء خموراً قبل الظهر، واحنا فين والضهر فين! ذلك أن كلانا كان يعلم أن مسألة الذقن هي من باب المصلحة الجديدة والعمل في قطر والتمسح في جلابيب الإسلامجية المهترئة المعفنة التي لا بد وأن تلفيق شرور يراهن عليهم الآن بعد الثورة، كما أن مسألة شربه للخمور في الصباح، والصباح الباكر في كثير من الأحيان، هي شيء اعتدنا عليه منه، طالما كانت مجانية أو على حساب الغير، وآهي حاجة ببلاش وساقعة وحلوة ماشربش ليه!

وسمعنا صوت تهشم طبق خزفي، لا بد وأنه قد سقط من ابن الكلب على الأرض وهو يطفح، وها هي الخسائر المادية قد بدأت وهو الآن يكبد الخسائر للناس الكرماء المحترمين الذين فتحوا لنا بيتهم، ناهيك عن الخسائر المعنوية التي تسبب فيها من قلب للمزاج وتعكير للصفو، والذي توقعنا كلانا، أنا ورجب، أنه ولا بد سيستفحل ويتضاعف ويتكاثر طالما أن الجزمة بن الجزمة موجود هنا.

ولما رأى رجب علامات الحنق على وجهي تزداد، خصوصاً بعد صوت تهشم الطبق، قال:

- إنت كويس؟

وأنا دائماً ما أقول، وقد قلتها عدة مرات للولد رجب، ولكنه يستمر مع ذلك في تناسيها: إياك أبداً أن تسأل أي أحد: إنت كويس؟ لأنك حين تسأل سؤالاً مثل هذا، سوف يبدأ عقله في التفكير: لماذا سألني هذا السؤال؟! وهل أنا حقاً كويس؟! وأسئلة أخرى من هذا القبيل، ستجعله متشككاً، مرتاباً، مهزوزاً، وسيفقد الثقة في نفسه، أي أنه سيصبح في النهاية مش كويس.

فلم أرد، وتمتمت عوضاً عن ذلك:

- الموضوع كده بقى أوفر قوي! كده بقى مرهق زيادة عن اللزوم! الظاهر إنها كانت فكرة خرا إني آجي هنا!

- هو في حاله واحنا في حالنا! وبعدين يا أستاذ انت كنت محتاج الخروجة دي عشان تفك شوية وتبعد عن مصر، وانا كمان والله كنت محتاج ابعد أنا كمان، وبعدين يا أستاذ لسه الحلو جاي، لسه! فيه حد من البنات عجبك ولا لسه؟

- بنات إيه بس إحنا في إيه ولا في إيه يا ابني!

- معلش يا أستاذ ما هي كلمتك برضو اللى انا حافظها وماشي عليها، الجنس أحلى علاج للخرا اللي احنا عايشين فيه ده!

وابتسمت، وقلت:

- ماشي.

- تلميذك برضو يا أستاذ! هه فيه حد عجبك من البنات؟

- التلاتة لطاف والله.

فضحك رجب ووضع كفه الأيمن على صدره، كعادته حين يضحك من قلبه.

- لأ التلاتة إيه! سيب لنا حاجة بقى! خدنا جنبك!

- عليَّا النعمة بعد زفت الطين ده ما جه هنا أنا عندي استعداد أنيك التلاتة واحلي بالواد مولين!

وغرق الولد رجب في الضحك، ثم قال وهو يضحك:

- كنت فاكرك ها تقول أحلي بتلفيق شرور!

- إع! إيه القرف ده! ده طيزه مليانة خرا! ولو اني عندي استعداد أنيكه واتحمل الخرا اللي في طيزه عشان يبقى اسمي نكت كسمه!

وضحك رجب، ثم قال نصف جادٍ نصف عابث:

- طيب بعد إذنك يعني، ممكن تسيب لي جاكلين، لو ما فيهاش رزالة مني يعني؟

- إشبع بيها.

- وماري تريز؟

- أنا عجباني ماري.

- تفتكر يا أستاذ هي لسبيان؟

- ليه بتقول كده؟!

- يعني، الأداء بتاعها هيألي إنها ممكن تبقى لسبيان.

- لأ ما اعتقدش.

- فعلاً!

- لا ما اعتقدش.

- إنت أدرى طبعاً.

وانضممنا إلى الرفاق في الورشة، وظللنا معهم حتى انتهوا من أعمالهم. وفي تلك الأثناء، وجدت فرصة للانتحاء بالولد مولين على جنب، وأخبرته بأن ضيفاً لإيفلين قد جاء منذ قليل،

وأخبرته أيضاً أن يأخذ حذره منه لأن ما يُشاع عنه أنه يعمل مع المخابرات، وحين استفهم عن معنى ذلك قلت له بصريح العبارة: مرشد جاسوس عميل لجهاز أمن الدولة، الذي هو المخابرات المصرية التي تعمل في الداخل، مثل الإف بي آي في أمريكا، والإم آي فايف في بريطانيا. وأضفت، بدون أن يسأل، أنهم يحبون كثيراً أن يعرفوا كل شيء عن الأجانب الذين يأتون إلى مصر، هذا في الأحوال العادية، فما بالك والوضع الآن كما ترى، وهناك ثورة، والأجانب في كل مكان بالبلد، وهناك الكثير من المصائب التي تحدث كل يوم والتي يمكن أن يلفقوا أسبابها لأي أجنبي ككبش فداء. ولعلي قلت الكثير في هذا الباب وأرغيت وأزبدت وأفرطت، لأن سحنة الولد مولين تغيرت واكفهرت واسودت، وأصابه الغم. أو لعله هو شخصياً لديه تجربة سيئة مع الإم آي فايف البريطانية، أو شيئاً كهذا، خصوصاً وأنه من غلاة الشيوعيين في ويلز. تمتم وهو قرفان: فك ذى راتس!

وعلى طبيلة الغداء كان التلفزيون مفتوحاً على السي إن إن، على اعتبار أنها شيء يفهمه الجميع، فالجميع كان يتحدث الإنجليزية، باستثناء تلفيق شرور الذي لا يعرف منها غير جود مورنج، وآي لاف يو، بالرغم من أن الحمار كان يعاشر الخواجات طيلة الوقت ليل نهار نهار ليل، لكن الحمار يظل حماراً بأذنين طويلتين وذنب قصير. وكنت قد تملصت من دخول المطبخ للمساهمة في إعداد الطعام لوجود تلفيق شرور هناك يعب من البيرة الزجاجة تلو الزجاجة، أما في الأحوال العادية فكنت معتاداً على طرد الجميع من المطبخ، إلا أم مينا، ومباشرة العمل وحدي في إعداد الطعام، لأنها هواية وشغف ومتعة.

وكانوا قد بعثوا بأم مينا إلى السوق لتشتري فولاً وفلافل وطماطم وخياراً طازاً وخلافه. بالإضافة إلى أن مولين قد أعد لنفسه ولرجب ولي ولزفت الطين تلفيق شرور نقانق ألمانية محشوة بلحم الهام والكبد والكلاوي ودماء الخنزير، وهامبرجر هام أيضاً، وبيضاً، وبطاطس بلجم فرايز. ولا بد أنهم أحضروا كل ما في الثلاجة من زجاجات وعلب البيرة، لأن الطبلية كانت تغص بها في كل مكان، وعلى الأرض بجوار الطبلية أيضاً. وشرع تلفيق شرور يفتح ويعب، كان يشرب كالسمكة ابن الكلب. دي فلوس ناس يا ابن الوسخة! وناس ماهماش أغنيا، العيال باين عليهم على قد حالهم!

وكانت السي إن إن تغطي مظاهرة نسوية، يشارك بها بعض الرجال الخولات، من المطالبين

بالدفاع عن حق الإجهاض، في ولاية من الولايات نسيت الآن ما هي، بعد أن أصدر حاكم الولاية الجمهوري اليمني قراراً تنفيذياً يبدو أنه يمس هذا الحق. وشوف ازاي الدنيا والعة في مصر والوطن العربي مظاهرات واحتجاجات وحروب وعسكر وإسلامجية وبلطجية وزعران وبلا أزرق، والدنيا في أمريكا والعة عشان حاجة تانية خالص ومختلفة تماماً؛ حق الإجهاض! ناس في واد، وناس في واد تاني خالص، والغريب إننا الاتنين على نفس الكوكب!

وسألتني جاكلين عن رأيي في حق الإجهاض، ولا أدري لماذا اختارتني أنا بالذات لتسألني هذا السؤال، فقلت بالإنجليزية:

- أنا غير متزوج، ولم يسبق لي أن تعرضت لتجربة كانت فيها صديقة من صديقاتي حاملاً مني أو شيئاً كهذا، كما أنه ليس لدي خطط أو رغبة في الإنجاب، لذلك فالموضوع لم يشغل بالي في يوم من الأيام، ولكن بصفة عامة، ومن الناحية النظرية، فإن رأيي في حق الإجهاض مستمد من عالم الحيوان.

ولما اندهشوا وصدرت عنهم همهمات استغراب وابتسامات وضحكات، أكملت:

- أعني أنني أنظر إلى عالم الحيوان في مثل هذه المسائل الوجودية واستخدم خبرات الحيوان كمرشد لما هو صحيح وما هو غير صحيح، من وجهة نظر الطبيعة، من وجهة نظر أمنا الأرض، أو إن أحببتم، من وجهة نظر الرب. أعني، هل تقوم إناث الحيوانات بعمليات إجهاض؟ لا أظن ذلك. طبعاً أنا أتفهم أن هناك أسباباً طبية في بعض الحالات يكون معها الحمل خطراً على صحة الأم، أو أن تكون الفتاة قد تعرضت للاغتصاب وحملت أو شيئاً من هذا القبيل، هذه حالات نتفق جميعاً على شرعية القيام بعملية إجهاض للجنين، إذا رغبت الأم في ذلك، ولكن في العموم، لا أظن أن الطبيعة الأم راضية عن مسألة الإجهاض، دليلي على هذا هو كما قلت سلوك الحيوانات، بل وحتى النباتات أيضاً، والحشرات كذلك، بل وربما، وأنا لست متبحراً في الفيزياء، إذا ما تحرينا عن سلوك الذرات و...

ويبدو أن نوبة ناركولبسي قد داهمتني فجأة، فرحت في سبات عميق، مصلباً يديّ على الطبلية ورأسي عليهما، فيما يبدو.

ولما أفقت، كانت أول صورة يلتقطها ذهني هي الكمية المهولة لزجاجات البيرة الفارغة أمام تلفيق شرور. أما أول صوت تلتقطه أذناي، فكان هو صوت المأفون أيضاً. وكان يحكي النكتة اليتيمة التي لا يعرف سواها، وكان رجب يترجم بالإنجليزية للرفاق. والنكتة التي يحكيها أمامي في كل مرة أرى فيها سحنته القذرة كانت عن امرأة متزوجة كان زوجها يضربها ويسيء معاملتها، وكان فوق هذا عنيناً ضعيفاً صغير الزب مرخيه، فلما تطلقت منه بعد طلوع الروح، نشرت إعلاناً في الجريدة: مطلوب زوج، على شرط ألا يضرب زوجته أبداً، وأن يكون كبير الزب. في اليوم التالي، وبينما هي في المطبخ، سمعت جرس الباب يرن، فذهبت وفتحت الباب، فرأت رجلاً مقطوع اليدين مقطوع الرجلين، بادرها بالقول: لقد قرأت إعلانكِ في الجريدة، ويشرفني أن أتقدم للزواج منكِ، وها أنت ترين بأم عينيكِ أنني مقطوع اليدين، مقطوع الرجلين، لذلك لن يكون باستطاعتي أبداً أن أضربك. اندهشت الست، ورغم اشمئزازها، قررت أن تكون مهذبة ودبلوماسية معه، فقالت: ولكنك نسيت أنني قد اشترطت شرطاً آخر في الإعلان: أن يكون الرجل له زب كبير! فأجابها: أمال يعني يا مدام تفتكري أنا دقيت الجرس إزاي!

ولما أنهى نكتته، ضحك بشدة كأنه قد سمعها من أحد لأول مرة، وضحك الولد مولين، ولعل ماري تيريز الهبلة قد ضحكت هي أيضاً، لكن أولجا ابتسمت فقط ابتسامة خجلى، أما جاكلين فقد قطبت حاجبيها في امتعاض. وقدرت أنها قد تكون نسوية ومن أنصار حقوق المرأة وكل ذلك.

وعموماً، أي بني آدم عنده ذرة دم أو إحساس أو شعور أو حس إنساني سليم لا بد وأن يحجم عن حكي نكتة بذيئة مثل تلك في حضرة فتيات يقابلهن لأول مرة وليس هناك بينه وبينهن عشرة ولا صداقة ولا عشم، لكنه الحمار بن الحمار الكلب بن الكلب الجزمة بن الجزمة تلفيق شرور! هذا شخص أحط من الدناءة ذاتها! ولم يفتني طبعاً أن أنصار النسوية وحقوق المرأة، بل وحتى الفتاة العادية التي ليست مأدلجة أو دوجما، لا بد وأن تفهم أن المغزى المراد من نكتة كتلك هو أن المرأة لن تعثر على رجل لا يضربها وفي نفس الوقت يرضيها في السرير، إلا إذا كان مشوهاً مسخاً مقطوع اليدين والرجلين! وإذن فمن حق جاكلين أن تقطب حاجبيها وأن تمتعض.

بادرته فوراً بالقول:

- يا دي ميتين النكتة دياللي سمعناها دشليار مرة، يا عم إنت مش حافظ غيرها!

- إيه فيه إيه؟! إيه المشكلة؟!

- المشكلة إنك مش حافظ غير كسم النكتة بنت المتناكة اللي سمعتهالنا مليون مرة، غيّر بقى! كسم الملل ع الخرا! إحفظلك حاجة تاني تقول كسمها!

- طيب على الأقل أنا بكمل النكتة لغاية الآخر، الدور والباقي على اللي ما بيكملش حاجة في حياته، ع اللي طول عمره ما بدأ حاجة وكملها في حياته!

- مين ده!

- إنت بكسمك!

ولم أدر بنفسي إلا وأنا أقذفه بزجاجة مياه بلاستيكية كانت أمامي على الطبلية في وجهه، صرخ مثل المرة اللبوة، ابن المتناكة!

ثم قفزت عليه مستهدفاً عنقه، ولعل كل ما كنت أفكر به لحظتها هو الإمساك برقبته وعصرها بين يديّ حتى تطلع روحه. ونهض هو بسرعة أيضاً متجهاً إليّ على نية الاشتباك والتعارك. وحاشوا بيننا في التو واللحظة؛ أمسكني رجب بقوة من كلتا ذراعي، وأمسك مولين بابن الكلب بنفس الطريقة. ولأول مرة انتبهت إلى فزع البنات وذعرهن، لكن ذلك لم يثنني عن عزمي ولا فت في عضدي، فحالما تفوه ابن الكلب بأول شتيمة بأمي مرة أخرى، تملصت بقوة من تطويق رجب، وقفزت على عنق ابن القحبة، وصار الأمر قبيحاً بعدها.

أتذكر وأنا جاثم على صدره أكيل له اللكمات بجنون، أنه هدد بحبسي، وأتذكر أنني قلت له:

- كسمك على كسمين أم الداخلية يا ابن القحبة! المباحث اللى انت متحامي فيها يا معرص يا ديوث كان زمان! دلوقتي لابسين قمصان نوم يا كسمك!

وكان مستحيلاً أن أبقى في الفيوم بعد هذا. وتكرَّم الولد رجب وقرر ألا يتركني في هذه الحالة، وأن يعود بي إلى القاهرة، لأنه ربك والحق، كنت في حالة انفعالية يصعب وصفها. وفي الأحوال العادية إذا كان لديك رفيق في الطريق فالرفقة تنعش، فما ظنك إن كانت حالتك النفسية والمعنوية في الحضيض! وتأكد لي ما كنت متأكداً منه من قبل، وخالفت فيه قناعتي وإيماني

ويقيني لما خرجت من بيتي وأتيت للفيوم؛ من أنه في مثل أحوالنا في مصر حالياً، الأحوال العامة والأحوال الخاصة؛ فإن الحرية في العزلة، والسعادة في العزلة، والهناء في العزلة، وراحة البال في شراء الدماغ.

لا أتذكر معظم الذي حدث في طريق العودة، لكنني أتذكر أننا استقلينا ميكروباصاً من الموقف كان يُحمِّل للقاهرة، وأتذكر أن رجب جلس بجواري، ثم جاء شاباً وفتاة كانا متجهين إلى القاهرة هما أيضاً وصعد للميكروباص، وحاول الشاب استئذان رجب في أن يترك له مقعده لكي يجلس هو وزوجته معاً، ورفض رجب بصلافة وعنجهية قائلاً بصوت عال:

- لأ، أنا قاعد جنب صاحبي!

وأتذكر أيضاً أننا حالما وصلنا إلى شارع مصر والسودان، عاد انتباهي، أو معظمه فيما أظن، وبدأت أفكر فيما سنحتاج إليه للعشاء من مواد أوليّة، فتوقفنا في طريقنا ودخلنا دكان (جزارة أم النور) واشتريت سوسيس خنزير، ولحم هام بارد، وسألت عم ضاحي عن كبدة خنزير فقال: موجود، فأخذت كبدة كاملة، وقلت لنفسي أتبلها بالملح والفلفل الأسود والزعتر وأضعها في الفرن، وستستوي في نصف ساعة أو يكاد.

وتوقفنا عند المخبز الأفرنجي واشترينا خبز فينو طازجاً. واشتهى رجب الجبن الأبيض الإسطامبولي، لكننا رأينا صرصاراً صغيراً يجول بين مكعبات الجبن المعروضة في ثلاجة عرض دكان بقالة (الصحابة)، فأدرنا ظهرينا وابتعدنا. وعندما اقتربنا من شارعنا، قال رجب وهو يشير إلى دكان بقالة أم مروان:

- نجيب كاتشاب علشان السوسيس ولا عندك في البيت؟

- لأ أنا هاعمل الكاتشاب بنفسي، الكاتشاب بتاع هاينز بقى مالوش طعم.

- طب والنبي يا أستاذ تعلمني ينوبك فيّا ثواب!

وكان رجب قد أصبح مؤخراً مدمناً على الكاتشاب، ولا يأكل أي شيء مهما كان إلا إذا كان غارقاً في صوص الكاتشاب.

- قوي قوي، ده سهل جداً على فكرة، وبيطلع أحلى مليون مرة من بتاع الشركات.

وكان أول ما فعلته لما وصلنا إلى البيت، أن دخلت إلى المطبخ، وحضّرت بسرعة الكاتشاب لرجب، وعلمته الوصفة والطريقة، وهي في غاية السهولة:

- معجون طماطم،

- وقليل من بودرة البصل،

- وقليل من بودرة الثوم،

- وقليل من الكمون، والكسبرة الجافة، والقرفة الناعمة،

- وذرة ملح،

- و2 ملعقة شاي سكر،

- وملعقة خل.

ثم نمزج كله معاً، ونستمر في التقليب، مع إضافة القليل من الماء حتى نحصل على القوام الذي نفضله.

وتذوقها رجب وأعجبته كثيراً، وقال إنها أجدع مليون مرة من كاتشاب هاينز والشركات. وشجعني مدح رجب للكاتشاب على أن أمنحه أحد أسرار الصنعة، فأضفت ذرة كربوناتو على الكاتشاب وقلبت، ثم طلبت منه أنه يتركه دقيقة ويعيد تذوقه، فلما ذاقه كاد أن يطير انتشاءً، فقلت له إن سر التتبيلة الممتازة هو في الزمن؛ علينا أن نصبر أطول فترة ممكنة حتى تتفاعل المكونات كلها مع بعضها البعض، وهذا هو سر التتبيلة الممتازة للحوم والدواجن والأسماك وخلافه، علينا أن نتبلها، ثم نتركها في الثلاجة لأطول فترة ممكنة، فإن كنا في عجلة من أمرنا وكانت الظروف لا تسمح، فإن أحد أسرار الطبخ الكيميائية هو إضافة ذرة من بيكربونات الصوديوم على التتبيلة وسوف تعمل على إجبار المكونات على التفاعل مع بعضها البعض بسرعة.

ورحنا نحضّر الطعام، وفي تلك الأثناء ذهب رجب وفتح التلفزيون على قناة الجزيرة مباشر

مصر، ورفع من صوته حتى نسمعه في المطبخ. لم يكن هناك جديد، كنا في أول الليل، والاشتباكات قد هدأت في محيط مجلس الوزراء، وإن كان الشباب والشابات ما زالوا متجمهرين هناك في حالة غضب مما حدث من خولات الجيش حين أجروا كشوف عذرية لمن قبضوا عليهن من المتظاهرات.

كنت منهمكاً في تشريح أصابع السوسيس بالطريقة الشركسية (شرخ بالطول شرخين بالعرض، كما قال استيفان روستي)، ثم رحت أشوحها في الزبدة المقدوحة، وعمل السندويتشات، وكانت الرائحة العظيمة لكبد الخنزير المتبل الذي وضعته في الفرن قد بدأت تفوح وُتجري اللعاب. ولا أتذكر كيفُ فتح الموضوع، ولعل رجب هو الذي بادر بفتحه، ولكني وجدت نفسي منخرطاً في مناقشة حول الأوضاع الراهنة مع رجب، ولعلني قلت:

- اللي بيحصل مش ثورة، اللي بيحصل زعيق، ومش ها يؤدي لحرية ولا بطيخ!

- للأسف، زي ما قلت بالضبط يا أستاذ، كانت ثورة لغاية ما دخلها الدقون!

- صحيح، وكما قال الشاعر: يا للي فتحت البتاع، فتحك على مقفول.

وضحك رجب.

- طب ها نعمل إيه بس يا أستاذ ما هو احنا لازم نلعب بالورق اللي على الترابيزة، مش احنا اللي بنوزع الورق، ده ربنا بقى هوَّ اللي بيوزع الورق.

- يا عم يفتح الله أنا مش عايز العب أصلاً! اليومين دول الحرية في العزلة.

- وانا برضو زيك كده والله، بس الواحد متضايق بس عشان الناس الغلابة اللي عايشين يوم بيوم، دول مش فاهمين أي حاجة، واللي ها يقولهم قال الله وقال الرسول ها يمشوا وراه، وأديك شفت الاستفتاء حصل فيه إيه!

- يلعن أبو الدقون يا أخي! هما قدر! هو عمل ومعمولنا! للأسف العرب قدرهم إنهم يبقوا ما بين المطرقة والسندان، الكاب والعِمَّة، كسم الكاب على كسمين أم العِمَّة! دول ينهشوا فينا شوية ودول شوية! يلعن أبو ده قدر يا أخي!

- ها نقول إيه بس، ربنا يصلح الأحوال! تفتكر يا أستاذ الأحوال ممكن تتصلح فعلاً ونبقى زي العالم المتحضر كده ونخش في الحضارة؟!

- عدس.

- نعم؟

- اللي ما يعرفش يقول عدس.

فضحك رجب من قلبه، ووضع يده على قلبه كعادته حين يضحك من قلبه. قلت:

- يا ابني النهايات السعيدة دي بتبقى في أفلام ديزني بس.

فاستمر رجب في الضحك، وقال:

- وفي الأفلام الهندي والأفلام المصري كمان يا أستاذ.

- لا ده كان زمان.

- لا والله لسه يا أستاذ لغاية دلوقتي.

- لأ دلوقتي لو عايز نهاية سعيدة يبقى تروح تشتغل في ديزني.

ضحك رجب، وقال:

- إيدي على كتفك يا أستاذ، أبوس إيديك شوف لي أي سكة! مش لازم ديزني حتى، شوف لي أي سكة حتى في التلفزيون المصري ماشي، أي شغل والسلام!

- صحيح، الحال واقف عند الكل.

- مش شغال دلوقتي إلا التوك شو بس.

- ربنا يفرجها إن شاء الله.

- يا رب.

وتناولنا العشاء أمام التلفزيون في الصالة، وغيّرتُ قناة الجزيرة مباشر مصر إلى قناة السي إن إن، ورفعت الصوت لإن صوت السي إن إن دائماً ما يكون منخفضاً عندنا. وكانوا يذيعون تقريراً عن إطلاق تلميذ ثانوي النار داخل مدرسة ابتدائية في ولاية تكساس راح ضحيته 15 قتيلاً من الأطفال حتى إذاعة التقرير. ثم عرضوا بعد ذلك تقريراً مطولاً عن حالة الطقس بمناسبة توقعاتهم بأن يصل إعصار "أوتيس" إلى الساحل الأمريكي المطل على المحيط الهادئ. ابتسمت، وقلت لرجب وأنا أمضغ ما في فمي من طعام:

- إعصار في المحيط الهادي، طب منين هادي ومنين إعصار!

ضحك رجب.

- الأسماء! الأسماء يا ابني! لو مشيت ورا الأسماء دي وركزت معاها شوية ممكن تفهم الكون ده ماشي ازاي!

- ها ها هه، صحيح والله يا أستاذ.

وسألته عن أحوال مَرجريت، فقال إنها بخير، وإنهما على اتصال دائم أثناء تواجدها في لندن. وأفرحني أنه قال إنها أبلغته منذ يومين أنهم قد عينوها في وظيفة المتحدثة الرسمية باللغة العربية لوزارة الخارجية البريطانية. والحق أن الولد رجب يستاهل كل خير، ولعل الله قد كافأ صبره على المكوث مخلصاً لمَرجريت لأكثر من عامين حتى الآن، خصوصاً وأن البنت ليست جميلة على الإطلاق، وهي فوق ذلك متغطرسة متعجرفة نيّقة. قلت:

- يعني دروس اللغة العربية اللي كنت بتديهالها جابت نتيجة آهى!

- الحمد لله، ها ها هه!

- يعني هيَّ دلوقتي لما تطلع تدلي بدلوها وتقول بيان أو تصريح لوزارة الخارجية ها تتكلم عربي زي العربي بتاعك؟!

ضحك رجب، ووضع كفه على قلبه.

- ماله بس العربي بتاعي يا أستاذ!

- ربنا يستر! يا ابني انت أصلاً عايز حد يعلمك عربي!

وضحك رجب ملياً.

- لا والله يا أستاذ أنا علمتها صح، ع الأقل علمتها اللي انا فاكر إنه صح يعني!

- ما هو عشان كده بقولك ربنا يستر، يا ابني انت بترفع المنصوب وبتجر المرفوع!

وضحك رجب، وقال:

- ما هما عايزنها تتكلم في التصريحات بتاعتها بلغة الشارع، مش اللغة الفصحى الجامدة قوي يعني، أصلها لو اتكلمت بالفصحى ما حدش من العرب ها يفهم حاجة!

وضحكت.

- على رأيك، تصدق عندك حق يا له!

- ما انا بقولك يا أستاذ!

- وتفتكر في وزارة الخارجية عندهم عارفين الحكاية دي؟

- مليون الميّة! ما هما أصلاً اللي طلبوا منها تتكلم باللغة العادية بتاع الشارع عشان كده.

- الانجليز دول برضو عقر يا أخي!

- باعتالك السلام والله يا أستاذ، كل ما تتكلم تقولي سلم لي على سامح.

- فيها الخير والله.

- ما يلزمش أي حاجة من لندن؟ هيَّ جاية كمان أسبوعين.

- لا ألف شكر يا باشا، بس هيَّ ها تيجي ليه وهيَّ لسه متعينة؟! دول المفروض بيبقوا مشغولين لشوشتهم ومطحونين! هوَّ زي ما انا فاهم يعني بيبقوا المفروض يطلعوا على كل اللي بيحصل أول بأول في البلد أو الإقليم اللي هما مسؤولين عنه، ومادام هيَّ المتحدث الرسمي باللغة

العربية يبقى لازم تبقى أكتر واحدة في الوزارة عارفة إيه اللي بيحصل في المنطقة، والدنيا عندنا زي ما انت راسي مقلوبة، كل يوم فيه جديد وكل ساعة فيه تطورات جديدة!

- مضبوط صحيح، بس هيَّ قالت لي إنها مش ها تستلم الشغل إلا أول الشهر الجاي، فيه فترة إعداد وتدريب الأول على ما أظن في قسم الشرق الأوسط اللى في الوزارة عندهم، عشان كده فكرت إنها تنتهز الفرصة وتيجي يومين مصر عشان تاخد بقية حاجتها اللي في الشقة وتتصرف في الباقي.

- ها تقعد يومين بس؟!

- 48 ساعة بالعدد.

- طب لو فيه فرصة ابقى خليني أشوفها.

- يا سلام يا أستاذ دي نفسها والله! هيَّ نفسها تشوفك دايماً بس هيَّ مقدرة حالة العزلة اللي انت فيها، ومحترماها جداً على فكرة، دايماً بتشكر فيك وتقول سامح ده أنضف واحد قابلته في مصر، وأكتر واحد مصري اتعلمت منه.

- ها ها هه، الله يحفظها، بنت حلال والله، ربنا يوفقها، ويوفقك انت كمان يا حبيبي ويهدّي سركم كده.

- آمين يا رب! إحنا بقالنا سنتين مع بعض يا أستاذ!

- أيوه ما انا عارف، ربنا يهدّي سركم.

ولعل رجب قد لاحظ شرودي وأمارات الغم التي ربما كانت لا تزال تبدو على ملامحي، ولعله أراد أن يضحكني لأخرج من هذه الحالة وأنساق معه في لعبة "قفش"، لأنه قد سألني ونحن نأكل:

- ما لاقيش عندك يا أستاذ فربِّة مَراولة؟

ابتسمت رغماً عني، وقلت:

- لا والله للأسف، لما اعمل فربّة مَراولة ها بقى احوشلك برطمان.

- آه والنبي يا أستاذ ينوبك ثواب فيّا، ويا ريت يا أستاذ تعلمني اعملها ازاي؟

- قوي قوي بسيطة خالص من عنيّا، لما أجيب مَراولة ها قولك تيجي تقف وانا بعملها.

- فربّة المَراولة اللي بتعملها يا أستاذ أعظم فربّة في العالم، إنت أحسن واحد في العالم يعمل فربّة مَراولة!

قلت ساهماً:

- العفو يا باشا.

كانت صورة البنت المسحولة على الأرض لا تزال أمام عينيّ، لعله لهذا كان المزاج لا يسمح بالقفش أو التنكيت أو حكي النوادر.

ولما تجاوزت الساعة الثانية عشرة، اقترحت على رجب أن يبيت الليلة؛ بسبب أن الوقت متأخر، والمشي في الشوارع ليس آمناً، لأننا نسمع كل يوم عن حوادث اختطاف، وبلطجة، وسرقة، وقتل وخلافه، ورحب بالفكرة، وقال إن مَرجريت ستكون مطمئنة كثيراً إن علمت أنه سيبيت معي الليلة. وقال أيضاً إنها سوف تتصل به بعد الثانية ليلاً بتوقيت القاهرة، لأنها قد خرجت مع بعض الأصدقاء والزملاء وسيسهرون حتى ساعة متأخرة في أحد بارات لندن، وستتصل لتطمئن عليه، كعادتها كل يوم، وسيبلغها سلامي، وكرر سؤاله عما إذا كنت في حاجة إلى أي شيء من لندن، فشكرته.

وقررت أن أدخل حجرة النوم، وأن أشرع في كتابة يوميات هذا اليوم قبل أن أنساها، وأن أضع اسطوانة الكونشرتو رقم 3 و4 و5 للهاربسيكورد لباخ في مشغل السيديهات أثناء ذلك؛ لإن هذه الاسطوانة أحفظها عن ظهر قلب، ولن تعتدي على الزمن، ولا على الوعي، ولن تحتاج لانتباه خاص أو نضر لكي أستوعبها، لأنني كنت أحتاج إلى التركيز في الكتابة مع موسيقى مألوفة ومحفوظة في الخلفية.

هناك تأثير مسكن، بل ومخدر أيضاً، لموسيقى باخ، وألبينوني، وفريسكوبالدي، لاحظته في

نفسي وأنا أسمع؛ إنها تخدر الأعصاب. لعله بسبب إلحاح الإيقاع الضمني غير المباشر في موسيقاهم، أو لطريقتهم في التأليف الموسيقي، أو لأستاذيتهم في استخدام عنصر التكرار، لكن على كل حال، يوقف الاستماع لموسيقاهم حالة الاضطراب والتشوش والاهتياج في أفكارنا وإحساساتنا، المرء ينقاد للموسيقى، تستحوذ عليه الموسيقى بقوة خارقة، تزيل كل شيء آخر سلبي من الروح، ومع ذلك يظل الوعي في أصفى حالاته وأحدها، بما يسمح بالقراءة المتعمقة، والكتابة الواعية.

بعد أن أنتهي من تدوين يوميات هذا اليوم، سوف أستلقي على السرير، وأكمل قراءة (الجريمة والعقاب) لدستويفسكي، التي كنت قد شرعت في إعادة قراءتها قبل السفر إلى الفيوم، بعد أن شعرت أن الضغوط؛ العامة والشخصية، قد زادت إلى الحد الذي لا يطيقه إنسان، وأن أعصابي لم تعد تستطيع احتمال المزيد.

لا أدري عدد المرات التي أعدت فيها قراءة (الجريمة والعقاب)، ولا عدد المرات التي أعدت فيها قراءة شغل دوستويفسكي عموماً، لا بد وأنها فوق الخمس والعشرين، لأنه وبحسب ما أتذكر، فقد بدأت في قراءة أعمال دوستويفسكي الكاملة؛ الأدب واليوميات، لأول مرة وأنا دون الخامسة عشرة، ومن يومها وأنا أواظب على إعادة قرائتها مرة كل عام، وفي بعض السنين أذكر أني أعدت قراءتها مرتين اثنتين. لا يوجد مثل دوستويفسكي لإعادة ضبط المصنع.

طرأ على بالي في هذه اللحظة أن أكتب شيئاً ما في (كتاب التعريفات)، لكن لا أظن أنه سيكون باستطاعتي أن أضيف شيئاً مفيداً، خصوصاً وأنا أشعر أني مستنزف روحياً، ولست في مزاج يسمح بإعادة تعريف أي شيء من جديد. الصورة التي تهيمن بالكامل على ذهني الآن، هي صورة الضابط الخول وهو يسحل البنت المرتدية عباءة سوداء ويجرجرها من شعرها على الأرض، ممزوجة بصورة ذقن ابن الكلب تلفيق شرور، ذقنه فقط، وأرى الآن ضابطاً بذقن طويلة محفوف الشارب يسحل بنتاً على الأرض.

ملعون أبو العسكر وملعون أبو الإسلامجية.

بورسعيد

استيقظ رجب على صوت تنبيه من تليفونه المحمول بأن رسالة جديدة وصلته على الفيسبوك. فتح عينيه بصعوبة، وكان بعد ثملاً من سهرة ليلة أمس مع اثنين من الدبلوماسيين الإنجليز الشبان اللذين وصلا حديثاً للعمل بالسفارة البريطانية في القاهرة. التقط تليفونه من على الكومودينو الملاصق للسرير، فرأى إشعاراً برسالة من "ندى عبد العزيز"، فتأفف قرفاً؛ وكأن تلقي رسالة من ندى عبد العزيز هذه هو أمر ثقيل بغيض على قلبه.

لم يفتح الرسالة، ولمح تاريخ اليوم في التليفون: 2012/2/1، والساعة: 11:36.

ذكرته ذاكرته الفوتوغرافية الحادة الجبارة بأن تاريخ اليوم يوافق الذكرى الأولى لموقعة الجمل، فتأفف من جديد لهذه الاصطباحة الزفت، وتمتم في نفسه:

"اللوا فؤاد ع الصبح! وصباحيّة ذكرى موقعة الجمل! ملعون أبوكم ولاد كلب! اللوا فؤاد عايز إيه؟! بيبعت ع الصبح ليه؟! لأ مش فاضي انا للقرف ده! مش ها فتح الرسالة الا لما آخد دش الأول وافطر واصطبح وابقى اشوف بعدين بقى عايز مني إيه! يقعد جنب الحيط ويتملح! العرص ابن الوسخة، الخاين ابن كلب!"

نهض عن السرير متثاقلاً وهو بعد في التهويمة التي بين الصحو والنوم، لكنه أجبر نفسه على أي حال على الحركة والنهوض، متذكراً شكواه لسامح من عدة سنوات بأنه يجد صعوبة كبيرة فور الاستيقاظ من النوم في مغادرة السرير ولا يستطيع؛ إلا بصعوبة شديدة، مقاومة إغراء مواصلة النوم، وقد نصحه سامح وقتها بأن يجبر نفسه إجباراً على القيام والحركة فوراً، وأن المعاناة لن تستمر لأكثر من خمس أو ست دقائق لا غير.

وقرر لكي يفيق من الثمالة أن يشرب كأس الاصطباحة، فانحنى على إحدى الحقيبتين الكبيرتين اللاطيتين بجوار الحائط في غرفة النوم، وأخرج من إحداهما زجاجة الكمباري، ولتر ونصف السبرايت، أو ما تبقى منهما، وحملهما إلى المطبخ، وصب لنفسه كوباً مترعاً؛ ثلثه كمباري، والثلثان سبرايت.

أخذ كوبه إلى الحمام، وقد قرر أن يأخذ دشاً ساخناً، لأنه كان يفتقد بشدة لتدفق المياه الكثيفة

وضغطها القوي من مصفاة دش حمام بيته في إمبابة، وكان هذا هو أحد الأسباب التي حثته على الرجوع إلى بيته في إمبابة، لأن حمام شقة مَرجريت في شارع القصر العيني كان به سخان كهربائي سخيف جداً، سعة 40 لتراً فقط، بعد أن تعطل السخان القديم سعة الـ 60 لتراً، وطالبت مَرجريت صاحب المنزل أن يغيره على حسابه، فغيره الرجل، مضطراً، بعد مساومات ومناهدات لا تنتهي، بسخان جديد سعته لا تكفي لاستحمام شخص واحد، فما بالك باستحمام شخص مثل رجب، اعتاد على قضاء ساعة كاملة تحت الدش والاستمتاع بضغط مياهه القوي، لذلك كان استحمام رجب في شقة القصر العيني يمثل معاناة كبرى له، وفي كل مرة دخل فيها الحمام ليأخذ دشاً، نفدت المياه وهو يستحم وجسده مرغّى بالصابون، واضطر للانتظار، حتى يمتلئ السخان الصغير بالمياه مجدداً ويُسخنها، ليُكمل استحمامه.

راح ذهنه يعدد الأشياء التي عليه أن يشتريها قبل سفره، المقرر في صباح 4 فبراير على طائرة البريتش إيرويز التي ستغادر مطار القاهرة الدولي في الساعة الثامنة والنصف صباحاً إلى مطار هيثرو بلندن، وذكر نفسه بأن أهم شيء يفعله بعد الاستحمام مباشرة هو أن يغسل ملابسه التي أحضرها في حقيبتين كبيرتين من شقة القصر العيني، على أن ينتقي منها بعد غسلها ما سيأخذه معه إلى لندن، وكان الولد يأمل طبعاً أن تشتري له مَرجريت ملابس من لندن، ملابس شتوية إنجليزية عظيمة، لكنه مع ذلك كان في حاجة إلى ملابسه الشتوية المصرية حتى يستقر به الحال في لندن وتتضح الأمور.

قال في نفسه:

"بعد الغسيل، أنزل السوق، وأشتري لمَرجريت الكركديه اللي موصياني عليه، وأجيب لها كمان التمر اللي موصياني عليه، أجيب من صابر العطار، الكركديه بتاعه أسواني وطازه وحلو ونكهته قوية، وأجيب منه برضو التمر، التمر عنده طازه وحلو وطعمه عظيم، أجيب علبة تمر سادة، وعلبة تمر محشي باللوز، وانا محتاج ليّا شرابات سودا، اللي عندي معظمه اتهرى، وعيب تشوفني بشراب مرقّع، أشتري أربعة، وهناك أكيد الشرابات الانجليزي ها تبقى أحسن، شرابات شتوي عظيمة طويلة تدفي الصدر، ها ها هه!

محتاج إيه تاني يا باشا؟ محتاج إيه تاني يا باشا؟ آه سجاير! خرطوشتين مالبورو أحمر، لأ

واحدة كفاية، احتياطي بس، ها بقى أجيب من السوق الحرة في المطار، ولا أقولك، اتنين أحسن، عشان ماجبش من السوق الحرة في المطار وتتحسب عليّا آيتم، هوَّ التلات حجات المسموح بيهم في السوق الحرة في العودة بس ولا في الذهاب كمان؟! مش عارف والله، بس الاحتياط حلو برضو، لو طلع في الذهاب كمان يبقى أجيب تلات قزايز خمرة أحسن، في النهاية فرق السعر في السجاير ماهواش كبير قوي، المهم الخمرة، الخمرة في السوق الحرة بتاعة المطار عندنا بيقولوا إنها من أرخص الأسعار في العالم، بيجيبوها من بلد في أمريكا اللاتينية مش عارف إيه الضرايب فيها زيرو.

محتاج إيه تاني؟ محتاج إيه تاني؟ آه! أجيب كيلو فول سوداني أسواني آخده معايا مَرجريت هاتفرح بيه قوي، بس ده نخليه ليلة السفر مباشرة عشان يبقى طازه، ولا أجيبه دلوقتي ماحدش ضامن واحطه في التلاجة وهايبقى طازه برضو؟! لأ، ليلة السفر بقى وهيَّ وحظها، أبقى أجيبه من مقلى عمر، الأسواني عنده أحلى أسواني في مصر، وإيه رأيك في نص كيلو كاجو؟! كده هايبقى خراب بيوت! معلش يا ابني عشان خاطر البنت، المهم تبقى سعيدة ومبسوطة، تخيل فرحتها لما تدخل عليها وإيدك مش فاضية، وجايب لها حاجات من اللي هيَّ بتحبها، لأ، وبتموت فيها كمان! شوف انت بقى! واللي قبلينا قالوا قدِّم السبت تلاقي الحد، وهيَّ الصراحة البت مش متأخرة من غير سبتات يعني.

وحلاوة طحينية آه صحيح، هيَّ بتموت في الحلاوة الطحينية، يبقى علبة نص كيلو الرشيدي الميزان سادة، وواحدة تانية بالمكسرات، أيوه كده هوَّ ده الكلام، قدِّم السبت يا عم قدِّم السبت بقولك!

وباكوين معسل تفاح النخلة عشان الشيشة بتاعتها، وباكوين معسل سلوم عشان لو انا احتجت أشيِّش هناك، ولو اني سامع إن لندن مليانة قهاوي عربي والناس هناك مافيش مشكلة في التشييش عادي، وأكيد بقى هناك هانلاقي المعسل الأردني، والبحريني، والإماراتي، والإيراني، والتركي، حاجات مفتخرة! ناخد سلوم برضو مش هايخسَّر، وهوَّ أصلاً حاجة ببلاش كده يعني مش غالي.

وبرطمان طحينة الرشيدي الميزان عشان هيَّ بتحب سلطة الطحينة، وأكيد ها نعمل فول هناك، فول إنجليزي مدمس ها ها هه! برطمان نص كيلو عشان يقعدنا شوية، آه صحيح وملوخية ناشفة من صابر العطار عشان هيَّ بتموت في الملوخية، ربع كيلو؟! لأ نص كيلو أحسن عشان

يغرق الدنيا وتهيص بقى كل يوم ملوخية! وكفاية يا ابني بقى كده أنا هاخد شنطتين معايا بس!"

أثناء عملية الجرد هذه التي جرت في ذهن رجب وهو تحت الدش، كان يرشف من كوب الكمباري، ويأخذ نفساً من السيجارة المالبورو التي أشعلها وهو في الحمام، كانت متعة بالنسبة له ما بعدها متعة أن يأخذ وقته كاملاً في الحمام، ويستمتع أثناء ذلك بالشرب والتدخين وتأملاته الخاصة به.

أثناء تنشيف جسده العاري في غرفة النوم، التقط رجب تليفونه المحمول الآي فون فور الذي أهدته إليه مَرجريت العام الماضي، وكان يفكر في مفاتحتها وطلب تحديثه بواحد آخر لأن الموديل الجديد آي فون فور إس قد نزل السوق منذ 16 شهراً، في أكتوبر 2011، وهو لا يزال يستعمل الموديل القديم، والدنيا مظاهر، وخصوصاً دنياه، ودنياها هي كذلك؛ بعد أن صارت المتحدث الرسمي باللغة العربية لوزارة الخارجية البريطانية على سن ورمح، وهو محسوب عليها في الأول وفي الآخر وفي الوسط، لأنه رفيقها، ويخطط لأن يصبح زوجها رسمياً، إن استطاع إقناعها بالفكرة، وكانت استراتيجيته التي أزمع على اتباعها هي أن يقوم بتحبيلها، بالرغم من الاحتياطات التي تتخذها مَرجريت في كل مرة تنام فيها معه، وأن يضعها بذلك أمام الأمر الواقع، وهو في الحقيقة كان يفكر في تحبيلها منذ فترة طويلة، لكنه آثر انتظار نتيجة امتحانات وزارة الخارجية البريطانية، والتي نجحت فيها مَرجريت بامتياز، حتى يضع الفكرة الذهنية النظرية موضع التنفيذ العملي البراجماتي وهو مطمئن تمام الاطمئنان بخصوص مستقبله معها، وعلى ذلك، إن تمت الأمور على ما يحب ويهوى، تكون الخلفة من مَرجريت هي استثمار طويل الأجل فيها ومعها، ومن ضمن أسباب تريثه أيضاً في موضوع تحبيل البنت هو تفكيره في أن يستخدم منصب مَرجريت الجديد في الخارجية البريطانية، إن نجحت في اقتناصه، كعامل مساعد في الضغط عليها، لأن الشكليات مهمة جداً بالنسبة لهؤلاء القوم وفي مثل تلك الأوساط، وسيكون أفضل لصورة مَرجريت بالتأكيد أن تقدمه في المستقبل على أنه زوجها، فهذا أرقى كثيراً من تقديمه للناس على أنه رفيقها أو شريكها أو حبيبها، صحيح أن معايير الغرب الآن مختلفة عن غرب الأربعينيات والخمسينيات والستينيات أيام حقبة "القيم الأسرية"، وهناك الكثيرون من الدبلوماسيين الغربيين المثليين الذين لا يتحرجون اليوم من تقديم شريكهم الذكر، أو رفيقهم الذكر، أو زوجهم الذكر للآخرين، وهو ما ينطبق أيضاً على الدبلوماسيات الغربيات المثليات، ومع ذلك فلا تزال المحافظة والمحافظون والتقليدية والتقليديون مُقدرين أكثر ومحترمين أكثر في نفس هذه الأوساط، هذا لإن الكثيرين من الغربيين، كالشرقيين تماماً، يكرهون المثلية والمثليين في دواخلهم، لكنهم لا يستطعيون الإفصاح عن ذلك علناً، وإلا لاتهموا بتبني وترويج خطاب الكراهية ضد المثليين، ووضعوا في منبذ، وبرغم ذلك يظل ما في القلب في القلب.

وكان رجب يتحين الفرصة المناسبة والمواتية لمفاتحة مَرجريت في أمر شراء هاتف جديد له، آخذاً في الاعتبار المحافظة على شكله وكرامته أمامها وهو يطلب، وإن كانت مثل هذه الأشياء لم يعد لها مكان بينهما، بعد عامين من العشرة المستمرة، وبعد أن حفظته مَرجريت عن ظهر قلب، وحفظها هو قبل ذلك عن ظهر قلب، لكن مع هذا كان ثمة شيئاً شرقياً لا تفسير منطقي له بداخل رجب يجعله حساساً تجاه كبريائه، بينه وبين نفسه على الأقل، في كل مرة يطلب فيها صراحة من مَرجريت أن تشتري له شيئاً، أو أن تعطيه مالاً.

فتح رجب رسالة اللواء فؤاد، والذي يُسمي نفسه في الحساب الذي يستعمله لمراسلة رجب على الفيسبوك "ندى عبد العزيز"، وقرأ نص الرسالة، التي أرسلها له اللواء فؤاد في الساعة 6:41 صباحاً:

"صباح الفل يا حبيبي.. أتمنى تكون بخير والأمور معاك عال.. برجاء سرعة الرد".

رد رجب، أثناء استئنافه لارتداء ملابسه، على رسالة اللواء فؤاد:

"صباح الفل يا مدام ندى، إزي حضرتك، معلش لسه قاري الرسالة حالاً والله!"

ولم تكد تمر خمس دقائق، أكمل فيها رجب ارتداء ملابسه، وجلس خلالها على حافة سريره، وأشعل سيجارة مالبورو بيضاء جديدة، إلا وكان اللواء فؤاد قد ظهر على الماسنجر، وردَّ، وهذا هو نص ما دار بينهما من محادثة نصيّة خلال ذلك النهار:

- ندى عبد العزيز: صباح الفل يا حبيبي، إنت سهرت إمبارح ولا إيه؟!

- رجب: آه والله يا افندم كنت سهران في الزمالك مع جماعة من شباب الدبلوماسيين من السفارة البريطانية. حضرتك إزيك عاملة إيه؟

- ندى عبد العزيز: أنا الحمد لله يا حبيبي في نعمة. مهم قوي الشغل اللي انت بتعمله ده. هابقى أطلب منك بيانات بالتفصيل عن الجماعة دول، بس مش وقته دلوقتي، أنا كنت عاوز أبلغك إنك تحرص النهارده، ويا ريت بلاش خروج بعد العصر.

- رجب: حاضر يا افندم، كتر ألف خيرك على المعلومة، بس ليه يا ترى؟ فيه حاجة؟

- ندى عبد العزيز: الاحتياط واجب، خليك ماشي اليومين دول جنب الحيط عشان العيون كتير والبلد كلها بقت طابور خامس.

- رجب: تمام يا افندم. بس حضرتك ليه النهارده بالذات؟ وليه بعد العصر بالذات؟ إنت عارفني يا افندم وانت اللى مربيني، لو فيه معلومة كده ولا كده مش محتاج أقول لسيادتك إنك تقدر تثق في ابنك!

- ندى عبد العزيز: عارف يا ابني ومتأكد، ده انت ابني يا وله! عشان كده خايف عليك. لا أبداً بس فيه معلومة كده مش مؤكدة لسه 100% إن فيه جماعة بتوضب لمصيبة ممكن تحصل النهارده، ممكن ينجحوا وممكن لأ، بس لو اللي متوقعه حصل يبقى الجيش هاينزل، مؤكد الجيش لازل هاينزل ساعتها.

- رجب: تمام يا افندم، كتر ألف خيرك سيادتك على التنبيه، لأ حاضر طبعاً مش هاخرج النهارده بالليل، يادوب بس هانزل أجيب أكل وسجاير من تحت البيت دلوقتي وهاطلع علطول، أصل التلاجة فاضية هنا في إمبابة.

- ندى عبد العزيز: هو انت مش في شقة القصر العيني؟!

- رجب: لا يا افندم، أنا جيت إمبارح شقة إمبابة.

- ندى عبد العزيز: أنا كنت فاكرك في القصر العيني عشان كده كنت عاوز أنبهك، بس برضو ماتنزلش إمبابة بالليل، الدنيا ممكن تولع في مصر كلها مش في التحرير بس.

- رجب: حاضر يا افندم كتر ألف خيرك.

- ندى عبد العزيز: سبت القصر العيني ليه؟!

- رجب: أصلي مسافر لندن بعد يومين، وقلت أطلع على المطار من هنا أحسن، عشان كمان فيه هدوم ورفايع كنت محتاجها من الشقة هنا.

- ندى عبد العزيز: مسافر لندن! ماقلتليش يعني!

- رجب: سامحني يا افندم معلش والله هي سفرية جت مفاجأة كده، مرجريت هي اللي رتبتها من ورايا وهي اللي جابت الفيزا وكل حاجة عشان عايزاني أقعد معاها في لندن شوية، بس طبعا والله العظيم كنت لسه هافتح اللابتوب وابعت لسيادتك واقولك، مايلزمش أي حاجة من لندن يا افندم؟

- ندى عبد العزيز: أنا متفاجئ من تصرفك ده!

- رجب: خير بس يا افندم حصل إيه كف الله الشر؟

- ندى عبد العزيز: أول مرة تخبي عني معلومة.

- رجب: لا والله يا افندم ماينفعش طبعاً أخبي حاجة على سيادتك، بس أنا والله العظيم تلاتة بالله العظيم ما عرفت إلا من يومين ومن ساعتها وانا ماقعدتش على حيلي خمس دقايق على بعضهم عشان أبعت لسيادتك، عمال ألف وأدور هنا وهناك ما بين القنصلية وشقة القصر العيني عشان أشوف اللي محتاجه منها، والعيال الانجليز بتوع السفارة كانت مرجريت موصياني إني أهتم بيهم وأخرجهم شوية لإنهم لسه جداد في مصر ومايعرفوش حد، وحاجات وتفاصيل تانية كتيرة بتاكل اليوم كله، معلش سيادتك يا افندم ماتزعلش والنبي.. والله العظيم تلاتة بالله العظيم كنت ناوي أبعت لسيادتك النهارده أول ما اصحى من النوم علطول قبل حتى ما اشرب القهوة.

- ندى عبد العزيز: خلاص خلاص ماشي. تروح وترجع بالسلامة.

- رجب: الله يسلمك يا افندم، بجد مايلزمش أي حاجة من لندن؟

- ندى عبد العزيز: لأ. مسافر إمتى؟

- رجب: بعد بكرة الصبح على البريتش إيرويز اللي بتقوم الساعة تمانية ونص.

- ندى عبد العزيز: تبعت لي عن تطورات الوضع في مصر النهارده، من غير ما تنزل، يعني لو حد كلمك في التليفون أو شفت أو سمعت حاجة كده ولا كده.

- رجب: طبعاً يا افندم من غير سيادتك ما تقول، أنا هابقى على اتصال بسيادتك أول بأول على الماسنجر.

- ندى عبد العزيز: ولما اشوفك هايبقى لينا كلام تاني.

- رجب: ليه بس يا افندم، سماح والنبي، معلش غلطة ومش هاتتكرر، سيادتك سيد العارفين: ماعدا السهو أو الخطأ!

- ندى عبد العزيز: ماشي. واعمل حسابك إنك تبقى على اتصال بيا وانت هناك في لندن يوماتي، عاوز أبقى معاك في لندن وانت هناك.

- رجب: تمام يا افندم، أنا والله كنت عامل حسابي على كده من غير سيادتك ما تقول.

- ندى عبد العزيز: مرجريت طولت المرة دي في لندن ليه؟!

- رجب: أصلها قالت لي إمبارح إنها بتفكر تقدم في وظيفة المتحدث الرسمي باللغة العربية في الخارجية البريطانية، قالت إنها عرفت من يومين إن المنصب فضي وفتحوا باب الترشيح.

- ندى عبد العزيز: بتتكلم جد؟!

- رجب: أنا اتفاجئت زي سيادتك كده والله.

- ندى عبد العزيز: يبقى أكيد عايزاك هناك تساندها وتساعدها وهي بتحضر للامتحانات والمقابلات، لأ ربنا يوفقها إن شاء الله. دي خابطة جامدة قوي يا وله!

- رجب: الحمدلله يا افندم بس ادعي لها يا افندم تنجح إن شاء الله وتاخد المنصب، أنا يا افندم بقالي معاها سنتين والله وسيادتك عارف.

- ندى عبد العزيز: لا إن شاء الله خير، البت مايتخافش عليها، هاتنجح إن شاء الله. طيب كده بقى يبقى لازم أأكد عليك تاني وتالت ورابع إنك تبقى يوماتي على اتصال بيا وانت هناك، لازم يا رجب، دي مافيهاش هزار!

- رجب: لا والله العظيم هابقى مع سيادتك ساعة بساعة، مافيش أهم من كده يا افندم.

- ندى عبد العزيز: وكل احتياطات الأمن اللى انت حافظها تضاعفها مرتين وتلاتة كمان وانت هناك. البنت العين هاتبقى عليها، وهايبقى فيه تحريات عنها من الـ MI5 تحريات مكثفة جداً

عنها هي وأهلها واصحابها واللي حواليها وانت مش هاتحس بأي حاجة دول ناس بروفيشينال جداً جداً، فأمنك الشخصي أولوية أولى.

- رجب: تمام يا افندم، ألف شكر إنك لفت نظري لده. طب كده يا افندم لو اتأخرت شوية عن سيادتك يبقى أرجوك إعرف إنه مش تقصير ولا نسيان ولا حاجة ولكن لإني حاسس إنه مش أمان ساعتها إني أبعت لسيادتك.

- ندى عبد العزيز: مفهوم، بس ده مش مبرر إنك تحلق لي!

- رجب: ها ها هه العفو يا افندم ماتقولش كده هو انا أقدر!

- ندى عبد العزيز: ماشي، خلي بالك من نفسك وزي ما قلنا.

- رجب: تمام يا افندم، هابقى على اتصال بسيادتك النهارده عشان التطورات في مصر، وعلى اتصال بسيادتك وانا في لندن أول بأول.

- ندى عبد العزيز: تمام. مش عايز حاجة من أبو ظبي؟

- رجب: كتر ألف خيرك يا افندم خير سيادتك مغرقني.

- ندى عبد العزيز: طيب يا حبيبي مع السلامة دلوقتي يلا روح وضب حاجتك عشان السفر.

- رجب: تمام يا افندم مع ألف سلامة سيادتك.

ومسح رجب الرسالة فوراً من على الماسنجر.

-3-

كانت الساعة السابعة وثلاث دقائق حين دخل رجب من باب شقته عائداً من سوق إمبابة، بعد أن ابتاع معظم ما يحتاجه قبل السفر إلى لندن، ومعظم ما طلبته مَرجريت. تجدر الإشارة هنا إلى أن رجب، ومنذ رسالة اللواء فؤاد التي قرأها في الصباح على الفيسبوك، ثم محادثتهما النصية التي أعقبت ذلك، لم يكف عقله عن التفكير فيما سيحدث في البلد من أمر جلل جعل اللواء فؤاد يلح عليه في التزام البيت اليوم وعدم الخروج.

أغلق رجب باب الشقة، ووضع أكياس المشتروات على الفوتيه الأقرب إلى الباب بصالة البيت، وأخرج من الجيب الخلفي لبنطلونه الجينز الأمريكاني الأصلي ماركة ليفز هاتفه المحمول الآي فون الأمريكاني الصيني الألماني الياباني الكوري الجنوبي؛ وهي الدول المشاركة في صنع موبايلات الآي فون؛ ولعلك تعرف أن الصين قد اختصتها أبل في هذا المقام بالعمل البدني الكثيف المرهق الذي يتطلب كثافة في الأيدي العاملة التي تستغلها، بل وتستعبدها، شركة أبل في مصانعها في الصين؛ وهي المصانع التي يُقال إنها مسوَّرة سرية لا يستطيع أحد أن يعرف ماذا يحدث بداخلها، اللهم إلا إذا اشتكى أحد العاملين السابقين فيها وأوضح لنا جزءًا من الصورة، وهي صورة شديدة القتامة والبؤس لأوضاع العمال هناك، وجدير بالذكر أن الحكومة الصينية تغض النظر عن كل هذا، وقد تستغرب أن يحدث غض البصر هذا، والحياء ذاك، من قبل الحكومة الصينية الشيوعية، والتي يفترض أنها أكثر الناس حرصاً على حقوق العمال وكرامة العمال والدفاع عنهم ضد كل رأسمالي مستغل جشع؛ لكن أحد الأذكياء قد لاحظ منذ فترة أن الصين الآن ليست شيوعية، ولا هي رأسمالية أيضاً، وإنما هي سوق، سوق كبير جداً جداً جداً، سوق العالم العظيم، وهي لهذا مثلها مثل أي سوق؛ مثل أي بقال، أو جزار، أو خضرواتي، أو فكهاني، أو سمَّاك، أو حلواني، أو صرماتي، أو موبايلاتي، أو صاغاتي مجوهراتي، أو لبَّان، أو خردواتي، أو عطار، أو صاحب دكان أجهزة كهربائية إلكترونية، أو أقمشة وملبوسات، أو تسالي وحلويات، أو بن وشايات، أو ريسيفر ودشات، أو سندوتشات، أو فول وفلافلات، أو آيس كريمات، أو خبز وفطائر، أو طيور ودواجن، إلى آخر هؤلاء من المستغلين الجشعين الذين دأبوا على وضع أيديهم في جيوب الناس، أما باقي الدول المشاركة في تصنيع الآي فون، فإنها تختص بالأجزاء الصغيرة جداً من التليفون، والأكثر حساسية في نفس الوقت، والأشد سريّة، حتى إنه يُقال إن مصنع الآي فون

بألمانيا، على سبيل المثال، يختص بتصنيع شيء ما من أجزاء الهاتف لا تستطيع العين المجردة رؤيته من فرط صغره، وغني عن البيان طبعاً، وأنت سيد العارفين، أو سيدة العارفات، أن عمال شركات أبل في تلك الدول؛ أي في أمريكا وألمانيا واليابان وكوريا الجنوبية، يحصلون على حقوقهم ثالث ومثلث، ورابع ومربع، وخامس ومخمس، بالرغم من أن هذه الدول هي أيضاً أسواق، بل وأسواق أقدم كثيراً من السوق الصيني، ومن جانبنا لا نستطيع الجزم تماماً بالسبب في التفرقة بين العمال الصينيين الغلابة المجحوفة حقوقهم وبين العمال في تلك الدول المستريحة، ولكن لعل ما يمكن استنتاجه من أسبابا في هذا المقام هو أن اتحادات العمال في الدول الغربية أقوى من أن تسمح لشركة أبل باستغلال أعضائها، ولم تخلع اللباس بعد لأبل ولغيرها من الشركات الكوكبية العابرة للقومية.

قرر رجب أن يتصل بغادة الحسيني المذيعة في قناة الحياة الفضائية؛ الثلاثينية، والتي ينام معها من حين لآخر كلما سنحت له الفرصة، من وراء ظهر مَرجريت بالطبع، وكلما اشتاق إلى الجسم البلدي المصري الخمري البض الطري ذو المقدمة الحضارية العظيمة والمؤخرة التاريخية الكبيرة، لا سيما وأن شعرها الآ لا جارسون الأسود اللامع الكثيف كان يزيد من أنوثتها وإغرائها في نظره، هذا بعد أن كانت السيدة غادة الحسيني قد اتصلت به ثلاث مرات وهو في سوق إمبابة، وفضل حينها عدم الرد عليها وهو منهمك في الشراء والفصال، وقال في نفسه: "أبقى اكلمها على رواقة لما ارجع البيت".

- رجب: سوسو حبيبتي مساء الفل إزيك يا قمر؟

- غادة الحسيني: إيه يا ابني انت فين أنا بحاول أكلمك؟!

- رجب: معلش لسه شايف التليفون دلوقتي! أصلي كنت في الشارع والتليفون ع السايلنت.

- غادة الحسيني: في الشارع بتعمل إيه؟! مش اللوا فؤاد قالك ما تخرجش!

- رجب: آه آه، لأ أصل سجايري خلصت فنزلت أجيب سجاير، خير فيه إيه؟!

- غادة الحسيني: يا ابني الدنيا والعة يا ابني إنت مش حاسس ولا إيه؟!

- رجب: خير فيه إيه؟!

- غادة الحسيني: إنت ماتفرجتش على الماتش؟!

- رجب: الأهلي والمصري! لأ ماشفتوش، بس لما كنت تحت كنت شايف المصري كسبان، خير فيه إيه؟! ماله الماتش؟!

- غادة الحسيني: يا ابني ده ألترس المصري نازل دبح في ألتراس الأهلي!

- رجب: لا مش معقول! مش للدرجة دي يعني!

- غادة الحسيني: يا ابني زي ما بقولك كده، الفيديوهات اللي واصلة دلوقتي في منتهى البشاعة!

- رجب: حصلت خناقة بين الجمهور؟

- غادة الحسيني: مش خناقة يا ابني، بقولك جمهور المصري نزل دبح في جمهور الأهلي!

- رجب: غريبة قوي! بس ده المصري كان كسبان الماتش! إيه السبب، ماتعرفيش؟

- غادة الحسيني: بيقولوا ألتراس الأهلي رفعوا يافطة مكتوب عليها بلد البالة ماتجبش رجالة، فألتراس المصري هاج وجري على مدرجات الأهلاوية ورمى العيال من المدرجات، والسلاح الابيض والمطاوي طلعت بقى ونزلوا دبح في الأهلاوية، دي المعلومات اللي جاية من هناك بتقول إن الضحايا من ألتراس الأهلي بالمئات مش بالعشرات!

- رجب: يا نهار اسود! هو كان فيه شد بين الجمهورين من قبل الماتش، بس ده عادي اليومين دول، حصلت قبل كده في ماتش في ستاد المحلة أظن لكن يوميها الموضوع اتلم، إيه اللي وصل الأمور للدرجة دي، طيب والأمن كان فين؟!

- غادة الحسيني: الأمن ماقدرش يسيطر على الجمهور، دول اللي كانو هناك بيقولوا إن النور اتطفى فجأة، النور بتاع الاستاد كله، والاستاد بقى ضلمة كحل، وبعدين ألتراس المصري هجم على الأهلاوية.

- رجب: الله الله الله! دي متوضبة بقى! طب واللوا فؤاد إيش عارفه بحاجة زي كده! توقع دهه إزاي يعني! ده قاعد في آخر الدنيا في أبو ظبي!

- غادة الحسيني: ماعرفش بقى والله أعلم.

- رجب: يا نهار اسود! ضحايا بالمئات! جرحى ولا فيه ناس ماتت؟

- غادة الحسيني: لأ دول اللي ماتوا، الجرحى زمانهم في طريقهم لمصر دلوقتي، العيال اللي مروحين من هناك بيقولوا إن اللي زاد في عدد الضحايا إن أبواب الاستاد اتقفلت عليهم عشان ما يعرفوش يهربوا، وحصل تدافع طبعاً وكده عشان الناس كانت بتحاول تنفد بجلدها قبل ما تندبح! يعني البيبان مقفولة من قدام وجمهور المصري من ورا بالسكاكين والمطاوي!

- رجب: يا نهار اسود!

- غادة الحسيني: دي عربيات الأسعاف في بورسعيد عمالة تشيل في جثث من الاستاد وتودي ع المشرحة! أهالي العيال رايحين على هناك والدنيا أكيد هاتولع! فيه فيديوهات اترفعت دلوقتي على اليوتيوب لأهالي العيال وهما في السكة لبورسعيد.

- رجب: يبقى أكيد الجيش هايعلن الأحكام العرفية وينزل الشارع، زي ما توقع اللوا فؤاد بالضبط! طب والوضع إيه في القاهرة ماتعرفيش؟

- غادة الحسيني: فيه معلومات إن ألتراس الأهلي شايط ومتجمعين قدام النادي الأهلي والناس بتقول إن العيال في حالة هستيرية، أكيد الدنيا هاتولع!

- رجب: بلد البالة ماتجبش رجالة! إخص! مين اللي رفع اليافطة دي!

- غادة الحسيني: ألتراس الأهلي يا ابني مانا قولتلك!

- رجب: أيوه بس مش منطقية خالص! إنتي رايحة ضيفة عندهم يعني مش في ملعبك، تقومي تستفزيهم بحاجة زي كده! وإنتي أصلاً من الأول عارفة إن الدنيا والعة بينك وبينهم، وكان حسب ما انا فاكر فيه مناوشات وقلة أدب على السوشيال ميديا بين الجمهورين قبل الماتش، فتقومي وانتي عندهم في ملعبهم ترفعي يافطة بالشكل ده! طق، مش منطقية خالص يا سوسو مش داخلة دماغي،

مش قادر اشتريها!

- غادة الحسيني: إنت بتقول كده عشان أهلاوي.

- رجب: لأ والله بغض النظر، طب بذمتك إنتي بلعاها؟! حطي نفسك مكانهم كده وفكري، وانتي في استاد المصري وسط جمهور المصري ممكن ترفعي يافطة بالشكل ده!

- غادة الحسيني: بص حسابات الألتراس ودماغهم بتبقى حاجة تانية، دول عيال صيَّع أصلاً مخهم وفاضي مايقدروش المسؤولية، ممكن جداً بعد ما حسوا إنهم مش هايقدروا يكسبوا الماتش رفعوا اليافطة من الغيظ أو تحفيل أو أبصر إيه اللي بيقولوا عليه ده!

- رجب: صيَّع إيه بس يا سوسو دول فيهم دكاترة يا بنتي! طق، مش عارف والله يا سوسو، برضو مش قادر أشتري الكلام ده، مش مقنع! يا بنتي العك عمال يزيد كل يوم ويطفح من كل حتة! اللي يخرب بيوتكم!

- غادة الحسيني: مين اللي يخرب بيوتهم؟

- رجب: البلد كلها بنت دين الكلب دي!

- غادة الحسيني: (كلام نستحي من ذكره)

- رجب: (كلام نستحي من ذكره)

- غادة الحسيني: (كلام نستحي من ذكره)

- رجب: (كلام نستحي من ذكره)

ثم عرج رجب والسيدة غادة الحسيني في حديث جنسي نستحي من ذكره، واتفقا على اللقاء في شقته في صباح الغد لأغراض نستحي من ذكرها.

-4-

المكالمة التليفونية التي بدأت أولياتها كمحادثة هاتفية مهنية احترافية بروفِشينالية بين اثنين من مرشدي جهاز مباحث أمن الدولة المصرية، انقلبت في نهايتها إلى دردشة جنسية شبقية حسية هاج خلالها كلاهما على بعضهما البعض. ولما كان من المستحيل عملياً أن يتقابلا في هذه الليلة بالذات، خصوصاً بعد تحذيرات اللواء فؤاد لكليهما بأن يلزما بيتهما، ونظراً للظروف الغامضة التي تمر بها البلاد في هذه الليلة، ورغبة من كلاهما في تتبع الأخبار ومعرفة المصير قريب الأجل للتنبؤ بالمصير بعيد الأجل، ولعله لأسباب أخرى أيضاً تتعلق بكل منهما، فقد علمنا، مثلاً، أن اليوم كان هو اليوم الأخير في الدورة الشهرية للسيدة المذيعة غادة الحسيني، وبالتالي لم يكن من الممكن أن تنام مع رجب، ولعل هذا يفسر سبب هيجانها القوي ورغبتها في الجنس، أما بالنسبة لرجب فقد كانت المصائب، وخصوصاً المصائب والكوارث القومية والوطنية والعامة، تثير شهوته الجنسية كثيراً، نهايته، اتفقت السيدة غادة الحسيني المذيعة مع رجب على أن تمر عليه في شقته في إمبابة في صباح اليوم التالي، في تمام الساعة السابعة صباحاً، أي قبل أن تذهب إلى عملها لتقديم برنامج الظهيرة في قناة الحياة المصرية، والذي كانت تحب كثيراً أن تقدمه، أي أن تخرج على الهواء مباشرة للسيدات والسادة المشاهدين الكرام، وهي ملتاثة ومتعاصة بلبن رجل، حيث علمنا من مصدرين موثوق بهما أن السيدة غادة الحسيني المذيعة كانت تتعمد عدم تنظيف نفسها بعد الجماع الصباحي مع الرجال الذين تزورهم في شققهم، لأن الأمر كان يمثل لها متعة كبيرة أن تخرج على المشاهدين على الهواء وهي وسخة. أما بالنسبة لرجب فقد قال في نفسه: "أشبع شوية من الكس المصري قبل ما اسافر، ماحدش عارف هاندوقه تاني إمتى!"

وكان رجب على علم بموضوع أن السيدة غادة الحسيني المذيعة كانت غاوية الظهور على الشاشة وهي ملتاثة بمني الرجال، وكان، في المرات التي لا تكون فيها متسخة بلبنه هو شخصياً، يحده الفضول دائماً ويتسائل وهو يشاهد برنامجها الظهيري: "يا ترى متعاصة بلبن مين النهارده يا سوسو؟!"

كان رجب لا يأخذ راحته تماماً، ولا يكون على سجيته مئة بالمئة، مع السيدات من معارفه، لأنه كان حريصاً على المحافظة على الصورة والهالة والهيئة وكل ذلك، اللهم إلا مع الشراميط والعاهرات، أو سيدات الصدفة من المتناكات اللائي يلتقي بهن مصادفة بدون سابق معرفة، وحتى

هؤلاء كان لا يترك نفسه تماماً على سجيتها، لأنه لا يضمن إن كن مدسوسات عليه، أو لعل الصدف، أو المخططات، ترميهن في طريق معرفة من معارفه، فيرحن يثرثرن، والنساء عموماً غاويات ثرثرة، فتنكشف أسراراه الجنسية لمن لا يعلم هويتهم إلا الله. أما بالنسبة للسيدة غادة الحسيني المذيعة، فكان الحال نقيض ذلك، لأن رجب كان يأخذ راحته معها تماماً، بلا أي تحفظات من أي نوع، وكان يقول فيه نفسه: "هاتكسف ولا أخاف من إيه! ما اللي هاحاول أخبيه قدامها الجهاز كله أكيد عارفه بالتفصيل، وبتفاصيل التفاصيل كمان!" ولذلك، كان رجب لا يترك فرصة، أو شبه فرصة، للقاء بالسيدة غادة الحسيني المذيعة، إلا وينتهزها ويقفز عليها فوراً، لأنه إلى جانب كونه يترك نفسه معها على سجيتها تماماً، كانت الست تمتعه وتكيفه وتبسطه.

ونحب أن نقول في هذا المقام أن السيدة غادة الحسيني المذيعة ليس اسمها غادة ولا الحسيني، فأنت، كما لا يخفى عليك، تعلم وتقدر أن هذه أعراض ناس وشرف سيدات وكل تلك الأشياء، ولن يكون من باب الذوق أو الأخلاق أو اللباقة أن نذكر الاسم الحقيقي للسيدة الفاضلة غادة الحسيني المذيعة. أما غير ذلك، فكل المعلومات التي قدمناها إليك معلومات صحيحة مئة بالمئة، لا يداخلك أي شك في هذا، ومن ضمنها، وفي أولها، أن رجب كان يترك نفسه على سجيتها تماماً مع السيدة غادة الحسيني المذيعة، التي هي ليست غادة ولا حسيني، ولكن بالتأكيد مذيعة، وتتمتع بجسم بلدي مصري خمري بض طري، وتتعالى بمقدمة حضارية عظيمة ومؤخرة تاريخية كبيرة، وشعرها آ لا جارسون أسود لامع كثيف يزيد من أنوثتها وإغرائها في نظر رجب.

وكانت مسألة أخذ الراحة، وترك النفس على سجيتها وطبيعتها وهواها، مشترك بين الاثنين؛ رجب، والسيدة غادة الحسيني المذيعة؛ فقد كانت هي الأخرى، تترك نفسها على هواها مع رجب، وعلى الآخر، بل وعلى آخر الآخر، ولنفس السبب أيضاً، وهو أن كل الجهاز يعلم بأدق الخصوصيات، والتفضيلات، والأهواء الجنسية، والأوضاع المستحبة للسيدة غادة الحسيني المذيعة. ولعل هذا ليس غريباً؛ أي أن يعلم ضباط مباحث أمن الدولة أسراراً حميمية مثل تلك، ففي النهاية، وفي البداية، وفي الوسط، كان كلاً من رجب والسيدة غادة الحسيني المذيعة يعملان في قسم المندوبين والمندوبات، أو قسم الشراميط والشرموطات إن أحببت، وهي إدارة مهمة جداً في مباحث أمن الدولة المصرية، وأيضاً في المخابرات العامة المصرية، بل وفي كل مباحث أمن دولة ومخابرات في العالم، من أول السي آي إيه إلى الموساد مروراً بالوكالات المناظرة والشبيهة في

الصين وروسيا وإنجلترا وفرنسا والشرق والغرب والشمال والجنوب والعرب والعجم إلى آخر هؤلاء. وغني عن البيان، ولكونها إدارة مهمة جداً في عوالم المخابرات، كان يُكلف بها أهم الضباط، وأذكائهم، وأكثرهم دهاءً، وحنكة، وأخطبوطية، ولن يكون من قبيل الأسرار أن نقول لك إن السيد الفاضل صفوت الشريف؛ أشهر وأقوى وزير إعلام مصري، وأهم أعمدة الحزب الوطني المنحل، والأكثر نفوذاً بين حاشية الرئيس المتنحي محمد حسني مبارك، شغل هذا المنصب لعدة سنوات؛ أي رئيس قسم المندوبين والمندوبات، أو قسم الشراميط والشرموطات، في جهاز المخابرات العامة المصرية السيادي المحترم، وهو نفسه من أشرف إشرافاً شريفاً للغاية، وضغط ضغطاً قوياً للغاية على سعاد حسني لتجنيدها في الجهاز، حتى أصيبت المسكينة بالفزع والرعب والهلاوس، وفقدت ثقتها في الناس والبشر والشرف والنخوة، وهو أيضاً من حاول كثيراً، ولكن بلا نجاح يذكر، مع برلنتي عبد الحميد، رحم الله الجميع وغفر لهم ولهن وأسكنهم فسيح جناته.

كان ما يقوم به رجب، وما تقوم به السيدة الفاضلة غادة الحسيني المذيعة، هو ما يُطلق عليه في عالم المخابرات والجاسوسية "الفخ المعسول"؛ والذي يعني في جوهره: الحصول على المعلومات عن طريق الفروج الأمامية والفروج الخلفية؛ أي الكس والزب والطيز، حفظ الله مقامكم وستركم.

ومن صور أخذ الراحة، وترك النفس على سجيتها، ومن باب ضرب الأمثلة فقط لأن التفاصيل تطول وتطول في هذا الباب، كان رجب يسمح، بل ويستمتع ويستلذ، حين تقوم السيدة غادة الحسيني المذيعة ببعبصته في طيزه وهو فوقها، ولم يكن يسمح بهذا من غيرها أبداً، وكان يثيره منها أيضاً السب والشتيمة، وخصوصاً السب بالأم وسيرتها غير الشريفة، والسب بالألفاظ الأخرى التي تؤذي وتجرح الرجولة؛ من قبيل: يا خول، يا معرص، يا متناك يا للي بتتركب من طوب الأرض يا عَجلة. كما كان رجب يستمتع كثيراً ويستلذ حين يركب السيدة غادة الحسيني المذيعة من الخلف أن تقول له بصوت عال: نيكني يا خول زي الرجالة ما بتنيكك! كيفني يا شرموط زي ما بتتكيف! إعمل فيّا زي ما بيتعمل فيك، وانت يا ما بيتعمل فيك يا عَجلة يا بتاع الرجالة! عارف تكيف طيزي يا متناك! طبعاً ما انت خبرة، بتعمل فيّا زي الرجالة ما بتعمل فيك، شاطر يا واد، أقرص كمان زي ما بيتقرص عليك، إدفس كمان زي ما بيدفس فيك، إحشيني زي مابتتحشي يا خول! إلى آخر هذا.

وكان رجب، هو الآخر، لا يدخر سباً أو شتيمة في نفسه إلا ويسب بها السيدة غادة الحسيني المذيعة، خصوصاً وهو يعتليها من الخلف، ودائماً ما كانت معظم معاشراتهما معاً من الخلف، لمزاج خاص لدى رجب، ومزاج خاص لدى السيدة غادة الحسيني المذيعة أيضاً. فكان رجب، على سبيل ضرب الأمثلة يقول لها: زوبري في طيزك يا خول، يا محلى طيزك يا سيد، حبيبي يا سيد، حبيبي يا الخول بتاعي (ذلك أنه كان يناديها باسم رجالي حين يلجها من الخلف)، زوبري شمعة طيزك فانوس (شخرة) وحوي يا وحوي، طيزك ضيقة يا واد (شخرة) أوسعهالك، يا محلى صرمك يا ابيض يا طري يا بتاع الرجالة، يا محلى شرفك يا فلان (وفلان هذا هو زوج السيدة الفاضلة غادة الحسيني المذيعة، والتي كان يثيرها كثيراً من رجب أن يسب زوجها وشرفه وعرضه وهو فوقها، وبالطبع نستأذنك في عدم ذكر اسم الزوج المسكين، الذي لا ذنب له في كل هذا العك، فهذه مسألة أعراض ناس وشرف أسر، وأنت سيد العارفين أو سيدة العارفات)، يا محلى مراتك يا (فلان)، يا محلى شرفك يا (فلان)، بنيك شرفك يا (فلان)، زيتنا في دقيقنا مراتك مراتي يا (فلان)، زيتنا في دقيقنا مراتك شِرك بينا يا (فلان)، مكني من مراتك يا (فلان)، في طيز مراتك يا (فلان)، مراتك بتتركب من ورا يا (فلان)، الرجالة بتركب على طيز مراتك يا (فلان)، طيز مراتك بتتحشي يا (فلان)، وكذا، وكذا، وكثير غيرها.

كما كان يحلو لرجب أن يستدعي كماً مهولاً يحفظه عن ظهر قلب من الأقوال المأثورة ويحرفها لتناسب الوضع والموقف والبوزيشن، كما كان يحفظ أيضاً عن ظهر قلب بعض الجمل من الأغاني المصرية الشهيرة، ويوظفها هي أيضاً أثناء الجماع والنكاح والنيك واللواط واللحس والتقبيل والتلييط، من قبيل: حطة يا بطة يا فلفل شطة، إطحن بن وولع نار، (شخرة) قشطة مربى، لبن صباحي وحليب (بالذات وهو يرضع من بزاز السيدة غادة الحسيني المذيعة)، شجرة فاكهة يا محلى البستان يا محلى ريحته يا جمال الألوان بَنور مشطوف (شخرة) سكر معقود (بالذات وهو يلحس للسيدة غادة الحسيني المذيعة من الأمام ومن الوراء)، مسك وعنبر (وهو يشم كسها) شهد مكرر (وهو يلحسه)، عنابي يا كس الحليوة، طيزك تروي وتشبَّع سنتين، شد لحافك نام واتغطى، الحب كده (بالذات حين تطلب منه ألا يقسو وأن يأخذها بالرحة)، شربات وخشاف (شخرة) تتاكل حاف (بالذات وهو يعضها من رمانة كتفها أثناء نيك الطيز)، زوبري كمنجة طيزك العود، وهلم جرا.

كان هذا هو مخطط رجب لصباح اليوم التالي، أما فيما يتعلق بالمخطط المسائي لتلك الليلة، فقد شرع، وفور انتهاء المكالمة مع السيدة غادة الحسيني المذيعة، بهمة ونشاط وانشراح وحيوية وأمل كبير جداً في مستقبله المهني والإنساني والعلاقاتي، في تتبع آخر الأنباء بخصوص مذبحة ستاد بورسعيد؛ في القنوات الفضائية على شاشة جهاز التلفزيون في شقته بإمبابة؛ والذي كان 21 بوصة ماركة جولدي رتش من مجموعة شركات بهجب (أو الشركة العالمية للأجهزة الكهربائية؛ والتي كانت كل منتجاتها صناعة ماليزية وتجميع مصري)، كما فتح جهاز اللابتوب الخاص به؛ ماركة إتش بي بنتيوم M إنتل إنسايد (وكان سامح شكري يحلو له أن يردد ساخراً: إنتل إنسايد إديوت آوتسايد) ذو الشاشة الـ 15 بوصة خريج مصانع الصين، وراح يتنقل ما بين التلفزيون واللابتوب، مجمعاً أكبر قدر ممكن من المعلومات من كل الجهازين، وبرغم ذاكرته الحديدية الفوتوغرافية الوثائقية الفيلية، إلا أنه آثر مع ذلك أن يدون في نوتة كل المعلومات التي يحصل عليها من الأخبار، فلك أن تتخيل مدى أهمية المسألة بالنسبة له، ومدى أهمية الدقة الشديدة جداً، ما دام الولد المشهور بالذاكرة الحديدية قد قرر عدم الاعتماد فقط على ذاكرته التي يعلم هو شخصياً وأكثر من أي أحد آخر مدى قوتها ودقتها، وهي من المرات النادرة للغاية في السنوات الأخيرة التي يستعين فيها رجب بالورقة والقلم في تدوين ملاحظات أو معلومات مهنية.

وقد قرر رجب، فور أن علم من السيدة غادة الحسيني المذيعة بنبأ وقوع مذبحة الاستاد، أن يرسل تقريراً مفصلاً وافياً شاملاً لمَرجريت في لندن، حتى تكون البنت على علم بآخر المستجدات، وبالوضع في البلد، خصوصاً وأن هذا يقع في صميم صميم اختصاصاتها، بوصفها المتحدثة الرسمية باللغة العربية لوزارة الخارجية البريطانية، كما قرر أيضاً أن يكتب التقرير على نحو احترافي بأقصى قدر يستطيعه، وبالرغم من أنه قد أزمع أن يكون التقرير شاملاً ووافياً ومفصلاً، إلا أنه أزمع، في نفس الوقت، أن يكون مختصراً قدر ما يمكن، كدليل وشاهد وقرينة على مدى احترافيته، وتذكر في هذا المقام القول الذي سمعه أكثر من مرة من محب ذكي، بالرغم من أنهما كانا لا يطيقان بعضهما البعض: "لِس إز بتر"، ثم تذكر بعد هذا التذكر مباشرة، وفي عملية تداع للمعاني، أن سامح قد قال له مرة إن تشرشل كتب لأحد أصدقائه رسالة طويلة جداً جداً جداً، ثم ختمها في النهاية بهذه العبارة: "عذراً على الإطالة، لإن وقتي كان ضيقاً"؛ وهذا دليل ولاشك على أن الاختصار؛ أي البلاغة، تتطلب وقتاً للمراجعة والحذف والإضافة والتعديل، وتتطلب جهداً واهتماماً بالمادة المكتوبة، وبالشخص المُخاطَب.

تجدر الإشارة أيضاً، في هذا الصدد، إلى أن رجب قد قرر ألا يحتوي التقرير على أي شيء شخصي، خصوصاً في تفاصيل العلاقة بينه وبين مَرجريت، لأنه توقع، وربما كان يأمل من كل أعماق قلبه، أن تطلع مَرجريت رؤسائها على هذا التقرير، وبهذا يصبح التقرير جزءًا من الأرشيف البريطاني؛ سواء أرشيف وزارة الخارجية فقط، أو أيضاً أرشيف الإم آي سكس، لذلك قرر أن يكتب التقرير ونصب عينيه أنه يكتب للتاريخ، يكتب شيئاً لن يُمحى أبداً، شيئاً سيصبح مادة للاطلاع من قبل آخرين في المستقبلين القريب والبعيد؛ من هذا الباب يمكن فهم لماذا لم يُضمِّن رجب في رسالته الإلكترونية لمَرجريت عبارات حب وغزل واشتياق، أو مداعبات بريئة أو غير بريئة، أو أخبار عن الأصدقاء والمعارف في القاهرة، أو حتى ما اشتراه لها وسيحضره معه إلى لندن.

لم يكن رجب يمانع إطلاقاً في أن يعمل كـ "دوبل فيس"؛ أي عميلاً مزدوجاً، بل إن أردنا الحق كان الولد يمني نفسه بهذا، وكان قد سمع توفيق سرور، الشهير في وسط البلد بـ "تلفيق شرور"، يقول مرة إن رأفت الهجان؛ أي رفعت الجَمَّال، كان عميلاً مزدوجاً يعمل لصالح مصر ولصالح إسرائيل في نفس الوقت، ومن جانبنا لا نستطيع أن نؤكد أن ننفي هذه المعلومة التلفيق شرورية، فليس لدينا من المعلومات ما يؤكدها أو ينفيها، كما أنه ليس لدينا أي مصلحة في ترجيح أي منهما، وإن كان الثابت والمستقر والشائع لدى العامة أن السيد رفعت الجمال كان يعمل لمصلحة مصر طبعاً، ولعله يكون قد أعطى، في مرحلة ما من مراحل عمله مع المخابرات العامة المصرية، معلومة أو معلومات للإسرائيليين، وقد يكون هذا بعلم، بل وبتوجيه وتخطيط من المخابرات المصرية، حتى يثق به الإسرائيليون، وفي هذه الحالة ستكون هذه المعلومات، ولا بد، من فئة المعلومات التي من الدرجة الثانية، والتي لا تؤثر كثيراً على الموقف الاستراتيجي المصري، والتي قد يكون الموساد قد حصل عليها بشكل أو بآخر من أحد مصادره الأخرى الجاسوسية.

على أي حال، كان رجب يطمع في أن تكلفه المخابرات البريطانية بأي عمل، خصوصاً وهو رفيق المتحدثة الرسمية باللغة العربية لوزارة الخارجية البريطانية، وقد يكون عما قريب زوجها رسمياً، إن نجح في تحبيلها، وكان يقول في نفسه ما معناه: "مصر الآن ليست في حالة حرب مع أي أحد، أنور السادات قال إن حرب أكتوبر هي آخر الحروب مع إسرائيل، وما دامت مصر لن

تحارب إسرائيل، فهي لن تحارب أي أحد آخر، نحن في سلام مع الجميع، فليس هناك مانع إذن من أن يبحث كل شخص عن مصلحته، ثم من قال إن مصلحتي تتعارض مع الأمن القومي المصري؟! يا ما رأيت بنفسي كيف يتخذون قرارات، ويكلفوننا بمهام، هي في جوهرها ضد الأمن القومي المصري، وضد مصالح البلد، بل ومنافية للإنسانية في عمومها! من قال إنهم أحرص مني على مصلحة البلد، إن شاء ربنا وأكرمني بشغل مع الإم آي سكس أو الإم آي فايف أو أي جهاز مخابرات آخر، سوف أكون بالتأكيد أكثر حرصاً من كل هؤلاء الخولات على مصلحة مصر، سوف أنتقي بين ما يُقال وبين ما لا يُقال، وسوف أنحاز لما أراه في صالح مصر، وبالتأكيد ستكون اختياراتي أفضل مليون مرة من طريقة عمل ضباط أمن الدولة المنايك، يا عم في أول اختبار حقيقي للرجال ولمعدنهم هرب ابن الشرموطة على الإمارات وترك البلد سداح مداح لشوية عيال! كس امكو، كس امين امكو!"

ولما انتهى رجب من أبحاثه على الإنترنت والتلفزيون، واطمأنت نفسه إلى أنه بات يعرف كل ما يجب أن يُعرف من أخبار بشأن الحادثة المؤسفة، شرع من فوره في كتابة التقرير، ثم راجعه مرتين اثنتين، حتى عافت نفسه مراجعته مرة ثالثة، وقد اطمأن تماماً على المضمون والمتن، وعلى الصياغة والأسلوب، بالطبع كان التقرير باللغة الإنجليزية، بل وبأرقى ما يمكن للإنجليزية أن تكون عليه، فقد استثمر رجب، وطيلة سنوات عديدة، الكثير والكثير من الجهد والوقت ومجاهدة النفس حتى يتقن الإنجليزية بأفضل مما يتقنها عموم الإنجليز أنفسهم؛ فقرأ الكلاسيكيات في المسرح والأدب والشعر، بل وتعلم اللهجات والنبرات المختلفة؛ كلهجة أهل أيرلندا، وأهل سكتلندا، وبعضاً من لغة أهل ويلز التي لا يتقنها حتى أغلب الويلزيين أنفسهم، للدرجة التي صارت مَرجريت تستعين به اليوم في مراجعة وتصحيح ما تكتبه بالإنجليزية، لتتأكد من سلامة القواعد النحوية، وجمال الأسلوب الأدبي.

وبعد أن أعجبه ما صنعت يداه، أرسل التقرير فوراً إلى الإيميل الرسمي لمَرجريت بوزارة الخارجية البريطانية، ثم قرر أن يكافئ نفسه بوجبة عظيمة من الدجاج المقلي المقرمش خارجياً الهش الطري داخلياً من كنتاكي، خصوصاً وأن لديه موقعة جنسية عظيمة لذيذة في صباح اليوم التالي، وبالتالي فهو بحاجة إلى الطاقة والدسم والفيتامينات والبروتينات، فطلب بالتليفون الأرضي جردل كنتاكي؛ وهي الوجبة التي تتكون من 12 قطعة دجاج مقلي بالخلطة السرية، وسلطة كول

سلو، وباكت بطاطس فرنش فرايز (والتي يصر سامح شكري على نطقها "بلجم فرايز"، لأنه يؤمن إيماناً جازماً بأن هذا الوصفة من البطاطس هي اختراع بلجيكي في الأساس وفي الأصل، وأن الفرنسيين سرقوها من البلجيك ونسبوها زوراً لمطبخهم، ولذا كان يحب سامح أن ينتصر للحق والعدل والإنصاف، وألا يدعم لصوصية الفرنسيين وتزويرهم بتكريره كالببغاء "فرنش فرايز")، وست قطع خبز باتي بان، ولتر ونصف ببسي أو سفن أب (وكان رجب يختار، في كل مرة يطلب فيها وجبة الجردل، الببسي).

وإليك الترجمة العربية لما كتبه رجب بالإنجليزية في تقريره لمَرجريت بخصوص مذبحة ستاد بورسعيد التي وقعت في الأول من فبراير عام 2012، والتي تتزامن مع الذكرى الأولى لموقعة الجمل التي وقعت في ميدان التحرير في القاهرة في الثاني من فبراير عام 2011.

العزيزة مَرجريت،

أكتب إليكِ لأحيطكِ علماً بأن شيئاً في منتهى الخطورة قد وقع الليلة في مصر. بحسب ما هو متاح حتى الآن من معلومات فإن مذبحة قد وقعت في ستاد بورسعيد للألعاب الرياضية، نتجت عن شغب ملاعب بين ألتراس النادي الأهلي وألتراس النادي المصري البورسعيدي عقب انتهاء المباراة بين الفريقين. ففور إطلاق حكم المباراة لصفارة نهاية المباراة، أُطفئت الأنوار وكشافات الإضاءة بالاستاد، وهجم جمهور النادي المصري على جمهور النادي الأهلي بالزجاجات والحجارة والأسلحة البيضاء والألعاب النارية، في نية للقتل المتعمد على ما يبدو وكما وصل لي من معلومات حتى الآن. النشطاء وأهالي الضحايا وألتراس الأهلي يقولون إن القتلى من جمهور الأهلي هم بالمئات، وإن الإصابات بالآلاف، ومن المتوقع ارتفاع أعداد القتلى، نظراً لأن الكثيرين منهم في حالة حرجة بالمستشفيات. هذه أكبر كارثة في تاريخ الرياضة في مصر.

بحسب ما تابعته من تصريحات للمسؤولين في وزارة الصحة، ومديرية الشؤون الصحية ببورسعيد، ومديرو المستشفيات التي نُقل إليها الضحايا والجثث، أن الإصابات كلها كانت إصابات مباشرة في الرأس (بنية القتل المتعمد)، وأنها تمت بأدوات حادة (أسلحة بيضاء) وعصي، وتتراوح إصابات الناجين ما بين ارتجاج في المخ وجروح قطعية في مختلف أجزاء الجسم. ويبدو أيضاً أن البعض قد توفي نتيجة إطلاق قنابل للغاز في الاستاد، لا يعلم أحد حتى الآن من الذي أطلقها؛ إن كانوا من ألتراس المصري، أم من قوات الأمن التي كانت متواجدة لتأمين الملعب.

يتحدث كل من النشطاء وألتراس الأهلي الآن عن مؤامرة مخططة مسبقاً بعناية من قبل أعضاء الحزب الوطني المنحل "الفلول"، والبيروقراطية الأمنية في الجيش والشرطة معاً.

يبدو لي، وهذا تقيمي الشخصي، أن هناك من الشواهد ما يؤيد هذه المزاعم، منها على سبيل المثال:

1- اتضح الآن أنه كانت هناك بوادر لحدوث شغب من جانب ألتراس النادي المصري، قبل حتى وقوع الكارثة، منها: نزول ألتراس المصري لأرض الملعب أثناء قيام لاعبي الأهلي بعمليات

الإحماء قبل المباراة، واستفزازهم للاعبين بسبهم والتلويح لهم بإشارات بذيئة، ثم اقتحام العشرات لأرض الملعب، مرة أخرى، في الاستراحة ما بين الشوطين، كما تكرر هذا أيضاً بعد إحراز فريق المصري لهدف التعادل، وتكرر مجدداً بعد إحراز المصري لهدف الفوز، هذا قبل أن يعلن الحكم انتهاء المباراة ويقتحم الآلاف من ألتراس المصري، وكثيرون منهم كانوا يحملون الأسلحة البيضاء والعصي، لأرض الملعب ويحاولوا الاعتداء على لاعبي الأهلي، الذين فروا إلى غرف خلع الملابس بمساعدة لاعبي وإداريي فريق المصري الذين قاموا بحمايتهم، لكن الأمر كان على خلاف ذلك بالنسبة لجماهير الأهلي التي لم تجد من يحميها، مما أوقع العدد الكبير من القتلى والجرحى، أما بالنسبة للباقين الذين حاولوا الفرار من الاستاد والنجاة بحياتهم، فوجدوا البوابة الوحيدة الممكن الخروج منها مغلقة أمامهم، فمات منهم البعض وجُرح آخرون نتيجة للتدافع، نتيجة لاستمرار هجوم ألتراس المصري عليهم من الخلف.

2- يقول مشجعو المصري إن السبب في هياج الجماهير هو لافتة رفعها ألتراس الأهلي في مدرجات الاستاد مكتوب عليها "بلد البالة ماجبتش رجال"، وهو ما عده ألتراس المصري إهانة شديدة لهم ولمدينتهم، في حين ينفي ألتراس الأهلي الآن على القنوات الفضائية المصرية والعربية علمهم بهذه اللافتة، وينكرون أنها كانت معهم، ويقولون إنها دسيسة، ورُفعت من قبل شباب لا ينتمون إليهم ولم يسبق لهم رؤيتهم من قبل (مما يعزز من نظرية المؤامرة).

3- ذكر النشطاء، وهذا أيضاً ما قاله جمهور الأهلي الذي حضر المباراة في الملعب، أن كل الإجراءات الأمنية غابت أثناء دخول المشجعين للاستاد، ولم يقم أحد بتفتيش أحد، وكان هناك تساهلاً مريباً من قبل ضباط الشرطة والجيش المكلفين بتوفير الحماية للجماهير أثناء المبارة.

4- ذكر عدد من جماهير الأهلي الذين نجحوا في الفرار من الاستاد أن القوات الأمنية (الشرطة والجيش معاً) هي التي قامت بإغلاق بوابات الاستاد في وجه جماهير الأهلي، ولم يتركوا لهم سوى أصغر بوابة في الاستاد، والتي تم إغلاقها بعد قليل أيضاً، مما أدى إلى وفاة وإصابة عدد كبير من جماهير الأهلي نتيجة التدافع للخروج.

5- اتصل بي أحد الأصدقاء (صديق لا تعرفينه) وأخبرني بأن أحد أصدقائه قال له صباح اليوم أن يلزم بيته وألا يخرج منه لأن حدثاً جللاً سوف يحدث في مصر، وأن من الأسلم له أن لا

يخرج من البيت، خصوصاً بعد الظهر. من الجدير بالذكر أن صديق صديقي ذاك عمه هو لواء شرطة كان يعمل في وظيفة حساسة للغاية في مباحث أمن الدولة بوزارة الداخلية، وقد فر إلى أبو ظبي عقب وقوع أحداث 25 يناير مباشرة، ويبدو أنه قد اتصل من هناك بابن أخيه في القاهرة ليحذره من وقوع أحداث جسيمة في مصر اليوم، وهذا ليس له تفسير سوى أنه كان على علم بوقوع كارثة في ستاد بورسعيد، قبل أن تقع الكارثة بساعات طويلة.

الوضع الآن في الساعة التي أكتب إليكِ فيها هو كالتالي:

1- دخلت قوات من الجيش المصري مدينة بورسعيد وانتشرت في شوارعها، كما انتشرت على طول طريق الاسماعيلية-بورسعيد لمنع الاشتباكات بين ألتراس المصري والفارين من جماهير الأهلي.

2- أعلن المشير محمد حسين طنطاوي؛ رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، الأحكام العرفية في مصر، وانتشرت عقب ذلك فوراً وحدات من مدرعات الجيش في شوارع القاهرة، وكما سمعت، في كل الشوارع الرئيسية بباقي المدن المصرية.

3- هناك مطالبات شعبية واسعة بمحاسبة وزير الداخلية؛ اللواء محمد إبراهيم، بتهمة التقصير (على الأقل)، والبعض يطالب بمحاكمته بتهمة التواطؤ، لكن من المؤكد أن النشطاء وألتراس الأهلي وعدد كبير من القطاعات الشعبية في مصر الآن يتحدث عن تواطؤ لمدير أمن بورسعيد؛ اللواء عصام سمك، ويطالب بمحاكمته محاكمة عاجلة.

4- ردد عشرات الآلاف من ألتراس الأهلي، وألتراس الزمالك تضامناً معهم، هتافات غاضبة تطالب بالثأر للقتلى والضحايا، كما رددوا هتافات تسب الجيش وتطالب بإنهاء الحكم العسكري في البلاد، وذلك أثناء تواجدهم في محطة رمسيس للقطارات في استقبال الناجين من جمهور الأهلي الذين عادوا من بورسعيد بالقطار.

5- سارع سعد الكتاتني؛ رئيس مجلس الشعب المصري، في ساعة مبكرة من ورود الأنباء بشأن الكارثة إلى دعوة مجلس الشعب إلى عقد جلسة عاجلة يوم الخميس القادم لمناقشة الكارثة التي وقعت في ستاد بورسعيد، واتخاذ ما يلزم من قرارات عاجلة.

6- كما صرَّح كمال الجنزوي؛ رئيس الوزراء المصري، للقنوات الفضائية بأنه سيعقد اجتماعاً مع المجموعة الأمنية بمجلس الوزراء (وزير الدفاع، ووزير الداخلية، ورؤساء أجهزة المخابرات المختلفة في الجيش والشرطة)، لدراسة الأسباب التي أدت إلى وقوع هذه الكارثة، واتخاذ ما يلزم من إجراءات لمنع تكرارها.

7- خرج النائب البرلماني الممثل لمدينة بورسعيد، البدري فرغلي، على بعض القنوات الفضائية المصرية واتهم قوات الأمن في بورسعيد (الجيش والشرطة) بالتواطؤ لإيقاع هذه الكارثة، لأنهم سمحوا بدخول الأسلحة النارية والبيضاء مع بعض المشبوهين والمسجلين خطر في قوائم الشرطة المصرية إلى الملعب. كما قال أيضاً إن اللافتة المسيئة لمدينة بورسعيد وأهلها التي تم رفعها في مدرجات مشجعي الأهلي مدسوسة على جماهير الأهلي؛ لمحاولة إثارة الفتنة وإيقاع هذه الكارثة. كما اتهم القوات الأمنية بالتقاعس والإهمال لعدم الاستجابة السريعة بعد بداية وقوع أحداث العنف والقتل، وأنهم لم يتحركوا لمنع ألتراس المصري من الفتك بجماهير الأهلي، بالرغم من أن سيارات الإسعاف أتت فوراً، وبأعداد كثيرة، مستجيبة بسرعة للأحداث.

8- حزب العدالة والحرية وحركة الإخوان المسلمين سارعا أيضاً إلى اتهام "فلول" حسني مبارك بأنهم وراء ما حدث، وقالا إن هذا تخريب متعمد لمصر، ويأتي في ذكرى اندلاع الثورة. واتهم عصام العريان؛ المتحدث الإعلامي باسم الإخوان المسلمين قوات الجيش والشرطة بالإهمال، وبالغياب المتعمد، انتقاماً من الإخوان المسلمين (ولعل هذا اعتراف منه بأن ألتراس الأهلي معظمهم من الإخوان، هذا هو ما فهمته أنا على الأقل) لأن الإخوان يدعون إلى إلغاء حالة الطوارئ، ولأن "الفلول" يريدون إثارة الفوضى في مصر، وعرقلة المسار السلمي لانتقال السلطة إلى المدنيين، والقضاء على مكتسبات الثورة، خصوصاً وأن هذه الكارثة ليست الوحيدة التي تقع الآن، فالبلاد تشهد منذ عدة أيام محاولات منظمة لإثارة الفوضى والعنف، واستشهد ببعض عمليات السطو على البنوك ومكاتب البريد، واقتحام المستشفيات وإثارة الفوضى فيها، وقال إن هذا يحدث في ظل وجود وزارة للداخلية، وفي ظل عمل ضباط الشرطة وأقسام البوليس، في حين لم تقع مثل تلك الأحداث أيام الثورة، حين انسحبت الشرطة ولم يكن لها وجود في البلاد، وكان ضباط الشرطة مختبئين في منازلهم يخشون الخروج منها.

9- علمت أن هناك تجهيزات من قبل النشطاء، ورابطة ألتراس أهلاوي، وحزب العدالة

والحرية، وجماعة الناشط الإسلامي حازم أبو إسماعيل، لتنظيم مظاهرات واعتصامات الليلة وغداً في ميدان التحرير، وفي محيط وزارة الداخلية، وفي ميدان سفنكس بالمهندسين، وأمام مديرية الأمن بالإسكندرية، تضامناً مع الضحايا، واحتجاجاً على ما حدث، وللمطالبة بإنهاء الحكم العسكري للبلاد.

ملاحظة: قبل المبارة بعدة أيام، كانت هناك توترات وسجالات عنيفة اللهجة، وصلت إلى حد التهديد بالعنف والإيذاء البدني، بين رابطتي الألتراس من كلا الفريقين، وهو ما كان ينبئ لأي شخص يتابع الموقف بأن الأمور ستخرج عن السيطرة إن لم يكن هناك تعامل حازم، بل وشديد الحزم، من قبل الأجهزة الأمنية المكلفة بتأمين المباراة. وهو ما لم يتم، للأسف.

تجدر الإشارة أيضاً، وهي إشارة أراها شخصياً مهمة للغاية، أن نفس الأمر سبق وأن تكرر حرفياً في مباراة الأهلى مع فريق غزل المحلة، في 31 ديسمبر 2011، ولكن التعامل الحازم والاحترافي والسريع من قبل الأجهزة الأمنية المسؤولة عن تأمين المباراة، وعلى رأسهم مدير الأمن في محافظة الغربية، قد أطفئ النار قبل اشتعالها، ومنع حدوث كارثة دموية.

يقول أعضاء ألتراس أهلاوي الآن، وبعض نشطاء الإخوان المسلمين أيضاً، إن نية المجلس العسكري كانت مبيتة للانتقام من جمهور النادي الأهلي، من يوم 28 يناير 2012، حين هتف أعضاء ألتراس أهلاوي، في مباراة الأهلي مع فريق المقاولون العرب في ستاد القاهرة، ضد المجلس العسكري وسبوا الجيش والشرطة العسكرية، بهتافات من قبيل: "يسقط حكم العسكر"، و"آه يا شرطة يا عسكرية، إنتوا كلاب زي الداخلية"، و"سامع أم شهيد بتنادي، كلاب العسكر قتلوا ولادي".

أنا لا أزال أتابع المستجدات أولاً بأول، وسوف أرسل إليكِ حين يكون هناك أي تطورات تستحق أن تلمي بها.

إلى أن نلتقي في لندن،

رجب

"ماذا يريد مني فؤاد منير؟! استشارة؟! نصيحة؟! أم يرغب في عرض عملاً عليّ؟! وما هو يا ترى؟! في شركة الستيكرز، أم في شركة التطوير العقاري، أم في شركة استخراج الذهب، أم في شركة المحمول، أم في شركة الكابلات الكهربائية، أم الأسمنت، أم الحديد والصلب، أم في القناة الفضائية؟!

لو كان سيعرض عليَّ عملاً، فغالباً سيكون في القناة الفضائية. بماذا أرد عليه إن فعل؟ الأفضل والأصح أن أوافق، أوافق مبدئياً، ثم نرى بعد ذلك. هذا إن عرض مبلغاً جيداً كمرتب. الأولاد كبروا واحتياجاتهم زادت ومصاريفهم كثرت، ورسوم الجامعات ومصاريفها في إنجلترا نار! نار جهنم! مصاريف الحياة عموماً في لندن نار جهنم!

أوافق إذن، ثم نرى. لابد وأن يكون المرتب كبيراً، بل ممتازاً! لكن ماذا سأفعل في القناة الفضائية؟! مستشار؟! مدير؟! رئيس تحرير برنامج توك شو؟! لا لا، سأرفض بالتأكيد، رئيس تحرير لا، أنا أكبر من هذا، أكبر من هذا بكثير!"

انشغل بال محب بالتفكير في سبب دعوة فؤاد منير وكاميليا له للعشاء في قصرهما بالمنصورية، أثناء سير السيارة المرسيدس السوداء التي أرسلها فؤاد منير لتقله من بيته في المعادي إلى المنصورية. كانت البلاد في حالة طوارئ، وحظر تجول، والنزول للشارع يعد مجازفة غير مأمونة العواقب، فكثيراً ما يسمع الناس في القاهرة، وفي غير القاهرة، عن حوادث خطف لأشخاص نزلوا من بيوتهم لقضاء حاجة من الحاجات، وطلب الخاطفين لفدية باهظة مقابل إطلاق سراح المخطوف. هذه الحوادث تكاد تقع يومياً، والشائعات التي تتردد بين الناس أن هؤلاء البلطجية الخاطفين ما هم إلا جزء من كتائب المرشدين والمخبرين، بل حتى أمناء الشرطة، الذين تحولوا مع الفوضى التي ضربت كل مكان بمصر من العمل لصالح الشرطة إلى العمل الإجرامي لصالح أنفسهم. كان بعض الظرفاء يبتسمون أو يضحكون وهم يقولون إن الفرق بين كلا النوعين من العمل ليس كبيراً على أي حال.

وبالرغم من هواية محب وشغفه الأثير بالتحدث مع السائقين الذين يركب معهم، لأنه كان يعتبر السائقين، وسائقي التاكسي بالذات، هم ترمومتر حال البلد، بالرغم من أن جل ما يقولونه لم

يكن إلا مجرد شائعات وما يجري على ألسنة الناس مما ليس عليه أي إثباتات من أي نوع، وكان الأجدر بباحث في العلوم السياسية والاقتصادية مثل محب ألا يأخذ ما يقولونه على محمل الجد، ولا أن يوجع رأسه معهم، إلا أنه كان يعتبر أقوالهم هي مرآة للرأي العام الشعبي في البلاد، ومن ثم وجب الاهتمام بها، لكي يعرف الباحث الاجتماعي كيف يفكر الناس وكيف يشعرون، وإن كان هذا لا يمنع أن الكثيرين من السائقين كانوا يغالون ويبالغون ويشطحون فيما يقولون أو يحكونه من حكايات، لكنها على أي حال أيضاً مرآة لطريقة تفكير وحديث عامة الشعب، وإن كانت المرآة في هذه الحالة تكون محدبة، وأحياناً مقعرة، وليست مرآة مستوية تماماً.

لكن محب لم يتجاذب من أطراف الحديث مع السائق بيتر؛ وهو السائق الخاص لفؤاد منير، إلا عبارات التحايا المتعارف عليها بين الناس حين يلتقون ببعضهم البعض، وفضَّل عوضاً عن التحدث مع بيتر أن ينشغل أثناء الطريق مع أفكاره عله يستطيع تخمين لماذا دعاه فؤاد منير وكاميليا إلى العشاء في قصرهما بالمنصورية؟! قد يكون بسبب معرفة محب أن بيتر هو سائق خاص لفؤاد منير، وليس سائق تاكسي، وبالتالي لن يظفر منه بحكاية مثيرة، أو نكتة ذكية مضحكة، أو آخر الإشاعات في البلد مما يُتداول على ألسنة العامة، أو حتى شكوى مريرة من ظروف شخصية صعبة يحب سائقي التاكسي في مصر دائماً أن يرهقوا بها ضمائر الزبائن؛ من قبيل أن ابنته تعاني من مرض خطير وسوف تجري عملية في صباح الغد، أو أن التاكسي عليه أقساط ومديونية وهو مهدد بالحبس إن لم يستطع تدبير القسط الشهري، أو أن امرأته تركت البيت وأخذت الأولاد معها إلى أهلها بسبب عدم قدرته على الصرف وضيق الحال، إلى آخر هذه الشكاوى التي قد تكون حقيقية وصادقة، أو قد تكون من أجل استدرار عطف الزبون الغُفل لكي يزيد من نفحة الأجرة التي سيدفعها للسائق في نهاية المشوار.

في الحقيقة ليس لدينا معلومات كافية عن السبب الحقيقي الذي دفع محب للإحجام عن فتح حديث مع السائق، بالرغم من أن السكة كانت تستغرق تقريباً نصف ساعة أو تكاد، فقد يكون السبب كذلك أنه قد سبق له أن فتح حديثاً مع بيتر السائق ولم ترضه النتيجة أو لم يرتح لها، وقد لا يكون، المهم في الأمر أن محب استمر صامتاً في الكنبة الخلفية للسيارة المرسيدس طيلة الطريق، قانعاً بالتأمل والتفكير ووضع بدائل للإجابات التي سيرد بها على فؤاد منير إن حدث وعرض عليه الأخير عملاً أو وظيفة لديه في شركة من شركاته أو قناته الفضائية.

استرسل محب في أفكاره وتأملاته حتى أوصلته إلى التفكير، مجدداً، في ثروة فؤاد منير، وكان لدى محب معلومات، من متابعة التقارير الأجنبية والتحقيقات الصحفية الأمريكية والإنجليزية، بأنها قد فاقت حدود الخيال، فمحب يعرف أن فؤاد منير كان غنياً منذ البداية، ثرياً بالولادة، فقد ورث ملعقة ذهبية في فمه من أسلافه الأغنياء، لكن ثروته كانت في حدود الثروات العادية الطبيعية، والتي كان يأتي معظم ريعها من مصنع للستيكرز يُصنِّع المغلفات اللاصقة للعبوات الغذائية والكيميائية والصناعية، وستيكرز كراسات تلاميذ المدارس والجامعات، وغيرها من مختلف أنواع وأشكال وأحجام الستيكرز، لكن منذ العام 2007 تحديداً، لاحظ محب أن ثروة فؤاد منير شرعت في التضخم والنمو على نحو غير طبيعي وغير معقول، ولا يعلم أحد، إلا الرب بالطبع، والرب ليس أحداً على كل حال، بل هو الكل في الكل، كيف ولا من أين جاءت تلك الثروة الجديدة؟! وإن كان عقل محب وتفكيره قد استنتجا، وقد يكون مخطئاً أو محقاً في استنتاجه هذا، فنحن ليس لدينا أدلة أو براهين يقينة في هذا الصدد، أن فؤاد منير قد باع بعضاً من لوحاته التي ورثها عن أبيه وجده، أو كلها، إلى متحف اللوفر في أبو ظبي، خصوصاً وأن افتتاح المتحف في عام 2007 قد تزامن مع التضخم الغير طبيعي والغير معقول لثروة فؤاد منير، ومما يعزز من هذه الفرضية المحبية، في نظرنا، أن نفس هذه اللوحات الثمينة بعينها، والتي يُقال إنها في حوزة فؤاد منير، قد ظهرت في صالات متحف أبوظبي، وصارت منذ افتتاح المتحف هي درة تاجه التي يُفاخر بها بين متاحف العالم الكبيرة العريقة.

إن صح هذا الاستنتاج والتخمين المحبي، فلا يجب الاستهانة على الإطلاق بالمبالغ التي دُفعت من أجل الاستحواذ على التحف التي كانت في حوذته، والتي كان يحتفظ بها في قبو مخصوص مؤمن تأميناً شديداً أسفل قصر المنصورية؛ والتي سمع محب أن من ضمنها: لوحات لسلفادور دالي، وماكس إرنست، وبيكاسو، وماتيس، وباية محي الدين، بل ولوحة مفقودة ضائعة لليوناردو دافنشي شخصياً؛ سمع عنها كبار نقاد الفن، وإن لم يروها رؤى العين، عبارة عن أيقونة للسيد المسيح، يشبه فيها المسيح، إلى حد كبير، الجيوكاندا.

لكن مما يحسب لفؤاد منير، هكذا فكر محب، أنه استثمر تلك الأموال في مصانع وأعمال عظيمة: مصانع للحديد والصلب، والإسمنت، وشركة لاستخراج الذهب من مناجمه في مصر، وشركة للتليفون المحمول، وشركة لتصنيع الكابلات والعدادات بمختلف أنواعها وطرزها،

وشركات للمقاولات والتطوير العقاري، وقناة تلفزيونية. قال محب في نفسه: غيره كان سيقنع بتدوير الأموال في البورصات، وشراء وبيع الأسهم والسندات؛ هوت موني، ويريح باله بدلاً من صداع العمل والاستثمار الجاد في دولة من دول العالم الثالث بكل قرفها وقرف المسؤولين عن الاستثمار فيها!

لكن هذه الاستثمارات العظيمة، استمر محب في التفكير والتأمل، ضاعفت من أموال فؤاد منير أضعافاً مضاعفة! أكثر حتى من استثمارات الهوت موني بعشرات المرات!

"هو الآن من ضمن أغنى خمسين رجلاً على الكوكب، حسب المقال الأخير في مجلة فوربس! قوته الآن مطلقة، غير محدودة، تحول من سمكة بلطي من الحجم الكبير، من أبو الحبيتين كيلو، إلى سمكة بلطي من الحجم الكبير جداً جداً جداً، من أبو الحباية الواحدة كيلو وزيادة! قشر بياض! يا سلام عليه جزل! بس مين اللي يقدر يقطعه جزل! حتى العسكر أنفسهم لا أحسبهم يستطيعون الوقوف في وجه ثراء بهذا الحجم!"

مرت السيارة المرسيدس السوداء بتجمع لعربات ومدرعات عسكرية نشرها الجيش على جانبي طريق سقارة المؤدي إلى قصر فؤاد منير بالمنصورية، عقب المذبحة التي وقعت في الصباح للمتظاهرين أمام وزارة الدفاع بالعباسية.

وضعوا له مقعداً إلى طاولة الطعام المستديرة الصغيرة التي كانت تتوسط غرفة الطعام الصغرى بالطابق الثاني بالقصر؛ الغرفة التي يتناول فيها فؤاد منير شخصياً طعامه أثناء مشاهدته للأخبار والتوك شوز في شاشة التلفزيون الشارب الكبيرة ذات الأربعين بوصة بالغرفة. كانت صالة الطعام هذه هي المكان الذي بات فؤاد منير يقضي فيه معظم وقته، إن كان في القصر، ولذا كان يحب أن تكون حميمية وأن تعطي الإحساس بالألفة وأن تكون أقرب إلى غرفة المعيشة منها إلى صالة الطعام.

كان لطاولة الطعام كرسيين فقط، لفؤاد منير، ولكاميليا، والآن قدُأضيف إليهما كرسي ثالث لمحب، ونحن من جانبنا نخمن أنهم ما داموا قد قرروا أن يشاركهم محب هذه الحميمية، فقد تخلوا عن الرسميات، ولعلنا نخمن أيضاً أن الموضوع، ولابد، سيكون كبيراً وعظيماً ومثمراً، لمحب ولفؤاد منير كليهما، ما داموا قد قرروا انتهاج سبيل التباسط والقلوب المفتوحة.

كان ملحقاً بصالة الطعام الصغيرة هذه مطبخ صغير أيضاً، لا يُسمح بدخوله ولا بالعمل فيه إلا للشيف جورج نفسه، وكان المطبخ الرئيسي للقصر بالطابق الأرضي، حيث كل المساعدين والعاملين، ويقتصر السماح بالصعود للطابق الثاني على الشيف جورج فقط، بدون حتى مساعده الأول، لكي يقوم بالتجهيز النهائي والفنش الأخير للأطباق التي سيقدمها على مائدة الطعام، وكانت هذه الأطباق تصل إلى المطبخ الصغير عبر أسانسير صغير جداً للبضائع، يصل ما بين المطبخ الرئيسي بالأسفل والمطبخ الصغير بالأعلى.

جلس محب إلى المقعد الذي قدمته كاميليا إليه؛ على يسار كاميليا، التي كانت تقابل في جلستها فؤاد منير، الجالس إلى يسار محب.

ابتسمت كاميليا وقالت لمحب إن الطبق الأول سيكون مشهيات، وسيكون مفاجأة له، ومحب، لمن لا يعرف، آكل أكول أكيّل، فهو من هواة الطعام، ومن الذين يقدرون الطعام الثمين الغالي الباهظ، وكلما كان سعر الطعام أعلى كلما كانت متعته أكبر وهو يتناوله، بغض النظر عن محتويات ومكونات والفوائد الصحية للطبق؛ فطالما استمتع محب، على سبيل المثال، بأطباق باهظة الثمن من سوشي السمك النيء الياباني وخصوصاً الأجزاء الأكثر سُميّة وخطورة على

الصحة والتي يتطلب تقطيعها واستخلاصها من بعض أنواع الأسماك اليابانية السامة مهارات خاصة من الشيف يستوجب معها أن يحصل على شهادة خاصة من السلطات اليابانية بأنه مؤهل لهذه العملية ويجيد عمله لأن الخطأ في التقطيع أو تقديم شريحة أكبر في الوزن للزبون تؤدي إلى وفاته الحتمية، كما كان محب يستمتع أيضاً بأطباق كوارع الضفادع حين يزور فرنسا، وشرائح لحم الثعابين السامة عندما زار الفلبين، ونوع من أنواع الصراصير المقلية كان قدُقدِّم له أثناء زيارته الأخيرة للصين وقيل له حينها إنه يكلف ثروة، ونوع من أنواع السمك في السويد يطلقون عليه اسم "سيرسترومنج" وهو محظور في معظم دول العالم ومطاعمها وخطوط طيرانها نظراً لخطورته على الصحة فهم يحفظونه لشهور طويلة حتى يصل إلى درجة التعفن والتحلل واللذان يصلان إلى حد أنه قد سُجلت بعض الحالات التي ينفجر فيها البرطمان المحفوظ فيه السمك من شدة العفونة حتى أنهم حين يفتحون البرطمان تنجذب إليه فوراً أسراب مهولة من الذباب حتى تكاد تظن أن ذباب المدينة كلها بل وكل المدن السويدية قد ترك محله وأتى ليشارك في هذه الوليمة المعفنة وفي ذلك اليوم بالذات كانت أسراب الذباب التي شاركت الوليمة مع محب أكثر من المعتاد كما قيل له وقتها وهو يحاول مكافحة الذباب بيديه لكي يأكل السمك المعفن الذي استطعمه بشهية واستلذ به للغاية بعد أن عرف أن سعر الشريحة الرقيقة من الفيليه الذي يتناوله تكلف 160 يورو.

ضحك محب في نفس توقيت ضحك فؤاد منير لملاحظة كاميليا، وتسائل بفضول شديد عن نوعية طبق المشهيات؟ فرد فؤاد منير قائلاً وهو بعد يضحك:

- مش ها تلاقيه في مصر في حتة تانية غير هنا!

- إيه صحيح؟! تسائل محب، وقد ازداد فضوله، وانفتحت شهيته أكثر.

- أصبر! آهو الشيف جورج جايبه آهوه! ردت كاميليا وهي تبتسم.

أتى الشيف جورج من المطبخ حاملاً في كلتا يديه طبقاً مغطى بغطاء ناقوسي نحاسي، وعلى ساعده الأيسر كان هناك طبق آخر بنفس الشكل. وضع أولاً طبق اليد اليمنى أمام سيدة الدار، ثم طبق الساعد الأيسر أمام ضيف الدار، ثم الطبق الأخير أمام سيد الدار، وقال قبل أن يعود إلى المطبخ مبتسماً ومشجعاً:

- بونا بيتي.

- ميرسي يا شيف. ردت كاميليا.

كشف فؤاد منير غطاء طبقه بلهفة، ثم انحنى بأنفه وتشمم ما في الطبق بهيام وصدرت عنه آهة تلذذ، وفعلت كاميليا كما فعل زوجها، وهي تبتسم لمحب مشجعة إياه على رفع الغطاء الناقوسي عن طبقه، كان محب يبحلق في محتويات طبق فؤاد، ثم طبق كاميليا مستغرباً وهو في حالة من عدم الفهم، فكل ما رآه لا يعدو كونه طائراً صغيراً جداً لا يعرفه، يشبه إلى حد كبير البط المطاطي الصغير الذي يلهوا به الأطفال الصغار في البانيو ويسليهم أثناء الاستحمام.

عاد الشيف جورج من المطبخ، ووضع على يسار كل منهم منشفة بيضاء كبيرة مطوية عدة طويات، فبدأ الفأر على التو يلعب في عب محب، وقد راودته الشكوك حول كنه هذا الطائر، لكنه حتى هذه اللحظة كان يُكذِّب نفسه قائلا: "مستحيل، مستحيل أن يكون هذا ما أظنه حقاً!"

- إيه ده يا جماعة؟! تسائل محب بفضول.

- ده أورتولان. ردت كاميليا مبتسمة في فخر.

- لا مش معقول! أورتولان هنا في مصر!

"صدقت إذن ظنوني!"

كان محب قد سمع عن الأورتولان؛ والذي هو طائر صغير جداً جداً، مهاجر، يهاجر في فصل الشتاء من الشمال حيث الثلوج إلى الجنوب بحثاً عن الدفء، وهو طائر محظور صيده منذ عام 1979، ناهيك عن تناوله في المطاعم، وهو الحظر الذي يشمل دول أوروبا وأمريكا وكل الدول الأخرى الإنسانية المتقدمة، لأنه كان يوشك على الانقراض وقتها، وبإمكانك أن تعتبره منقرضاً الآن، لكن ذلك لا يمنع المهاويس من كبار الأثرياء في العالم من طلبه كطبق مشهيات، وفي سبيل ذلك، يتم اصطياده أثناء رحلة الهجرة، والاحتفاظ به في الأسر لمدة 21 يوماً، يتم خلالها تسمينه، حتى يتضاعف حجمه إلى ثلاثة أضعاف، باتباع طريقة وحشية، هي اقتلاع عينيه حتى لا يرى النور، لإرباك ساعته البيولوجية وإجبار الطائر الأعمى المسكين على التهام كل ما يُقدم له

من طعام، لأن الأورتولان لا يأكل إلا ليلاً في الظلام، وطالما الدنيا ظلام فهو يأكل ويأكل ويأكل، وعلى هذا النحو يظل الأورتولان الأعمى يلتهم بشراهة كل الطعام الذي أمامه بلا توقف حتى يصل إلى الحجم المطلوب، وعندئذ يتم قتله عن طريق إغراقه في برميل مليء ببراندي الأرمانياك حتى يتشبع لحمه وعظامه بنكهة وطعم الأرمانياك، وفور أن يموت، يتم شيه بسرعة على شواية من الفحم، وإن كنت تظن أن هناك وحشية في هذه الطريقة، فسيتضاعف إحساسك بالوحشية حين تعلم طقوس و"آداب السلوك" عند تناول الأورتولان الأعمى المشوي المنقرض المحظور صيده.

فقد جرت العادة على تغطية رأس من يتناوله بكاملها بمنشفة كبيرة، ثم الانحناء على الطبق، والتهام الطائر بالكامل تحت المنشفة التي تحجب المنظر بالكامل، وحين نقول التهام الطائر بالكامل فنحن نقصد حرفياً هذا، ذلك أن الأورتولان يُشوى بكامله إلى درجة التحميص الذهبية؛ برأسه، ومنقاره، وجناحيه، وقدميه، وكل شيء، وعلى المرء أن يضعه بأكمله في فمه في قضمة واحدة، ثم يمضعه مع عظامه الهشة الرقيقة المحمصة المتشبعة ببراندي الأرمانياك، ويستمتع بالمذاق الكامل المثالية من الطراوة والقرمشة في نفس الوقت، وكل العصارات الغنية النكهة، وشديدة التنوع والتعقيد المشبعة والمتشبعة في لحمه وعظامه.

حين رأى محب حجم الطائر الصغير في طبق فؤاد منير، ودرجة الشي التحميصي الذهبية، ثم أتى لهم الشيف جورج بالمناشف ووضعها على يسارهم، شك في أنه ربما يكون أورتولان، لكن عقله استبعد الفكرة فوراً لاستحالتها، من وجهة نظره على الأقل.

وقد علمنا، بعد تحريات وسؤالات واستقصاءات واستبيانات، أن هناك عدة تفسيرات وتعليلات متنوعة وغير متفق عليها بخصوص وجوب تغطية الرأس بالكامل أثناء الانحناء على طبق الأورتولان والتهامه، وقد رأينا أن نجمع هذه التفسيرات غير الموحدة في مدرستين أساسيتين، نظرياً، وإن كان كل تفسير مختلف منها يأخذ، من الناحية العملية، بعضاً من هذه المدرسة، وبعضاً من تلك المدرسة، وبنسب مختلفة.

أما التفسير الأول فيمكن تسميته "نظرية العار"؛ والتي تتلخص في الشعور بالعار حين يتناول المرء هذا الطائر الصغير الضعيف المسكين المنقرض، خصوصاً بعد علمنا بكيفية صيده، وتسمينه، وقتله، وكل هذا، لذا يجتاح المرء شعور بالعار والخجل وتأنيب الضمير وهو يتناول

الأورتولان، ومن هنا تُلزم "آداب السلوك" والإتيكيت المُلتهم معدوم الدم والضمير والإنسانية والرأفة والحس السليم أن يغطي رأسه بمنشفة وهو يتناوله؛ كتعبير خارجي مصطنع مُدعي عن الخجل، وهو تعبير خارجي مصطنع مُدعي لإنه لو كان داخلياً أصيلاً حقيقياً لما طلب ذلك المليونير، ذلك أن لا يقدر على ثمنه إلا المليونيرات، الأورتولان المسكين كطبق مشهيات لكي يفتح شهيته للطفح الذي سيطفحه لاحقاً.

أما التفسير الثاني فهو أكثر عملية ووظيفية ومصلحية؛ ويتلخص في أن تغطية الرأس بمنشفة أثناء أكل الأورتولان يساعد على تركيز روائح الطبق الغنية والمعقدة.

وبالإضافة إلى هاتين المدرستين الكبيرتين في تفسير سر تغطية الرأس أثناء تناول الأورتولان، هناك اجتهادات أخرى متنوعة؛ من قبيل قول البعض إن المنشفة تحجب الإحراج الناتج عن بصق بقايا العظام والمنقار في الطبق، وما ينتج عن عملية البصق من اشمئزاز الجالسين إلى المائدة إن شاهدوا المنظر.

وهناك ادعاء آخر من بعض الخبثاء، بأن تغطية الرأس هو للاستمتاع بالخصوصية الفريدة أثناء التهام الأورتولان، وحتى لا يحسد الحاضرون من يتناوله، خصوصاً حين يرون أمارات وعلامات المتعة واللذة الكاملة على وجه الأكيل معدوم الضمير.

- ده من أمريكا؟! على حد علمي هوَّ مش موجود إلا في أمريكا وبس، وبطريقة غير شرعية كمان! ده محظور صيده! ومحظورين تلاتة تقديمه في المطاعم! ولاّ جايبينه من الصين يا ترى؟! ماهو الصين فيها كل المحظورات بتتباع عادي!

تسائل محب وقد أكله الفضول، وهو يبحلق في طبقه، وفي الأورتولان الكامل الذهبي المقرمش الطري، وقد أخذ أنفاسه منظر منقار الطائر الرشيق.

- تصدق لو قلتلك إنه من هنا من الفيللا عندنا، من الجنينة بتاعتنا!

تفاخر فؤاد منير وهو ينظر إلى محب مبتسماً في خيلاء.

- لا مش معقول! إنت بتربيه هنا يا فؤاد بيه؟!

- فؤاد أصله مدمن أورتولان! لازم ياكله كل يوم وإلا ما يعرفش ياكل!

ردت كاميليا مبتسمة، ثم أضافت:

- إحنا عندنا دكتور بيطري مخصوص للعناية بصحة الأورتولان، ها ها هه!

- معقولة! وبيعيش في الأجواء المصرية بتاعتنا عادي؟!

تسائل محب مستغرباً.

- هوَّ المفروض حسب طبيعته إنه يعيش في الجو البارد، بس الدكتور مدحت بقى عبقري قدر يأقلمه على الجو بتاعنا.

أوضح فؤاد منير.

- وفعلاً بتعيشوه في الضلمة عشان ياكل كتير ولما بتيجوا تحصدوه بتغرقوه في أرمانياك وكده؟!

تسائل محب، وقد شعر بأن إحساساً بالتفاخر يجتاحه لسعة معلوماته عن الطائر.

- آاايوه! برافوا عليك يا دكتور! لأ ده إنت معلوماتك عظيمة عن الأورتولان!

أجاب فؤاد منير مندهشاً من تمكن محب المعلوماتي.

- أصلي قريت عنه مقال قريب في الجارديان، بس تسمحلي أسألك: هوَّ معاليك أكلته فين أول مرة؟! مين اللي عرفك عليه، مين اللي قدمهولك؟!

- أول مرة كانت في أمريكا فعلاً زي انت ما قلت، بس ليلتها عزموني على مطعم في نيويورك بالليل بعد الزباين ما مشيت والمطعم قفل، والشيف قدمهولنا في السر وشرحلنا إن ده ممنوع، وشرحلنا طريقة الأكل والفوطة وكل الحاجات دي.

قال محب.

- بيقولوا إن الفوطة علشان العار!

- آه صحيح، عشان تخبي اللي بتعمله عن ربنا ها ها هه!

علق فؤاد منير، ثم أشار بيده اليمنى لمحب.

- اتفضل اتفضل يا دكتور بالهنا والشفا.

غطى الثلاثة رؤوسهم بالمناشف الكبيرة، وانحنوا على أطباقهم، وشرعوا في التهام الطائر الكامل.

كانت شاشة التلفزيون الكبيرة، التي كانت مضبوطة على الوضع الصامت، تذيع لقطات من الاشتباكات بين النشطاء وبين ضباط وجنود الجيش المكلفين بحراسة وتأمين مبنى وزارة الدفاع بالعباسية؛ كان تقريراً في قناة "إن" الفضائية المملوكة لفؤاد منير، وكان التقرير عن أحداث الصباح والظهيرة والعصر، وكانت الكاميرات تركز على جنود الجيش وهم ينهالون بالهراوات على النشطاء، وإطلاق الغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه على المتظاهرين، الذين كان عدد قليل منهم من العُزّل الذين يرفعون علم مصر، والعدد الأكبر من الملتحين لابسي الجلاليب أو الكاجول، وكان بعضهم يقذف الحجارة في اتجاه جنود الجيش ويصيحون قائلين إن هناك قناصة على مبنى وزارة الدفاع وحولها.

كان مكتوباً على شريط الأخبار العاجلة أسفل الشاشة أن عدد القتلى من المتظاهرين وصل إلى 11.

-3-

استغرق تناول العشاء ساعة كاملة وثلاث دقائق بالتمام والكمال، وشمل منيو العشاء، بالإضافة إلى طبق الأورتولان: بفتيك نمساوي مع الخضار، ومعجون الزيتون الأسود اليوناني بزيت الزيتون البكر كمشهيات والذي كان محب يعشقه عشقاً، وأضلاع لحم الخروف المشوية المشهور بها الشيف جورج، وطبق أصابع الجبن المشوي مع شرائح الفطر الأسود، وفطائر لحم الماعز بالكاري، مع صوص الخردل وخل التفاح وصوص الزبادي وصوص الطحينة، ثم أخيراً كتحلية كاسات الآيس كريم والتي هي وصفة من مفاخر الشيف جورج وهي عبارة عن آيس كريم شوكولاته سويسرية فاخرة مع آيس كريم فانيليا وعليهما وفيهما مكسرات الفزدق والكاجو والصنوبروالكل مغطى بصوص الكراميل الذي يعلوه وردات رشيقة من القشدة اللذيذة كاملة الدسم؛ وقد أطلقوا عيه في القصر اسم: The Dazzler؛ أي المبهر، من كثرة حبهم فيه وإقبالهم عليه .

عقب العشاء، اجتمع فؤاد منير بمحب في غرفة المكتب الخاصة به في الطابق الثاني، وانسحبت كاميليا وتركتهما على انفراد في اجتماعهما الثنائي، وشعر محب فور انسحابها بأنه مقبل على لعبة شطرنج مع فؤاد منير؛ لأن الشطرنج لا يلعبه ثلاثة.

لم تكن حجرة مكتب فؤاد منير شديدة الاتساع، وإن كان يحق لنا القول بإنها كانت في منتهى الأناقة والشياكة على الطريقة الأمريكية، أو الجنوب الأمريكي وأثرياء تكساس على وجه الخصوص؛ إذ كان يغلب على أثاثها الجلد البني، بل كان كل شيء فيها، في الحقيقة، من الجلد البني الفاخر، ورأس وعل مذبوح ومحنط بقرونه الطويلة المتشابكة المتشعبة، ومدفأة لا تستعمل كنتيجة طبيعية لجو مصر الطبيعي الذي لا يحتاجها وإن كانت من لزوم الديكون التكساسي، والمكتب الخشبي الأنيق لفؤاد منير نفسه، ورفوف وصفوف من الكتب الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والعربية في المكتبة الخشبية البنية التي كانت تلف جدران الحجرة الأربعة، وشاشة تلفزيون إل جي اثنتان وثلاثون بوصة مفتوحة على قناة "إن" المملوكة لفؤاد منير والصوت ميوت، وبضع أصص من نباتات الدراسينا، والفجيرة، والفلانجيوم، والسنجونيوم الأخضر الغامق والأخضر الفاتح، وشجرة كروتون كرباج مُقزَّمة بأوراقها الرفيعة الرشيقة الأنيقة ذات الألوان الخضراء والصفراء والحمراء والنقاط البيضاء تحت الشباك الزجاجي الكبير الذي كان باتساع

الحائط الذي يطل على حديقة القصر.

وقبل أن نسترسل في سرد الحوار الذي دار بين فؤاد منير ومحب في هذا الاجتماع، تجدر الإشارة إلى شيء يبدو أننا قد غفلنا عن ذكره سابقاً؛ فقد فوجئ محب، ومنذ بداية دخوله للقصر وإلقاء التحية على فؤاد منير، بأنه قد تخلص من لدغته الرائية، ذلك أنه معروف لكل من قابل فؤاد منير شخصياً أو تحدث معه هاتفياً بأنه كان ألدغاً في الراء، ينطقها يائاً، مثل الأطفال الصغار، ولسبب ما، لا نعرفه على وجه اليقين، قد يكون انزعاجه هو شخصياً من هذا الأمر، أو تخطيطه للدخول في الحياة العامة السياسية والإعلامية، وبالتالي شعوره بوجوب التخلص من هذا العيب الخلقي الذي سيجلب له السخريات، قد صمم تصميماً حازماً على التخلص من اللدغة، حتى وإن استلزم الأمر عملية جراحية.

لكن الأمر لم يصل إلى مرحلة العملية الجراحية على الإطلاق، فقد تبين أن المسألة برمتها بسيطة كل البساطة، للدرجة التي فوجيء هو شخصياً ببساطتها كل البساطة، فقد نصحه العارفون والمجربون بأن يستأجر خدمات الأستاذ ياسر النجار؛ الذي كان يعمل كخبير محترف ومدرب إلقاء للمذيعين والممثلين ومن شاكلهم، ولما كانت مشكلة فؤاد منير من المشكلات الروتينية المعتادة المتكررة في مجال عمل الأستاذ ياسر النجار، فقد طمأنه إلى أن إعادة ضبط لسانه على ضبط المصنع هو أمر ميسور وبسيط ولن يستغرق أكثر من أسبوعين أو ثلاثة على أكثر تقدير، وهو ما حدث بالفعل، حيث واظب فؤاد منير يومياً على تكرار تمرين معين، جاء ذكره، بالمناسبة، في كتاب "فن الإلقاء" لعبد الوارث عسر، فهو ليس سراً ولا لوغارتماً كما ترى، ويتلخص التمرين في أن يضع المرء قلم رصاص بالعرض بين فكيه ويقبض عليه بأسنانه، ثم يتلو نصاً، أي نص كما يحلو له، بصوت عال مرتفع وقوي، مما يجبر عضلة اللسان على الحركة وبذل المجهود، فتقوى بذلك وتشتد، وينصلح حالها، ويتخلص المرء، بقدرة قادر، من كل عيوب النطق لديه.

بالطبع لم يعلم محب بكل هذه الخلفيات في أول مرة سمع فيها لسان فؤاد منير وهو يتكلم بطلاقة بغير لدغة رائية، ولهذا استغرب كثيراً، وكان أول ما طرأ على ذهنه أن المال يشتري الصحة، وأن فؤاد منير، ولابد، قد أجرى عملية جراحية في أمريكا لضبط النطق، لكن كاميليا ستخبره، في مناسبة لاحقة، وبعد ذلك بعدة أسابيع، عن الكيفية الحقيقية التي انعدل بها لسان زوجها.

كان من المقرر أن يتناولا فنجاني قهوة بعد العشاء في غرفة المكتب، هذا هو ما فهمه محب، وما قيل له أيضاً، حين دعاه فؤاد منير إلى حجرة مكتبه، قائلاً: "نشرب سوا فنجان قهوة يا دكتور في المكتب، إيه رأيك؟"

لكن ما كان مفترضاً أن يكون قهوة، تحول إلى إحدى أجمل الخبرات في مسيرة محب التذوقية الكحولية، فحالما جلس على أحد مقعديّ الفوتيه الجلديين اللذين كانا أمام المكتب، سأله فؤاد منير:

- قهوة؟ ولا تحب تاخد شيري كاسك وسكي؟

ضحك محب وقد غمرته سعادة فجائية، ورد بسرعة:

- شيري كاسك وسكي طبعاً يا باشا، ودي عايزة كلام ها ها هه!

توقع محب عدة أصناف وأنواع من الشيري كاسك وسكي؛ والذي هو نوع من الوسكي السكتلاندي المعتق في براميل عتيقة قديمة من خشب البلوط التي تم استخدامها من قبل، وعبر عقود طويلة، في تعتيق الشيري، وبالتالي يشرب الوسكي من نكهة الشيري المعبقة المتخلخلة في خشب البراميل، ولعلمك فإن هذه البراميل الخشبية الشيرية باهظة الثمن، حتى إنه يُقال إن سعر البرميل الواحد منها وهو فارغ هو بالشيء الفلاني.

توجه فؤاد منير إلى دولاب خشبي طويل رشيق، رفوفه ودرفه من الزجاج الشفاف، كان يحوي عدة زجاجات من أصناف متنوعة من الخمور بألوان مختلفة شهية للعين؛ بني، وأصفر كهرماني، وأخضر زيتي، وأحمر قان، وتناول زجاجة من على الرف الأوسط، وكأسين مكعبين من البلور، وعاد بهم في يديه إلى محب الجالس على الفوتيه الجلدي، ناوله كأساً فارغاً، ثم فتح الزجاجة وراح يصب له منها، وأصابت محب، للتو واللحظة، دهشة عارمة، وسعادة غامرة، فقد رأى، ولأول مرة في حياته، زجاجة الـ "ماكالان 35"، والتي كان يعرف، لخبرته الطويلة والعميقة في أنواع الخمور وأسعارها، أنها لا تقل بأي حال من الأحوال عن 15 ألف دولار أمريكي، وقال في نفسه: "يا لهوي! يا نهار ابيض! ماكالان 35 مرة واحدة! لأ ده مش بس يبقى غني، ده يبقى فاحش الثراء! صدق اللي قال: الثورة اللي ماتزودش ثروتك ماتستحقش يبقى اسمها

ثورة! دي القزازة الواحدة من دول بيتعملها مزاد مخصوص! إبسط يا عم، يا هَناك يا سعدك، هاتدوق الماكالان الخمسة وتلاتين، الماكالان المتعتق في براميل شيري من سنة 1977!"

لا يمكننا وصف التجربة التذوقية الماكالانية الخمس وثلاثينية المحببة، لأننا ببساطة لم نكن نحن من تذوقناه، لكننا نكاد نجزم بأن محب قد أحس بسعادة لم يخبرها من قبل في حياته حين ذاق الماكالان 35، ولعلنا نستطيع التخمين، بقدر معقول من الصدق والحق معنا، أن مصدر السعادة لم يكن فقط في طعم الخمر ومذاقه على الخلايا التذوقية والشمية في فم محب وأنفه، بل لعلها مصدرها يكون أيضاً في فكرة أنه يشرب من زجاجة سعرها 15 ألف دولار أمريكي، فقد كانت مثل تلك التفاصيل السعرية في غاية الأهمية بالنسبة له، وكان يقدرها تقديراً عالياً، ويعتبر أن اكتساب خبرات في أكل الطعام الغالي الباهظ الثمن، وشرب الخمور الغالية الباهظة الثمن، هما من أهم هواياته الشخصية وأحبها إلى قلبه، وأكثر ما يفاخر به من إنجازات ذاتية بينه وبين نفسه من ناحية وبينه وبين الآخرين أيضاً، فإذا ما أضفنا إلى ذلك ما سبق أن عرفناه من أنه تناول على مائدة عشاء فؤاد منير الأورتولان، ولأول مرة في حياته أيضاً، حق لنا أن نخمن بأنه بعد هاتين الخبرتين العذراوتين المتتاليتين، وخبرتين في الراس تدوَّخ، كان على استعداد لخلع اللباس لفؤاد منير.

- محب: ألف شكر يا باشا، ده شرف كبير والله إني أشرب مع معاليك ماكالان 35!

قال محب، وقد استحى أن يُعلق على سعر الخمر.

- فؤاد منير: العفو يا دكتور إحنا ماعندناش أغلى منك، enjoy!

- محب: Thank you, with all pleasure!

أغلق فؤاد منير الزجاجة، بعد أن صب لنفسه منها كأساً، ووضعها على طاولة القهوة الخشبية الفرنسية الأثرية طراز لويس السادس عشر، والتي قدَّر محب ثمنها بما لا يقل عن ثلاثة آلاف دولار أمريكي، ثم جلس على الفوتيه الجلدي المقابل لمحب، وشرعا كلاهما في احتساء مشروبهما، أمام شاشة التلفزيون التي كانت تعرض لقطات من المواجهات الدامية بين المتظاهرين الملتحين وجنود الجيش في محيط مبنى وزارة الدفاع بالعباسية.

- فؤاد منير: بص يا دكتور، أنا عايزك تفتحلي قلبك، مش كخبير استراتيجي بيتكلم في محاضرة، ولكن كراجل بيتكلم مع واحدة عاجباه وبيفتحلها قلبه عشان يقرب منها، أنا عايز منك الصورة كاملة زي ما انت شايفها، الصورة الكاملة هي اللي هاتخلينا نتصرف صح في ظل الأوضاع اللي انت شايفها دي.

- محب: أنا تحت أمرك طبعاً يا باشا.

- فؤاد منير: إنت شايف إن فيه أي فايدة من اللي بيحصل ده؟!

- محب: آهو فخار بيكسَّر ف بعضه! للأسف الخيارين المتاحين في مصر دلوقتي هما إما العسكر أو الإسلاميين، إما المطرقة أو السندان، الكاب أو العِمَّة، هما دول القوتين الوحيدتين المنظمتين في مصر، الزمالك والأهلي، والخيارين للأسف زفت ومافيش مستقبل محترم للبلد لو أي حد منهم وصل للحكم، بس للاسف مافيش حد تاني غيرهم يقدر يوصل للحكم!

- فؤاد منير: العسكر أخطر، أخطر بكتير جداً، الإسلاميين ممكن تتفاهم معاهم، على الأقل مرحلياً لغاية ما يتمكنوا، وده أظن هايخد كام سنة، لكن العسكر لأ!

- محب: يا باشا هما الاتنين عملة واحدة، واحد فيهم لو اختلفت معاه يكفرك والتاني لو اختلفت معاه يخوِّنك!

- فؤاد منير: آه مفهوم طبعاً بس انا اقصد بالنسبة لينا إحنا كأقباط، التخوين ماتقدرش تهرب منه لإن ضهرك هايبقى للحيط، إنما الإسلامي ما يقدرش يكفرك لإن انت أساساً قبطي!

صمت محب، ورشف رشفة مترعة من الماكالان 35 باستمتاع.

- فؤاد منير: عشان كده بقول إن العسكر أخطر.

همهم محب بما يمكن فهم أنه موافقة.

- فؤاد منير: وعشان كده رهان الكنيسة على العسكر غلط ومش ف محله، الكنيسة غلطانة في النقطة دي.

همهم محب بما يمكن فهم أنه استفهام أو استغراب، ثم قال:

- يمكن يا باشا بيحرتوا التربة قبل موسم المطر.

- فؤاد منير: مطر إيه! العسكر تسونامي مش مطر وميَّه نضيفة!

همهم محب بما يمكن فهمه على أنه موافقة.

- فؤاد منير: بس يمكن يكون اللي بيحصل ده فرصة لإعادة ترتيب الأوراق والأولويات، والتحالفات برضو يعني، ده مهم جداً.

ثم أشار بكأسه إلى المواجهات في شاشة التلفزيون، وأكمل قائلاً:

- العسكر زي الأسد، طول ما في ف إيده فريسة وملخوم في الأكل فانت في أمان.

- محب: بس الأسد يا فؤاد بيه مش بس بيقتل عشان ياكل، ساعات بيبقى فيه أسود بتقتل بدافع الحقد والضغينة، أنا شفت مرة في ناشونال جيوجرافيك أسد بيهجم على أسد تاني وبيقطعه، مش عشان ياكله عشان جعاهن، لأ، ده ساب الجثة كلها وفضل ينهش في ولا مؤاخذة العضو التناسلي بتاعه! حقد وضغينة! وساعات الأسد بيقتل بدافع الهيبة وفرض السيطرة، وفيه في الأسود كمان، وأكيد حضرتك سمعت عن الموضوع ده، إن الذكر لما يرافق لبوة جديدة، وتكون اللبوة دي مخلفة، لازم يقتلها كل ولادها قصاد عينيها عشان يجبرها على التزاوج.

- فؤاد منير: يعني انت رأيك إن العسكر مالهمش أمان.

- محب: مش عندنا هنا بس، ده في كل حتة في الدنيا معاليك، بما فيها في أمريكا نفسها، طبيعة العسكر كده، لا يوجد شيء اسمه عسكر صالحين، ولا عسكر ولاد حلال، نهم العسكر للسلطة مالوش حدود! يا باشا هما ما حطوش الإخلاص والنبل والنزاهة وهما بيبرمجوا العسكر على ضبطة المصنع!

ضحك فؤاد منير ضحكة صافية من قلبه، وأشار لمحب بكأسه قائلاً:

- Damn right!

وأكمل محب، وقد أحب أن يطرق على الحديد وهو ساخن:

- وبعدين يا باشا قواعد اللعبة بتاعة العسكر ممكن إحنا نلعبها، لكن زي ما سيادتك راسي مستحيل الاقباط يقدروا يلعبوا بقواعد اللعبة بتاعة الإسلامجية! إحنا بره الدايرة أصلاً!

وأكمل محب، وقد أحب أن يطرق مزيداً من الطرق على الحديد وهو ساخن حتى يسخن مزيداً من السخونة:

- شوف يا باشا، أنا رأيي إن ساعات رجل السياسة بيفتكر إن التطرف والأصولية هما البنت الجميلة اللي نايمة في الغابة، وانه هوَّ اللي ها يروح يصحيها، هوّ اللي ها يبوس...

ضحك فؤاد منير ضحكة صافية من قلبه. وأكمل محب:

- لكن التاريخ كله والخبرة بتعلمنا إنه بيبقى عامل زي اللي دخل في بحر من الرمال المتحركة، كل ما يتحرك فيها يغرق أكتر!

صمت فؤاد منير لبرهة صمتاً كان ثقيلاً على قلب محب، لأنه أحس بأن الرجل قد استاء، أو أحبط، أو غضب من رده، بالرغم من دعوته الصريحة له بأن يكون صريحاً وأن يفتح قلبه، خصوصاً وأن فؤاد منير يعتبر نفسه سياسياً الآن وهو زعيم لحزب وينطبق عليه ما قاله محب للتو من أنه مضحوك عليه ومُضلَّل ويظن أنه ها يبوس في حين أنه وقع في بحر من الرمال المتحركة مثل أي عبيط أو أهبل، وأراد محب أن يصلح الموقف بقدر إمكانه، وألا يظهر أمام فؤاد منير بمظهر من يقف في الجهة المقابلة، أو الرافضة، أو المعادية لأفكاره بخصوص تحالفاته السياسية، فقال، آملاً أن يحرف اتجاه الحديث لوجهة أخرى:

- محب: بس برضو، ورغم كل اللي بيحصل ده، أنا شايف برضو إن نص الكباية المليان هوَّ إن العسكر بدأوا يفهموا إن الإسلاميين غدارين مالهماش أمان، والمواجهات دي هاتوّلد عندهم ضغينة جامدة جداً، خصوصاً عند البيروقراطية العسكرية، اللي هما يعني قيادات الجيش.

- فؤاد منير: أيوه أنا عارف يعني إيه بيروقراطية عسكرية.

- محب: طبعاً معاليك سيد العارفين.

- فؤاد منير: أنا فاهم طبعاً إن الخناقة اللي بدأت بين الاتنين الهدف منها إنهم لما يقعدوا يتفاوضوا بعد مبادرة السلام يقسموا الغنيمة مع بعض وكل واحد يهبش حتة من الغنيمة، دي مش خناقة مبادئ دي خناقة مصالح أنا فاهم ده كويس.

قال محب لنفسه: "وانت سيد العارفين بخناقات المصالح! خناقات رجال الأعمال التايكونز، وبعدها يقعدوا على الترابيزة يقسموا السوق حصص ما بينهم، احتكار!"

- فؤاد منير: بس الغريبة إن الجيش بدأ الخناقة مع الإسلاميين بدري قوي!

- محب: في لعبة السياسة يا باشا فيه: إما بدري قوي، أو متأخر قوي، عمر ما حد ندم على بدري قوي!

- فؤاد منير: Damn right!

رشف فؤاد منير كل ما تبقى في كأسه من الماكالان 35، ثم وضع الكأس الفارغة على طاولة قهوة لويس السادس عشر، واعتدل في جلسته، وقال:

- المهم دلوقتي، عايز أسألك سؤال صريح، وأتمنى تكون الإجابة صريحة، وبدون خجل أو مجاملة، وصدقني أنا مش هازعل من أي إجابة، طالما هي صريحة وهي اللي انت حاسس بيه فعلاً وتقدر عليه.

- محب: اتفضل يا افندم.

- فؤاد منير: إيه رأيك تنضم للحزب؟ انضمام رسمي، أنا بفكر إنك تبقى وزير الاقتصاد في حكومة الظل، زي ما بيقولوا عندكم في إنجلترا، ده لو وافقت طبعاً، أنا فكرت كتير ومالقتش في كل اللي فكرت فيهم حد أصلح ولا أشرف منك للمسؤولية دي، أنا يا دكتور شايف فيك حاجة مميزة جداً، غير الكفاءة المهنية والذكاء والتعليم الممتاز طبعاً، وعندي أمل إننا نطلع سوا أنا وانت قمة الجبل مع بعض!

فوجيء محب بالعرض. وقال في نفسه: " يبقى الراجل ماكنش عايزني عشان اشتغل معاه في شركاته ولا في القناة الفضائية، طب الواحد يخلص بس ازاي من الإحراج ده؟! ومن غير ما

نخسره، ما اقدرش اخسر حد زي فؤاد منير!"

- محب: لأ كده يا باشا بقى يبقى ها نحتاج كاس تاني ها ها هه!

ضحك فؤاد منير ضحكة صافية من قلبه، وتناول زجاجة الماكالان 35 من على طاولة لويس السادس عشر، وشب بجذعه ومد ذراعه، وصب لمحب في كأسه.

- محب: ميرسي يا باشا.

ثم صب كأساً هو الآخر، وتناوله بين يديه.

رشف محب رشفة مترعة من الماكالان 35 صامتاً مفكراً في رد دبلوماسي لا يُغضب فؤاد منير، الذي عاجله بنفاد صبر قائلاً:

- هه قلت إيه؟

- محب: والله يا باشا يعني إنت فاجئتني بالموضوع ده! مش عارف أقول لمعاليك إيه! ده شرف كبير طبعاً إنت تفكر فيّا، بس زي ما سيادتك عارف أنا ما بين مصر وانجلترا، رِجل هنا ورِجل هناك، والحزب ها يبقى محتاج تفرغ كامل!

- فؤاد منير: وافق إنت بس ومالكش دعوة بالباقي أنا هاضبطلك الدنيا.

- محب: مش عارف والله يا باشا أصل الجامعة في لندن أنا ملتزم معاهم طول السنتين الجايين وفيه رسايل ماجستير ودكتوراه أنا مشرف عليها، وحياتي كلها وتفكيري في مستقبلي ومستقبل الولاد كان كله هناك، من فترة طويلة من أيام ما ...

قاطع فؤاد منير محب، وهو يبتسم في خبث:

- فؤاد منير: لأ قول بقى إنك عايز تاخد رأي الكنيسة الأول!

- محب: لا والله يا باشا مش القصد.

- فؤاد منير: لأ مانا عارف علاقتك بالكنيسة بقت وثيقة قد إيه، وعارف كمان إنهم حاطينك

على راس القايمة في أي تعيين للاقباط في مجلس الشعب.

فوجيء محب بدقة معلومة فؤاد منير، وتسائل بينه وبين نفسه عمن نقل له تلك المعلومة السرية التي لا يعرفها إلا ثلاثة أشخاص فقط في أعلى هيراركية الكنيسة، وقيلت له وهم خلف أبواب مغلقة، ويستحيل أن يكون واحد من الثلاثة هو من نقلها إلى فؤاد منير. ولما كان الفأس قد وقع في الرأس وصارت المعلومة لدى فؤاد منير، أشار عليه ذكاؤه ألا ينفيها، بل يؤكدها، كسباً لثقة الرجل.

- محب: معلومات سيادتك يا باشا هي نفس اللي عندي، بس ما أظنش ده يمنعني من العمل الحزبي، هوَّ والله زي ما قلت لمعاليك أنا فعلاً رِجل هنا ورِجل هناك!

- فؤاد منير: لأ يمنع طبعاً! إنت عارف يا دكتور إن موقفنا في الحزب متعارض مع موقف الكنيسة اإنت سيد العارفين.

تذكر محب فوراً أن أعضاء كثيرين بالحزب قد هتفوا "يسقط يسقط حكم العسكر"، وأكثر من مرة، في صحن القاعة الكبرى بكاتدرائية العباسية، وفي حضور البابا شنودة شخصياً قدس الله روحه، صبيحة الاحتفال بعيد القيامة الماضي، وأن علامات الإحباط والاستياء والحرج قد بدت على ملامح البابا وقد قوطع بالهتافات أثناء إلقائه الموعظة، خصوصاً وأن كبار رجالات الجيش كانوا حاضرين وقتها ويجلسون في مقاعد الصف الأول.

- محب: طب تسمحلي يا باشا بمهلة أفكر، مهلة بسيطة بس مش هاخد كتير.

- فؤاد منير: آه طبعاً مافيش مانع طبعاً، بس لازم ترد عليّا في أقرب فرصة، المنصب فاضي عندنا في الحزب ومش هاينفع أفضل مفضيه كده كتير!

- محب: حاضر لأ يا باشا قيمة يومين تلاتة بس أشوف ظروفي في إنجلترا وأجس النبض هناك، أشوفهم ممكن يستغنوا عني سمستر أو اتنين بعض ولا لأ؟ وصدقني هارد على سيادتك في أقرب فرصة.

فكر فؤاد منير أن العبارة الحقيقية التي كان ينبغي لمحب أن ينطقها، إن كان بالفعل صادقاً

معه، كانت: "هاجس النبض في الكنيسة أشوفهم موافقين ولا لأ؟"، ذلك أن فؤاد منير كان مقتنعاً اقتناعاً جازماً، وكانت لديه كل الأدلة الدامغة على هذا الاقتناع، بأن محب قد ربط نفسه، وربط مصيره السياسي مع الكنيسة، يمين يمين، شمال شمال، شيل يا زكي قدرة يشيل زكي قدرة، حط يا زكي قدرة يحط زكي قدرة، وأنه بات منذ فترة على قناعة بأن مصير أي قبطي في مصر هو مع الكنيسة إن أراد العمل السياسي العام في هذا البلد، بالرغم من كل ما يدعيه من مدنية وعلمانية وعلمية منهجية وكل تلك الأمور، وقال فؤاد منير في نفسه أيضاً بإن الرجل لا يمكن أن يُلام، لأن الوضع في مصر بالنسبة للأقباط كان كذلك منذ قديم الأزل، لكنه قال لنفسه أيضاً إن الثورة قد فتحت باباً جديداً، ولأول مرة، للأقباط لكي ينخرطوا في العمل السياسي باستقلالية بعيداً عن الكنيسة، خصوصاً وأن الإدارة الأمريكية الحالية تدعم هذا الموقف وهذا الاتجاه وهذا التيار، وهذا هو ما سمعه بأذنيه من كبار رجالات الحزب الديمقراطي في الكونجرس الأمريكي في كل زيارة قام بها لأمريكا بعد الثورة.

كانت قناة "إن" مستمرة في إذاعة تغطية شاملة لأحداث اليوم في العباسية، وكانت اللقطات تتوالى للملتحين الذين يقذفون عساكر الجيش بالحجارة، وترد عليهم قوات الجيش بإطلاق الغازات المسيلة للدموع وتطاردهم بالهراوات والعصي في الشوارع المحيطة بمبنى وزارة الدفاع.

علق فؤاد منير على لقطة لعسكري ينهال بالهراوة على أحد المتظاهرين الغير ملتحين قائلاً بصوت عال:

- Holy shit!

- محب: Today is a rough one، الأمور من هنا ورايح ها تبقى أصعب، things will get misty!

- فؤاد منير: Damn right!

- محب: للأسف! والبلد مش ناقصة توتر أصلاً!

- فؤاد منير: أنا لما كنت بلعب كورة زمان في تيم النادي كنت أنا أول واحد يروح يشوط في ضربات الجزاء، أنا ما بتوترش!

علق فؤاد منير متباهياً بغطرسة.

ابتسم محب ابتسامة إعجاب وتأييد كبيرة لفؤاد منير؛ ابتسامة احتلت عرض وجهه بالكامل، وقال في نفسه: "رجال المال والأعمال! التوتر بالنسبة لهم فرصة! الفوضى بالنسبة لهم فرصة! المال ينتعش في هذه الأجواء، خصوصاً إذا كان محمياً من العسكر، أو من الأمريكان! والبيه عايز يلعب سياسة كمان! طبعاً، ما هو المال والسياسة ماشيين سوا سوا شوف ماشيين مع بعض هنا ازاي شوف معشقين مع بعض هنا ازاي شيل الخط ده مين يسند الخط ده لازم يقع! صدق دون لوتشيزي: "المال هو المسدس، والسياسة هي متى نضغط على الزناد!"

- محب: في صحتك يا باشا.

ورشف الاثنان بتلذذ من كأسي الماكالان 35.

المنصة

وقف نصار خلف عباس صابر المخرج ورئيس تحرير فترة الأخبار المسائية الذي كان جالساً إلى العدِّة؛ والذي كان يتولى مسؤولية الكنترول روم في قناة "آر تي" لنقل كلمة الرئيس محمد مرسي في أول خطاب جماهيري له في ميدان التحرير بمناسبة الإعلان عن فوزه في انتخابات رئاسة جمهورية مصر العربية.

إلى يمين نصار، كان يقف رجل نحيف قصير مستقيم الظهر بشارب، هو علاء السيد؛ كبير مراسلي القناة، الذي كان، وبرغم صغر سنه النسبي ليتولى مسؤولية كبير مراسلي القناة، حاد الذكاء، عليماً يعرف الأمور، شديد المهنية، وقد اجتمعت في ملامحه أمارات الهم والكآبة والحزن الهادئ النبيل، أثناء استماعه لخطاب الرئيس محمد مرسي في مؤيديه المحتشدين في الميدان.

كان الرئيس محمد مرسي يقول:

"وعندما نذكر الشهداء، أيها الأحباب الكرام، ننظر في التاريخ أيضاً، لنعرف أن شجرة الحرية، قد بدأ غرسها، قد غرس جذورها، رجال كرام، منذ عشرات السنين، منذ بدايات هذا القرن الماضي، منذ بدايات القرن الماضي، غرس الرجال جذوراً، وضع الرجال بذوراً، روتها دماؤهم، وأحيتها تضحياتهم، على مدار العشرينيات، والثلاثينيات والأربعينيات، والخمسينيات والستينيات، وما أدراك ما الستينيات، وبعد ذلك عقد بعد عقد، إلى أن وصلنا بعد عقد طويل وليل دام طويلاً إلى 25 يناير 2011، فكان شهداء هذه الثورة."

علاء السيد، وبالإضافة لكونه كبير مراسلي القناة، كان يتولى أيضاً مهمة تغطية أخبار رئاسة الجمهورية، وتغطية أخبار البرلمان بغرفتيه، وكان من المفترض، ومن الطبيعي، أن يكون متواجداً في ميدان التحرير الآن لتغطية الحدث، وليس في الكنترول روم كمشاهد كغيره من المشاهدين، وعلة ذلك، كما علمنا، أنه قد صار شخصاً غير مرغوب فيه من قبل رئاسة الجمهورية الجديدة، حيث سبق وأن اشتكى مسؤولو الحملة الانتخابية للمرشح محمد مرسي، وكذلك فعل أكثر من مسؤول رفيع المستوى في حزب العدالة والحرية؛ الذراع السياسي لمنظمة الإخوان المسلمين، من سوء تغطيته لحملة المرشح محمد مرسي، من وجهة نظرهم، وانحيازه في تغطياته الإخبارية لحملة المرشح الرئاسي المدني حمدين صباحي، تارة، ثم لحملة المرشح الرئاسي أحمد شفيق

المحسوب على نظام محمد حسني مبارك المخلوع، تارة أخرى، بعد خروج الأول من السباق الرئاسي، واقتصار السباق على المرشح محمد مرسي والمرشح أحمد شفيق.

وكان هؤلاء وأولئك من حملة المرشح محمد مرسي ومن حزبه قد اشتكوا شخصياً ورسمياً، وعبر مكاتبات ورقية، وإيميلات رقمية، لمدير فرع القناة في مصر؛ نصار الكاشف، وطلبوا منه تغيير علاء السيد بمراسل آخر يغطي أخبار حملتهم الانتخابية الرئاسية، لكن نصار رفض طلباتهم، ولم يستجب لتهديداتهم بمنع أخبار الحملة عن علاء السيد إن هو استمر في عمله، وتعلل في هذا الرفض بأن القناة هي سيدة قرارها، وأنها لا تنحاز لأي من المرشحين في السباق الرئاسي، وأنها تقوم بتغطية أخبار الحملات جميعها بتوازن، وشفافية، وأمانة صحفية، وأنه شخصياً لا يشك مقدار ذرة واحدة في كفاءة علاء السيد، ولا في مهنيته، ولا في أمانته، ثم زاد على هذا بالقول إنه حين ترتكب حملة المرشح محمد مرسي، أو المرشح محمد مرسي هو شخصياً، خطأ من الأخطاء؛ كقول غير مناسب، أو تصريح غير موفق، أو فعل أو إشارة أو إيماءة لا تليق بمرشح لرئاسة جمهورية مصر العربية، فإن نقل هذا بأمانة لا يجب أن يُعتبر انحيازاً للحملة المنافسة أو تصيداً لأخطاء المرشح محمد مرسي.

وهكذا، فلما فاز المرشح محمد مرسي بالانتخابات، كان من أول ما قام به مساعدوه هو إلغاء التصريح الإعلامي الرئاسي لعلاء السيد، فلم يعد بإمكانه بعد الآن أن يحضر أياً من الفعاليات التي يشارك فيها الرئيس محمد مرسي، ولا أن يقوم بتغطية أخبار رئاسة الجمهورية.

ولم يقتصر الأمر على هذا، فقد بدأت القناة تواجه صعوبات شديدة للغاية في تغطية أخبار الرئاسة، حتى بعد أن قام نصار بتعيين رودينا عوض الله كمراسلة جديدة لشؤون رئاسة الجمهورية، ومن أمثلة هذه الصعوبات: أنه قد تم رفض طلب القناة بإرسال كاميرات خاصة بها لميدان التحرير لتغطية خطاب الرئيس محمد مرسي لمؤيديه المحتشدين في الميدان، ورفض طلبها أيضاً بإرسال كاميرات خاصة بها لجامعة القاهرة لتغطية خطاب الرئيس محمد مرسي للقيادات الحزبية والنقابية والتنفيذية المحتشدين في قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة، وحلف اليمين أمامهم، والاحتفال بتنصيبه رئيساً لجمهورية مصر العربية، وهو ما كان مقرراً في اليوم التالي لخطاب ميدان التحرير، وعقب أداء الرئيس محمد مرسي لليمين أمام المحكمة الدستورية العليا.

لذلك اضطرت قناة "آر تي" إلى إذاعة خطاب الرئيس محمد مرسي نقلاً عن القناة الأولى بالتلفزيون الرسمي المصري، كما ستضطر، لاحقاً في اليوم التالي، السبت 20 يونيو 2012، إلى إذاعة خطابه في جامعة القاهرة نقلاً، أيضاً، عن القناة الأولى بالتلفزيون الرسمي المصري.

كان محمد مرسي على المنصة يقول لأنصاره، وأعلام جماعة الإخوان المسلمين، وأعلام الجماعة الإسلامية، وأعلام حازمون، ولافتات المطالبة بفك حبس الشيخ عمر عبد الرحمن، مرفوعة جنباً إلى جنب مع أعلام جمهورية مصر العربية:

"لا مكان لأحد، ولا لمؤسسة ولا لجهة، فوق هذه الإرادة."

"الكل يسمعني الآن، الشعب كله يسمعني، والوزارة والحكومة، والجيش والشرطة، ورجال مصر ونسائها، في الداخل والخارج، لا سلطة فوق هذه السلطة، لا سلطة فوق هذه السلطة، لا سلطة فوق هذه السلطة، لا سلطة فوق هذه السلطة."

"من أجل ذلك أتيت إليكم اليوم، إلى الشعب المصري، أنا مش لابس قميص واقي من الرصاص! أنا مطمئن بفضل الله، ثم بكم، أنا لا أخاف إلا الله، ثم، أعمل لكم ألف حساب."

"وأذكركم، أنكم وحدكم، الجهة، التي دائماً، دائماً، سأبدأ منها، طالباً بعد عون الله، دعمها وتأييدها، فهل أنتم مستعدون؟! هل أنتم ماضون معي؟! إلى آخر الشوط؟! لنحصل على كامل حقوقنا، على كامل حقوقكم، لن ينتقص أحد، كائناً من كان، شيئاً من حقوقكم، ما دامت هذه إرادتكم، بعد إرادة الله."

كان نصار يلاحظ أمارات الهم والكآبة والحزن الهادئ النبيل على وجه علاء السيد، ويكاد يشعر بمشاعر الإحباط واليأس التي تجتاح الرجل الآن، وقد مر في حياته المهنية بتجارب مشابهة، بل وأكثر قسوة.

رفع زجاجة المياه الطبيعية المعدنية التي كان يمسكها في يده اليسرى، ورشف منها رشفتين، وقال في نفسه:

"لو لم يُخرج السادات لعنه الله الإخوان من السجون ويطلق أيديهم في البلد، ولو لم يسر

مبارك الله يلعنه على خطاه ويهادنهم، ولو لم يسمح لهم الأمن لعنه الله بالعمل علانية وسرية، ولو لم يقتسم معهم الحزب الوطني الله يلعنه البرلمان عن طيب خاطر، ولو لم تحدث الثورة، ولو لم يختلف الثوار ويحارب بعضهم بعضاً، ولو لم ينتهز الإخوان الله يلعنهم الفرصة ويقفزوا إلى صدارة المشهد السياسي، ولو لم يراهن الأمريكان الله يلعنهم على الإخوان الله يلعنهم، ولو لم يخلع العسكر الله يلعنهم الأندرويز للإخوان وللأمريكان الله يلعنهم، ولو اتفقت القوى المدنية على مرشح واحد يدعمه الجميع، ولو لمُتزوَّر الانتخابات ويتم التلاعب بنتائجها بعلم وموافقة العسكر الله يلعنهم، لما كنا واقفين الآن نتفرج على هذه المهزلة! اللحظة التاريخية الكارثية الجهنمية أخت دين الشرموطة! الإخوان أخيراً يحكمون مصر! تاج الشرق ومفتاحه وكلمة سره وبوابة عبوره! كس إخت هيك لحظة!

تم إيقاظ الوحش! على أي حال هو لم يكن نائماً تماماً، كان يتظاهر فقط بالنوم ليخدع الجميع، والآن البكتيريا، والفيروسات، والفطريات، والطفيليات، تغلبت على مقاومة حاجز الدم الدماغي ودخلت لمجرى الدم في المخ، وسوف يحدث التلوث لا محالة! وستتوالى المصائب، والأمراض، والجنون، والخرف، والشلل، winter is coming".

كان محمد مرسي يقول، وهو محاط بعشرة أو أكثر من حراسه الشخصيين لابسي البدلات الرسمية الداكنة، وبعدد من ضباط الجيش بزيهم الرسمي المكلفين بحمايته على المنصة:

"أنا صاحب القرار، بتوكيلكم، أنا صاحب القرار، بإرادتكم، أمضي بذلك، فلا مجال لانتزاع سلطة الشعب، أو نوابه، أؤكد لكم، أنني لن أتهاون، في أي صلاحية، من صلاحيات رئيس الجمهورية، لن أتهاون، ولن أفرط، ولا أملك أن أفعل ذلك، ليس من حقي، أن أفرط، في الصلاحيات والمهام، التي أوكلتموها إليّ، والتي اخترتموني على أساسها، عقد بيني وبينكم على ذلك."

"الظلم ظلمات يوم القيامة، إن الله، إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه، لم يفلته، وها نحن نرى، أخذ الله، وها نحن نرى أخذ الله للظالمين."

"أرحب بكم دائماً، على تواصل دائم، ثوار، أحرار، هانكمِّل المشوار، هانكمِّل المشوار، هانكمِّل المشوار."

"جئنا برسالة سلام، لا نعتدي على أحد، ولكننا، قادرون، بكم، بالجميع، أن نردَّ، بل نمنع، أي عدوان علينا، من أي جهة كانت."

"وأحذر، من أن ينال أحد، كائناً من كان، من أن ينال أحد، كائناً من كان، من كرامة مصر، أو كبريائها، أو يفكر، في أن ينال من كرامة شعبها، أو كرامة رئيسها، بغض النظر عن الشخص، ولكني أتحدث عن إرادتكم، وبإرادتكم."

"أريد لهذه الحناجر، بهذه الإرادة، أن تستمر، لتعلي دائماً، أننا أحرار، وأننا ثوار، وأننا سنكمل على ذلك المشوار."

"ونتذكر، ما قال الأولون، وقف الخلق ينظرون جميعاً، كيف أبني قواعد المُلكِ وحدي، كيف أبني قواعد المُلكِ وحدي، وبناة الأهرام في سالف الدهر، كفوني الكلام عند التحدي."

علق المخرج- رئيس التحرير عباس صابر قائلاً:

- أخيراً موورسي اضطر إنه يتكلم!

وقال مساعده كريم، الجالس إلى يساره:

- تكلم حتى أراك!

علق نصار مستهزءًا:

- هيدا مش خطاب رئيس، والله هيدا سندوتش شوربة!

فضحك كل من بالكنترول روم.

قال علاء السيد بقرف:

- عبط، وطائفية وعنصرية واستعلاء، حاجة تقرف، الواحد حاسس إن بيانو وقع على دماغه من الدور العاشر!

فوجم كل من بالكنترول روم.

وتعلقت أبصارهم مرة أخرى بالأربع شاشات الكبيرة الحائطية التي كانت تظهر ما يصل من القناة الأولى المصرية التي كانت تغطي الحدث بالتحرير.

كان مرسي يقول:

"أؤكد لكم، في ختام هذه الكلمة، القصيرة، أنا شايف أسرة الدكتور عمر عبد الرحمن، وشايف إعلانات عن، المسجونين، بأحكام عسكرية من المدنيين، أو المعتَقلين، على مسيرة الثورة، من أولها حتى الآن، هؤلاء، جميعاً، هؤلاء جميعاً، حقهم عليّ وواجبي يحتم، أن أبذل كل جهد وسأفعل، من الغد، حتى يتحرر هؤلاء، ومنهم، الشيخ عمر عبد الرحمن."

"اتحدوا، كونوا إخواناً، لوطنكم أحباء، في ظل الحب والمحبة، ترتقي مسيرة الأمة، والله معكم، والله معنا، والله معكم... (كلام غير مفهوم)... وإن غداً لناظره قريب، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، معاً نمضي إلى الأمام، إن شاء الله."

"أحييكم جميعاً، أحبكم، أتواصل معكم، موعدنا دائماً، ربما نحتاج لبعضنا، ميدان الثورة والشهداء، ميدان التحرير."

كان شريط الأنباء العاجلة أسفل شاشة التلفزيون الإل جي المعلقة على الحائط المقابل لمكتب نصار يتحرك إلى اليسار في سرعة معتدلة، وكانت عينا نصار تقرأ آخر الأخبار التي كتبها مسؤول متابعة الأخبار العاجلة بالفترة المسائية في كنترول روم القناة، والتي وافق عليها المخرج- رئيس التحرير عباس صابر:

مظهر شاهين يطالب الرئيس مرسي بفتح حوار مع الأقباط * انطلاق مسيرة ضخمة من الأزهر إلى ميدان التحرير للمشاركة في مليونية تسليم السلطة * صفوت حجازي: مطالبنا سنقدمها للرئيس المنتخب وليس للمجلس العسكري * ائتلاف أقباط مصر يرشح عماد جاد نائباً للرئيس وينتقد تصريحات حزب النور * وزير الأوقاف: لا فرقة ولا طائفة، ولي أمر المسلمين ولي أمر الجميع * القوصي: عمر بن الخطاب كان أول من أرسى مبدأ المواطنة * الداخلية: تأمين مرسي في التحرير مسؤولية الحرس الجمهوري وشرطة الرئاسة * "أمناء الثورة" ينفي تعاونه مع الحرس الجمهوري في تأمين منصة مرسي بالتحرير * بان كي مون يجري محادثتين هاتفيتين مع مرسي والمشير طنطاوي * رئاسة الجمهورية: مرسي يلتقي غداً السبت بالقيادات الشعبية والحزبية والتنفيذية بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة عقب أداء اليمين أمام الدستورية * مرسي سيلقي بياناً للأمة بجامعة القاهرة في احتفالية تنصيبه أول رئيس منتخب لمصر بعد الثورة * مرسي يتوجه في الحادية عشرة صباح غداً السبت للدستورية العليا لأداء اليمين * صندوق النقد الدولي: انتخاب رئيس جديد لمصر خطوة هامة للأمام * حزب النور: لن نتراجع عن المطالبة بحقائب التعليم والزراعة والصحة، والمشاركة في اختيار وزير الداخلية * رئيس حزب الكرامة: أداء مرسي لليمين أمام الدستورية العليا لا يعني اعترافه بالإعلان الدستوري المكمل * مرسي لرؤوساء تحرير الصحف: لم أستقل من "الحرية والعدالة" كعضو، ومن حقي كمواطن الانتماء إلى حزب * "الإعلاميون المستقلون" يطالبون مرسي بإلغاء وزارة الإعلام وإعادة هيكلة ماسبيرو * حسام عيسى ينفي تلقيه اتصالات بشأن توليه رئاسة الوزراء * حزب الكرامة: اختيار رئيس وزراء من خارج "الحرية والعدالة" أول اختبار لمرسي * ضبط سيارة بداخلها 66 صندوق ذخيرة مهربة من ليبيا * مرسي: أؤكد احترامي وحبي لرجال أهل الفن والإبداع والثقافة والإعلام المخلصين لمصر * اللجان الشعبية تؤمن منصة الرئيس بالتحرير * وزير الداخلية: الضباط

الملتحون ليس لهم مكان بوزارة الداخلية * وزير الداخلية: لا هيكلة للوزارة إلا من داخلها ولا مكان للتخوين * وزير الداخلية: ضبط 139 رأس صاروخ و38 بندقية آلية ومصرع مهرب بمطروح * 6 أبريل تنسحب من مليونية تسليم السلطة بالتحرير بعد قرار مرسي حلف اليمين أمام الدستورية العليا * تظاهرات بالميادين بعدد من المحافظات تضامناً مع مليونية تسليم السلطة بالتحرير * مظهر شاهين يدعو القوى الثورية للوقوف خلف الرئيس * مسيرة لـ 6 أبريل وتيارات إسلامية من القائد إبراهيم إلى المنطقة العسكرية بالإسكندرية *

رشف علاء السيد من كوب الشاي الذي بين يديه، ثم اتجه بالحديث إلى نصار الجالس قبالته إلى مكتبه:

- كنت بقولك يا ريس.

حوَّل نصار عينيه إلى علاء السيد.

- علاء السيد: أنا سمعت إن خالد الحناوي طالب إنه يرجع من ليبيا، بعد إذنك يا ريس أنا عاوز أروح مكانه.

- نصار: ليبيا! ليش ليبيا؟!

- علاء السيد: لا بس عمري ما رحت ليبيا.

- نصار: يا علاء إنت أهم مراسل عندي هون!

- علاء السيد: أرجوك يا ريس، دي أول مرة أطلب منك حاجة، أرجوك ابعتني ليبيا!

- نصار: خير يا زلمة إيش حصل!

- علاء السيد: ما فيش يا ريس بس عايز اسيب مصر شوية.

ثم أردف علاء السيد بعد برهة صمت غير مريحة:

- إنت نفسك يا ريس لما اتخانقت في الجزيرة مش رحت روسيا! أرجوك يا ريس سيبني أسافر، عشان مصلحة القناة والله!

- نصار: إيش مصلحة القناة! إنت عم تسيب القناة وتسافر!

- علاء السيد: معلش يا ريس أرجوك سيبني اسافر، أنا مابنسحبش من المعركة والله ولا حاجة، أنا بعمل زي ما انت عملت قبل كده، بحاول اشوف جبهة تانية ينفع أكمل فيها المعركة، عشان كده يا ريس بترجاك والنبي توافق واسافر ليبيا.

رن جرس التليفون على مكتب نصار، وكانت شاشة التليفون تشير إلى اتصال من الكنترول روم، فضغط نصار بإصبعه على زر السبيكر، وتحدث مع المخرج-رئيس التحرير عباس صابر الذي كان يطلبه من الكنترول روم للاستشارة.

- أيوه يا عباس.

- (صوت عباس صابر): أيوه يا ريس، صفوت حجازي اتصل يا ريس وعايز يجي دلوقتي يطلع مع تامر الساعة عشرة ع الهوا.

- صفوت حجازي! والله بنطلع الشاشة colour bars ولا نطَّلع هيدا الزلمة قدام الكاميرا!

رد نصار منفعلاً.

- (صوت عباس صابر): تمام يا ريس ما انا قلت كده برضو بس قلت آخد الكونفِرميشن منك قبل ما احلقلوه.

ضغط نصار مرة أخرى على زر السبيكر منهياً المكالمة، ثم تذكر شيئاً، فعاود الاتصال بالكنترول روم وتحدث مع عباس صابر.

- عباس إسمع، قول لتامر ما يتطلع كتير ببباروكة الدكتور ياسر عبد الفتاح وهو بيحكي معه ع الهوا لإنه المرة اللي فاتت كان عم يتطلع كتير بالباروكة!

- (صوت عباس صابر): حاضر يا ريس، آه خدت بالي فعلاً، كويس إنك فكرتني، بس إيه رأيك في الشغل يا ريس، فيه أي ملاحظات؟

- نصار: لا تسلم الأيادي يا عباس جود شو، زيرو مستيكس، طيران ع الأوتوماتيك بايلوت يا

باشا، برافو شباب!

- (صوت عباس صابر): العفو يا ريس إحنا هنا عشان نخليك سعيد بس!

ضحك نصار، وابتسم علاء السيد.

- نصار: آه صحيح عباس اتذكرت، خلي كريم يجيبلي مسودة موضوع أوكيوباي ول ستريت، وقوله بدنا الموضوع يتضمن البنوك الأمريكية وأزمة الرهونات العقارية، خصوصاً سيتي بانك، لإنه كيف ما بتعرف هيدا كان أول مطلب لأوكيوباي ول ستريت، محاكمة المسؤولين عن البنوك.

- (صوت عباس صابر): حاضر يا ريس، عشر دقايق وتكون المسودة عندك.

- نصار: وكمان ذكِّر تامر إنه ما ينسى يسأل الدكتور ياسر عن رأيه في المواضيع الهامة اللي قدام مرسي الفترة الجاية: الاقتصاد، البطالة، ضبط الشارع والأمن العام، الوضع في سينا والجماعات المتطرفة.

- (صوت عباس صابر): أيوه يا ريس احنا جهزنا الأسئلة دي فعلاً.

- نصار: تمام، برافو شباب يعطيكم العافية، عباس، خلي كريم وهو جاي يجيب معه تقرير المقابر الجماعية في السودان وتقرير المرأة السعودية وحق التصويت في 2015.

- (صوت عباس صابر): حاضر يا ريس، التقارير خلاص جاهزة يا ريس وهابعتهملك مع كريم حاضر.

أغلق نصار السبيكر، وأخذ نفساً عميقاً من سيجار الميريت الأصفر، نفثه بقوة، ثم قال بهدوء لعلاء السيد:

- علاء، أنا بقدرش أوافق على هيك شغلة، بدك تسافر إنت أول مرة تسافر، وليبيا هاسع منطقة خطرة جداً كيف ما بتعرف.

- ما هو أنا يا ريس هابقى في بنغازي، وبنغازي بعيةد شوية عن الخطر يعني، وبعدين أنا

مش لسه مبتدئ يا ريس ولا جديد في الشغلانة، هاسلك ماتقلقش عليّا!

أخذ نصار نفساً عميقاً من سيجارة الميريت الأصفر، ونفث الدخان بصوت مسموع وهو مقطب الجبين، بينما كان يفكر ويحسب الحسبة في دماغه.

تابع علاء السيد بهدوء:

- يا ريس أرجوك تسمحلي أسافر يا ريس، أنا نفسياً محتاج السفرية دي بعد اللي حصل، أنا مش هاتكسف أقولك ده يا ريس، إنت استاذي! وانت عارف يا ريس إن علاقتنا دايماً هي علاقة الأخ الصغير بالأخ الكبير.

- مين الصغير؟!

قال نصار فجأة ممثلاً الجدية.

- أنا الصغير طبعاً يا ريس!

رد علاء السيد وهو يضحك.

فقال نصار:

- طيب.

ثم سحب نفساً أخيراً من السيجارة، ونفثه وهو يطفئ عقبها في المطفأة البلورية على مكتبه.

قال نصار في نفسه: "هيدا الزلمة صحفي ممتاز، ممكن تجربة ليبيا والضغط اللي هايشوفه هونيك يحولوه لألماظ!"

ثم قطب جبينه وقال بجدية لعلاء السيد، وكأنه يسلم بالقضاء الذي لا مفر منه.

- لو لا قدر الله حصل في ليبيا وخطفوك، الحكومة المصرية هاسع مابتقدرش تتدخل!

- علاء السيد: أيوه عارف يا ريس، والقناة مش هاتقدر تدفع فديه، بس صدقني يا ريس بنغازي مش خطر زي بقية ليبيا وانت سيد العارفين!

أشعل نصار سيجارة جديدة من علبة المريت الأصفر التي أمامه على المكتب، وسحب نفساً عميقاً منها وهو غارق في أفكاره، ثم قال بتسليم بعد برهة صمت:

- ماشي، خَلص book the airline ticket.

- Yes!

صاح علاء السيد فرحاً بتحقيق رغبته، ثم أردف:

- ألف شكر يا ريس! مش هاتندم والله أنا هاكون عند حسن ظنك.

- أكيد أنا متأكد يا علاء، خَلص اتفضل انت.

قال علاء السيد وهو ينهض عن مقعده ويتجه لباب المكتب:

- بحبك يا ريس والله بحبك!

- خَلص يا زلمة! يللا good luck.

- عايز الباب مفتوح ولا مقفول؟

- سكره سكره.

بعد أن خرج علاء السيد وأغلق الباب خلفه، قال نصار في نفسه:

"هيدا الزلمة صحفي كيف ما بيقولوا المصريين ملو هدومه."

-3-

كان نصار يقود سيارته الهيونداي الماتريكس الأصلية الفضية وارد كوريا، وليست التركية التجميع والصنع، عبر شارع البطل أحمد عبد العزيز، في طريقه إلى مسكنه. انحرف يميناً ودخل شارع نوال. كانت الساعة الخامسة والربع فجراً أو تكاد، وكان قد انهى عمله اليومي كمدير لمكتب قناة "آر تي" الروسية بالقاهرة. وبالرغم من أنه لم يتناول إلا ثلاثة فناجين قهوة فقط بالأمس، إلا أنه لم يكن يشعر لا بالإرهاق، ولا بالتعب، ولا بالنعاس أو الرغبة في النوم، حتى إنه استشرف بوادر أرق خشى أن يصيبه فلا يتمكن من النوم، ولعل هذا راجع إلى تدفق كمية أكبر من المعتاد من الأدرينالين في دمه في أول يوم لتولية رئيس من الإخوان المسلمين لرئاسة جمهورية مصر العربية. كان مزاجه سوداوياً كما لعلك قد خمنت، فنحن نعرف انتماءاته وولاءاته وقناعته ومبادئه، ولكنا نعرف أيضاً كم يكون المرء مهتاجاً أرقاً مثاراً حتى وهو سوداوي المزاج، بل لعل الأمرين متلازمين متلاصقين يستحضر أحدهما الآخر.

تناول سيجارة جديدة من علبة الميريت الأصفر التي كانت على تابلوه السيارة، وأشعلها بالولاعة المبططة الحمراء البلاستيكية تقليد رونسون الكلاسيكية القديمة، وحين رأى أن علبة السجائر لم يتبق بها إلا سيجارتين فقط، وحيث أنه لم يكن متأكداً تماماً ما إذا كان في البيت سجائر ستوك أم لا؟ فقد قرر فوراً أن يتوقف عند دكان "كولِكشن" في إحدى الشوارع الجانبية المتفرعة من شارع نوال، والذي كان نصار يعرف أنه يظل مفتوحاً 24 ساعة في اليوم سبعة أيام في الأسبوع، وهو دكان متخصص في بيع جميع أنواع السجائر العالمية والمحلية، وتبغ اللف ومستلزماته، وتبغ البايب ومستلزماته، وتبغ الشيشة ومستلزماته، بالإضافة إلى الشوكولاتات والسكاكر والحلوى المستوردة والمحلية، ورقائق البطاطس والمقرمشات المستوردة والمحلية، والعصائر والمياه الغازية المستوردة والمحلية، وإن كنت زبوناً لديهم ويعرفونك جيداً، فقد تستطيع أن تحصل منهم على علب بيرة هاينكن الهولندية أو كورونا إكسترا المكسيكية أو بَدوايزر الأمريكية، في الخفاء بالطبع، لأن الدكان لم يكن مصرحاً له ببيع الكحوليات والخمور.

توقفت سيارة نصار أمام باب المحل، ولاحظت عيناه قبل نزوله من السيارة امرأة، قدَّر عمرها بالثلاثينيات، محجبة ممشوقة بقوام بلدي بض، وكانت ترتدي بَدي أحمر وبنطلون سترتش أسود وتقف بعد دكان "كولِكشن" ببضعة أمتار. شعر بالإثارة فوراً، وقرر أنها إن ظلت واقفة بعد

أن يخرج من المحل فسوف يأخذها لنفسه، لكنه كان شبه متأكد من أنها ستُخطف بسرعة، نظراً لأن منظرها من بعيد كان مثيراً، وكان الطلب على بنات الشوارع في القاهرة كبيراً وملحاً، ومثل هذه لن تنتظر طويلاً، مجرد سيارة واحدة تمر من الشارع في هذه الساعة، وستكون من نصيب المحظوظ صاحبها.

رمقها طويلاً وهو في طريقه إلى الدكان، وشعر بالفرح لما رآها تبادله النظرة الطويلة، فدخل المحل سريعاً، وطلب علبتي سجائر ميريت أصفر له، وواحد برنجلز بنكهة شواء تكساس، وواحد شوكولاته ميلكا الألمانية بحبات البندق الكاملة، وكلاهما للست إن جاءت معه. ودفع ثلاثين جنيهاً، ثم خرج على عجل، نظر إلى يمينه فوراً، فرآها ما تزال واقفة تنظر إليه.

ركب سيارته بسرعة، وقادها بهدوء، وتوقف بمحاذاتها تماماً، ومال وفتح لها باب السيارة على آخره، فركبت بسرعة وهي تبتسم، وسلمت:

- مساء الخير.

- مساء الفل يا قمر.

وشرع نصار في قيادة سيارته.

- أنا اسمي نصار.

- عاشت الأسامي، أنا غادة.

- عاشت الأسامي يا مدام غادة، بتاخدى كام؟

- كلك نظر.

- عموماً مش ها نختلف، أنا بيتي هون خطوتين.

- أنا تحت أمرك.

- تسلمي يا ست الكل.

وقاد سيارته باتجاه المنزل.

كانت شقة نصار المؤجرة تقع في الطابق التاسع من بناية حديثة أنشئت في عام 2007 وتتكون من أربعة عشر طابقاً وتتوسط أو تكاد شارع نوال الرئيسي. واستغرق نصار بعض الوقت في إيجاد مكان شاغر لركن سيارته، ثم قاد مدام غادة إلى بوابة البناية، فتحها، أي البوابة، بالمفتاح الجديد الذي أعطاه له أبو علاء البواب منذ أسبوع، حيث اضطروا لتغيير كالون البوابة، بعد أن تمت سرقته، وكان الحرامي، الذي ظهر في إحدى كاميرات المراقبة المحيطة بالبناية، طفلاً لا يتجاوز الثالثة أو الرابعة عشرة. أغلق نصار البوابة، واتجه بمدام غادة في الظلام إلى حيث المصعد في الدور الأرضي، صعدا بضع سلالم، وكان المصعد موجوداً بالفعل في الدور الأرضي، فدخلا وضغط نصار على زر الطابق التاسع.

كان نصار يعرف أن أبا علاء البواب لا بد وأن يكون نائماً في هذه الساعة وباب حجرته في بئر السلم مغلق. لكنه، حتى وإن وجد أبا علاء في وجهه ومعه الست في يده داخل بها العمارة في ساعة الفجر، فلم يكن ليشعر بالحرج أو الحياء، ذلك أنه يعرف أن أبا علاء قد اعتاد على طبائعه ورغباته، بل وكثيراً ما يجلب له أبو علاء بنفسه الستات إياهن، وإن كان ذوقه في الحريم زبالة، بل وسبق أن صعدت أم علاء بشحمها ولحمها إلى شقته ونامت معه، بالتأكيد بعلم أبي العلاء، وإن كان نصار لم يكرر النوم مع أم علاء مرة أخرى، لأنها، ولا شك، لم تعجبه، فقد كانت سمينة لحيمة بدينة على غير أنوثة، سمنة هي أخت الشفط واللهط والقبح، لا بنت الخدر والجمال والإغراء والحياة الوادعة المستريحة، وكانت طبيعة البواب أبي علاء العرصية وطبعه ونفسيته الديوثية قد عززوا ما كان نصار مقتنعاً به منذ البداية من أن عامة المصاروة بنات عِرسٍ معرصين دايثة، ونحن من جانبنا لا نستطيع أن نؤكد أو ننفي قناعات نصار هذه، وإن كنا نشفق على وصف قوم بأكملهم بتلك الصفة المستهجنة القبيحة، ولعلها خبرة نصار الشخصية في تعاملاته مع صنف، أو أصناف، معينة من المصريين؛ يأتي على رأسهم البوابون، وحراس البنايات، وطائفة الإعلاميين والإعلاميات، والصحفيون والصحفيات، والمثقفون والمثقفات، وسنصير أكثر رأفة بالمصريين إذا ما أخذنا في اعتبارنا أن نصار كان يرى جميع العرب، بصفة عامة، بنات عِرسٍ معرصين دايثة، وكان قد كوَّن هذا الرأي من سابق إقامته القصيرة في القاهرة في عام 2001، وإقامته في الدوحة من 2001 إلى 2004 حين كان يعمل باحثاً وصحفياً في قناة "الجزيرة" قبل أن يطردوه لاكتشافهم

إلحاده، وقبلهما إقامته القصيرة جداً في بيروت، والتي علمنا أنها استمرت ثلاثة أشهر فقط في منتصف عام 2000، وقبل هذا وذاك، منذ نشأته منذ الطفولة في قرية "طيّبة" برام الله، ثم بعد ذلك إقامته سنتين في موسكو حيث كان يعمل مراسلاً لقناة "الجزيرة" في موسكو قبل أن يطردوه لاكتشافهم إلحاده، ولعل رأفتنا بالمصاروة، وبالعرب عموماً، في وصف نصار لهم ببنات عِرسٍ، ومعرصين، ودياثة، وتيوس، وإخوات شراميط، وأوصاف أخرى نستحي من تكرارها، نقول إن هذه الرأفة لعلها تزداد أكثر إذا ما علمنا رأيه في بني الإنسان عموماً، وفي البشرية إجمالاً من أنها ابن عِرسٍ معرصة دياثة، وأن الدياثة بلت إن في النفس البشرية، شرقها وغربها، شمالها وجنوبها.

دخل نصار من باب الشقة، وتبعته مدام غادة، وكان أول ما فعله، بعد إضاءة النور، وإغلاق الباب خلفهما، أن فتح سوستة بنطلونه الجينز الجاب الأسود، وأمسك بحجاب مدام غادة من شعرها وأحناها على زبه الذي أخرجه بسرعة.

قالت مدام غادة مبتسمة:

- طب مش لما نخش أوضة النوم!

رد نصار بالمصري بسرعة:

- حلاوتها في حموتها.

مصت مدام غادة لنصار وهي منحنية على زبه، وكانت يده اليمنى على فلقة طيزها تتحسسها ثم تبعبصها. أقامها، ثم احتضنها بقوة، وأنزلت كلتا يديه البنطلون السترتش من الخلف حتى تعرت طيزها، وتسللت يده اليمنى تحت الكيلوت الأسود البكيني، وبعبصها، بحنان أولاً مستكشفاً مدى اتساع خرم طيزها، ثم بقوة، لما وجد إصبعه قد انزلق للداخل بسهولة ويسر.

قال بشهوانية:

- خول! مرة خول! على فكرة، أول ما شوفتك قلت لحالي هيدي أكيد مرة خول!

ردت مدام غادة بشهوانية هي أيضاً، بأنفاس متقطعة من الإحساس اللذيذ بالبعبوص في طيزها:

- إحساسك عالي! الله عليك!

قال نصار:

- بتحبي نيك الطيز؟

ردت مدام غادة بخفوت:

- جداً جداً جداً!

ولن نسترسل فيما فعله نصار مع مدام غادة، ولا ما فعلته مدام غادة مع نصار، كما سبق واسترسلنا في الوصف حين كان نصار ينيك المذيعة رودينا عوض الله، وكانت المذيعة رودينا عوض الله تنيك نصار وتتبول عليه، لأن البعض قد يأخذ علينا هذا، ونحن في هذا الأمر لا يعدو حالنا أن يكون حال ناقل الكفر، فهو ليس بكافر، وبالقياس والتبعية والمثال، فإن واصف النيك ليس بالضرورة نيّاك، أو هو ليس بالضرورة من هواة الوصف، لكنه من باب تحري الأمانة والتماس الصدق في نقل الوقائع كما وقعت أو تكاد.

غير أنا لا نستطيع، مع هذا، أن نغفل ما رأيناه مثيراً للاهتمام فيما حدث بين الاثنين، ولن نسترسل كثيراً في عرض هذا الأمر، ولكنا سنشير إليه إلماماً فقط، من دون الخوض كثيراً في التفاصيل، ودون التعليق، فالموضوع وما فيه أنه حين كان نصار فوق مدام غادة على السرير في غرفة نومه المظلمة، وحين عرى صدرها لأول مرة، فوجئ بأن بزها الأيمن لا يكاد يوجد؛ مشفوط تماماً، ولم يتبق منه إلا الجلد والحلمة، بالرغم من أن بزها الأيسر كان مكتملاً وكبيراً أو يكاد، ومستديراً، بل ومليئاً باللبن، فقد جرب نصار أن يرضع من حلمته، ففوجئ بأن لبن البز الدافئ ينساب مسترسلاً غزيراً في فمه، فسألها:

- إنتي بترضّعي؟!

ردت مدام غادة:

- آه، مخلِّفة قريب.

- صبي ولا صبية؟

- لأ ولد.

- إيش اسمه؟

- محمد.

- ربنا يخلي ويبارك فيه.

- تعيش يا حبيبي.

كل هذا ونصار مستمر في الرضاعة بجنون من بز مدام غادة الأيسر المليء بالحليب الدافئ، وقد شعر بقليل من تأنيب الضمير من أنه سيحرم محمد من لبن الأم المهم بالنسبة لنموه، لكنه عزى نفسه بأنه سيكرمها في الحساب حتى تعوض الحليب الذي شربه من بزها، إما بشراء حليب لمحمد، أو بأكلة دسمة شهية تجدد حليب بزها، وفي تلك الأثناء، كانت مدام غادة تمسك ببزها الأيمن المجوف الأعجف الخالي من البز، وتحاول تقريبه من فم نصار لكي يرضع من حلمته، حتى إنه قال لنفسه: "لعلها ُتهاج أكثر من بزها الأيمن"، وبالرغم من أنه حاول، في كل مرة كانت مدام غادة تعطيه فيه بزها الأيمن، أن يجاملها برضعه، إلا أنه كان يعود كالمجنون إلى شفط حلمة البز الأيسر الممتلئ الكريم الغني بالحليب.

وسنكتفي بهذا القدر من سرد هذه الواقعة، ولن نعلق عليها، أو على هيئة البز الأيمن لمدام غادة، ولا على سبب ما حدث له، بالرغم من أننا علمنا أن نصار قد علم بالسبب، أو على الأقل عرف السبب كما قالته له مدام غادة، وهي عندنا صادقة إلى أن يثبت العكس، وهو ما لم يثبت، ولم يجرنا الفضول إلى البحث وراء ما إذا كانت صادقة فيما ساقته من سبب عن عجف بزها الأيمن أم لا؟ نقطة أخيرة حتى نتنهي تماماً من هذه القضية ولا نعود إليها؛ هي أنه في إحدى المرات التي كان يرضع فيها نصار من حليب البز الأيسر لمدام غادة، ساقه النزق إلى وضع شفتيه على شفتيها، وتقبيلها، ثم كب لبن بزها الذي في فمه في فمها، وأخذته منه مدام غادة وابتلعته أول مرة، لكنها قالت له فوراً بعد ذلك، باستعطاف ممزوج بحزم:

- أرجوك ما تدنيش لبن من صدري تاني.

وأطاع هو من ناحيته، فلم يكرر.

بعد أن انتهى نصار وقام من عليها، طلبت منه دام غادة فنجان قهوة، وسألها، فقالت إن قهوتها مضبوطة، فأخذ البنطلون والقميص الرصاصي معه إلى الحمام، وشرع في غسل زبه على حوض الغسيل جيداً بالصابون، ثم راح ينشّفه، وأثناء التنشيف، جاءت مدام غادة ووقفت على باب الحمام، وهي بالكيلوت والستيان، وقالت:

- ممكن أستعمل الموبايل بتاعك؟ عايزة بس أكلم جوزي أطمنه لإنه قاعد لوحده بالولد في البيت.

- آه طبعاً طبعاً، الموبايل على الكومودينو جوه.

وأشار نصار بيده إلى غرفة النوم، ثم سألها بفضول:

- هوَّ جوزك بيعرف إنك هون؟!

- عارف إني بشتغل، بس ما يعرفش إني هنا عندك، أنا ماعنديش موبايل أكلمه منه.

- بتشتغلي بعلمه؟!

- آه هوَّ عارف.

- أوكى، شو إسمه جوزك؟

- محمود.

- بيشتغل؟

- بيشتغل مبيض محارة ونقاش، بس مافيش شغل اليومين دول!

ثم استطلعت بسرعة حولها بعيني خبيرة الأسقف والحوائط والإسمنت والمونة والمعجون والسنفرة والدهانات، وقالت:

- لو احتجت أي حاجة في الشقة، أو لو فيه حد من معارفك محتاج أي شغل في شقته، ينوبك

ثواب تبقى تقولي والنبي!

- أكيد أكيد إن شاء الله.

- أنا هاكلمه أقوله إني بلبس وجاية.

- أوكى.

فقالت بخفوت، وبمكر ممزوج بالشهوانية:

- تحب تكلمه؟!

- مين، محمود؟!

- آه.

فكر نصار بسرعة، واستلطف في البداية فكرة أن ينيكها أمام زوجها محمود، سواء في شقتهم، التي قالت مدام غادة إنها قريبة من هنا وتقع في عزبة أولاد علام، والتي يعرف نصار أنها منطقة شعبية بالدقي، بجوار المتحف الزراعي ونادي الصيد، أو حتى ينيكها أمام زوجها محمود هنا في الشقة، لكنه في أعماقه خاف من التورط مع مثل هؤلاء القوم الذين يسكنون في عزبة أولاد علام، خصوصاً وأن مدام غادة، وباستثناء أنها خول ُتوتى من الخلف، لم تعجبه كثيراً، وهو، في البداية والنهاية، شخصية عامة، ومحسوب خطواته، حتى وإن كان الشائع عنه أنه نسوانجي، إلا أنه لا يُحب أبداً أن يُعرف عنه أنه يتدنى إلى هذه المستويات الأولاد علامية، فرد قائلاً:

- بيشرفني يا حبيبي والله، بس معليش مش هلق خليها وقت تاني، سلمي عليه.

- أوكى براحتك.

واتجهت مدام غادة إلى غرفة النوم، فعاجلها نصار برغبة عارمة في الشعور بلذة السقوط والتدني، قائلاً:

- سلمي على جوزك وقوليله نصار عم يقولك ألف ألف شكر يا محمود على مراتك!

توقفت مدام غادة، والتفتت لنصار وابتسمت في دلال وشهوانية، فتابع قائلاً، وقد انتصب زبه:

- قوليله نصار عم يقولك طالب القرب منك في مراتك.

ردت بدلال وشهوانية:

- طب ماتيجي انت تقوله، تعالى، إتعرفوا!

هجم عليها نصار، وطرحها على الأرض، وهي تتأوه في شهوة، وتقول من بين أنفاس الشهوة المتلاحقة:

- لأ هاتأخر، لأ كده هاتأخر!

- أنيكك يا شرموطة يا أخت المنيوكة، يا مرت الديوث!

وأزاحت يد نصار المهتاج قماش الكيلوت البكيني جانباً، وأدخل زبه في كسها، فتأوهت مدام غادة بقوة وهو يشتم زوجها محمود ويسبه تارة، ويشكره على زوجته تارة أخرى، وقد آلينا على أنفسنا ألا نخوض في التفاصيل التي من هذا النوع، وسنلزم أنفسنا أمامك بهذا، نهايته، لما انتهى نصار من الثاني، وقام من عليها، عاد إلى الحمام ليغسل زبه مجدداً، وذهبت مدام غادة إلى غرفة النوم، دون أن تغسل كسها ولا طيزها، وهي، كماولا بد وأنك تتذكر، لم تغسل كسها ولا طيزها أصلاً بعد الأولاني، وقد عرض عليها نصار أن تشاركه الحمام لتغتسل، أو حتى تأخذ دشاً في السريع، لكنها أبت، متعللة بالاستعجال وبزوجها محمود الذي يجلس في البيت وحيداً يرعى ابنهما محمد الرضيع.

نشَّف نصار نفسه مرة أخرى، وارتدى ملابسه، وراح إلى المطبخ، وأعد قهوة مدام غادة التي طلبتها، ورجع إليها، فوجدها قد ارتدت ملابسها، وراحت تضبط الحجاب الأخضر الفزدقي على رأسها أمام مرآة تسريحة غرفة النوم التي أضاءتها.

قدم لها نصار فنجان القهوة، أخذت منه رشفة على عجل، ووضعته على التسريحة أمامها، واستمرت في ضبط الحجاب، دس نصار مائتي جنيه في حقيبتها السوداء التي تقشر جلدها الصناعي ذا الجودة الرديئة في أماكن كثيرة متفرقة، سألته بجدية:

- كام دول؟

- ميتين جنيه.

- لأ شوية!

قطب نصار حاجبيه، واجتاحه شعور بالاستياء، وقال بما يشبه التلمظ الممزوج بالاحتقار:

- كم بتريدي؟!

- ربعمية.

- لأ كتير! راح اعطيكي خمسين كمان آخر كلام.

- لأ شوية برضو! أنا هاجيب أكل وانا مروَّحة لإن البيت مافيهوش حاجة!

- ميتين وخمسين آخر كلام، وهيدا عشان محمد، أنا بعطي مية وخمسين بس لغيرك.

- كده يبقى مش عايز تشوفني تاني!

- براحتك.

- ليه كده بس! طيب عموماً خليها علينا المرة دي معلش.

- أوكى.

واقتربت منه وقبلته على وجنته.

- البواب هايسألني تحت وانا نازلة؟

- لأ هوَّ هالق بعده نايم، لكن إذا حصل وسألك بس قوليله كنت عند الأستاذ نصار.

- عادي مافيش مشكلة؟!

- لا مافي مشكلة.

وتناولت حقيبتها من على التسريحة، وهمت بالخروج من غرفة النوم، فقادها نصار إلى باب الشقة، قبلته مجدداً على وجنته، وخرجت وهي تقول له: "باي".

أغلق نصار باب الشقة، واتجه إلى البار الواقع في أقصى الركن الأيسر المقابل لباب الشقة وأنت داخل، والذي كان عبارة عن دولاب خزفيات وفناجين خشبي درفتيه من الزجاج الشفاف، وصب لنفسه كأساً من الكمباري، واتجه إلى الثلاجة في المطبخ، أخذ منها زجاجة السبرايت، وأضاف منها القليل إلى كأس الكمباري؛ الثلثين كمباري والثلث سبرايت، ذلك أنه كان يحب الكمباري قوياً ثقيلاً.

ثم اتجه إلى غرفة النوم، وقرر تغيير الملاءة قبل أن يشرع في الاستلقاء على السرير ومحاولة النوم ساعة أو ساعتين قبل الذهاب مجدداً إلى القناة، وقرر مسلماً أن يجرب حظه مع الأرق، ولما كان هناك الكثير من العمل في النهار، ويتوجب عليه التواجد في المكتب من الحادية عشرة صباحاً، وساعة الحائط الدائرية البيضاء في غرفة النوم تشير إلى السابعة والنصف تقريباً، والاستيقاظ من النوم، إن نجح في النوم أصلاً، وشرب كأس، ودخول الحمام، وارتداء الملابس، والجهوزية للخروج، كل هذه وذاك يستغرق منه في العادة ساعة كاملة، والطريق من بيته إلى مكتب القناة يستغرق ربع ساعة في العادة، فقد قرر أن يضبط منبه التليفون المحمول على التاسعة والنصف.

كانت هذه هي المرة الأولى التي ينتبه فيها نصار إلى أنه لا يعرف أين هو تليفونه المحمول؟ فتش عنه هنا وهناك، دون جدوى، كانت هذه هي المرة الأولى التي ينتبه فيها نصار إلى أنه ربما تمت سرقته، وأن مدام غادة ربما تكون قد سرقت تليفونه، وبالرغم من أنه حاول أن يُكذب نفسه، إلا أن الشكوك كانت تتزايد إلى ما يكاد يقارب يقيناً، فقرر قطع ما تبقى من الشك وحسن النية باليقين المؤكد، فاتجه إلى عدة التليفون الأرضي الموضوعة على الكومودينو الملاصق للسرير، وضرب نمرة تليفون محموله، فلم يسمع رنين الجرس المميز الكلاسيكي ضبط المصنع الديفولت لنوكيا N73، بالرغم من أنه ظل يسمع الرنين في سماعة التليفون الأرضي إلى أن توقف، عندها أيقن أن مدام غادة سرقته.

جرى كالمجنون إلى باب الشقة، فتحه وخرج بسرعة واستقل المصعد، الذي كان بعد ما يزال

في الطابق التاسع، وهبط سلالم الدور الأرضي عدواً، وفتح بوابة العمارة، وخرج إلى الشارع ينظر يميناً ويساراً عله يعثر على مدام غادة، دون جدوى.

كانت خسارة التليفون المحمول مؤلمة بالنسبة له، بكل ما فيه من أرقام تليفونات الكبار والصغار، الشرق والغرب، لكنه لم يخشى أن يتم ابتزازه، أو استغلال المعلومات التي في موبايله، نظراً لمستوى الحرامية الاجتماعي والطبقي وكونها من عزبة أولاد علام، وكان متأكداً أنها إما ستبيعه، بعد التخلص من كارت التليفون، أو ستحتفظ به وتستعمله، بعد التخلص من كارت التليفون.

كان يقف لوحده أو يكاد في الشارع الخالي من المارة، فتمتم شاتماً مدام غادة، وسب لها الدين، وقال ما لا يقال في حقها، وكانت الفكرة العامة التي تسيطر عليه في لحظات غضبه العارم هذه هي أن هذا يحدث في أول يوم ولاية لزفت الطين مرسي أخو الشرموطة.

المحكمة

د. محمود غزلان (عضو بمكتب الإرشاد) أستاذ بكلية الزراعة جامعة الزقازيق، د. محمد علي بشر (عضو بمكتب الإرشاد) أستاذ بكلية الهندسة جامعة المنوفية، د. عبد الرحمن البر (عضو بمكتب الإرشاد) عميد كلية أصول الدين بالمنصورة، د. محمد البلتاجي (أمين حزب الحرية والعدالة بالقاهرة) طبيب وعضو مجلس الشعب سابقاً، د. أسامة ياسين (أمين مساعد حزب الحرية والعدالة) طبيب أطفال ووزير الشباب، خالد الأزهري وزير القوى العاملة وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، د. أحمد دياب (أمين حزب الحرية والعدالة بالقليوبية) طبيب سمنة ونحافة، د. أميمة كامل أستاذ بطب القاهرة ومستشارة رئيس الجمهورية وعضوة بجماعة الإخوان المسلمين، د. عصام العريان (عضو سابق بمكتب الإرشاد) طبيب وعضو مجلس الشعب سابقاً، د. معتز بالله عبد الفتاح أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، حسين إبراهيم (أمين عام حزب الحرية والعدالة بالإسكندرية) عضو مجلس شعب سابقاً، د. هدى غنية طبيبة وعضوة مجلس الشعب سابقاً وعضوة في جماعة الإخوان المسلمين، ماجد خلوصي نقيب المهندسين وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، صبحي صالح (عضو اللجنة القانونية بحزب الحرية والعدالة) محام وعضو مجلس الشعب سابقاً، د. فريد إسماعيل (عضو المكتب التنفيذي بحزب الحرية والعدالة) صيدلي وعضو مجلس الشعب سابقاً، د. عمر دراج (عضو المكتب التنفيذي بحزب الحرية والعدالة) أستاذ بكلية الهندسة جامعة القاهرة، د. سليم العوا مفكر إسلامي ومحام وفقيه قانوني، عزة الجرف إخصائية اجتماعية وعضوة مجلس الشعب سابقاً، د. محمد عبد الجواد نقيب الصيادلة، عبد الرحمن شكري فلاح وعضو مجلس الشعب سابقاً، د. حسين الشافعي رئيس المجمع اللغوي، د. أسامة العبد رئيس جامعة الأزهر، د. عبد الدايم نصير مستشار شيخ الأزهر، محمد عبد السلام المستشار القانوني لشيخ الأزهر، أحمد خليل (عضو الهيئة العليا لحزب الحرية والعدالة) عضو مجلس الشعب سابقاً، محمد الكردي عضو مجلس الشعب سابقاً وصاحب اقتراح منع تدريس اللغة الإنجليزية وعضو حزب النور، د. جمال جبريل رئيس قسم القانون العام بجامعة حلوان، د. رمضان بطيخ رئيس قسم القانون العام بجامعة عين شمس، أحمد الحلواني نقيب المعلمين، د. محمد أحمد شريف رئيس جامعة المنيا، د. عطية فياض عضو بقسم نشر الدعوة بجماعة الإخوان المسلمين وأستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، أحمد عمر طالب بطب الأزهر وأمين اتحاد طلاب الجامعات وعضو

جماعة الإخوان المسلمين، د. أماني أبو الفضل أستاذ بآداب القاهرة وعضوة بجماعة الإخوان المسلمين، أحمد البيلي مسؤول المكتب الإداري لجماعة الإخوان المسلمين بدمياط، د. حلمي الجزار (أمين عام حزب الحرية والعدالة بالجيزة) طبيب وعضو مجلس الشعب سابقاً وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، ممدوح الولي نقيب الصحفيين ورئيس مجلس إدارة الأهرام وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، د. حسين حامد حسان أستاذ الاقتصاد الإسلامي وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، محمد فؤاد جاد الله نائب رئيس مجلس الدولة ومستشار رئيس الجمهورية للشؤون القانونية وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، إكرامي سعد ممثل مصابي الثورة وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، د. أيمن علي طبيب ومستشار رئيس الجمهورية لشؤون المصريين بالخارج وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، د. عماد عبد الغفور رئيس حزب النور ومساعد رئيس الجمهورية، د. محمد يسري كيميائي والأمين العام للهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، نادر بكار المتحدث الرسمي باسم حزب النور، معبد الجارحي خبير في الاقتصاد الإسلامي وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، نور الدين علي مستشار بهيئة قضايا الدولة وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، حسن لاشين صيدلي ورئيس صندوق رعاية المصريين بالسعودية وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، د. خيري عبد الدايم نقيب الأطباء وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، أشرف ثابت مهندس ووكيل مجلس الشعب سابقاً وعضو حزب النور، د. بسام الزرقا (عضو الهيئة العليا لحزب النور) عضو مجلس الشعب سابقاً، يونس مخيون (عضو الهيئة العليا لحزب النور) عضو مجلس الشعب سابقاً، د. ياسر برهامي طبيب ونائب رئيس مجلس إدارة الدعوة السلفية، د. شعبان عبد العليم رئيس لجنة التعليم السابق بمجلس الشعب وعضو حزب النور، طلعت مرزوق رئيس لجنة الاقتراحات والشكاوى السابق بمجلس الشعب وعضو حزب النور، محمد إبراهيم منصور عضو مجلس الشعب سابقاً وعضو حزب النور، وليد عبد الأول عضو مجلس الشعب سابقاً وعضو حزب النور، سعيد عبد العظيم نائب رئيس مجلس أمناء الدعوة السلفية بالإسكندرية، صلاح عبد المعبود عضو مجلس الشعب سابقاً وعضو حزب النور، شعبان درويش (عضو الهيئة العليا لحزب النور) داعية سلفي، محمد سعد جاويش ممثل شباب الثورة وصاحب شركة استيراد وتصدير وعضو حزب النور، أبو العلا ماضي رئيس حزب الوسط ومهندس، عصام سلطان (نائب رئيس حزب الوسط) محام وعضو مجلس الشعب سابقاً، د. نصر فريد واصل مفتي الجمهورية الأسبق، أحمد خليل (عضو الهيئة العليا لحزب النور) عضو مجلس الشعب سابقاً، د.

محمد محسوب (عضو الهيئة العليا لحزب الوسط) وزير الشؤون القانونية والمجالس النيابية، د. إيمان قنديل (أمين عام مساعد حزب الوسط) طبيبة، د. محمد عمارة مفكر إسلامي وعضو مجمع البحوث الإسلامية، د. داوود الباز أستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر فرع دمنهور، د. محمد الفقي رئيس اللجنة الاقتصادية بمجلس الشورى وعضو بجماعة الإخوان المسلمين، محمد عبد المنعم الصاوي صاحب ساقية الصاوي ووزير الثقافة الأسبق ورئيس حزب الحضارة، حاتم عزام (نائب رئيس حزب الحضارة) مهندس وعضو مجلس الشعب سابقاً، د. محمد محي الدين أستاذ بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية، المستشار حسام الغرياني رئيس مجلس القضاء الأعلى السابق، المستشار تيمور مصطفى فوزي رئيس هيئة النيابة الإدارية، عمرو عبد الهادي محام، عبد الفتاح خطاب أمين عام مساعد اتحاد عمال مصر، د. عاطف البنا أستاذ القانون الدستوري بجامعة القاهرة، المستشار ماجد شبيطة مستشار بمجلس الدولة، المستشار ناجي دربالة نائب رئيس محكمة النقض، المستشار أحمد خليفة نائب رئيس هيئة قضايا الدولة، اللواء ممدوح شاهين مساعد وزير الدفاع للشؤون القانونية، لواء محمد مجد الدين بركات رئيس النيابة العسكرية، لواء عماد الدين حسين رئيس أكاديمية الشرطة الأسبق.

كان محب يراجع بدقة أسماء ومناصب كل اسم من أسماء أعضاء الجمعية التأسيسية لوضع الدستور، التي كانت صورهم تحتل صفحة كاملة بجريدة (المصري اليوم)، بوصفهم من وافقوا على إقرار مشروع الدستور الجديد، بالرغم من أنه لم يكن في حاجة إلى هذا، ذلك أنه يعرفهم واحداً واحداً، ليس بأسمائهم وصفاتهم ومناصبهم وأعمالهم فحسب، بل لقد تسنى له مقابلتهم جميعاً وجهاً لوجه، ودارت بينه وبينهم، فرداً فرداً، أحاديث ومناقشات، بوصفه أحد مستشاري الكنيسة المرقصية المصرية، على الرغم من أن هذا ليس منصباً رسمياً، لكن الجميع كانوا يعلمون مؤخراً أن الدكتور محب ذكي يعمل مستشاراً للكنيسة، ومستشاراً للبابا شخصياً، وأنه لا بد وأن يدلو بدلوه في كل قرار أو موقف كبير تتخذه أو تقفه الكنيسة، خصوصاً القرارات والمواقف التي من شأنها أن تؤثر على الأقباط المصريين رعايا الكنيسة في الداخل والخارج، ويُقال ويُشاع بين العارفين والمطلعين إنه قد ترك كل أشغاله وأعماله ومهامه الأكاديمية الكثيرة في لندن، حيث يعمل أستاذاً للعلوم السياسية في مدرسة لندن للاقتصاد؛ الكلية العريقة، بل شديدة العراقة في مجالها، والتي يصنفها الكثيرون بأنها رقم واحد في الاقتصاد والعلوم السياسية على مستوى جميع الجامعات والكليات المناظرة لها في العالم، كنا نقول إنه يُقال إن محب قد ترك كل هذا ورجع إلى مصر على

وجه السرعة بعد أحداث 25 يناير، بناءً على طلب من الكنيسة المصرية، وبناءً على طلب من البابا تواضرس شخصياً، والذي يُقال إنه يثق ثقة كبيرة به وبآرائه وتحليلاته ونظرته وتقييمه للأمور وللأوضاع في مصر.

أما عن السبب الحقيقي في تدقيق محب في الأسماء الواردة في الجريدة برغم معرفته بهم جميعاً فهو غير معروف لدينا على وجه اليقين، وكل ما نستطيع تأكيده في هذا المقام هو أنه قد أخذ وقته، وهو وقت طويل للغاية، وهو يفعل ذلك، أي وهو يقرأ ويدقق ويفحص ويُمحص، بالرغم من شعوره بالإرهاق الطاغي والتعب العارم في كل جسده، وذهنه أيضاً، نتيجة عدم نومه بالأمس، لحرصه على متابعة الجلسة التلفزيونية للجمعية التأسيسية التي استمرت حتى الصباح، حين أقروا أخيراً مشروع الدستور.

ولعل سبب حرص محب على هذا التدقيق هو شكوك قديمة تصل إلى حد اليقين التام والكامل، في أجندة (المصري اليوم)، وفي توجهاتها، وفي الأخبار التي تنشرها، وفي توقيت تلك الأخبار التي تنشرها، وفي المغزى منها، وذلك من أيام أن تسنت له الفرصة مرة لزيارة مجدي الجلاد؛ رئيس تحرير (المصري اليوم)، في بيته، فشاهد بأم عينيه أن أهل بيته، أي أهل بيت مجدي الجلاد، من المُخمرات، أي من اللاتي يرتدين الخمار الإسلامي، بل والخمار الإسلامي على الطريقة السلفية إن كنت تعرف ما أعني، حتى تهيأ له وقتها أنه في بيت إحدى الأسر الإيرانية المتزمتة في طهران، أو بيت أحد الشيوخ السلفيين المحافظين المتشددين في أفغانستان، ومن يومها وهو يشك شكاً يكاد يقترب من درجة اليقين الكامل التام في أن مجدي الجلاد ليس مدنياً، ولا تنويرياً، بل ولا حتى وطنياً مصرياً، ولا علاقة له بالمدنية والمعمار، وإنما هو يصطنع ذلك اصطناعاً، لسبب لم يكن محب متأكداً منه تماما التأكد، وإن حدثته نفسه كثيراً، ونحن هنا ننقل عن مصدر موثوق منه نمسك عن ذكر اسمه الآن في هذا المقام وإن كنا نرجو منك الثقة فينا وفي مصدرنا الذي هو على صلة وثيقة جداً بمحب، أن مجدي الجلاد ربما كان من الخلايا النائمة للإسلاميين.

كما كان محب متأكداً مليون بالمئة من الانتماءات الحقيقية لكل المصنفين في القائمة السابقة على أنهم مدنيين، أو شرطيين، أو عسكريين، أو أوقاف، أو شباب ثورة، أو أحزاب مدنية، أو أساتذة جامعة، فقد كان متأكداً مليون بالمئة من أنهم إخوان تماً وإسلامجية قحاً، ليس فقط بالظن

والحدس والاستنتاج وربط النقاط ببعضها البعض، بل لأن الكثيرين منهم قدصرحوا له هو شخصياً، في ساعة صفاء، بهذا الانتماء، والباقي منهم صرحوا لمن يثق محب في صدقهم بنفس هذا الأمر وعين هذا الانتماء الإسلامي و الإخواني.

وكان محب متأكداً تمام التأكد من أنه في اللحظات الحاسمة من مسيرة مصر، ستكون انحيازات مجدي الجلاد، وانحيازات غيره من الخلايا النائمة في القائمة المتقدم ذكرها ، إلى فريق المتخلفين والمتزمتين والإسلاميين الرجعيين.

"يكفي أن أهل بيته مُخمرات، هذا يعطي فكرة عن الانحيازات الحقيقية له، الباقي أكل عيش، أو توزيع أدوار، أو اللي بيقولوا عليه في الإسلام التقيّة، التقيّة عند المسلمين يعني الحذر من إظهار ما في النفس من معتقدات وأفكار وانتماءات، واتخاذ من الأقوال والأفعال ما يوافق أهل الكفر لاجتناب شرهم، مع ثبات القلب على بغضهم، والسعي لدفع شرهم، واللي قبلينا قالوا اللى في القلب في القلب، وزُفر بن الحارث الكلابي قال:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

إن ما كانش ده يبقى نفاق وكدب وخداع وأمور شرمطة أمال يبقى اسمه إيه!"

هكذا كان محب يقول لنفسه، ونحن هنا ننقل هذا أيضاً عن نفس المصدر الموثوق الذي كان على صلة وثيقة جداً بمحب والذي نمسك حالياً عن ذكر اسمه في هذا المقام.

ومع هذا، كان محب حريصاً أشد الحرص على قراءة (المصري اليوم) يومياً، من ضمن الصحف والمجلات والدوريات المحلية والأجنبية التي يحرص على قرائتها يومياً، ولعل ذلك مرده رغبة دفينة لديه في أن يمسك على الجريدة، وعلى مجدي الجلاد شخصياً، ما يؤكد فكرته المسبقة عنه، ليدور بعد ذلك هنا وهناك، بين أصدقائه ومعارفه، وفي أروقة الكنيسة أيضاً، متباهياً ببصيرته وبعد نظره في الحكم على الجريدة وعلى رئيس تحريرها.

"دستور العار! رجالة عِزَّة! يا عِزَّة يا ولاد العِزَّة!"

هكذا تمتم محب بصوت مسموع من حنقه مما جرى في الجمعية التأسيسية من ناحية،

ولإرهاقه من طول سهره ليلة أمس أمام شاشة التلفزيون يتابع جلسة الهيئة التأسيسية لوضوع الدستور، التي لم تنهي أعمالها إلا مع الصباح، وهو ما منعه من النوم.

أمسك الترموس الياباني اللتر ونصف ماركة زوجيروشي أبو فيل الذي كان قد ملئه من ساعتين تقريباً بقهوة نسكافيه جولد، والذي لم يبق فيه إلا أقل من الثلث، وصب لنفسه في المج الفلبيني الخزفي الهاند ميد المفضل لديه والذي أحضره معه من لندن، لأنه لا يستطيب القهوة إلا منه، وتابع قراءة الصفحة العاشرة من جريدة (المصري اليوم)، عدد الأحد 2012/12/2، السنة التاسعة، العدد 3094، والتي خصصت ملفاً خاصاً لإقرار دستور العار، كما سماه محب إحنا مش جايبين حاجة من عندنا، وكان مانشيت الصفحة بالأحمر، مع صور لأعضاء الهيئة التأسيسية الذين أقروا الدستور واسمائهم ووظيفة كل منهم. قرأ محب:

"بالأرقام: 35 إخوانياً و19 سلفياً و17 مدنياً أقروا "دستور الفجر".

"بالأرقام، تكشف "المصري اليوم" سيطرة تيار الإسلام السياسي على الجمعية التأسيسية لوضع الدستور، أثناء الجلسة الأخيرة للتصويت على مشروع الدستور الجديد الذي تم تسليمه أمس للرئيس محمد مرسي، تمهيداً لطرحه للاستفتاء. شارك في الجلسة 68 عضواً من المنتمين للتيار الإسلامي، تصدرهم حزب الحرية والعدالة والمنتمون لجماعة الإخوان بـ 35 عضواً، يليه حزب النور السلفي والمنتمون للدعوة السلفية بـ 19 عضواً، ولم يتجاوز عدد المنتمين للتيار المدني 17 عضواً يمثلون 25% فقط من عدد الأعضاء الذين شاركوا في الجلسة "85 عضواً"، مع ملاحظة أننا وصفنا المستشار حسام الغرياني، رئيس الجمعية، ضمن المنتمين للتيار المدني كممثل للهيئات القضائية رغم ترجيحات البعض بانتمائه لتيار الإسلام السياسي. عماد فؤاد".

"تيار مدني! تيار مدني مين يا ولاد الشرموطة، كلكم إخوان وسلفيين يا ولاد الوسخة عارفكم واحد واحد، حتى الخلايا النايمة فيكم، خصوصاً الخلايا النايمة فيكم يا شراميط يا معرصين!

وحسام الغرياني بقى تيار مدني! وبقى أصل البعض بيرجح إنتمائه للإسلاميين! تفوه!

الواحد صحيح كان عارف إن فيه كارثة بس حدود الخيال ما تخيلتش الخيال ده كله! ده مافيش ذرة دم مافيش ذرة حيا! لباقة حتى! مفاجيع آه ماشي، بس شوية لباقة حتى، شوية لطافة،

أي ديسنسي حتى! دول زيرو!

حسام الغرياني اللي ولاد الوسخة بتوع المصري اليوم مصنفينه مدني، مصنفينه معانا في الطابور بتاعنا، إمبارح بعد انسحاب ربع أعضاء الجمعية، انسحاب أعضاء رجالة من الجلسة، رجالة بجد، ابن الوسخة مش يحل الجمعية، لأ، يقوم في ساعتها مدخل حداشر من الاحتياطي عشان يكمل النصاب القانوني! ده لو ماتش كورة يا ابن الوسخة كان الحكم ألغى الماتش! لأ ويكروت التصويت ويخلي الجمعية تصوت على ميتين مادة في جلسة واحدة! يا عرص يا ابن الشرموطة! أوسخ منك مافيش! لأ ويمنع كمان الشراميط اللى كانوا حاضرين من المناقشات، اللي هي ذر رماد في العيون بس عشان عارفين إنهم بيتصوروا في التلفزيون، حتى دي يا معرص تمنعها! ومسمينه شيخ القضاة قال! مين ابن الشرموطة اللى سماه الاسم ده! وفي الآخر يعلن عن حل الجمعية، قال إيه الجمعية بتحل نفسها بنفسها قبل المحكمة الدستورية ما تصدر القرار بحلها لإنها أصلاً جمعية مخالفة للمبادئ الدستورية، طب يا ابن الوسخة إعمل حساب للملايين اللي خرجت في الشوارع معترضة على الإعلان الدستوري بتاع رئيسك الشرموط يا ابن الشرموطة! ويقولك بعد كده أصل حسام الغرياني مدني وأصله شيخ القضاة، يا أخي تفوه!"

هذا ما كان محب يقوله في نفسه وهو يتابع قراءة صفحات (المصري اليوم)، وقد وصل إلى الصفحة التاسعة التي اسمها "القضايا الساخنة"، والتي كان في قمتها مانشيت كبير بالأسود:

"المفوضة السامية لحقوق الإنسان تدعو مرسي لإلغاء إعلانه الدستوري، نافي بيلاي في رسالة للرئيس: "التأسيسية" لا تمثل جميع الأطياف وتحصين قراراتك يتنافى مع المواثيق الدولية".

وتحت هذا الخبر، كان هناك خبر آخر:

"صحف أجنبية: مرسي "الخليفة" الجديد في مصر، والديمقراطية "مهلهلة"، وعودة الخيام إلى التحرير إحياء للثورة".. (لوموند): الرئيس يسعى للتصديق على دستور "متأسلم" بالقوة، وصحف ألمانية: الوثيقة "ديناميت"، واحتجاجات المعارضة الفرصة الأخيرة لتعديل مسار الثورة".

وعلى يسار الخبر الأخير، قرأ محب:

"واشنطن: ندعم حق الشعب المصري في دستور يعكس إرادته، ولا نتجاهل المعارضة".

قال محب في نفسه:

"ندعم الدستور ولا نتجاهل المعارضة! آه يا ولاد الوسخة! صدق مبارك لما قال المتغطي بأمريكا عريان! ما هو طبعاً لازم تأيدوا الإسلاميين ما هي الفكرة فكرتكم أصلاً والدليل تقرير مؤسسة راند اللي كاتباه بنت الوسخة شيرل بينارد: الإسلام المدني الديمقراطي، الشركاء والموارد والاستراتيجيات، وإدارة أوباما ابن الوسخة ماشية عليه حرف حرف وبتطبقه كلمة كلمة؛ يدعموا الإسلاميين في الشرق الأوسط ويساعدوهم على الوصول للحكم، وبعدين يستخدموهم، يجندوهم في تنفيذ المخططات والأهداف والسياسات الأمريكية، تفوه عليكم جميعاً ولاد شرموطة صحيح! وعايزني أكسبها!"

وكان آخر ما قرأه محب من جرائد اليوم تصريحاً للأنبا يوحنا فلتة، في الصفحة السابعة من جريدة (الأخبار): "أطالب القضاة بالإشراف على الاستفتاء".

وحرص محب على قراءة التصريح كلمة كلمة، وهو يشك في محرر (الأخبار)، الذي لا شك في أنه من الإخوان المسلمين، بل إخوان بن إخوان، خاله إخوان وعمه إخوان وكل عائلته إخوان في إخوان، فمعلومات محب أن رئيس تحرير (الأخبار) الإخواني تماً؛ محمد حسن البنا، قد أجرى، فور تسلمه لمهام رئاسة التحرير تغييرات هيكلية في ستاف الجريدة، نقول بإن محب قد شك بأن يكون محرر الخبر قد حرَّف كلمة هنا أو هناك، وأزمع أن يثير الموضوع، إن حصل أي تحريف فعلاً في التصريح، مع الأنبا يوحنا فلتة، الذي سيلتقيه بعد ساعة ونصف تقريباً من الآن، في اجتماع طارئ شديد الأهمية، لدراسة الوضع الحالي وموقف المسيحيين منه والبدائل المتاحة أمامهم للتحرك الجماعي كمجموعة واحدة متحدة بصوت واحد، وكان منطوق التصريح المكتوب كما يلي:

" أكد الأنبا يوحنا فلتة نائب بطريرك الأقباط الكاثوليك وممثل الكنيسة الكاثوليكية المنسحب من الجمعية التأسيسية لوضع الدستور أن استحواذ فصيل سياسي واحد على الحياة السياسية يجعل

كل شيء مباحاً، وأن انسحاب ممثلي الكنيسة من الجمعية التأسيسية هو رسالة صريحة أراد الأقباط توجيهها إلى التيار الإسلامي، بعدما أصر أعضاء الجمعية على عدم تعديل المادة 220 الخاصة بتفسير مبادئ الشريعة الإسلامية، وطالب عضو الجمعية التأسيسية المنسحب جميع القضاة أن يقوموا بالإشراف على الاستفتاء، وألا يمتنعوا عن ذلك لأن الاستفتاء مسألة وطنية تصب في صالح الأمة، ويتوقع أن يكون هناك انقسام واضح أمام الصندوق الانتخابي كما هو واقع الآن، حيث أن عدداً ليس بقليل من الشعب المصري لا يريدون هذا الدستور غير التوافقي، ونفى الدكتور يوحنا في تصريح خاص للأخبار ما تردد حول رغبة أقباط مصر تدويل القضية، بسبب عدم تمثيل الأقباط في الدستور الجديد، وقال أنه لا يمكن لأي قبطي مصري أن يقبل تدخل أي دولة أجنبية في مسألة داخلية خاصة بالوضع السياسي الداخلي في مصر، لأن الدول الكبرى لا يهمها مشكلاتنا بقدر اهتمامها بمصالحها الخاصة، وبعث رسالة إلى التيار الإسلامي بضرورة توحيد الصفوف، والعودة إلى الحوار التوافقي البناء، وأن ينظر حزب الحرية والعدالة إلى مصر نظرة واسعة لا أن ينظر إليها على أنها فصيل واحد".

شعر محب بخيبة أمل كبيرة لأنه لم يستطع أن يمسك غلطة موضوعية على محرر (الأخبار) في نقله لتصريح الأنبا يوحنا فلتة، لكنه سبه وسب أمه لوقوعه في خطأ لغوي لا يُغتفر، هو فتح همزة إن بعد القول، وإن كنا من جانبنا لا نستطيع أن نُحمِّل الصحفي المعني، الذي لم يكن اسمه مذكوراً في صدر التصريح، مسؤولية هذا الخطأ، لأن الجميع يعلم أن هناك مراجعاً، بل عدة مراجعين لغويين في كل جريدة، والأولى أن تكون هذه الجريمة اللغوية مسؤوليتهم، أو على الأقل هذا ما نعرفه وما هو شائع، ولعل الأمر غير ذلك؛ فنحن نعلم أن الجرائد القومية المصرية تمر بأزمة مالية طاحنة، فلعلهم سرَّحوا المراجعين اللغويين توفيراً للنفقات، والله وحده أعلم.

ألقى محب نظرة على ساعة الحائط السيتيزن الدائرية الخضراء، ولما رأى أنها العاشرة وتسع وثلاثون دقيقة، حسب في رأسه الوقت اللازم للدش، ولارتداء الملابس، والمسافة من المعادي، حيث يسكن، إلى الكاتدرائية في العباسية، فقرر أن هذا يكفي لقراءة جرائد اليوم ولن يضيع مزيداً من الوقت مع الصحف المصرية، فرتب صحفه على مائدة غرفة الطعام، والتي هي صالة البيت في نفس الوقت، حيث كان يجلس يحتسي قهوته لكي تساعده على الصحو ومغالبة الرغبة في النوم، ووضع جريدة (الشروق)، التي لم يقرأها بعد، على القمة، وكان في المانشيت

الرئيسي بها في صدر الصفحة الأولى بالخط الأحمر: "وصمة عار، حشود الإسلاميين تحاصر المحكمة الدستورية وتمنعها من نظر حل "الشورى" و"التأسيسية"، المتظاهرون: "يا مرسي إدينا إشارة واحنا نجيبهم لك في شيكارة".

لعن في نفسه الإسلاميين، والتخلف، والانحطاط، والقذارة، وقدَّر أن السكة ستأخذ أكثر مما ظن، لأنه لا بد وأن يمر بمبنى المحكمة الدستورية العليا في الطريق.

قام من على كرسي مائدة الطعام المستديرة ذات الأربع كراسي، وتناول تليفونه المحمول السمارت النوكيا، الذي اشتراه من لندن، والأدق القول إنه لم يشتره فعلاً، حيث كان هناك عرض على شراء خط فودافون إنجلترا، عبارة عن تليفون نوكيا سمارت هدية فوق البيعة، وحين قال هذا لبعض الناس في مصر ضحكوا كثيراً، وإن كانوا قد تحسروا بينهم وبين أنفسهم للتفرقة المهولة والظالمة التي تفرق بها فودافون في معاملة المصريين والإنجليز، بالرغم من أن المصريين هم الأولى بهذه الهدايا العظيمة، نظراً لحاجتهم واحتياجاتهم وفقرهم ومتوسطات دخولهم، لا الإنجليز، حتى إن سامح شكري قد علق، وهو يضحك، قائلاً لمحب: "من معه يُعطى ويُزاد، ومن ليس معه يُؤخذ منه"، مما أضحك محب كثيراً، حتى إنه كتبها في كشكول ملاحظاته الذي يكتب فيه ما يستوقفه من تعليقات وملاحظات وحكايات يمكن أن تنفعه في المناقشات والحوارات والمناظرات، كآية من الكتاب المقدس؛ آية لاهوتية لطيفة يمكن أن يستخدمها بحذر في الحديث مع أحد في الكنيسة، بشرط أن تقال أمام شخص لديه سنس أوف هيومر، واسع الصدر، وليس من أولئك الذين عندهم حساسيات تجاه الاستشهاد بآيات من الكتاب المقدس تخالف معناها.

اتصل محب في طريقه إلى الحمام بأحمد سلامة، سائق التاكسي الذي يقوم بتوصيله في مشاويره في القاهرة، وأخبره بأن أمامه ساعة ويكون جاهزاً للنزول من البيت، فأكد عليه أحمد سلامة بأنه سيستقل سيارة التاكسي فوراً وسيكون عنده بعد ساعة بالتمام والكمال.

-2-

"يُمسك المُعلم بعصاه ويقول لتلميذه: إن قلت لي إن هذه عصا فسوف أضربك بها، وإن قلت إنها ليست عصا فسوف أضربك بها، وإن صَمتّ وامتنعت عن الكلام فسأضربك بها، التلميذ النجيب يأخذ العصا من يد معلمه ويكسرها، المغزى هو أنك إذا وجدت نفسك في موقف يستحيل فيه أن تختار أي بديل إلا وتخسر، فالحل الوحيد حينها هو أن تكسر العصا، هل أقول معضلة العصا في فلسفة الزن للأنبا يوحنا؟! الأنبا يوحنا ذكي جداً وسيفهم المراد فوراً؛ إن حصل الاستفتاء وجاءت النتيجة بنعم فنحن خاسرون، وإن جاءت النتيجة بالرفض، وهذا مستحيل المستحيلات، ولكن حتى على فرض أن المستحيل تحقق، فإننا خاسرون أيضاً لإن الإعلان الدستوري لمرسي سيظل مطبقاً طالما ليس هناك دستور، وسوف يعيدون تشكيل الجمعية التأسيسية على هواهم مرة أخرى، وربما يجروا بعض التعديلات الهامشية في الصياغة في بعض المواد، ثم سيطرحونه للاستفتاء مرة أخرى، وسنُضرب بالعصا لا محالة، الحل الوحيد أمام الأقباط والمسيحيين والتيارات المدنية هو في كسر العصا! لكن إن قلت هذا للأنبا يوحنا فربما يُفسر الكلام على أنه الموقف الرسمي للكنيسة، وإن تسرب هذا خارج الأربع جدران فسوف أسبب مشكلة عويصة لهم مع النظام ومع الإسلاميين، ما العمل إذن؟! أنا فعلاً مقتنع تمام الاقتناع بأننا في خضم معضلة العصا، هل أسكت؟! طيب وضميري الشخصي، والكبرياء المهني، واحترامي لنفسي؟! الأفضل والأسلم إذن أن أستشير الأنبا موسى قبل الاجتماع مع الأنبا يوحنا، صح، هذا هو التصرف السليم، التصرف المسؤول".

كان محب مشغولاً، وهو جالس بجوار أحمد سلامة سائق تاكسي البيجو السبعة راكب، وهما في طريقهما من المعادي إلى العباسية، بالتفكير فيما سيقوله في الاجتماع مع الأنبا يوحنا فلتة؛ الممثل الرسمي للكنيسة الكاثوليكية في مصر، والذي كان من المقرر أن ينعقد بعد خمسين دقيقة تقريباً من الآن في مقر البطريركية المرقسية بالعباسية، بحضور الأنبا موسى أسقف الشباب، والذي كان بمثابة الأب الروحي لمحب، ولعله من غير المعلوم للكثيرين أنه هو من قدمه للبابا تواضرس ورشحه له لكي يكون أحد المستشارين السياسيين له وللكنيسة القبطية في ظل هذه الأحداث الجسام التي تمر بها البلاد، بل وكان الأنبا موسى هو أيضاً أول من رشح، ثم دعم بقوة، محب لكي يكون ضمن الكوتة التي تختارهم الكنيسة لعضوية مجلس الشعب، والذي صار اسمه

الآن "البرلمان"، والذي تم حله بقرار من المجلس الأعلى للقوات المسلحة في 15 يونيو 2012، وهو القرار المنشور بالجريدة الرسمية العدد 24 مكرر (أ) في 18 يونيو سنة 2012 بتوقيع المشير حسين طنطاوي رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وقبل هذا وذاك، كان الأنبا موسى أيضاً هو من أقنع محب بأن يأخذ إجازة من عمله أستاذاً للعلوم السياسية في كلية لندن للاقتصاد، وأن يرجع إلى مصر، في ظل هذه الأحداث الجسام التي تمر بها البلاد، لكي تستفيد الكنيسة من آراء وخبرات ابنها، في ظل هذه الأحداث الجسام التي تمر بها البلاد، ولعل هذا الأمر أيضاً غير معلوم للكثيرين؛ نعني العلاقة الخاصة المبنية على الثقة والاحترام ما بين الأنبا موسى والدكتور محب ذكي، وليس الأحداث الجسام التي تمر بها البلاد، فالجميع والقاصي والداني وما بينهما على علم تام وكامل وشامل بالأحداث الجسام التي تمر بها البلاد.

- هوَّ القرف ده مش هايخلص بقى! ربنا يرحمنا برحمته!

هكذا علق الأسطى أحمد سلامة، السبعيني، على الطريق المتوقف وازدحام السيارات المتكدسة والمتوقفة بسبب اعتصام الإخوان والسلفيين أمام مبنى المحكمة الدستورية العليا لمنع قضاتها من دخول المحكمة والانعقاد، حتى لا يصدروا حكمهم المتوقع ببطلان الجمعية التأسيسية للدستور وتأييد حل مجلس الشورى.

شم محب رائحة لحم غنم مشوي، فعلق مستغرباً:

- إيه ده؟! شامم يا عم سلامة؟! هوَّ ده خروف بيتشوي؟!

- أيوه يا دكتور! على صباحية ربنا كده! دي الناس لسه نايمة، ده فيه ناس لسه مافطرتش أصلاً! حلاليف بعيد عنك! والله العظيم حلاليف! لا مؤاخذة يا دكتور.

- لأ ما هما كده فعلاً.

- والله العظيم دي ناس تاكل البقرة بخراها! لا مؤاخذة يا دكتور.

- لأ عندك حق هما كده فعلاً.

شاهد محب والأسطى سلامة بطتين ضخمتين تهرولان في الطريق بين السيارات، وأخ سلفي

طويل الذقن حليق الشارب بالزي الباكستاني يجري خلفهما، فضحك كلاهما في نفس اللحظة.

قال محب في نفسه: "مشهد سوريالي! العيال دي بيطلع منها سوريالية أصيلة فشر ماكس إرنست!"

ثم قال للأسطى سلامة وهو يضحك:

- ده ولا في الأحلام!

- كابوس يا دكتور وانت الصادق!

استغرب محب من تعليق الأسطى سلامة، وقال في نفسه:

"عظيم والله الشعب المصري، سلامة ما يعرفش يعني إيه سوريالية بس قال كابوس، اللي هي هي سوريالية! ما هو كابوس فعلاً، الصورة ما بتكدبش، الصورة أصدق من ألف كلمة زي ما بيقولوا، ها ها هه لو أحمد فرحات سمع الجملة دي لازم هايقوم فوراً قايل قصيدة عبد الرحمن الشرقاوي ولازم يشتم في النص اللي قال الجملة:

أتعرف ما معنى الكلمة؟!

الكلمة نور يا اهبل!

وبعض الكلمات قبور يا اهبل!

مفتاح الجنة في كلمة يا اهبل!

ودخول النار على كلمة يا اهبل!

الكلمات قلاع شامخات يا اهبل!

يعتصم بها النبل البشري، يا اهبل!

الكلمة فرقان ما بين نبي وبغي، يا اهبل!

بالكلمة تنكشف الغمة، يا اهبل!

الكلمة زلزلت الظلم، يا اهبل!

الكلمة حصن الحرية يا اهبل!

إن الرجل هو الكلمة يا اهبل!

شرف الله هو الكلمة يا اهبل!

وحشنا والله أحمد فرحات، لزمن ولابد أحاول أشوفه قريب، وحشني بجد ومتشوق جداً أسمع رأيه في اللي بيحصل".

قطع الأسطى أحمد سلامة تفكير محب في أحمد فرحات بقوله:

- والله يا دكتور الكلام الفارغ والعك ده مش في الإسلام خالص، الإسلام ده والله يا دكتور حاجة حلوة قوي، دين يعجبك يعني!

ضحك محب وقال:

- آه طبعاً مانا عارف يا عم سلامة.

وقال في نفسه: "رجل بسيط يتحدث من قلبه ببساطة وهو غير مدرك أن هذا الأسلوب يمكن أن يعد دعوة لاعتناق الإسلام!"

أكمل الأسطى أحمد سلامة تداعي أفكاره:

- الإسلام ده دين محبة، ودين رأفة، والواحد لازم يحاسب على مشاعر غيره وما يبقاش زي الحلوف كده اللي داير يلطش في كل حتة من غير مفهومية، الإسلام دين شياكة، ودين نضافة، والنضافة من الإيمان، إنت سيادتك جيت عندنا القرافة وشفت الدراويش عاملين إزاي! هدومهم نضيفة ومكوية زي الفل، سيبك من اللي لابسين خيش وشايلين سلاسل ده بيبقى لزوم الطريق في مرحلة معينة، إنما الأساس في الدراويش هو النضافة والشياكة، والرحمة، الرحمة على الطير، والرحمة على الحيوان، وعلى الشجر..

- آه طبعاً هوَّ فيه زي الدراويش يا عم سلامة ولاّ فيه زي الصوفية! بس للأسف أنا سامع إن الداخلية مضيقة عليهم جامد وقارفينهم اليومين دول!

- صحيح مضبوط عندك حق، في مولد السيدة نفسية نفيسة العلم اللي فات، نقطة الشرطة اللي في الميدان رخمت جامد جداً على الناس، لدرجة إن المولد الحقيقي كنت تلاقيه في الحواري والشوارع الضيقة اللى حوالين الميدان، الدراويش والخدمة هربوا للحواري من قرف البوليس!

- مع إن لو فيه مخ عند الداخلية ولاّ عند المسؤولين عندنا كانوا سابوا الدراويش على السلفية! ما يقدرش يوقّف السلفية عند حدها إلا الدراويش، أنا مرة شفت بعنيّا درويش لابس بيجامة على الرصيف قدام جامع سيدنا الحسين واخد واحد سلفي بدقن طويلة غسيل ومكوة! والله العظيم يا عم سلامة غسيل ومكوة! والأخ السفلي ده مش عارف يرد عليه! وبالشرع والفقه والأحكام الشرعية برضو!

- صحيح صحيح، الدراويش دول عالم جامدة جداً في العلم يا دكتور!

- خسارة يا مصر! والله العظيم ما بوَّظ مصر إلا السلفية والسلفيين!

- صحيح صحيح، ده وبا والله العظيم يا دكتور! ده حتى أمناء الشرطة، ده حتى الضباط بتوع النقطة اللي في الميدان عندنا كلهم تحس إنهم سلفيين! اقطع دراعي إنهم بيرخموا على المولد علشان هما سلفيين! وانت عارف السلفيين بيكرهوا الموالد والدراويش كره العمى! والأكادة إن كلهم حرامية ولاد كلب، تعالى شوف أمناء الشرطة اللي عندنا! دايرين طول اليوم يلفوا على القهاوي العشوائية اللي في الميدان عندنا يحصلوا منها إتاوة! وحتى العيال البيبعة السريحة والنسوان اللي قاعدة تبيع لعب عيال وبلالين في الميدان عندنا مابيسلموش برضو منهم، لازم ياخدوا منهم المعلوم وإلا ياخدوا منهم الحاجة اللي معاهم، اللي تلاقيهم شارينها باللي وارهم واللي قدامهم!

- الشرطة بقت سلفية يا عم سلامة!

- صحيح صحيح!

- جوه كل أمين شرطة صغير تلاقي سلفي كبير.

- صحيح والله العظيم يا دكتور! الله يفتح عليك!

- والجيش برضو بقى معظمهم سلفيين برضو.

- والجيش كمان؟!

- آه أمال إيه! إنت عارف إن معظم قادة الجماعات الإرهابية أصلهم ضباط في الجيش، وبالذات في الصاعقة!

- يا نهار اسود!

- آه أمال إيه! أمال فِكرك مين اللي قتل السادات الله يرحمه! مش ضباط في الجيش! ماهو الكاميرات كانت بتصور وشفنا كل حاجة!

- آه صحيح فكرتنا والله الواحد كان نسي الحكاية دي.

- ما انا بقولك، من التمانينات والجيش المصري اتغير خلاص! بقوا سلفيين والسلفية ضاربة فيه زي السوس مايضرب في الجدر بتاع الشجرة!

- بص يا دكتور مابدهاش بقى إنت كده ولا مؤاخذة مش هاتلحق الميعاد بتاعك فانا هحاول إيه أزوغ والف كده من الشوارع الضيقة لإنه هايبقى أرحم مليون مرة من القرف اللي على الكورنيش ده!

- عين العقل.

وفي أول بادرة لتحرك السيارات بعض الشيء، انتهزها الأسطى أحمد سلامة فرصة فانحرف يميناً في أول شارع جانبي قابله، ثم ظل ينحرف يميناً ويساراً، ويساراً ويميناً، في طرق لم يمر بها محب من قبل، بالرغم من أنه من سكان المعادي منذ أكثر من سبع سنوات، صحيح أنه لا يأتي مصر إلا في إجازات فقط، ولكن مع ذلك يعد نفسه من سكان المعادي، وهو أيضاً من هواة المشي الطويل والتجوال، ولا يوجد أجمل ولا أهدئ من شوارع المعادي، وخصوصاً المعادي القديمة،

لممارسة هواية المشي الطويل والتجوال، ومع ذلك كانت الشوارع الجانبية التي يسير فيها الأسطى أحمد سلامة الآن مجهولة تماماً بالنسبة لمحب، الذي استغرب كيف لشخص من سكان قرافة السيدة نفسية، أي مصر القديمة، من أن يكون ملماً إلى هذا الحد الخطير الرهيب الذي يأخذ العقل بالطرق الجانبية والالتفافية في المعادي القديمة؟!

- آه صحيح يا عم سلامة، أنا كلمت واحد صاحبي وحبيبي قوي بيشتغل في السيما ووصيته على سلامة والراجل قالي إنه خلاص هايحط الموضوع في دماغه وقريب قوي هايشوفله حاجة في الإعلانات.

- ربنا يخليك يا دكتور وما يحرمناش أبداً من جمايلك! ياااه ده سلامة هايفرح قوي أول ما يعرف!

كان الأسطى أحمد سلامة قد فاتح محب منذ عدة أيام في رغبة إبنه؛ سلامة أحمد سلامة، في العمل في التمثيل والسينما، وحيث أن محب كان يحب أن يخدم الأسطى أحمد سلامة، حينها فكر بسرعة وخطر على باله فوراً سامح شكري، وقرر أن يطلب منه أن يجد لسلامة أحمد سلامة، خريج كلية الحقوق جامعة عين شمس، فرصة للتمثيل في أي فيلم، ولو حتى دوراً صغيراً أو شديد الصغر، ولو حتى ككومبارس صامت غير متكلم.

- إنت عارف يا عم سلامة إن السينما دلوقتي تعبانة بسبب اللي بيحصل، فصاحبي ده قال لي إن الإعلانات هي اللي شغالة دلوقتي وسلامة بقى يسخّن شوية في حكاية الإعلانات دي لغاية ما إيه يتودك، وشوية شوية يخش بقى في المجال، تكون حتى السينما ساعتها فتحت شوية.

- يا سلام يا دكتور عظمة على عظمة! ربنا يخليك لينا وما يحرمناش منك! فعلاً عندك حق الإعلانات طبعاً هاتبقى أحسن لسلامة دلوقتي، السينما فعلاً الواحد بيسمع إن حالها واقف اليومين دول.

ثم صدرت عن الأسطى سلامة آهة عميقة؛ آهة ألم، ألم مكتوم مدفون مختبئ عن الأنظار وراء السحنة الهادئة المطمئنة الوديعة.

- ليلى الله يرحمها كانت بتحب السينما قوي!

- ألف رحمة ونور عليها، هيَّ دلوقتي مع ربنا بين الملايكة.

- الله يرحمها! قبل ما ربنا يفتكرها بيومين قالت لي يا بابا أنا نفسي أروح السينما، قولتلها يا حبيبتي من عينيا نروح سوا، عايزة تدخلي فيلم إيه؟ قالت لي نفسي يا بابا أشوف الفيلم بتاع محمد هنيدي الجديد، رحت راكب التاكسي في ساعتها وخدتها معايا، كنا ساعة عصاري وكنا لسه متغديين ولسه بنشرب في الشاي، كأن قلبي كان حاسس! سقت بيها ورحنا سوا سينما أوديون اللي في وسط البلد، اتفرجت وانبسطت وماتت من الضحك، أصلها اللي يرحمها كانت بتحب محمد هنيدي قوي، الله يرحمها.

ولم يتمالك الأسطى أحمد سلامة نفسه فانهمر في بكاء مرير، لكنه حرص حينها على ركن السيارة بسرعة حتى تنتهي نوبة البكاء.

تأثر محب بشدة، فربت بيده اليمنى على الكتف الأيمن للأسطى أحمد سلامة الباكي، وتمتم بكلمات خرجت من فمه قبل أن تمر على وعيه:

- معلش معلش، تعيش وتفتكر، ربنا يرحمها ألف رحمة ونور عليها، معلش يا عم سلامة هي في جوار رب اسمه الكريم.

- الله يرحمها اتخطفت بدري قوي!

- معلش يا عم سلامة ما هو ربنا بيحبها، ربنا بيحبها والله، إنت عارف الناس اللي بتطلع عند ربنا بدري بيبقى ربنا بيحبها وعايزها جنبه.

- الله يرحمك يا ليلى، الله يرحمك يا حبيبتي، الله يرحمك يا حبيبة بابا، الطيبة كانت فيها، والكرم كان فيها، وحنية الدنيا كانت فيها، كان كل الناس بتحبها! والله عمرها مازعلت منها حد والكل كان بيحلف بيها! الناس عندنا في القرافة كانوا يقولوا لبناتهم الصغيرين ربنا يدني طولة العمر واشوفك عروسة زي ليلى بنت أحمد سلامة!

- الله يرحمها ألف رحمة ونور عليها.

وربت محب مجدداً على كتف الأسطى أحمد سلامة، الذي زادت حدة نوبة بكائه، ففتح محب

بسرعة باب السيارة، وخرج منها قائلاً:

- ثواني وراجع علطول.

اشترى علبتي عصير مانجو بيور جهينة ربع لتر كل علبة، وإن كان، والحق يقال، إنها لا بيور ولا يحزنون، حتى إن العلبة نفسها مكتوب عليها أن ربع الكمية فقط هي من العصير الطبيعي ولب المانجو والباقي نكهات ومواد صناعية، وحتى الربع الطبيعي الله وحده يعلم ما نوعية أو حالة المانجو المعصور فيها، لكن والحق يقال أيضاً، كان طعم العصير البيور أفضل بعض الشيء من عصير جهينة العادي الذي هو كله نكهات ومواد صناعية، ويُقال، ومن باب العلم بالشيء، والله وحده أعلم بالحقيقة، إن أصحاب شركة أو شركات جهينة هم من الإخوان المسلمين أباً عن جد عن جد الجد، وهم يمتلكون أهم وأكبر مصانع لتعبئة الحليب، والذي يضيفون إليه اللبن البودرة، كما هو مكتوب على العبوة نفسها، ويمتلكون أيضاً أهم وأكبر مصانع صنع وتعبئة العصائر الصناعية، ومصانع أخرى لصنع وتعبئة مواد غذائية متنوعة ومتعددة، يدخل في صنعها الكثير من المواد الصناعية والنكهات المُخلَّقة التي ينخدع بنكهتها ورائحتها الزبون الغفل.

خرم محب علبة من علبتي العصير بالشفاطة، وناولها للأسطى أحمد سلامة، وفعل المثل بالعلبة الأخرى، وراح يشرب منها على مهله، بينما تمتم الأسطى أحمد سلامة من خلال دموعه:

- ليه بس يا دكتور تعبت نفسك ماكانش ليه لازمة خالص، كتر ألف خيرك يا حبيبي!

- على إيه بس يا عم سلامة ده من بعض خيرك.

- ربنا يكرمك يا دكتور وينجح مقاصدك ويوقفلك ولاد الحلال يا رب، ويجبر بخاطرك كده زي ما بتجبر بخاطر الغلابة.

- العفو يا عم سلامة ده انت أعز الحبايب.

- معلش أعذرني يا دكتور أصل كل ما بفتكر المرحومة نفسي بتغلبني غصبن عني! وتلاقيني علطول كده والله لو قاعد لوحدي! هي دي حد ينساها برضو! الله يرحمك يا حبيبتي ويعجِّل بيومي عشان أشوفك لإنك وحشتيني قوي!

- ربنا يديلك طولة العمر ويفرحك بسلامة كده وتشوفه سيد الرجالة.

كان محب يشعر بعدم راحة كبيرة إن هو اضطر لمجاملات من هذا النوع، ليس لنقص لديه في مشاعر التعاطف مع باقي البشر، وإنما لأنه لم يكن يعرف ماذا يقول بالضبط في مناسبات من هذا النوع؟ كان يفتقد ما يبرع فيه غيره، الأقل ذكاءً وثقافة، من حفظ عبارات متعارف عليها للمواساة، أو للمجاملات، من التي تقال في الأفراح والأتراح، ولذلك فهو، تقريباً، كان يخترع ويبتكر وينشئ عبارات المجاملات التي من هذا النوع اختراعاً وابتكاراً وإنشاءً في التو واللحظة كأنها يخترعها اختراعاً من أول وجديد، مما كان يسبب له ضغطاً عصبياً من ناحية، ويتسبب في أن تخرج من فمه بعض العبارات التي قد تبدو لمن لا يعرفه ولا يعرف طبعه هذا، عبارات تافهة، أو غريبة شاذة، أو حمقاء، أو غير مناسبة للموقف، أو بالية عفا عليها الزمن؛ وتلك الأخيرة تكون مما علق في ذهنه من مشاهدات قديمة لأفلام ومسلسلات مصرية عتيقة.

ساد صمت مطبق بين الاثنين أثناء تناولهما لمشروبهما المانجاوي، وكانت دموع الأسطى سلامة لا تزال تنهمر من عينيه في صمت، وفكر محب في برهة الصمت تلك في ليلى أحمد سلامة، وكان كل ما يعرفه عن ملابسات وفاتها أنها توفيت وهي في أوائل عشرينياتها، وكانت بالكاد قد تخرجت في قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب جامعة القاهرة، وتوفيت فجأة أثناء نومها، ولم يعرف أحد السبب في الوفاة، وراح ذهن محب يفكر في الأسباب الشائعة للموت المبكر لدى المصريين، والذي قرأ في أكثر من صحيفة ودورية ونشرة لمنظمة الصحة العالمية، أن ظاهرة الموت المبكر هذه قد زادت واستفحلت في الآونة الأخيرة بين المصريين، خصوصاً بين الشباب، وقرأ محب أيضاً أن الخبراء من الأطباء المخضرمين المصريين والأجانب قد أرجعوا استفحال ظاهرة الموت المبكر هذه بين المصريين إلى زيادة انتشار الكثير والكثير من الأمراض في مصر في الآونة الأخيرة، وعلى رأسها: أمراض القلب، والأوعية الدموية، والسكتات الدماغية، وأمراض الكلى، والانسداد الرئوي المزمن والأمراض الرئوية، وأمراض القناة التنفسية السفلى، والاختناق أثناء النوم، ومضاعفات الولادة، وأمراض النفاس، والأمراض المُعدية، والأمراض الطفيلية، والأمراض الفيروسية، والأمراض البكتيرية، وأمراض الشُعب الهوائية، والسرطانات بأنواعها وأشكالها وأصنافها، وأمراض الإسهال، وداء السكري وكل واحد من أربعة من المصريين مصاب بالسكري من النوع الثاني، والأمراض المعدية، والفشل الكبدي، والفشل

الكلوي، وتضخم عضلة القلب، والتهاب عضلة القلب، وجلطات القلب الفجائية، وجلطات المخ الفجائية، وأمراض شرايين القلب، وأمراض قصور القلب، وأمراض الصمامات القلبية، وارتفاع نسبة الكلسترول في الدم، وارتفاع ضغط الدم وكل واحد من ضمن ثلاثة من المصريين مصاب بارتفاع ضغط الدم، وتذبذب ضغط الدم الذي يؤدي إلى الموت المفاجئ، وأمراض سوء التغذية، والأمراض الوراثية، والأمراض الناجمة عن إدمان المخدرات والمهدئات والمكيفات، والإفراط في أكل الملح، والإفراط في أكل السكر، والإفراط في التدخين والشيشة، والإفراط في أكل الدهون والزيوت المهدرجة، وقلة الحركة وعدم ممارسة الرياضة، والسهر الطويل وقلة النوم، والسمنة، والضغوط العصبية والزعل، وانهيار المستشفيات المصرية ونظم الرعاية الصحية، والأوبئة التي يُعلن عنها، والأوبئة المسكوت عنها، وتلوث الهواء، وتلوث الماء، وتلوث الغذاء، والأخطاء الطبية في غرف العمليات، والأخطاء الطبية في التشخيص ووصف الدواء، والموت حرقاً، والموت غرقاً، وانهيار المباني، وحوادث السير ومصر مصنفة رقم 1 على مستوى العالم في ضحايا حوادث السيارات وفي بعض السنين يصل عدد ضحايا الطرق المصرية الغير صالحة والغير آمنة لحركة سير السيارات ناهيك عن رعونة السائقين المصريين إلى أكثر من 20 ألف قتيل و100 ألف جريح سنوياً وهما رقمان قد يكونان أعلى من عدد الشهداء والجرحى المصريين في حرب 1967 مع إسرائيل وقد يكونان أيضاً أعلى من عدد الشهداء والجرحى المصريين في حرب 1973 مع إسرائيل، وإلخ إلخ إلخ.

من نافذة سيارة التاكسي الأمامية، شاهد محب والأسطى أحمد سلامة البطتين الضخمتين وهما تهرولان أمامهما، والأخ السلفي طويل الذقن حليق الشارب الذي بالزي الباكستاني يجري خلفهما، فضحك كلاهما في نفس اللحظة، ضحك الأسطى أحمد سلامة ودموعه على خديه، وقال:

- دول إيه اللى جابهم هنا؟! إحنا مش سايبنهم في المحكمة!

فتمتم محب ببرود:

- دول في كل حتة الله يلعنهم.

الاتحادية

في شارع محمد مظهر بحي الزمالك، كانت جينا الفرنسية تمشي متوسطة رجب المصري وسامح المصري، سامح إلى يمينها، ورجب إلى يسارها، في الشارع الذي كان مظلماً ظلاماً ليس بالظلام، حيث كانت إضاءات خافتة غير مباشرة تبعث بعض الضوء الذي يعين السائر في الطريق، والتي كانت تصدر عن بعض المصابيح الخارجية لبعض الفيلل والعمارات السكنية والمباني الحكومية المحلية والمقرات القنصلية الأجنبية.

كانت الساعة الثامنة مساءً وثلاث وعشرون دقيقة أو تكاد، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها سامح بجينا، التي قدمها له رجب على أنها وصلت القاهرة منذ يومين فقط، وأنها تزور القاهرة لأول مرة في حياتها، وسوف تتوجه من القاهرة إلى الإسكندرية لاستلام وظيفتها الجديدة في المركز الثقافي الفرنسي بشارع النبي دانيال؛ كرئيسة لقسم التخطيط اللغوي بالمركز، ورغم أن سامح لم يفهم معنى: رئيسة قسم التخطيط اللغوي، لكنه لم يهتم بالاستفسار عن طبيعة مهام تلك الوظيفة، ولا اهتم بالسؤال عن أي لغة بالضبط هي المقصودة بمسألة "التخطيط اللغوي"؛ هل هي اللغة الفرنسية، أم الغة العربية، أم كلتيهما؟

ولعل السبب، ونحن من جانبنا لا نستطيع أن نقطع بالسبب الحقيقي ولكننا نخمن مجرد تخمين ليس إلا، وإن كان ما بحوزتنا من أدلة وعلامات وبراهين وإشارات، تؤيد تخميننا وتدعمه، نقول: إن لعل سبب عدم اهتمام سامح بالسؤال هو أن جينا لم ترق له كامرأة، لم ترق له على الإطلاق.

أما رجب فكان في زيارة لمدة أسبوع للقاهرة، لأنه الآن مقيم في لندن إقامة دائمة أو تكاد، مع رفيقته مَرجريت؛ التي صارت الآن المتحدثة الرسمية باللغة العربية لوزارة الخارجية البريطانية، وكان الولد رجب يقطع إقامته الدائمة في عاصمة الضباب من حين لآخر، وبمعدل شبه ثابت؛ كل شهرين أو يكاد، لزيارة القاهرة لمدة أسبوع، بدعوى الاطمئنان على أخته الوحيدة التي لا تزال تعيش في القاهرة، وأخيه الوحيد الذي لا يزال يعيش في القاهرة، وكان رجب يحرص كل الحرص على تمضية أكبر وقت ممكن من هذا الأسبوع القاهري في الشوارع والميادين، وخصوصاً التي تشهد اعتصامات وإضرابات واضطرابات ومظاهرات وأشباه هذا وذلك.

في اليوم التالي لوصوله إلى القاهرة، اتصل بصديقه القديم العزيز على قلبه؛ سامح شكري،

وألح في المقابلة، فتقابلا في الليلة التالية على مقهى بغير اسم على احد أرصفة شارع 26 يوليو بحي الزمالك، وحينها فوجئ سامح بشعر رجب؛ الذي صففه في جدائل طويلة على الطريقة الإفريقية، وفوجئ أيضاً بانفجار الصحة والشباب والعنفوان في جسد رجب، وبالبال الرائق والهدوء النفسي الواضح في روحه، والتي قدَّر سامح أنهما من نتائج الحياة المريحة فائضة القيمة في العاصمة اللندنية.

فوجئ سامح أيضاً بأن رجب صار يناديه، ولأول مرة خلال علاقتهما الطويلة التي بدأت منذ عام 1996، باسمه مباشرة: سامح، وهو الذي كان معتاداً منذ عام 1996 بمناداته: يا أستاذ؛ ولعل سامح قد أرجع هذا التغيير الجديد أيضاً للحياة المريحة فائضة القيمة لرجب في العاصمة اللندنية، أو للترقي الاجتماعي الذي ترقاه ووصل إليه بوصفه رفيق المتحدثة الرسمية باللغة العربية لوزارة الخارجية البريطانية، أو لعادات وأسلوب حياة وكلام أهالي لندن في عدم التكلف بشأن الألقاب أثناء الأحاديث والمخاطبات، ونقصد بأهالي لندن هنا: أهالي لندن الحاليين من الجيل الرقمي الجديد، حيث إنه من المعروف أن أهالي لندن القدامى كانوا يحرصون أشد الحرص على التكلف وعدم رفع التكليف بشأن الألقاب أثناء الأحاديث والمخاطبات، أو لعل سامح قد أرجع الأمر لكل تلك الأسباب معاً، وليس واحداً أو اثنين منها فقط؛ ما يهم في هذه المسألة أن هذا الأمر، هذا التغيير الجديد في أسلوب المخاطبة بصيغة الفرد المباشر، قد ضايق سامح، لكنه أضمر ذلك في نفسه ولم يبح به؛ لم يبح بما ضايقه لرجب، ولا حتى بأسلوب المزاح، وهو أستاذ في شي وتقليب الخصوم على الشوايّة بالمزاح والسخرية وخفة الدم، ولا حتى باح بما ضايقه من الأسلوب الجديد لمخاطبة رجب له لصديقيه المقربين الآخرين؛ الدكتور أحمد فرحات، والدكتور محب ذكي.

والحق أن الحالة النفسية لسامح لم تكن تحتمل المزيد من الأعباء والضغوط النفسية والعصبية، فقد كان مزاجه في الحضيض في تلك الأيام بعد أن شاهد منظر أحد الإسلاميين البلطجية، برغم أنه كان يرتدي بدلة بحسب ما يتذكر سامح، وهو يضع يده على فم شاهندة مقلد، في محاولة لإسكاتها وتكميم فمها، وهي أمام قصر الاتحادية الرئاسي، أثناء المظاهرة والاعتصام الذي جرى هناك اعتراضاً على الإعلان الدستوري للرئيس محمد مرسي، وهو الإعلان الدستوري الذي يقول أساتذة القانون الدستوري من المدنيين المستنيرين إنه يحوله إلى فرعون أو إله، فلا يحق لأي أحد من الشعب أو لأي مؤسسة من مؤسسات الدولة الاعتراض على قرارته،

ولا حتى المحكمة الدستورية العليا، وهو نفس الرأي الذي قال به كل الخبراء الدستوريين الأجانب في الخارج، بل، وكما علمنا، كان هذا هو رأي حتى عامة الشعب المصري ممن ليس لديهم خبرة في الإعلانات الدستورية.

ولم يكن هذا المشهد الوحيد الذي شاهده سامح على شاشة التلفزيون وأثار أعصابه وهيَّجها وجعل الدنيا سوداء أمام عينيه، بل سبقه، ولحقه أيضاً، سلسلة طويلة من المشاهد لضرب الإخوان المسلمين والسلفيين للمعتصمين المدنيين أمام قصر الاتحادية الذين كانوا يعترضون على الإعلان الدستوري الذي أصدره الرئيس محمد مرسي الإخواني؛ فقد رأى سامح مشاهد على القنوات الفضائية وفيديوهات على موقع يوتيوب لبلطجية الإخوان المسلمين والسلفيين يعتدون بالعصي الكهربائية والجنازير والأسلحة البيضاء والشوم على المعتصمين المدنيين السلميين وهم يرددون: "الشعب يريد تطبيق شرع الله"، و"إسلامية إسلامية رغم أنف العلمانية"، و"الشعب يؤيد قرارات الرئيس"، وكذا، وكذا، وكثير غيرها، بالإضافة إلى قتل الصحفي الحسيني أبو ضيف الذي حاول التقاط صور بكاميرته الفوتوغرافية لعنف الإخوان والسلفيين تجاه المتظاهرين المدنيين، والذي كان قد قام قبل ذلك بتصوير مساندة قوات الشرطة المصرية وقوات الحرس الجمهوري العسكرية للإخوان والسلفيين في اعتداءاتهم على المعتصمين في الاتحادية، وإن كنا لا نعلم بعد من الذي أطلق الرصاص على الصحفي الحسيني أبو ضيف؛ هل هم الإخوان المسلمون؟ أم السلفيون؟ أم الشرطة المصرية؟ أم الحرس الجمهوري؟

ورأى سامح أيضاً في تلك الفيديوهات مشاهد لسحل مينا فيليب، وضرب علا شهبة والاعتداء عليها، والاعتداء بالضرب على الدبلوماسي يحي نجم، وتابع التقارير والأخبار المحلية والعالمية التي نشرت معلومات عن قتل نحو عشرة من المتظاهرين المدنيين المحتجين على الإعلان الدستوري الإخواني، وإصابة 748 آخرين بجروح وحروق وكسور وكدمات شديدة بحسب بيان وزارة الصحة المصرية وتقارير الطب الشرعي.

كانت هذه هي بعض ما شاهده وسمعه وقرأه سامح على شاشة التلفزيون ومقاطع اليوتيوب والصحف المحلية والأجنبية، ولذا فنحن ولا شك نقدر الحالة النفسية التي كان عليها في تلك الأيام، والتي لا بد وأن رجب قد لاحظها وشعر بها، بل وتيقن منها، بحسه وحساسيته الإنسانية الاجتماعية المرهفة التي هي رأس ماله في عقد الصداقات والتعارفات والتقاربات مع الآخرين ممن يضع

عينه عليهم.

ولعله لهذا السبب، أو لسبب آخر لا نعلمه، أصر رجب على دعوة سامح على العشاء في مطعم بيتزا افتتح مؤخراً في الزمالك في أول ليلة التقيا فيها حين كانا يجلسان على القهوة الزمالكاوية التي كانت على الرصيف وبغير اسم، مؤكداً لسامح أنه هو من سيدفع الحساب، ومؤكداً له أيضاً أن المطعم مسموح له بتقديم البيرة للزبائن وأنهم سيشربون البيرة مع البيتزا، ولا نعلم كيف بحق الله عرف الولد رجب هذا المطعم البيتزاوي الذي لم يكد يفتح أبوابه إلا منذ بضعة أيام فقط؟! وهو العائش المقيم معظم الوقت في لندن، لكن المهم، بالنسبة لنا على الأقل، وبالنسبة لمسار ما نرويه هنا بأمانة عهدتها فينا، أن الإغراء كان أكبر كثيراً مما يمكن لسامح أن يقاومه، برغم كل ما قدمناه بخصوص حالته النفسية، لكن أن يكون هناك بيتزا وبيرة في نفس الوقت، أضف إلى ذلك أن كل هذا سيكون مجاناً ولن يدفع جنيهاً واحداً من جيبه، الخالي أصلاً، وأن تتاح له زيارة مطعم جديد قد افتتح للتو، وفي حي الزمالك الراقي، لذا سيكون من باب تحصيل الحاصل القول بإنه لم يفكر كثيراً، ولا حتى قليلاً، في قبول الدعوة الكريمة لصديقه الصدوق المخلص الوفي رجب، بالرغم من أنه لم ينسى على الإطلاق مسألة أنه قد رفع التكليف فجأة وصار يناديه باسمه حاف.

لكن، وقبل أن ننتقل إلى مطعم البيتزا وعزومة رجب لسامح والبيرة المرتقبة وكل شيء، نسينا أن نقول إن رجب قد أحضر معه هدية لسامح في كيس نايلون أسود في أسود، وقدم له الهدية فور أن حياه وسلم عليه وقبله على خديه واحتضنه، وهو بعد ممسك بالكيس بيده اليسرى، قائلاً له:

- دي قزازة نبيت أبيض أسباني حلو قوي اسمه ليبالس بلانكو، اشربها مع صاحبتك واستمتعوا بالهنا والشفا!

رد سامح:

- ألف شكر يا حبيبي ليه بس التعب ده! تعيش وتجيب يا باشا، أنا هابقى اشربها لوحدي بقى! أصلي مش مصاحب اليومين دول.

- ليه بس كده؟!

فرد سامح:

- مافيش نفس والله يا ابني! أديك شايف الحال عامل ازاي، وهوَّ إن جيت للحق يعني ماكانش فيه فرصة عظيمة قوي يعني وانا فوِّتها، بقالي فترة ماقابلتش حد عِدل والله!

- لا يبقى سيب الموضوع ده عليا انا.

قال سامح وهو يبتسم:

- عندك حد؟!

- يا باشا هوَّ حد يطول!

- خلاص يا سيدي إيدي على كتفك.

- ليّا صديقة فرنساوية اسمها جينا لسه جاية مصر تشتغل في المركز الثقافي الفرنساوي في اسكندرية، نتقابل بكره كلنا إيه رأيك؟

- عظمة على عظمة يا باشا! خلاص يبقى ميعاد.

- إيه رأيك الساعة تمانية كويس؟

- حلو قوي، تمانية حلو قوي بالنسبالي.

- خلاص يبقى تمانية ونتقابل هنا برضو.

عندما رجع سامح إلى البيت وفتح الكيس النايلوني الأسود في أسود، وجد بالفعل زجاجة ليبالس بلانكو نبيذ أبيض حلو، ولا شك عندنا في أن شكل الزجاجة قد أعجبه؛ فقد كانت مخروطية شفافة، مع ملصق تركوازي على بطنها عليه اسم العلامة على خلفية من أصابع يد تمسك بعنقود عنب بناتي وحولها أفرع وأوراق نباتات استوائية، ومع هذا يهمنا الإشارة في هذا المقام إلى ما نعرفه عن سامح؛ ألا وهو أنه لا يحب النبيذ الأبيض، وخصوصاً الحلو منه، بل ولا يعتبره نبيذاً من الأساس، بل يعده "علوقية" و"خولنة" و"كهن ومحن" و"شم كولة" والأشياء التي من هذا القبيل، صحيح أنه قد يُضطر، إضطراراً، إلى شرب النبيذ الأبيض العادي إن كان يتغدى أو يتعشى على مائدة عليها سمك أو جبن، من باب أن نبيذاً حتى ولو أبيض خيرٌ من لا نبيذ على الإطلاق،

لكن إن قدر له الاختيار أو المفاضلة أو كانت له الكلمة العليا في نوعية المشاريب النبيذية، من المستحيل أن يختار نبيذاً أبيض، ولا حتى روزيه، حتى وإن كان من أغلى الشاتوهات الفرنسية، فما بالك إن كان النبيذ أبيض وفي نفس الوقت حلواً أيضاً.

وكان هو يعرف أن رجب يعرف عنه هذا، ولذا فقد خمن، ولا نستطيع أن نؤكد أو ننفي صحة تخمين سامح، أن زجاجة الليبالس بلانكو هذه لا بد وأنها ُأهديت مجاناً إلى رجب وأحب التخلص منها، وتحميل سامح جميلاً في نفس الوقت، لأن سامح يعرف تمام المعرفة أن رجب نفسه لا يطيق النبيذ الأبيض، وخصوصاً الحلو، ولعل هذا كان من تأثيرات سامح في رجب، فقد نقل إليه عدوى الخصومة مع النبيذ الأبيض، وخصوصاً الحلو منه. لكن هذا لم يمنع سامح من السؤال والاستقصاء، فيما بعد، عن ثمن زجاجة الليبالس بلانكو الأبيض الحلو، فعرف أنها أقل قليلاً من ثمانية دولارات في السوق الحرة المصرية، وظلت الزجاجة مغلقة وملفوفة في كيسها النايلوني الأسود في أسود لعدة أشهر، إلى أن سنحت الفرصة لسامح للتخلص منها، وتحميل صديقه الدكتور محب ذكي جميلاً في نفس الوقت، فأهداها إليه، الذي كان بدوره لا يطيق النبيذ الأبيض، وخصوصاً الحلو منه، واستغرب أن يهديه سامح نبيذاً أبيض وهو يعلم عنه هذا، وخمن أن زجاجة الليبالس بلانكو هذه لا بد وأنها ُأهديت إلى سامح مجاناً وأحب التخلص منها، وتحميله جميلاً في نفس الوقت، وظلت الزجاجة مغلقة وفي كيسها النايلوني الأسود في أسود لعدة أشهر، إلى أن جاءت الفرصة للدكتور محب ذكي للتخلص منها، وتحميل أخيه الدكتور عاطف ذكي جميلاً في نفس الوقت، فأهداها إليه بمناسبة الاحتفال بعيد القيامة، ولا نعلم مصير الزجاجة بعد هذا، ولا نعرف إن كان الدكتور عاطف ذكي من محبي النبيذ الأبيض الحلو أم من كارهيه؟ ولذا سنتوقف عن الاسترسال في مسألة زجاجة الليبالس بلانكو عند هذا الحد لأننا لا نستطيع الإدلاء بمعلومات لسنا متأكدين تمام التأكد مئة بالمئة منها، كما عهدت في أمانتنا في نقل المعلومات إليك.

بعد شرب فنجانين من القهوة لكل منهما، سكر زيادة لكل منهما، وتدخين كليهما لنصف علبة سجائر الميريت الأصفر الخاصة برجب، وبالرغم من أن لدى سامح مقولة صارت شهيرة بين أصدقائه ومعارفه من أنه لا يصح لرجل أن يسحب سجائر من علبة صديقه وكأنها مستباحة وبلا صاحب، حيث كان يقول لمن يتجرأ بمد يده إلى كيس تبغه الأمبرليف لكي يلف لنفسه سيجارة، يقول لمن حولهما كمن يشهد الجميع على قبح الفعل: "يا جماعة سجاير الراجل زي صاحبته!

ماينفعش كل واحد معدي يمد إيده يبعبص فيها!"، إلا أنه، وبالرغم من ذلك، سمح سامح لنفسه بمد يده إلى علبة الميريت الأصفر صناعة الاتحاد الأوروبي الخاصة برجب، فاستباحها بكل أريحية وراحة ضمير، مما أدى إلى رد فعل من رجب، ونحن نعلم أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، هذه هي قوانين الفيزياء، والفيزياء هي الفيزياء في كل زمان ومكان، نقول إن هذا أدى إلى أن يمد رجب يده إلى باكت الأمبرليف الخاص بسامح، فيستبيحه بدوره، كما استباح سامح من قبل علبة سجائره الميريت الأصفر، من باب أن العين بالعين والسن بالسن والأنف بالأنف والأذن بالأذن، مما أدى إلى امتعاض سامح، لكنه كتمها في نفسه، محاولاً ألا تظهر أمارات الامتعاض على وجهه.

نقول: بعد شرب القهوة وتدخين السجائر، وبعد أن حاسب رجب على المشاريب دون أي محاولة من سامح لعرض أن يدفع هو الحساب، اصطحب رجب سامح عبر شوارع وأزقة مظلمة في حي الزمالك إلى مطعم البيتزا الصغير الجديد الذي افتتح منذ عدة أيام، وقد كان صغيراً بحق، تكاد مساحته من الداخل أن تكون في حجم صالة بيت أو غرفة جلوس بها ثلاث موائد خشبية صغيرة مستديرة بلون الخشب السويدي ولعلها كانت مدهونة بسيلر الأخشاب الشفاف ثم بورنيش الأخشاب الشفاف، وحول كل مائدة ثلاث كراسي خشبية صغيرة بلون الخشب السويدي ولعلها كانت مدهونة بسيلر الأخشاب الشفاف ثم بورنيش الأخشاب الشفاف، وكانت الكراسي عالية وقاعدتها مستديرة وبلا ظهر وأشبه بكراسي البارات، لكن ما لفت نظر سامح وجعله يضحك، ولا نقول يبتسم، وهناك فرق بين الضحك والابتسام، هو رؤيته لأحبال غسيل زرقاء مجدولة معلقة كديكور في صالة المطعم الصغيرة، ومنشور عليها بالفعل بعض قطع الملابس: بوكسرات رجالي ملونة، وفانلات داخلية رجالي بيضاء، وكيلوتات حريمي سوداء وبنية، وسوتيانات حريمي سوداء وبنية وبيضاء، وسوتيانات حريمي حمراء أيضاً ونحن نعرف أن الكابتن شوبير يحب اللون الأحمر، وشورت جينز رجالي أو حريمي لم يكن واضحاً وكان يصلح للجنسين ديرتي ومقطوع من عند الفخذين كلاهما، وتي شيرت بيج قطن رجالي أو حريمي لم يكن واضحاً وكان يصلح للجنسين عليه رسمة رمادية لشخصية "يودا" من سلسلة أفلام "حرب النجوم"، بالإضافة إلى حزمة ثوم كبيرة معلقة من شواشيها بحبل في الجدار المواجه للباب، وشماعات بلاستيكية وخشبية ومعدنية معلقة على الجدران، والكثير من التماثيل البلاستيكية والخزفية والقماشية والخشبية والزجاجية والمطاطية والنحاسية والحديدية والبرونزية والحجرية المتناثرة على أرفف خشبية

بلون الخشب السويدي ولعلها كانت مدهونة بسيلر الأخشاب الشفاف ثم بورنيش الأخشاب الشفاف والمثبتة بمسامير صلب على الثلاث جدران للمطعم؛ تماثيل لـ: فيل كبير وفيلان صغيران بجواره ولعلهما ولداه، وبطة، وأوزة، وحمار وحشي، ونسر جالس ورأسه ومنقاره شاخصان لأعلى، وشجرتان خضراوتان متجاورتان إحداهما مستدقة تنمو بغزارة لأعلى ولعلها لم تكن مُقلمة والأخرى دائرية تنمو بغزارة على الأجناب ولعلها كانت مُقلمة، وزرافة غير منسجمة الأبعاد من الفن التجريدي بطنها أطول من رقبتها، وغزالة غير منسجمة الأبعاد من الفن التجريدي لها رقبة شديدة الطول ومليون قرن شديد الطول وأربعة سيقان شديدي الطول، وتمائم إفريقية لأقزام سود بأصباغ وجه زاهية بالأحمر والأصفر والأزرق والبرتقالي والأخضر، وزجاجات كوكاكولا فارغة من السبعينيات، وديك أبيض خزفي عرفه أحمر قان، ومزهريات ورد صغيرة خزفية وبلاستيكية بها ورود قماشية وحجرية بكل الألوان، وجيتار أسباني من لعب الأطفال الصغيرة، وبيانو بلاستيكي من لعب الأطفال الصغيرة، وهارمونيكا معدنية من لعب الأطفال الصغيرة، وكلب بولدوج، وكلب كانيش، ودب بني يرتدي قبعة ومعطف أزرق ويمسك كوباً في يده، ودببة الفالانتاين بأشكال وأحجام متنوعة، وتماثيل حجرية صغيرة لأطفال في أوضاع متنوعة، وطفل حجري يركب بسكليتة، وكرة القدم التي لعبوا بها مونديال 1982 في حجم كرة اليد وهو المونديال الذي ماتت فيه كرة القدم في الليلة التي هزم فيها الآزوري السيليساو بقيادة الكابتن العظيم سقراط 3-2 في مرحلة المجموعات الثانية فخرجت البرازيل من البطولة في تلك الليلة التراجيدية على ستاد سَاريًّا ببرشلونة والتي فعلت فيها البرازيل كل شيء في كرة القدم وخسرت بينما أكملت إيطاليا الضعيفة وفازت بالمونديال وكما تعلم فأحياناً يهزم الضعيف القوي بل وفي كثير من الأحيان أيضاً ولذلك قال نيتشه علينا أن ننتصر للقوي في مواجهة الضعيف أو شيئاً من هذا المعنى وقال باولو فالكاو لعبنا مباراة العمر كنا في الملعب نتفرج على روعة أداء بعضنا البعض ومع هذا خسرت البرازيل على عكس سير اللعب كما قال زيكو لاحقاً حين كان يعمل مديراً فنياً للمنتخب العراقي في عام 2011 لو كنا فزنا في تلك الليلة لكان شكل الكرة العالمية قد تغير أما باولو روسي الذي لمس الكرة في ليلة مأساة سَاريًّا ثلاث مرات وأحرز ثلاثية فقال لعبنا أمام فريق ليس من هذا الكوكب كنا نلعب أمام لاعبين لديهم القدرة على التمرير وهم معصوبي الأعين بالنسبة لي شعرت أنني أتعلم كرة القدم من جديد ولعلك تعلم أن باولو روسي كان قبيل كأس العالم مباشرة محكوماً بالحبس لعامين في فضيحة بيعه مباريات ناديه لكي يخسر في الدوري الممتاز الإيطالي مقابل

المال ولا علم لنا بمقدار ما حصل عليه باولو روسي لقاء الخيانة، وتمثال حجري صغير لفينوس مالطا ربة الخصوبة البدينة جداً جداً جداً وهي جالسة، وكذا، وكذا، وكثير غيرها.

كان المطعم شاغراً، فاختار سامح الجلوس إلى أبعد مائدة عن باب الدخول، وجلس رجب قبالته، ولم تمض ثوان معدودة حتى حضر الجرسون الذي كان شاباً في عشرينياته يرتدي جينزاً أزرق بلون البحر وقميصاً رصاصياً داكناً، وكأنهم كانوا يتلهفون على أي زبون يدخل عندهم في المحل في هذه الساعة إن كنت تفهم ما نعني، ومسَّى عليهما بأدب ولباقة ووضع أمام كل منهما قائمة المنيو، ثم انسحب مختفياً في كوريدور لا بد وأنه يقود إلى المطبخ في الداخل.

استطلعت عينا سامح القائمة بسرعة، والتي كانت خالية من الأسعار، واختار بسرعة بيتزا سيسيليان، ولعل السبب في اختياره السيسيليان أنه لم يأكلها منذ فترة طويلة أو لعله كان يفضلها أكثر من باقي أنواع البيتزات أو لعله الأمرين معاً، والسيسيليان هي عبارة عن فطيرة بيتزا عليها صوص طماطم ثم قطع من الأنشوجة والزيتون فقط بدون جبن، في حين اختار رجب بيتزا سوبر سوبريم وهي عبارة عن فطيرة بيتزا فيها وعليها كل شيء.

استغرق إعداد البيتزا دهراً طويلاً ولن نبالغ إن قلنا إن سامح ورجب انتظرا البيتزا لأكثر من عشرين مليون سنة، حتى إنهما شعرا بتقلصات في معدتيهما من الجوع، بالرغم من أنهما حين دخلا المطعم لم يكونا جائعين أصلاً، وبالطبع طلب رجب من الجرسون زجاجتي بيرة ستلا، فقال الولد إن لديهم بيرة سقارة فقط، فاضطرا إلى شرب بيرة سقارة التي لم يكن أي منهما يفضلها، ورفضا بالطبع البيرة العشرة في المئة، ليس فقط لأنها قوية أكثر مما ينبغي بالنسبة للبيتزا كمشروب جانبي، بل لأن كليهما لم يكونا يستسيغا طعم السقارة العشرة بالمئة، واستتبع هذا أيضاً التدخين بشراهة، فأجهز رجب على ما تبقى من علبة الميريت الأصفر الخاصة به، بمعونة من سامح، ثم انتقل إلى استكمال انتهاك واستباحة، وبتعبيرات سامح "بعبصة"، باكت الأمبرليف الخاص بسامح، كما استباح سامح من قبل و"بعبص" في علبة سجائر الميريت الأصفر الخاصة برجب، والعين بالعين والسن بالسن والأنف بالأنف والأذن بالأذن، مما أدى إلى امتعاض سامح، لكنه كتمها في نفسه، محاولاً ألا تظهر أمارات الامتعاض على وجهه.

حين أحضروا البيتزا أخيراً، وجدها سامح محمصة مثل الخبز المحمص الذي يطبخون به

الفتة، كانت رقيقة للغاية في رفع ورقة السيجارة، وكانت محمصة تحميصاً شديداً، وحين حاول سامح أن يقطعها بقطاعة البيتزا الدائرية صارت تتكسر وتتفتت من كثرة تحميص العجينة، وصات قطع الأنشوجة تتساقط وتتناثر هنا وهناك لأنها لم تكن ملتصقة بالخبز المحمص، وحين أبدى سامح استياءه، علق رجب بأن هذا المطعم يصنع البيتزا محمصة هكذا، إذن فالأمر لم يكن مفاجأة له، حتى إن سامح رأى كيف راح رجب يكسر البيتزا المحمصة الخاصة به بأصابعه ويطحن العجينة المقرمشة بين أسنانه كما يفعل المرء مع الخبز السن أو الفائش أو البقسماط أو الباتون ساليه أو السميط المحمص، قال سامح في نفسه حينها: "يا عم مش كنت تعزمنا على فول وطعمية أجدع بدل العك ده! آهي اتحسبت علينا عزومة والسلام! إيه القرف ده!"

ورغم ذلك أكمل سامح بيتزا السيسيليان حتى آخر فتفوتة، وطلب، ودون استئذان من رجب، الذي كان سيحاسب على العزومة في آخر المطاف، ودون أن يسأله حتى من باب اللياقة أو اللباقة أو الذوق أو الإحساس أو حسن النظر إن كان ما معه من مال يسمح أم لا يسمح؟ طلب بيرة مرة ثانية، ولاحظ بعض الوجوم على وجه رجب حين وقف الجرسون أمامهما وهو يطلب منه البيرة الثانية، وقد استمر الوجوم لفترة، خشى سامح من طولها أن تتحول إلى استياء، ثم غضب وزعل، فراح يفتح مواضيع متنوعة للحديث مع رجب، كانت في مجملها عن شؤون حياته الجديدة في عاصمة الضباب، وكيف وجد لندن، والمصريين والعرب هناك في لندنستان كما كان سامح يحب أن يسميها، وهو وصف لمدينة الضباب كان قد سمعه من الدكتور محب ذكي؛، الذي عاش فترة طويلة فيها ولا يزال، سواء أثناء تحضيره للماجستير، ثم الدكتوراه، في جامعاتها، أو بعد ذلك كأستاذ في كلية لندن للاقتصاد المرموقة عالمياً، والتي يقول الدكتور محب ذكي إنها مصنفة كرقم واحد بين نظيراتها من كليات الاقتصاد والعلوم السياسية في كل الكوكب.

وأثناء الحديث والدردشة على الطعام المحمص والبيرة السقارية الساويرسية، قال رجب، رداً على سؤال من سامح عن المعايش والعيشة والتكاليف وخلافه وكيف يتصرف فيها في ظل التضخم، ليس في مصر فقط بعد 25 يناير، وإنما في كل أمعاء العالم بحسب تعبير سامح، قال رجب إنه يأخذ من مَرجريت ألف جينه استرليني في الشهر لزوم مصاريفه، ولا ندري إن كانت هذه زلة لسان من رجب، وإن كنا نشك شكاً كبيراً في أن يزل لسان رجب وهو المدرب تدريباً مخابراتياً مباحثياً أمن دولاتياً على أعلى مستوى، على الأقل أعلى مستوى بالنسبة لنظرائه من

المصريين الذين يعملون في نفس مجاله، أو إن كان قد رمى هذه المعلومة من باب التباهي والمنظرة، أو أنه كان يقصد غرضاً آخر أو هدفاً بعينه من تمريره هذه المعلومة الشخصية والخصوصية جداً لسامح، لكن على أي حال استغرب سامح بشدة من الرقم، صحيح أنه كان يتوقع، بل ومتأكداً مئة بالمئة، من أن مَرجريت قد زادت من المصروف الذي تمنحه لرجب كل شهر بعد أن انتقل للحياة معها في لندن، ففي البداية والنهاية والوسط فإن الحياة في لندن تختلف اختلافاً بيناً وتاماً وجوهرياً عن الحياة في القاهرة، وتكاليف المعيشة هناك تختلف اختلافاً جوهرياً وتاماً وبيناً عن تكاليف المعيشة هنا، لكن بالرغم من ذلك لم يخطر على بال سامح أن يكون المبلغ الذي يتقاضاه رجب من رفيقته مَرجريت ألف جنيه استرليني مرة واحدة، جنيه استرليني ينطح جنيه استرليني، وحسبها بسرعة في رأسه، بالرغم من أنه لم يكن يعلم تماماً سعر الجنيه الاسترليني الآن في مصر، لكنه كان يعلم سعر الدولار، والذي هو ثلاثة ثمانيات، 8,88، وقال في نفسه: " الجنيه الاسترليني غالباً ها يبقى في حدود عشرة جنيه، يبقى الولد رجب مصروفه ما يوازي عشر تلاف جنيه مصري في الشهر! والله واتفتح لك باب القدر يا وله، يا سعدك يا هَناك صبرت ونلت، إبنك ركب الريح يا شلباية وواخدنا في سكته يا نوفل، يواش يواش يا مرجيحة".

كان كل ما ذكرناه سابقاً هذا من أحداث ووقائع ليلة أمس، أما ليلة اليوم، فكان سامح يسير في شارع محمد مظهر بحي الزمالك، وكانت جينا الفرنسية تمشي إلى يساره، بينما كان رجب إلى يسارها، في الشارع الذي كان مظلماً ظلاماً ليس بالظلام حيث كانت إضاءات خافتة غير مباشرة من مصابيح الفيلل والمباني والقصور تبعث بعض الضوء الذي يعين السائرين في الطريق؛ وزمنك زمن المصابيح لمض الصفيح بطلوها.

كانت الساعة الثامنة وثلاث وعشرون دقيقة بالتمام والكمال، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها سامح بجينا، التي قدمها له رجب على أنها وصلت للقاهرة أول أمس، وأنها ستتوجه بعد يومين إلى الإسكندرية لاستلام وظيفتها الجديدة في المركز الثقافي الفرنسي بشارع النبي دانيال كرئيسة لقسم التخطيط اللغوي بالمركز، فجينا الآن تزور القاهرة لا كسائحة كما اعتادت كثيراً من قبل، وإنما كموظفة رسمية فرنسية بالمركز الثقافي الفرنسي بشارع النبي دانيال بالإسكندرية.

ورغم أن سامح لم يفهم ما معنى أن جينا ستعمل رئيسة لقسم التخطيط اللغوي بالمركز الثقافي الفرنسي بالنبي دانيال بالإسكندرية، إلا أنه لم يهتم بسؤال جينا عن طبيعة مهام وظيفتها، ولا اهتم

الجدع حتى بسؤالها إن كانت ستعمل كمخططة لغوية للغة الفرنسية أم للغة العربية أم لكلتيهما؟ ذلك أن البنت كانت تجيد العربية الفصحى مثل أهلها أو تكاد.

وقد علمنا علماً يقيناً بأن سبب عدم اهتمام سامح بالسؤال هو أن جينا لم ترق له بعض الشيء، فبالرغم من أنه قد سبق أن استفسر من رجب عن قوام البنت قبل أن يلتقيها، ورغم أن رجب قد أكد له أنها نحيفة ممشوقة القوام، ذلك أن سامح لا يطيق البدينات، خصوصاً البدينات نتيجة الشراهة، فهو قد يتسامح مع فتاة أو امرأة بدينة نتيجة خلل في الهرمونات أو مرض عضوي فسيولوجي، إلا أنه لا يتسامح مطلقاً تجاه البدينات نتيجة الأكل والشفط واللهط والدفس، فقد كانت لديه تلك الفكرة الراسخة في ذهنه منذ فترة طويلة بأن البدين الذي يراكم اللحم والشحم فوق اللحم والشحم لا يفرق عن الرأسمالي الوغد الذي يراكم المال فوق المال.

نقول بالرغم من ذلك، وبالرغم من أن جينا بالفعل كانت نحيفة ممشوقة القوام، ضهياء ذات صدر صبياني فرنساي ممسوح كما يفضله سامح، إلا أن شيئاً ما، أو عدة أشياء في الحقيقة، قد أصابته بنفور من البنت فور أن وقع بصره عليها، لعل ذلك كان بسبب أنها كانت طويلة جداً، في طوله تقريباً أو تكاد، فبالرغم من أن سامح كان هو شخصياً طويلاً جداً، طويلاً بإفراط، إلا أنه كان ينفر ويشمئز من البنات الطويلات، عاشقاً للبنات والسيدات القصيرات، أو لعله بسبب النحافة المفرطة ليديها وساقيها والتي تكاد تكون نحافة مَرضيّة، أو لعله بسبب وجنتيها العظميتين البارزتين بإفراط، أو ربما لفكيها الضخمين بإفراط، المهم بالنسبة لنا في هذا المقام هو التأكيد على أنه في نفس اللحظة التي وقع فيها بصر سامح على جينا استدعت ذاكرته فوراً شكل الرجال العراة المصابين بالمجاعة في دارفور الذين رأى صورهم على شاشة السي إن إن من عدة أيام؛ والذين كانوا جلداً على عظم طوالاً مفرطي الطول بأذرع وسيقان مفرطة في النحافة المرَضيّة ووجنات عظمية بارزة بإفراط وفكوك مفرطة في ضخامتها.

وأثناء سيرهم في شارع محمد مظهر، لمح سامح شاشة تلفزيون جولدي 14 بوصة داخل كشك السجائر الوحيد بالشارع، والذي كان على نفس الرصيف الذي يمشون عليه، ولما اقتربوا منه، سمعوا أحد الشبان الذي كان يشتري علبة سجائر وهو يقول لأحد الملتحين الواقفين بالقرب من الكشك، ولا بد أنهما كانا في خضم مناقشة سياسية أو شيء من هذا القبيل:

- على فكرة أنا عارف تاريخكم كله، حافظ تاريخكم كله من أيام حسن البنا!

وسكت الملتحي ولم يرد، بينما اقترب سامح من شاشة التلفزيون وحملق في شريط الأنباء العاجلة الذي كان يتحرك من اليمين لليسار أسفل الشاشة التي كانت تعرض لقطات حيّة من محيط قصر الاتحادية والاشتباكات بين الرافضين للإعلان الدستوري للرئيس المدني المنتخب محمد مرسي من جهة، وبين الإخوان المسلمين والسلفيين وقوات الشرطة والحرس الجمهوري من جهة أخرى، وقرأ:

"مصادر بوزارة الصحة: ارتفاع حصيلة المصابين إلى 644 مصاباً، والقتلى إلى 6".

قال رجب لبائع الكشك:

- علبة ميريت.

- أصفر ولا ازرق؟

- إسود!

فضحك الواقفون.

وعلق الشاب الذي كان يحفظ كل تاريخ الإخوان المسلمين من أيام حسن البنا:

- ربنا يخلصنا من القرف ده بقى!

- آمين يا رب العالمين.

هكذا رد سامح، ثم استأنفوا طريقهم من جديد، بينما قالت جينا:

- على فكرة، إنتم أحسن مننا كتير.

- أحسن إزاي؟!

سأل سامح مستغرباً.

- إحنا عندنا الثورة الفرنسية أخدت سنين طويلة جداً علشان توصل لأهدافها، إنتم بتحققوا في وقت قليل اللي احنا فضلنا سنين طويلة نحاول نعمله.

- على الله! ربنا يسمع منك.

علق سامح، بينما ابتسم رجب في صمت.

سأل سامح رجب:

- هوَّ المهندس اللي الإخوان اعتدوا عليه امبارح اسمه إيه؟

- مينا فيليب، ده مهندس محترم! شفت عملوا إيه كمان في السفير يحي نجم؟!

- يحي نجم مين؟

- السفير يحي نجم كان سفير مصر في فِنزويللا، ضربوه امبارح وفتحوا دماغه واتبهدل آخر بهدلة!

- لا حول ولا قوة إلا بالله! أنا بصراحة مابقتش أتفرج على حاجة من ساعة ما شفت ابن الوسخة اللى حط إيده على بق شاهندة مقلد!

- يلعن أبو امه ابن وسخة! لا مؤاخذة يا جينا!

علق رجب وابتسم.

- يلعن أبو امه ابن ستين وسخة ابن الشرموطة!

هكذا علقت جينا مزايدة عليهما.

فضحكوا جميعاً ضحكات صافية مرحة من أعماق قلوبهم.

وكانوا قد وصلوا إلى مطعم "جو سوشي" 47 شارع محمد مظهر بالزمالك، وهو المطعم الذي دعاهم إليه رجب الليلة وكان هو من سيدفع الحساب، ونحن نعلم أن سامح لا يحب السوشي على الإطلاق، بل يمقته حقاً، ولا نعلم إن كان هذا بسبب أنه قد جرب سابقاً أكل السمك النيئ فلم

يستطيبه أم أن المسألة مسألة مبدأ ولا علاقة لها بخبرة سيئة؟ ونحن على علم أيضاً بأنه كان متأكداً مليون بالمئة من أن أي مطعم سوشي في مصر لا يمكن الوثوق به، فإن كان الأصل والمبدأ والأساس هو عدم الوثوق في مطاعم السمك المشوي والمقلي والسنجاري في مصر، فما بالك بالسمك السوشي النيئ الذي يتطلب ويستوجب ويتحتم أن يكون طازجاً حياً يلعب محصوداً للتو، وما بالك أيضاً إن علمت أن مطاعم السوشي في مصر تقدم السمك المستورد المجمد، لأن هناك نوعيات لا تتواجد في المياه والشواطئ المصرية، فهل يتوقع المرء أي أمانة أو نظافة أو ذرة ضمير لدى تلك المطاعم؟! وبالرغم من هذا وذاك فقد قبل سامح عزومة رجب ولم يعترض عليها، خاصة لما قال له رجب بإن جينا من هواة أكل السوشي ومن عشاق تناوله، وإنها لم يسبق لها أكل السوشي في مصر من قبل، لذا ستكون بالنسبة لها تجربة عملية مفيدة ومغامرة مثيرة، وتوقع سامح من رجب أن يكون قد أجرى بحثاً مكثفاً ومطوَّلاً حول أفضل مطاعم السوشي في القاهرة حتى اختار هذا المطعم بالذات، لكنه مع ذلك كان من المستحيل بالنسبة له أن يقرب السوشي في أي مكان بالعالم المتحضر المتمدن، ولا حتى في اليابان نفسها بلد السوشي، فما بالك بمصر؟! لذا أزمع بينه وبين نفسه أن يقتصر أكله على الخبز والأرز والسلطات والمقبلات والصوصات والسبريدات.

كان المطعم يقع أسفل بناية كبيرة مظلمة لم يتبين سامح أي ملمح من ملامحها، وكان باب المطعم مغلقاً؛ وهو باب من خشب الأبنوس الأسود الذي لفت نظر سامح بشدة متسائلاً عن ثمنه؟ وقال لنفسه: "يا ترى الباب ده لو وديناه لثروت صابر يعمل منه كام قصعة عود؟! شوف انت العود الأبنوس بكام دلوقتي!"

وتذكر سامح أنه في أول مرة ذهب فيها إلى ورشة ثروت صابر لصناعة العود في طريق القاهرة-قليوب، شاهد سيارة سوداء مرسيدس عيون، وكانت كنج كونج السيارات الفاخرة أيامها، وكانت المرسيدس السوداء العيون الكنج كونج واقفة في الطريق الترابي القذر أمام البوابة الحديدية لورشة ثروت صابر التي كانت أشبه ببيوت الفلاحين في القرى المصرية الفقيرة، وحين دخل رأى محمد عبده بشحمه ولحمه وهو جالس يدندن على أحد الأعواد صناعة ثروت صابر، ورغم أن خبرة سامح في العزف على العود كانت لا زالت في بداياتها وقد بدأ أيامها في تعلم العزف على العود في معهد الموسيقى العربية بشارع رمسيس، إلا أن الأمر لم يكن في حاجة لخبير في العزف

أو الموسيقى للجزم بالمقدرة الفائقة لمحمد عبده في العزف على العود، ومن يومها صنفه سامح ضمن كبار العازفين على العود من طائفة: فريد الأطرش، ومحمد القصبجي، ورياض السنباطي، وسيد منصور.

في تلك الجلسة أيضاً رأى سامح جذع من خشب الأبنوس بطول ذراع وسمك أربعة أذرع مع محمد عبده، أعطاه لثروت صابر وطلب منه أن يصنع من الجذع عوداً من الأبنوس بقصعة اثنان وعشرون ضلعاً، وقال يومها إنه قد اشتراه خصيصاً في إحدى سفرياته لإحدى الدول الإفريقية، ولا يتذكر سامح أي دولة إفريقية تلك التي أشار إليها محمد عبده، لكنه عرف، من ثروت صابر شخصياً، وبعد أن غادر محمد عبده الورشة، أن خشب الأبنوس باهظ الثمن جداً، وأن صناعة عود بقصعة من الأبنوس يكلف ثروة وقدرها، وأن ما طلبه محمد عبده من أن يكون عدد أضلاع القصعة 22 ضلعاً يتطلب مهارة فائقة وخبرة كبيرة من صانع العود، وعلم أيضاً أن اختيار نوعية الخشب وعدد أضلاع القصعة لا تكون لأسباب زخرفية أو من باب المباهاة والمفاخرة، وإنما لأن لهما أعظم الأثر على حلاوة ونقاء وروعة صوت النغمات الصادرة عن العود.

كان اسم المحل مكتوباً بالإنجليزية Jo Sushi أعلى الباب بحروف ذهبية، تقدمهم رجب، وهو الوحيد فيما بينهم، على ما يبدو، الذي كان يعرف المحل ويعرف طريقه فيه، ففتح الباب لجينا وسامح، ثم دخل وأغلق الباب خلفه، ومشوا في ردهة طويلة نسبياً بإضاءة خافتة دون أن يقابلهم أي أحد، حتى وصلوا في نهايتها إلى صالة المطعم التي كانت متسعة، ومقسمة بحواجز خشبية في نصف قامة الإنسان تتيح بعض الخصوصية لكل مائدة خلفها، واختار رجب إحدى الموائد وسحب مقعداً لجينا، وجلس إلى يمينها، في حين جلس سامح في مواجهتها وإلى يمين رجب.

جاء عندها النادل المصري، وقدَّر سامح عمره بأواخر الثلاثينيات أو يكاد، ومسَّى عليهم مرحباً بأدب وتحفظ في نفس الوقت، وناول كل منهم المنيو وانسحب في هدوء إلى الكواليس المخفية وراء صالة المطعم.

كانت الصالة خافتة الإضاءة، بدون شاشة تلفزيون، وهو الأمر النادر في المطاعم والمقاهي والمشارب المصرية، ورأى سامح لافتة السيجارة والكروس علامة ممنوع التدخين معلقة في كل حائط من الحوائط الأربعة للصالة، فتمنى في نفسه ألا يطول المقام بهم هنا، بالرغم من شهرته بأنه

يحب أخذ وقته في تناول الطعام، بل وأخذ وقتاً ووقتاً ووقتاً فوق الوقت، ولعل عدم التدخين لم يكن هو العامل الحاسم والوحيد في شعوره هذا، وربما كان لمزاجه المعتكر أساساً من بداية الليلة الدور الأكبر، فصور البلطجي الإخواني الذي كان يضع يده على فم شاهندة مقلد ليمنعها من الكلام، وصورة المهندس القبطي وهو عاري الصدر والدماء تنزف من رأسه أثناء جر بلطجية الإخوان له للمكان الذي سيحتجزونه فيه، كانتا تلحان على عقله ومشاعره منذ أن شاهدهما، ولعلهما كانتا المسؤولتين عن سوداوية مزاجه.

استعرض الثلاثة قوائم المنيو، ولاحت من سامح نظرة خاطفة نحو جينا، وقال في نفسه:

"إنتوا أحسن مننا إزاي يعني؟! ماهو انتوا ماكنش عندكم تطرف إسلامي أيام الثورة الفرنسية! دي ناس ماعندهاش ذرة دم واحدة ولا إحساس وديسنسي! محب دايماً يكرر الجملة بتاعة الأخ ميرفي: "إذا كان هناك احتمال لأن تسوء الأمور فإن الأمور سوف تسوء فعلاً"، وفي دي عنده حق، خصوصاً في مصر والدول العربية، إذا كان من المحتمل أن تسوء الأمور فإن الأمور سوف تسوء فعلاً، دي ناس مشروعها مش وطني، دول مشروعهم أممي إسلامي عالمي كوني بتنجاني، مش هايترددوا لحظة واحدة يضحوا بمصر عشان المشروع ينجح، إحنا اضطرينا نضحي بالأم واضطرينا نضحي بالجنين عشان العملية تنجح."

عادت عينا سامح إلى استعراض محتويات المنيو، ورغم أنه فرح أن المطعم يقدم أصنافاً أخرى غير السمك النيئ؛ مثل الدجاج بأشكال طهي متنوعة أكثرها مشوية، ولحم البقر بأشكال طهي متنوعة أكثرها مشوية، وأنواعاً أخرى من السمك المطهي غير السوشي أكثره مشوي، وأنواعاً متنوعة من الحساء، وأشكالاً مختلفة من السلطات، وعدة أصناف من الحلويات، إلا أن الأسعار فاجئته، بالرغم من أنه كان مدركاً تمام الإدراك بأنهم في الزمالك، وأن أسعار المطاعم لا بد وأن تكون مغالى فيها، وبالرغم من هذا هالته قائمة الأسعار وضغطت مزيداً من الضغط السلبي على أعصابه، ويحق لنا هنا أن نتوقع أن مزاجه قد ازداد سوداوية واستفحلت حالة الكآبة لديه.

طلب سامح لنفسه طبق دجاج شيو ياكي Chicken Shio Yaki؛ وكان بسعر 115 جنيهاً مصرياً، عبارة عن 8 قطع صغيرة مكعبة من الدجاج الفيليه المشوي، وطلب رجب لنفسه طبقاً مختلفاً من الدجاج مشوي بصوص الياكيتوري Grilled Chicken Cooked With Yakitori

Sauce، وشعر سامح بالثقة وقال في نفسه: "هذا هو رجب نفسه الذي دعانا للمطعم قد عافت نفسه سمك السوشي النيئ وطلب لنفسه دجاجاً!" أما جينا فاتضح أنها من هواة وعشاق السوشي والسمك النيئ؛ لأنها بعد سبعين ساعة من فحص المنيو من قرنه لقدمه، ثم من قدمه لقرنه، ثم من قرنه لقدمه مرة أخرى، اختارت أخيراً طبق سوشي اسمه تونا بلاتر Tuna Platter؛ وبسؤالها من قِبل رجب اتضح أنه مكون من سمك التونة النيئ مع السمسم الأحمر والسمسم الأبيض المحمصين، مع المانجو، مع الطماطم الكرزية، مع صوص اسمه ميرو صوص Miro Sauce؛ والذي اتضح أنه عبارة عن مزيج من العسل الأبيض وعصير الليمون.

لم يسأل سامح عن تكلفة كل من طبقي رجب وجينا، وكره أن يمسك بالمنيو من جديد ليعرف سعر كل منهما وعدها قلة ذوق وجليطة، لكنه كان متأكداً أن سعر طبق رجب لا بد وأن يكون في حدود المئة جينه مصري أو أكثر، وأن سعر طبق جينا لا بد وأن يكون أكثر من مئة وخمسون جنيهاً مصرياً، ذلك أنه لاحظ ارتفاع أسعار أطباق السوشي حين كان يستعرض المنيو، ولاحظ أيضاً أن أقل طبق سوشي فيها كان فوق المئة وخمسين جنيهاً.

وطلب رجب لهم جميعاً ثلاث أطباق من الأرز الصيني بالثوم، لكل واحد طبق، وسلطة سكالوب واحدة للجميع؛ وهي عبارة عن قطع من شرائح السكالوب المشوي مع شرائح الطماطم الكرزية وصوص المايونيز الحار، كما طلب لهم جميعاً نوعاً من الصوص يُقال له Sweet Chili Sauce، والذي جاءوا به في ثلاث بولات متناهية الصغر تشبه لعب الأطفال أو مكعبات الليجو الصغيرة، وكان لونه ُكميت؛ أي أسود مُشرَّب بالحُمرة.

كانت الثلاث أطباق الرئيسية لجينا وسامح ورجب أطباقاً مستطيلة من البورسلين الأسود، وقدم لهم النادل عصي الأكل الآسيوية، وقدم أيضاً لكل واحد منهم منشفة بيضاء قطنية مبللة بماء دافئ، لم يفهم سامح لزومها، لكن رجب قال له وهو يبتسم، بعد أن ذهب النادل، إنها لمسح اليدين والوجه والرقبة لزوم الانتعاش، فصنفها عقل سامح على الفور ضمن طائفة الخولنة والكهن والمُحن والعلوقية وشم الكولة.

ولعلنا نسينا أن نذكر أن النادل حالما وضع أمام كل منهم عصي الأكل الخاصة بهم، والتي كان كل منها مغلفاً في نايلون شفاف، وكانت عصي طويلة غليظة كلاسيكية من التي يأكل بها

اليابانيون فعلاً، أمره سامح بلهجة حازمة، وهو يُرجع له العصي الخاصة به، بأن يُحضر له شوكة وسكيناً، ثم نادى عليه في منتصف الطريق قائلاً: "آه بقولك، هات معاك معلقة كمان علشان الرز."

أكل الثلاثة بشهية لأن قطع الدجاج المشوي كانت شهياً بالفعل، وإن كانت جينا، كما لاحظ سامح ورجب، قد بدت متشككة في البداية من التونة النيئة في طبقها، إلا أنها مع ذلك أكلتها، ولا بد أن البنت كانت جائعة جداً، وساعد على فتح الشهية صوص الفلفل الحلو الذي طلبه لهم رجب، وساعد أيضاً أكبر مساعدة على فتح الشهية الأرز الصيني بالثوم.

وتمنى سامح من أعماق قلبه ألا تأتيه نوبة النوم الآن أمام جينا، ففي حين كان رجب معتاداً منذ وقت طويل على نوبات النوم المفاجئ التي تهجم على سامح في أي مكان، وشهد من قبل، وعشرات المرات، كيف كان سامح يغرق في النوم العميق أثناء تناوله للطعام، حتى ولو كان في مطعم عام وليس فقط في شقة مغلقة؛ سواء شقته أو شقة أحد الأصدقاء، إلا أنه شعر بالحرج من أن تشهد جينا نوبة من نوبات نومه المفاجئ الذي لا علاج له.

أما رجب فقد راح يمدح ويقرظ ويثني على ذكاء سامح أمام البنت جينا وهم يأكلون، إلى الدرجة التي شعر معها سامح بالحرج؛ فقد راح الولد رجب يقول لجينا إن سامح هو ألمع كاتب سيناريو في مصر، وإنه يكتب المقالات النقدية أيضاً في الصحف والمجلات الخليجية، وإنه يعد من أهم المثقفين المصريين قاطبة، مما عده سامح نوعاً من أنواع المبالغة، لكنها المبالغة المحببة إلى قلب أي ممدوح، حتى وإن كان ينفي هذا.

وسألت جينا سامح عما يشاهده الآن، فقال إنه يشاهد مسلسل (لعبة العروش)، وقال إنه حتى الآن معجب بالمسلسل؛ كتابة وإخراجاً وتمثيلاً، وقالت جينا إنها لم يتسنى لها بعد مشاهدة المسلسل بالرغم من أنها سمعت كلاماً طيباً كثيراً من أصدقائها عنه، وقالت إنها حالما تستقر في الإسكندرية سوف تشرع في مشاهدته، وسألته أيضاً عن أي من الأفلام التي يرشحها لها لكي تشاهدها، وقالت إنها تعمل الآن على إعداد قائمة بالأفلام التي يجب أن تشرع في مشاهدتها حالما تستقر في مقر إقامتها الجديد، فقال لها سامح إنه يعتقد أن المسلسلات التلفزيونية قد احتلت الآن مكان الأفلام من حيث تأثيرها على المشاهدين في كل أنحاء الكوكب، وصارت هي، لا الأفلام ولا الروايات، هي الشكل المفضل للرأسمالية في السرد حالياً، وقال لها أيضاً إن هذا الأمر قد بدأ منذ أيام مسلسل

(الأصدقاء) وإن النقاد لعلهم لم يفطنوا بعد إلى استحواذ المسلسل التلفزيوني على الأولوية وقصب السبق بدلاً من الأفلام، لكن الأمر واضح بين ظاهر بالنسبة له كسطوع الشمس في شهر يوليو، فسألته جينا عن أهم المسلسلات التي يرشحها لها لكي تشاهدها، فقال سامح إن عليها أن تشاهد المسلسلات التالية: (الشَّرَك The Wire)، و(المدرعة الفضائية جالاكتيكا Battlestar Galactica)، و(غرفة الأخبار The Newsroom)، و(رجال ماديسون Mad Men)، و(الزوجة الصالحة The Good Wife)، و(التائهون Lost)، و(المرآة السوداء Balck Mirror)، و(عصبة الأصدقاء Band of Brothers)، بالإضافة طبعاً إلى إعادة مشاهدة مسلسل (الأصدقاء Friends) حتى وإن كانت قد شاهدته بالفعل، وأن هذه المشاهدات واجبة إلزامية حتمية إجبارية، حتى إنه استخدم اللفظ الإنجليزي: Mandatory.

وأتت الفاتورة في النهاية بمبلغ 548 جنيهاً مصرياً بالتمام والكمال، وقد علم سامح بقيمة الفاتورة فيما بعد حين سأل رجب عن قيمتها بعد أن ودعا جينا، لكنه حينها رأى الوجوم يجتاح ملامح رجب، فعرف أن الفاتورة ضخمة، حتى إن رجب راح يقلب في جيوب بنطلونه الجينز ويقلب، ثم مال على أذن جينا وهمس لها بشيء لم يسمعه سامح، وإن كان توقعه، فأخرجت جينا مئتي جنيه مصري من كيس نقودها وناولتها لرجب، الذي قال، ربما لكي يرفع الحرج عن الموقف المحرج:

- تحبوا تشربوا حاجة يا جماعة، إيه رأيكو شاي بالياسمين؟

رد سامح الذي كان يشعر بالخجل من أنه كلف رجب تكلفة باهظة، وفي ليلتين متتاليتين، وكلتاهما في الزمالك المُغالى في أسعار مطاعمها:

- لأ أنا بالنسبالي كده تمااام! أنا مش قادر اتنفس أصلاً! ألف شكر يا باشا مانتحرمش مك أبداً.

لكن جينا قالت إنها تريد أن تشرب شاياً بالياسمين، فطلب لها رجب شاياً بالياسمين، وطلب لنفسه أيضاً، وكان الوقت الضائع في احتساء جينا ورجب للشاي بالياسمين يعني بالنسبة لسامح مزيداً من العَطلة ومن الحرمان من التدخين، فحاول أن يكتم غيظه من الطيز الثقيلة بقدر استطاعته حتى لا يظهر على ملامحه، ومضى وقت الشاي بالياسمين في دردشة جانبية بين رجب وجينا حول بعض الأصدقاء المشتركين، لعلهم من الدبلوماسيين الفرنسيين أو الإنجليز أو غيرهما، مما

كان خارج دائرة معارف سامح من ناحية، وخارج اهتماماته من ناحية أخرى، ذلك أنه كان يُصنف الدبلوماسيين في طائفة الشماشرجية والخدامين والياوران، بغض النظر عن شياكة المهنة وهالتها وأجوائها المغرية.

ونحن من جانبا نتوقع أن الشاي بالياسمين لا بد وأنه قد كلف جيب رجب خمسين جنيهاً أو يكاد من جملة الـ 548 جنيهاً مصرياً التي هي قيمة فاتورة العزومة الرجبية الجو سوشية.

ولما خرجوا إلى الهواء الطلق لاحظ سامح استمرار وجوم ملامح رجب وإمساكه عن الكلام، وهو الذي كان لا يكف عن الثرثرة والحديث وفتح المواضيع، خصوصاً في حضور البنات، فخمن أن الفاتورة لا زالت تؤلمه وتقض مضجعه وتنهش في أعصابه، ولما أراد أن يلطف هو الأجواء قليلاً وهم بأن يفتح حديثاً مع جينا حول عملها في المركز الثقافي الفرنسي بالإسكندرية، فوجئ بالبنت تتقيأ على الرصيف كالشلال، ورأى في القيء بقايا سمك، فاجتاحته ثقة غامرة في نفسه من صواب حكمه على مطاعم السوشي المصرية، وحزن في نفس الوقت على البنت التي تعرضت لهذا الموقف المحرج المؤذي المُحط للشأن والقيمة، وترك رجب بجوارها وهو يحاول أن يواسيها ويرفع من معنوياتها، وأسرع هو لأقرب صيدلية لمحها بالقرب منهم، وابتاع منها شريط أقراص بريموزان مضاد للتقيؤ ومنظم لحركة الجهاز الهضمي عشرة أقراص في الشريط بتركيز 10 ملجم بسعر 4,75، بالرغم من أنه كان يعلم تمام العلم أن سعره في أي صيدلية أخرى غير صيدليات الزمالك الحرامية هو 3 جنيهات مصرية فقط لا غير، لكنه دفع دون أن يحتج أو يُحرج الصيدلي أو يتهمه باللصوصية كعادته في مثل تلك المواقف، وأسرع إلى جينا، وطلب منها ابتلاع قرص بريموزان دون حتى ماء، وكانت البنت قد كفت عن التقيؤ، ومسحت فمها وحوله بالكثير من مناديل الكلينكس، وكانت قد تحركت مع رجب إلى مكان أبعد قليلاً عن بركة القيء التي تركهما سامح أمامها، ولما بلعت البنت جينا قرص البريموزان، استأنفوا سيرهم في الشارع المظلم الذي هو ليس بمظلم.

تجاوزوا الصيدلية التي لم يكن اسمها واضحاً على اللافتة المتربة المهببة التي تعلوها، لذا فسنشير إليها بالصيدلية المتربة المهببة في هذا المقام، واشترى رجب لجينا زجاجة مياه طبيعية دساني 600 مل، من نفس كشك السجائر الذي ابتاع منه قبلاً علبة الميريت الأصفر، ولم يعلم سامح كم دفع رجب ثمناً لها، لأنه كان يعرف أن مياه دساني جديدة في السوق المصرية وأنها

كانت أغلى من باقي أنواع المياه الطبيعية، وراحت جينا ترشف منها وهم سائرون في الطريق.

وتوقفوا برهة بعد ذلك في الشارع المظلم الذي هو ليس بمظلم، بعد أن ظنت جينا أن نوبة قيء أخرى على وشك أن تأتيها، ولمح سامح ورجب أثناء ذلك تجمع من الشباب الذين يقفون في أحد الأركان المظلمة على مفترق الطرق بالقرب من سفارة الفاتيكان يدخنون وينظرون إليهم وهم على ما يبدو يسخرون أو يتنمرون أو يتلمظون أو يطقطقون أحناكهم، ولمح رجب أحدهم يعض بأسنانه على شفته السفلى بإيماءة شهوانية قذرة وهو ينظر لجينا، ولا بد أن عددهم وكثرتهم قد منحته الشجاعة للإفصاح عن القذارة التي في نفسه، ولا بد أن سامح قد لمح هو الآخر ما رآه رجب، لأنه، وبهدوء شديد جداً يُحسد عليه وغير معروف عنه في مثل تلك المواقف، سحب مطواة من جيب بنطلونه الجينز الخلفي وخفضها إلى أسفل بجوار ساقه البعيدة عن جينا حتى لا تراها البنت فتفزع، وفتحها شفرتها بإبهامه في حركة احترافية ولا أجدع ابو احمد اسكندراني، دون أن يفتح فمه بكلمة، لكن الولد رجب المفتّح أخذ باله فوراً، واستغرب أشد استغراب واندهش أكبر اندهاش أن يكون سامح يحمل معه مطواة، فطوال عشرتهما الطويلة لم يكن يعرف عنه هذا الشيء، ولأول مرة في حياته يرى مطواة مع سامح، فضلاً عن الحركة الاحترافية في فتح سامح للمطواة، والتي تنبئ عن اعتياد يديه على المطاوي والسلاح الأبيض، فكأن رجب لحظتها كان يرى سامحاً آخر غير الذي يعرفه.

أدت الحركة الصامتة لمطواة سامح الغرض والهدف والمطلوب، ولمت المجموعة المشاغبة نفسها وحولت وجوهها عن جينا وتظاهروا بالانشغال في حديث آخر حول شيء ما في الجهة المقابلة البعيدة عن مكان جينا ورجب وسامح، فمرر سامح باطن إبهامه على شفرة المطواة ليجرح طرف الإصبع حتى تشرب المطواة دماً، ثم أغلق المطواة بهدوء وأعادها لجيبه، وضغط إبهامه مع السبابة حتى يتوقف سيل الدم وحتى لا تلاحظ جينا أن إصبعه ينزف، لكن رجب المفتّح أخذ باله من هذا كله.

لم تتقيأ جينا مجدداً فقد كانت كانت نوبة كاذبة، واستأنفوا سيرهم، ولم تكن جينا تسكن بعيداً عن المكان، فقد كانت مكان إقامتها المؤقت في القاهرة يقع في عمارة بالقرب من فندق ماريوت الزمالك، ولما حانت لحظة الوداع قبلتهما جينا على الخدين، وشعرت البنت أن سامح قد نفر في البداية حين همت بتقبيله، لكنه سارع فور أن أدرك الموقف إلى تقبيلها بقوة وصراحة على خديها

في محاولة لنفي أي شبهة.

ولما استأنف سامح ورجب سيرهما في طريقهما إلى رأس الجزيرة ليستقل كل منهما مواصلة إلى بيته، شعر سامح أن وجوم رجب قد ازداد وأن امتعاضه قد كبر وعظم، بالرغم من سكوته، الذي قطعه رجب في النهاية قائلاً لسامح بغيظ وحقد:

- البت جاية تبوسك تقوم لاوي وشك بعيد!

- إيه؟! لأ ماخدتش بالي بس! وبعدين مانا بوستها عادي خلاص!

صمت رجب ولم يرد. فأردف سامح قائلاً:

- عموماً ألف شكر بجد على العزومة، أنا عارف إنها كلفتك كتير، معلش والله أنا لو معايا فلوس كنت شاركت معاك في الـ ...

قطع رجب استرسال سامح قائلاً بغيظ وحقد أشد، وبصوت عال هذه المرة كأنه يشخط، وهو يشوح بكلتا يديه:

- ما خلاص بقى! الله!

كان رجب قد توقف للحظة وهو يشوِّح بيديه لسامح، فنظر سامح في عينيه، فلمح مقلتي عيني رجب وقد جحظتا وبان فيهما الشر، فأوقن عندها أن هذه هي نهاية الصداقة الطويلة بينهما، وأنها لحظة الموت الحتمية التي لا مفر منها للعشرة والصحوبية والأستاذية والاحترام والتقدير والتوقير.

التمثال

-2-

أغلق أحمد فرحات مفتاح الغاز في البوتاجاز الأريستون الأربع عيون، وتناول المسَّاكة القماشية وفتح بها غطاء براد الشاي الكوري الجنوبي الستانلس ستيل، وأضاف ملعقة شاي من البن الفاتح الغير محوج للشاي، وقلب بالملعقة في خمس دورات سريعة، ثم أغلق غطاء البراد، وأمسكه من عروته بالمسَّاكة القماشية وصب في مجيّ الشاي الزجاجيين الفرنسيين اللذين كانا على النمليّة الخشبية التي كانت إلى يسار الواقف أمام البوتاجاز وتتوسط المسافة بين البوتاجاز والثلاجة، وكان أحمد فرحات قد وضع بكل مج منهما أربع ملاعق شاي من سكر القصب الخشن البني، ذلك أن سكر أحمد فرحات كان هو هو سكر سامح في الشاي وفي القهوة أيضاً.

قلب أحمد فرحات كل مج بالملعقة في خمس دورات سريعة، ثم قدم لسامح مج الشاي قائلاً:

- شاي صعيدي يصلب الطول ويعدل النافوخ!

- تسلم إيدك يا باشا.

رشف سامح أول رشفة من المج، وأعجبته الصنعة، فمصمص بشفتيه مستلذاً وقال:

- سكلانس!

- لأ يا عم شاي صعيدي أحلى!

- صحيح.

سحب سامح نفساً طويلاً من سيجارة الأمبرليف اللف الملفوفة بالبفرة الواطسون الطويلة التي كانت بين أصابعه اليسرى، ونفثه على مهل وهو يفتح كيس المكرونة الخواتم الكيلو ماركة "ريجينا"، ذلك أنه لم يستظرف أن يشتري ماركة "ستار" التي اعتاد شراءها، بالرغم من أن كلاهما من صنع نفس الشركة، وكان الفرق بينهما جنيهاً ونصف الجنيه، حيث كان كيلو مكرونة "ريجينا" بخمسة جنيهات، وكيلو مكرونة "ستار" بثلاثة ونصف فقط، وكان كلاهما من نفس نوع

الدقيق، ويؤديان إلى نفس النتيجة النهائية من تماسك حبات المكرونة وصلابتها بعد النضج، ذلك أنه أحب أن يظهر بمظهر الكريم في المكونات أمام أحمد فرحات ومحب اللذين دعاهما إلى عزومة المكرونة المبكبكة الليبية في شقته، أضف إلى ذلك أنه لم يكن سيشتري بيرة أو أي خمور لزوم العزومة، لأن محب قد قال له في التليفون وهو يؤكد مجيئه: "ماتجبش ميَّة، الميَّة عليَّا انا هاجيب وانا جاي"، فأما والحال كذلك فلا مانع من أن تكون المكرونة من النوع الأغلى لأن محب قد وفر عليه الكثير، حتى وإن كان هو شخصياً غير مقتنع بوجود أي فرق بين المكرونة الـ "ستار" التي يستخدمها والمكرونة الـ "ريجينا" التي ينتجها المصنع نفسه ويبيعها بسعر أغلى.

كان سامح قد قام قبل ثلاثة ساعات بنقع كمية تكفي لثلاثة أشخاص ناضجين أكيِّلة جائعين من كل من:

- حمص الشام،

- وفول مدشوش (أو مجروش، إن أحببت)،

- وعدس بجبة،

- وقليل من الحلبة الحصى.

وكان قد حضّر أيضاً ثلاث حبات كبيرة من البطاطس، وثلاث حبات كبيرة من الطماطم، وثلاث حبات كبيرة من الفلفل الرومي البارد، بالإضافة إلى التاتش السري المخصوص الخاص به، والذي تعلمه من الليبيين أنفسهم، وهو إضافة القليل من ماء الورد إلى الطبخة قبل تمام النضج بخمس دقائق، حيث كانت زجاجة ماء الورد البلاستيكية الربع لتر تقبع في الرف السفلي لباب الثلاجة الإيديال الأثنتي عشرة قدم أول إنتاج لمصانع إيديال المصرية من سنة حاجة وستين، والتي كان موتورها وكباسها بلجيكيان، ومكتوب على بابها بقلم ماركر أحمر "ألماظ"؛ وهو ما كتبه الصنايعي البريمو الذي جاء مرة لكي يستبدل ريلاي الثلاجة الذي أخذ الصدمة الكهربائية من ارتفاع شدة التيار الكهربائي فجأة فحمى بذلك الموتور وانحرق هو، ووقتها بحث سامح عن ريلاي بلجيكي أصلي يصلح كقطعة غيار دون فائدة في كل محلات شارع نجيب الريحاني المتخصصة في بيع قطع غيار الثلاجات، واهتدى أخيراً إلى ورشة إصلاح ثلاجات في الموسكي، كانت أصلاً

لخواجة يوناني، ثم باعها لشريكه المصري حين عاد في السبعينيات إلى اليونان، وكان ابن الشريك المصري هو الذي يتولى إدارة الورشة بعد موت أبيه، وكان عبقرياً في إصلاح الثلاجات القديمة، بالرغم من أنه خريج كلية الحقوق، فقام وقتها بتعديل في مدخل الريلاي في الثلاجة الإيديال بحيث يقبل تركيب الريلايات الجديدة الموجودة في السوق، وقال لسامح إنه في حالة حدوث أي ارتفاع في شدة التيار الكهربائي واحتراق الريلاي الجديد فما عليه إلا أن يبتاع "لاريه عروسة كيه 14" من أي محل في شارع نجيب الريحاني ويُركبه بنفسه لأنه شيء بسيط جداً في تركيبه مجرد ها يشيل ريلاي محروق ويحط مكانه الريلاي الجديد، ثم مدح كثيراً في الثلاجة الإيديال أول إنتاج مصري ستيني ناصري من الثلاجات بمكونات أجنبية أصيلة ومحترمة، وأصر أن يكتب على بابها بالماركر الأحمر الذي كان في جيبه "ألماظ".

قال أحمد فرحات وقد لاحت على وجهه أمارات الاستغراب بعض الشيء:

- هاتحط المكرونة كده مش هاتسلقها الأول؟!

- لأ نحطها من الكيس على طول، لو عايز تسلقها مش هاتقول لأ يعني بس هي المبكبكة الليبية الأصلية بنحط المكرونة من الكيس علطول، والمطبخ الحديث على فكرة أثبت صحة الكلام ده لإن ميَّة المكرونة بتبقى مليانة فوايد فلما بتتسلق وترمي الميَّة جزء كبير من البروتينات والحاجات المفيدة التانية بتروح.

- آهه! كويس والله دي معلومة كويسة.

- ده حتى أنا فاكر لما كنت بقرا في كتاب أبلة نظيرة كانت بتقول لما نسلق المكرونة نستعمل الميَّة بتاعتها في حاجات تانية، لو بنعمل باشاميل مثلاً، أو أي مسقعة خضار أو كده يعني.

- طب كويس إني جايب معايا قرص السكر، المكرونة والبطاطس والحاجات التانية هاتدمر الدنيا خالص!

- لأ أنا هاقولك بقى على مفاجأة حلوة قوي، المطبخ الليبي يا ريس لازم بيحطوا قرفة كتير على كل النشويات من فوق، سواءً الكسكسي أو المكرونة أو الرز، والعلم الحديث برضو أثبت صحة الكلام ده لإن القرفة بتعادل التأثير السيء بتاع النشويات، فكأنك ما أكلتش نشويات خالص!

- لا مش معقول!

- آه والله صحيح بجد! وسبحان الله يا أخي الليبين من عشرات السنين عرفوا الموضوع ده حتى قبل العلم ما يثبته!

- الخبرة البشرية يا ابني أقوى من أي علم.

- صحيح.

- طب أنا هاجرب ماخدتش قرص السكر مع الأكل واشوف كده.

- وانا هازودلك القرفة كمان شوية.

- يا سلام يا سلام! ده انا كييف قرفة!

- وانا كمان زيك كييف قرفة، مابقطعش القرفة من عندي ولا صيف ولا شتا، عشان كمان أظن إن الضغط عندي واطي شوية، واطي طبيعي كده يعني، أنا ماقستش ولا حاجة بس أظن إن الضغط عندي واطي شوية، القرفة إنت عارف بقى بتعلي الضغط، ده حتى لما بقعد على قهوة في الصيف واطلب قرفة الواد الجرسون يقولي في الحر ده يا باشا؟! أقوله آه هاتلي قرفة انت بس مالكش دعوة.

أثناء ذلك كان سامح يقطع حبات الطماطم إلى مكعبات متوسطة الحجم ويضيفها إلى الحلة، ويقطع حبات الفلفل الرومي الأخضر البارد إلى شرائح متوسطة الحجم ويضيفها إلى الحلة، وحيث إنه كان يضع الحلة على العين الكبرى للبوتاجاز، وكانت نار العين على أشدها، بدأت مياه الصلصة في الجيشان، فقلب بالكبشة الكبيرة الخليط كلها سبع أو ثماني مرات، ثم غطى الحلة، وخفف من شدة نار العين إلى المتوسط.

قال أحمد فرحات وهو يرشف من مج الشاي، ويأخذ نفساً من سيجارة كليوباترا الملكة التي أشعلها للتو:

- حلبة حصى، وحمص الشام، وفول مدشوش، وعدس بجبة.

- تنقعهم تلت اربع ساعات الأول، ولو هاتعمل كيلو مكرونة يبقى تملى حلة قد دي ميَّة، والصلصة في الأول طبعاً مع التوم والكسبرة والكمون والفلفل الاسود والقرفة.

- والبصل إمتى؟

- البصل يبقى بعد الميَّة ما تغلي غلوتين، بعد خمس دقايق كده.

- طب مافيش عيار معين للميَّة؟ أصل انا غالباً هاعمل كيس المكرونة الصغير مش الكيلو.

- بص، كل كوباية مكرونة تحط قصادها أربع كبايات ميَّة هاتطلع مضبوطة عشرة على عشرة، ولا ناشفة ولا سايطة قوي ومليانة صوص.

- أربع كبايات ميَّة لكل كباية مكرونة.

- أربع كبايات آه.

قال سامح "أربع كبايات آه" وهو يتجه للثلاجة الإيديال، فتح بابها وتناول زجاجة ماء الورد البلاستيكية، وفتح غطاءها، ورفع غطاء القدر.

سأل أحمد فرحات مستغرباً:

- إيه ده؟!

- شوية ماورد في الآخر خالص قبل ما نطفي على النار بخمس دقايق.

- ماورد! ماورد على المكرونة!

- آه دي المبكبكة الليبية الأصلية، هاتدوق دلوقتي وتدعيلي.

- الليبيين يحطوا ماورد على المكرونة؟!

- آه بيحطوا ماورد على المبكبكة، وبيحطوا برضو ماورد على صلصة الكسكسي، وعلى الرشتة، وعلى أي حاجة عموماً فيها صلصة.

- كويس والله آهي دي برضو معلومة جديدة! ألا صحيح الرشتة دي تبقى إيه؟ أنا سمعت عنها قبل كده ماعرفش إيه دي؟

- الرشتة بتبقى عاملة زي المكرونة السباجتي بس بتبقى شرايط تخينة شوية بدل السباجيتي الرفيعة، والليبيين بيعملوها عندهم في البيت فروم إيه تو زد، وبيبقى طعمها لذيذ جداً!

- عايزين نبقى نجربها مرة دي!

- يا ريت والله بس للأسف ماعنديش ماكنة الرشتة!

- هيَّ ليها ماكنة؟

- آه أمال إيه، بتبقى ماكنة حديد كده أو معدن وشكلها زي الصندوق، فيها ناحية تفرد فيها العجينة، والناحية التانية تقطع العجينة لشرايط.

- والعجينة بتبقى إيه؟

- دقيق وميَّة بس، وممكن بيضة لو عايز.

- بس كده؟

- بس كده، دي بتبقى بسيطة قوي! بس للأسف ماعنديش الماكنة رغم إن الرشتة وحشاني جداً والله!

- بس المبكبكة دي مايتحطش عليها لحمة يا ريّس؟

- لللللأ، المبكبكة ماينفعش! مادام فيها حلبة ماينفعش نحط أي نوع من أنواع اللحوم بتاتاً!

- آه حلبة صحيح.

- الاستثناء الوحيد فقط هوَّ لو فيه جدِّيد، لو جدِّيد ممكن نحط شوية جدِّيد.

ثم شرح سامح لأحمد فرحات، الذي لم يكن يعرف ما هو الجدِّيد:

- الجدِّيد ده بيبقى لحمة ضاني مُجففة ومملحة، الليبيين لما يدبحوا خروف ياخدوا حتت معينة من الخروف يقطعوها قطع صغيرها، يملحوها، وينشروها على حبل في الشمس لمدة أربع أو خمس تيام، لغاية ما تنشف تماماً وتجف، يحطوها بقى ساعتها في زلعة أو برطمان مليان سمن، تقعد من السنة للسنة، الليبيين يعزوا الجدِّيد جداً! بيبقى أغلى عندهم من الدهب!

- ياه، للدرجادي!

- آه امال إيه، أي حاجة عليها حتة جدِّيد صغيرة قد كده تبقى عندهم بالدنيا ومافيها! رغم إنه ماعجبنيش لما دقته زمان وانا صغير، أنا فاكر إني رجّعت يوميها! وماكررتهاش تاني! من ساعتها لا اطيقه ولا اطيق ريحته! حتى جيرانا في ليبيا لما كانوا يبعتولنا أي أكلة فيها جدِّيد ماكلش منها أبداً! أمي بقى الله يرحمها كانت تموت فيه زي الليبيين بالضبط، بس لا أنا ولا أبويا ولا أختي كنا نطيقه!

أغلق سامح مفتاح البوتاجاز أخيراً قائلاً:

- لازم نسيبها بقى كده إيه تستهدى نص ساعة كده ولا حاجة وهيَّ متغطية كده زي ما هيَّ.

ورن جرس الباب، فقال أحمد فرحات:

- ده محب أكيد، ابن اللذينا زابط نفسه ع الأكل بالزبط!

-1-

وضع محب ست علب من البيرة الستيلا الكانز المصرية في الكيس النايلون الأسود الكبير بجوار زجاجة ريد ليبل ويسكي السكوتش، ورغم أن لديه أربع زجاجات من ويسكي بلاك ليبل تعتيق 10 سنوات، بل ولديه أيضاً زجاجة من ويسكي بلو ليبل تعتيق الثلاثين سنة، إلا أنه استبعد تماماً أن يأخذ أياً منهم معه في العزومة السامحية لأنه لم تكن توجد مناسبة خاصة تستحق فتح تلك الزجاجات الثمينة التي كانت هي درة التاج في مخزونه من الخمور في شقته بالقاهرة.

ونحن من جانبنا نحسب أن تقديره في محله؛ لإن المسألة كانت مسألة عزومة عادية روتينية على العشاء من تلك الدعوات التي يرتبها سامح لمحب وأحمد فرحات كثيراً، وكان كلاهما من محبي طبيخ سامح اللذيذ، بل وفي أكثر من مرة ألح عليه محب أن يترك القاهرة وما فيها وأن يأتي إلى لندن لفتح مطعم للوجبات الشرقية، حتى إنه عرض عليه أن يدفع التكاليف الأولى لتأسيس المطعم على أن يشاركه في الأرباح مناصفة فيما بعد، وشجعه أكثر بالقول إن معظم الأكلات التي يصنعها سامح هي من الطعام الرائج الآن بين اللندنيين؛ ذلك أن كل طبيخ سامح أو يكاد هو فيجيتيرين.

وعلى عادة سامح هذه الأيام قال: "إن شاء الله ربنا يسهل، أفوق بس كده شوية والمزاج يتعدل شوية وربنا يسهل"، وتوقف الأمر عند هذا الحد، حتى إنه لم يلبي دعوة سامح لزيارته في لندن وتمضية شهر معه في شقته الخاصة، المستقلة عن شقة ماري زوجة محب وأولاد محب، بل وعرض عليه أيضاً أن يتحمل هو شخصياً تكاليف تذاكر الطيران، لكن سامح كان يرد في كل مرة على هذه الدعوة الأكثر من كريمة، خصوصاً إن أنت عرفت محب وطباعه وأفكاره وقناعاته بشأن المال، بالقول: "إن شاء الله ربنا يسهل، أفوق بس كده شوية والمزاج يتعدل شوية وربنا يسهل".

رن جرس موبايل محب، فتناوله ورأى اسم السائق أحمد سلامة، فرد فوراً قائلاً:

- أيوه يا عم سلامة نازل حالاً، هاجيب الأسانسير ونازل حالاً.

وأسرع إلى غرفة النوم، وتناول زجاجة عطر "فهرنهايت" وبخ منها أربع بخات حول البلوفر الأزرق الملكي الصوف الخفيف ذي الرقبة السبعة ماركة "H&M"؛ والذي اشتراه في

أحد مواسم التخفيضات في برلين في إحدى سفرياته إلى هناك في العام الماضي، وكان ثمنه الأصلي 30 يورو، انخفض إلى خمسة فقط بعد التخفيض، ثم أسرع إلى الصالة، وتناول الكيس النايلون الأسود بخموره، وأسرع بفتح باب الشقة وخرج.

كان سامح قد وضع شريطاً لأم كلثوم في الكاسيت الناشونال الكبير الثمانيناتي ذي السماعتين الستريو الذي ورثه عن العائلة؛ والذي كان في زمانه أحدث موديل نزل السوق في طرابلس الغرب، والذي لم يكن متاحاً حتى في السوق، ذلك أن مثل تلك الأجهزة؛ كالتلفزيونات، والكاسيتات، والفيديو كاسيتات، ومثيلاتها، كانت تتطلب واسطة لشرائها، ولا يتذكر سامح بالضبط الواسطة التي لجأ إليها أبوه لشراء هذا الكاسيت، وحتى وإن كان سامح لا يعاني من داء كثرة النسيان، فإنه بالنسبة للشخص العادي الطبيعي القياسي، كان من الصعب تذكر مثل تلك الأمور التي حدثت في الطفولة المبكرة، خصوصاً وإنها لم تكن حيوية ولا مهمة ولا أساسية بالنسبة لطفل في عمره في ذلك الوقت، ما يهمنا من كل هذا أن سامح قد وضع شريطاً قديماً لأم كلثوم كان قد ورثه مع أشرطة غنائية أخرى كثيرة عن أهله الذين كانوا من سميّعة أم كلثوم، ونجاة الصغيرة، وفايزة أحمد، وفريد الأطرش، ووردة الجزائرية، وغيرهم الكثيرون، وضعه في الكاسيت الناشونال الكبير الثمانيناتي ذي السماعتين الستريو الذي ورثه عن عائلته، والذي كان يقبع على الشوفونيرة الكبيرة التي من خشب الأرو التي بجوار باب الشقة يسار الداخل، والتي ورثها عن عائلته، والتي كانت خلف أحمد فرحات الذي كان يجلس إلى يمين سامح، الذي كان يجلس على كرسي الملك على رأس مائدة الطعام الكبيرة ذات العشرة مقاعد خشبية، والتي ورثها عن عائلته، بينما كان محب يجلس إلى يساره وفي مواجهة أحمد فرحات.

كانت الأغنية التي تشدو بها أم كلثوم والثلاثة منكبون بنهم على الثلاثة أطباق الكبيرة من المكرونة المبكبكة الليبية التي أمام كل منهم هي "أراك عصي الدمع".

تذكر محب أنه حين حاول تعلم المقامات الموسيقية العربية طلب من سامح الضليع في المقامات الموسيقية العربية أن يعلمه المقام الموسيقي لكل كوبليه من هذه الأغنية بالذات التي يحبها محب كثيراً، وأنه قد كتب وراء سامح ما قاله في ورقة صغيرة في نصف حجم الكف، لا يزال يحتفظ بها بين أوراق العمل الكثيرة في شقته الخاصة بلندن، التي هي شقة مستقلة عن شقة ماري زوجته وأولاده، ذلك أن الشقاق القديم جداً الذي كان بينه وبين ماري لا يزال مستمراً، كما لا تزال مستمرة قناعته التامة والأبدية باستحالة إقدامه على مسألة التطليق، رغم الرغبة القديمة جداً من ناحيته هو شخصياً والإلحاح القديم جداً من قبل ماري هي أيضاً على الانفصال رسمياً، وإن كانت

قد كفت في السنين الأخيرة عن فتح الموضوع، خصوصاً بعد أن كبر الأولاد، وبعد صعود نجم محب في المجتمع الأكاديمي الإنجليزي، وبعد الثقة الكبيرة التي لمستها وعرفتها وخبرتها ماري للكنيسة المصرية في محب وتعيينها له كمستشار سياسي تستشيره في الكبيرة والصغيرة وتأخذ برأيه في كثير من الأحيان.

وقد علمنا أن محب يومها كتب في ورقته الصغيرة التي كانت في حجم نصف الكف ما يلي:

رياض السنباطي - "أراك عصي الدمع" (كرد)

- المقدمة والمذهب كرد

- من أول: نعم أنا مشتاق (رست)، ثم باقي الكوبليه نرجع للكرد

- إذا الليل أضواني (رست)

- ثم لازمة موسيقية من العجم

- معللتي والوصل (عجم مع زخارف من نفس المقام)

- ثم لازمة من العجم

- وفيت وفي بعض الوفاء (عجم)

- ثم لازمة موسيقية من الحجاز كار

- تسائلني من أنت (نهاوند)

- ثم لازمة موسيقية من المقدمة ولكن هذه المرة نهاوند وليس كرد كالبداية

- وقلت كما شاءت (نهاوند)

- وقلبت أمري (نهاوند برضو)

- إذا البين أضناني (رست، وينتهي عند الدرجة الخامسة من المقام علشان نسلم للكرد)

- وقالت لقد أزرى بك الدهر (رجع للكرد تاني في القفلة)

قال محب والطعام في فمه وهو يمضغ بشهية، حيث كان يعشق كل أنواع وأشكال المكرونات؛ خصوصاً المكرونة المبكبكة الليبية صنع يد سامح:

- أكتر حاجة تفكرك بمصر وانت في الغربة صوت ام كلثوم!

- وريحة الجوافة!

أضاف أحمد فرحات بسرعة والطعام في فمه وهو يمضغ بشهية، وكان لا يستسيغ كل أنواع وأشكال المكرونات إلا المكرونة المبكبكة الليبية صنع يد سامح، وكان أحمد فرحات قد قال مرة لسامح إن عضوه ينتصب فور أن يضع أول ملعقة من المبكبكة في فمه، وكان هذا في حضور محب، الذي علق ضاحكاً: "إنت بتهيج على المبكبكة يا دكتور! كويس والله يبقى كده احنا عرفنا إنك بتهيج على الخُضرة وعلى المكرونة المبكبكة!"

قال سامح:

- أكتر حاجة بتفكرني بمصر وانا في مصر هيَّ ريحة الكشري الممزوجة بريحة نشارة الخشب المندي بالميَّه اللي بيرشوه في أرضية محلات الكشري.

- دي ريحة الطفولة يا سامح!

علق أحمد فرحات. وقال محب بأسى واضح:

- أيوه صحيح! تصدقواأنا شامم الريحة دي دلوقتي حالاً في مناخيري! للأسف محلات الكشري النهارده بقت هاي لايف وبطلوا يرشوا نشارة خشب!

- الخشب غلي وتجار النشارة اتملعنوا ها ها هه!

هكذا علق سامح ضاحكاً. فسأل أحمد فرحات بشبه يقين سؤالاً ليس بالسؤال:

- الكيف!

- أيوه الكيف آه، البهظ بيه قالك كان بيغش الشاي بنشارة الخشب فلما الخشب غلي وتجار النشارة اتملعنوا بدأ يبيع الشاي سِك من غير نشارة فالزباين قالت عليه شاي مغشوش!

وضحك الثلاثة. وقال محب:

- حكمة والله!

- السينما المصرية عظيمة في الغرف الجانبية.

هكذا علق سامح. فقال محب:

- أيوه عارفين النظرية بتاعتك بتاعة الغرف الجانبية دي.

ونحن من جانبنا لا علم لنا بنظرية "الغرف الجانبية" هذه.

ثم توجه محب بالسؤال لأحمد فرحات:

- هوَّ انت يا احمد مابتحبش ام كلثوم صحيح؟! أنا عمري ماسألتك عن الحكاية دي!

تطوع سامح بالإجابة عن أحمد فرحات الذي كان يأكل بشهية وكان قد ابتسم لسؤال محب:

- أحمد زي مانت راسي مالوش في الأغاني البرجوازية والمطربين البرجوازيين، بس انت شغَّله أي حاجة للشيخ إمام وشوف الغزالة هايبقى شكلها إيه!

ثم توجه بالحديث لأحمد فرحات:

- أنا مرة شفتك في حزب التجمع في حفلة كانت لاحمد شوقي، كان بيغني فيها للشيخ إمام...

وحوَّل رأسه إلى محب، وأكمل:

- ... فجأة لقيت أحمد ده وقف وقعد يهتف!

فضحك الثلاثة. فقال سامح لمحب مفصلاً وشارحاً الموقف الموقف:

- والله العظيم! وقف وقعد يهتف! أنا فاكر حتى كان على الخمارات جنب المصانع والسجن

مطرح الجنينة، واطلق كلابك في الشوارع، فجأة حسيت إن احمد ده كأنه ماسك تذكرة أتوبيس في إيده وواقف يهتف بيها!

فازداد ضحك أحمد فرحات.

وبعد خفوت الضحك بعض الشيء، قال محب لسامح:

- بس أحمد كان كاتب على الفيسبوك إمبارح ستيتس عظيمة عن أم كلثوم!

- دفاعاً عن المبدأ طبعاً أمال إيه!

رد سامح.

فقال أحمد فرحات بأسى:

- ولاد الوسخة لبسوها حجاب ولاد دين الكلب!

كان أحمد فرحات يشير إلى الواقعة التي حدثت منذ يومين؛ الأربعاء الموافق 11 فبراير 2013، والتي قام فيها عدد من الإسلاميين بوضع نقاب أسود على رأس تمثال أم كلثوم المقام بميدان الثورة في مدينة المنصورة، أثناء احتفالاتهم بالذكرى الثانية لتنحي الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك عن حكم مصر؛ وقد قلنا "الأسبق" وليس "السابق" لإن المجلس العسكري قد حكم مصر بعد مبارك، ثم الرئيس محمد مرسي الإخواني المسلماني؛ وهكذا فأنت ترى أن الراوي العليم واخد باله هنا ومصحصح تمام والتايهة ماتعديش عليه.

سأل محب أحمد فرحات سؤالاً ليس بالسؤال، بينما كان الطعام ملئ فمه:

- هوَّ صحيح يا احمد الكلام اللي كتبته ع الفيسبوك ده، الإسلامجية في اسكندرية بيشوهوا التماثيل فعلاً؟!

- يا نهار اسود! في اسكندرية كمان! يعني مش بس تمثال ام كلثوم!

هكذا علق سامح بسرعة وهو في حالة استغراب ممزوجة بالقرف، قرف أكثر منه استغراب في الحقيقة إن تحرينا الدقة في الوصف، بينما راح أحمد فرحات يهز رأسه مؤكداً لمحب مرة،

ولسامح مرة، ثم قال متحمساً بينما كان الطعام ملئ فمه:

- ولاد الوسخة رموا بوية وسخة على تمثال عروسة البحر اللي قدام مكتبة اسكندرية! ده تمثال مشهور جداً من الستينات وكان عمله مثَّال اسكندراني اسمه فتحي محمود، وغطوا برضو تمثال مشهور عندنا اسمه حوريات البحر في الراس السودة، قالك أصل صدرها عريان وحرام! حرام! ولاد المرة الشرموطة! وفي المنيا برضو ولاد دين الكلب قطعوا رقبة التمثال بتاع طه حسين! كسم كده يا أخي! لأ وعندك كمان قبل كده لو تفتكر في سوريا من كام إسبوع قطعوا راس التمثال بتاع أبو العلاء المعري، وقبليها حرقوا مكتبة تمبكتو في مالي!

انفعل سامح وقال:

- والله العظيم دي ناس أوسخ من الوساخة! حثالة! الحثالة اللي هي أقل من الزبالة! إنت عارف الزبالة بياخدوا منها المخلفات الصلبة يستفيدوا منها، وبعدين ياخدوا منها البلاستِك ويعيدوا تدويره، والورق ويعيدوا تدويره، وحتى المخلفات العضوية برضو بتبقى سماد، وفي الآخر بقى بتفضل حاجة كده شديدة القذارة مش معروف دي إيه بالزبط، هي دي بقى الحثالة! مالهاش حل إلا إنك تحرقها لإنه ماينفعش حتى تدفنها عشان هاتلوث التربة!

فضحك أحمد فرحات، وضحك محب؛ الذي راحت ذاكرته تعمل بسرعة للإجابة عن التسؤال الذي طرأ على باله وسامح يشرح نظريته عن "الحثالة": هيَّ نظرية الحثالة دي من منشآت سامح؟ ولا من مخلفاتي أنا؟ لكنه لم يستطع أن يتذكر على وجه اليقين، ولذلك لم يحب أن يظلم سامح مئة بالمئة، ظلمه فقط خمسون بالمئة أو يكاد، لأنه ظل يشك بأنه ربما سبق له وأن ذكر نظرية "الحثالة" هذه لسامح منذ فترة طويلة.

قال أحمد فرحات مخاطباً محب:

- بس برضو أنا عجبني جداً اللي كتبته امبارح على الفيس عندك..

وأكمل حديثه متوجهاً إلى سامح، الذي كان أحمد فرحات ومحب يعلمان أنه خرج من الفيسبوك وألغى حسابه فيه منذ ما يقارب العام، وبالتالي لا يتابع ما يُكتب عليه من قبل الأصدقاء والمعارف والأحباب والأعداء، قال أحمد فرحات:

- محب كان كاتب إمبارح إن الرد لازم يبقى بالفن والمزيد من الفن، والفن العظيم بالذات، أنا فاكر في التمانينيات لما الجماعة الإسلامية في أسيوط قتلت اتنين ممثلين في فرقة هواة كانوا بيعرضوا مسرحية اجتماعية في القرية عندهم، كانت مسرحية اجتماعية عادية، مسرحية هادفة حتى، أنا فاكر إنها كانت عن هجرة الفلاحين للخليج وكانوا بيطلبوا من الفلاحين إنهم يتمسكوا بالأرض وما يسافروش، هادفة آهى! مافيش أهدف من كده! ولاد الوسخة بقى هجموا على العرض يوميها بالمطاوي والجنازير، اتنين من الممثلين ماتوا، وبقية الستاف كله اتعور واتجرح! المهم أياميها عادل إمام عرف بالموضوع ده، وكان أياميها بيشتغل في مسرحية الواد سيد الشغال، وكانت مكسرة الدنيا هنا في مصر، فقام واخد بعضه، بالفرقة، بالممثلين، بالإداريين، بحاله بمحتاله، وقام طالع على أسيوط وعارض المسرحية هناك تلات تيام، أسيوط دي أياميها كانت معقل الجماعة الإسلامية، وكانت دولة داخل الدولة، الداخلية بجلالة قدرها ماكانتش قادرة عليهم! وأصلاً عادل إمام كان على راس قايمة الاغتيالات بتاعة الجماعة الإسلامية!

- جدع والله العظيم! راجل!

هكذا علق محب، بينما قال سامح:

- أنا فاكر الموضوع ده على فكرة، من كام سنة كده اشتغلت مع إبن اخته في فيلم كان هو المساعد بتاع مدير التصوير فيه، وجت سيرة الحكاية دي مرة كده فقالي حاجة غريبة جداً!

- قالك إيه؟

سأل أحمد فرحات باهتمام، فأكمل سامح وهو ممتلئ بسخرية مريرة:

- تخيل إن عادل إمام لما قرر يروح أسيوط ساعتها يعرض المسرحية سأل الأول ينفع نعرض المسرحية فين؟ فقالوله مافيش في أسيوط كلها مسرح ينفع إلا مسرح جامعة أسيوط، فقام جايب نمرة تليفون رئيس الجامعة أياميها وقام مكلمه في التليفون، تخيل إن رئيس جامعة أسيوط اتهرب منه!

- يا ابن الوسخة! آه، شوف التغلغل بتاع الجماعة الإسلامية كان واصل لغاية فين! أساتذة الجامعة والعمدا ورئيس الجامعة نفسه! طب عادل إمام عمل إيه بعدها؟!

قال سامح:

- مافيش، قال نعرض المسرحية في الشارع! آه والله العظيم! كان فعلاً هايعرض المسرحية في الشارع! المهم إن فيه حد قاله إن فيه مسرح صغير مضعضع كده وتعبان تبع قصور الثقافة، آهو أربع حيطان برضو وأحسن شوية من الشارع! فقام مكلم مدير قصر ثقافة أسيوط، الراجل رحب جداً وكان هايطير من الفرح! وفعلاً عرضوا المسرحية هناك على مسرح قصر ثقافة أسيوط.

قال أحمد فرحات لسامح متحمساً:

- بص بقى يا ابو الشباب! ماحدش فينا هنا فنان، إنت الفنان الوحيد اللي فينا! خد بقى اللي عمله عادل إمام ده قدوة، ومثل أعلى، واعمل زيه يا عم! لازم يا سامح نقاوم الانحطاط والحثالة بالفن، لازم يا ابني، أمال إيه! إنت بقى تنوب عننا في الموضوع ده بما إنك الفنان الوحيد اللي فينا، واحنا وراك يا عم كل اللى انت عايزه احنا تحت أمرك، مش واخد بالك انت ازاي، ولا إيه يا محب!

- آه طبعاً امال مافيش كلام! أنا شخصياً من إيدك دي لإيدك دي أي حاجة تحتاجها مني أنا تحت أمرك!

هكذا رد محب متحمساً هو الآخر، ثم أضاف وقد تذكر شيئاً مهماً للغاية:

- على فكرة يا سامح، أنا اعرف الكومشنج إديتور بتاع ستوري فيل في بي بي سي فور...

فقاطعه سامح مستغرباً للغاية:

- ستوري فيل مرة واحدة! أيوه يا عم! ده انت واصل جداً جداً جداً يا دكتور!

فضحك محب وقد شعر بالرضى عن نفسه، وأضاف مبتسماً:

- لا والله ده راجل لطيف جداً، وممكن جداً على فكرة يخدم لو عندك مشروع تسجيلي كويس، إنت عارف الستوري فيل بيدفعوا كام في العرض فيرست وندو؟

- تمانين ألف جنيه استرليني على ما أظن.

- مضبوط.

- بس ستوري فيل دي كومبيتيتف جداً يا محب، العالم كله بيقدم مشاريع عندهم ومابيختاروش إلا اتنين تلاتة من بره انجلترا.

- إنوي انت بس ومالكش دعوة! خلي بالك كمان إن مصر دلوقتي مهمة جداً واللي بيحصل فيها مهم جداً، وبعدين الراجل حبيبي والله كنت لسه سهران معاه من إسبوعين في لندن.

- إن شاء الله ربنا يسهل، كتر خيرك يا دكتور.

- يا عم مش عزومة مراكبية!

- أيوه والله عارف، قدها وقدود يا باشا وخيرك سابق، بس هوَّ الخيال يشتغل شوية بس وربنا يسهل، القلق اللى الواحد عايش فيه اليومين دول مش مخلي أي مساحة للخيال خالص! الخيال هربان بعيد عنك!

ولما وجد أحمد فرحات فرصة للكلام، بعد صمت قصير من سامح ومحب، واستشعر أنه ربما سيطول أكثر، قال:

- أنا رأيي والله إنك تفكر في حاجة سينما، الأفلام التسجيلية مهمة طبعاً وهيَّ اللي بتنقل الخبرة والتنوير، بس الناس عندنا مابتشوفهاش يا جماعة! يا ريت التفكير يبقى في حاجة شعبية كده تقدر توصل لأكبر قاعدة ممكنة من الناس العاديين، ده اللي محتاجينه فعلاً اليومين دول.

فرد سامح بأسى:

- إن شاء الله يا احمد والله بس زي ما انت راسي الدنيا مقفولة هنا والكل مشغول في التوك شوز وهي اللي واكلة الجو حالياً! مافيش سينما ولا فيه إنتاج من 25 يناير، ومافيش أي منتج دلوقتي عنده الجرأة إنه يعمل سينما! هايركن الفيلم بعد ما يخلص لغاية الدنيا ما تهدى والناس ترجع تفكر تدخل السينما تاني! السينما عايزة هدوء، محتاجة استرخاء، حالة التوتر دي ماتخليش الواحد عنده أي رغبة في إنه ينزل من بيته عشان يروح يتفرج على فيلم! خصوصاً إن الإثارة

كلها دلوقتي في الواقع واللي بيحصل فيه.

فقال أحمد فرحات بتسليم:

- آهو على الأقل خليك انت جاهز بحاجة حلوة، وسيب الباقي للقدر يا أخي! الحظ لما يجي يخبط على الباب لازم يلاقينا جاهزين! مش واخد بالك انت ازاي.

وساد صمت بين الثلاثة، وراح كل منهم يُكمل ما تبقى في طبقه من المكرونة الليبية المبكبكة، وما تبقى في كانزه من البيرة الستيلا المصرية التي أحضرها معه محب من بيته، وكانت زجاجة ويسكي الريد ليبل لا تزال مغلقة في الكيس النايلون الأسود على الشوفونيرة خلف أحمد فرحات وبجوار الكاسيت الناشونال الكبير الذي كان يصدر عن سماعتيه الستريو الكبيرتين صوت أم كلثوم وهي تقفل من مقام الكرد:

نعم أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يُذاع له سر

-4-

ما لم يقله سامح لأحمد فرحات ومحب، أن حنان ترك كانت قد عرضت عليه كتابة مسلسل جديد فكرت فيه هي ورجاء الجداوي معاً، وأنه استحسن الفكرة؛ فكرة المسلسل، وفكرة العمل مع حنان ترك من جديد، وفكرة العمل في مشروع دراما تلفزيونية لأول مرة في حياته، وفكرة أنه سيتقاضى أجراً عن المسلسل سيكون أكبر من أجره لو كتب فيلماً للسينما؛ هذا بالرغم من أن حنان ترك ورجاء الجداوي كلتيهما قالتا له إنهما قد تقاضتا أقل من ثلث أجريهما المعتاد في المسلسل الذي تقومان حالياً بتصويره؛ والذي اسمه المؤقت "نونة المأذونة"، نظراً لوقوف الحال وقوفاً تاماً في سوقي الدراما والسينما، وأن الشركة المنتجة للمسلسل هي الشركة الوحيدة من بين كل شركات الإنتاج الدرامي والسينمائي في مصر التي قررت المغامرة بإنتاج مسلسل تلفزيوني في وقت لا يشاهد فيه أحد إلا برامج التوك شوز فقط.

كانت حنان ترك قد اتصلت فجأة بسامح ليلاً منذ أسبوع أو يكاد، وكانت في استراحة من استراحات التصوير في كواليس مسلسل "نونة المأذونة"، وتحدثت معه هي أولاً، ثم أعطت هاتفها لرجاء الجداوي التي شاركت في المحادثة الثلاثية، وقد عرضت عليه الاثنتان كتابة مسلسل كانتا كلتاهما قد فكرتا فيه في استراحة من استراحات التصوير في كواليس مسلسل "نونة المأذونة"؛ وتتلخص الفكرة، كما فهمها سامح، في قيام مجموعة من تلاميذ المدارس الابتدائية برحلة ما، ثم توهانهم في الطريق أثناء هذه الرحلة، وتدور أحداث المسلسل حول محاولتهم للعودة إلى أهاليهم، ولا يدري سامح على وجه اليقين إن كانت حنان ترك ورجاء الجداوي قد شاهدتا مسلسل "لوست" فتأثرتا به أم لا؟ لكنه هو شخصياً كان يحب هذه الثيمة الدرامية جداً، وكان أيضاً من محبي مسلسل "لوست" ومن المتحمسين له، ما يهمنا من كل هذا هو أن سامح قال لحنان ترك قولته المشهورة هذه الأيام: "إن شاء الله ربنا يسهل، بس الخيال يشتغل بس شوية وربنا يسهل"، ولما طالبته حنان ترك بعقاد نافع، وعدها خيراً، وإن ظل على موقفه من أن: "إن شاء الله ربنا يسهل، بس الخيال يشتغل شوية بس وربنا يسهل".

وكان أكثر ما يشغل بال سامح أثناء المكالمة التليفونية مع حنان ترك ورجاء الجداوي هو السؤال: "هل يا ترى حنان ترك تصور المسلسل الآن بالحجاب، أم قد خلعت الحجاب؟!"، ذلك أنه آخر مرة قابلها منذ عام تقريباً في شركة مونتاج ومكساج "ألكسير" كانت ترتدي الحجاب، وكان

يسمع من حين لآخر أنها تارة تخلع الحجاب، وتارة أخرى ترجع فترتديه. وكان موقف سامح المبدئي من كل هذه الأمور أنها أمور شخصية، فلم يكن يحكم على امرأة أو فتاة لأنها ترتدي الحجاب، ولا حتى النقاب، فما بالك بالحكم على الممثلات، وهو أكثر العارفين بتقلباتهن، ونفسياتهن، وشكوكهن، وتوقهن لليقين، وكان يقول لنفسه إن حنان كانت آمنة ومُأمنة ومطمئنة وهي قريبة من يوسف شاهين وإلى جواره؛ وكان سامح يعلم أن يوسف شاهين كان يعقد كل فترة من الفترات جلسات طويلة مع حنان ترك لنزع هذه الأفكار الدينية المتزمتة عن عقلها وتهدئة روحها ومحاولة إفهامها الطبيعة الحقة والحقيقية للرب الإله وأنه أكثر رحمة من هذا بكثير وأكثر شفقة وحناناً من هذا بكثير وأنه غير معني على الإطلاق بتغطية شعر المرأة أو كشفه وكل تلك التفاهات والسفسفات والصغائر، أما وقد رحل يوسف شاهين إلى جوار ربه، فقد صارت حنان ترك عرضة لأعاصير السلفية وزوابعها وهيجانها والبحر قلب ملتم.

أما بخصوص إمساك سامح نفسه عن إخبار أحمد فرحات ومحب عن عرض حنان ترك ورجاء الجداوي فكان سببه هو طريقته المتزمتة في العمل في السينما؛ فقد كان يحافظ على سرية المشاريع التي يعمل عليها محافظة تامة باتة قاطعة، فلا يبوح بما يقوم به من مشاريع كتابة لأي أحد على الإطلاق، ولا نعلم على وجه اليقين إن كان هذا بسبب تطيّره وخبرته السابقة في الحياة التي جعلته يؤمن بأن الإفصاح عن مشروع عمل في طور التنفيذ يتسبب في توقف العمل وفشل المشروع، أم لأنه ورث هذا المذهب في العمل من بودلير الذي كان يحافظ على سرية المشاريع التي يعمل عليها محافظة تامة باتة قاطعة ولا يبوح بما يقوم به من مشاريع كتابة لأي أحد على الإطلاق.

تحمس سامح، بعد تحميس أحمد فرحات ومحب له على مقاومة التخلف والتطرف والانحطاط بالفن كما فعل عادل إمام من قبل، وراح خياله يشتغل فعلاً؛ وتوصل إلى معالجة درامية استلطفها وأحبها وظن أنها ستكون رائعة عند التنفيذ، بالرغم من أنه كان من المؤمنين بأن أول فكرة تخطر على بال السيناريست هي أسوأ فكرة على الإطلاق، لكنه لم ينتبه إلى هذا الإيمان في سورة الحماس لِما شطح إليه خياله؛ فقد فكر في أن يكون تلاميذ المدارس من مختلف الأعمار الدراسية، في رحلة منظمة من قبل وزارة التعليم مكافأة على تفوقهم الدراسي في مدارسهم الابتدائية والإعدادية والثانوية، وأن يكونوا بصحبة بعض الأساتذة والأستاذات من الأكبر سناً؛ ولعل هذا

ذريعة درامية ليجد مكاناً لحنان ترك ورجاء الجداوي في المسلسل، وأن يتوه الجميع في الصحراء ويفقدوا القدرة على الاتصال بالمدينة والمجتمع والناس، وأن يتعرضوا لأحداث ومواقف غريبة عجيبة مريبة فوق واقعية، ويحاولوا طيلة أحداث الجزء الأول من المسلسل النجاة من الموت، ثم التأقلم على الحياة في العزلة، وأن تظهر مهارة معينة لدى كل شخصية منهم أثناء ذلك، وأن يقوموا بتكوين مجتمع صغير معتمد على نفسه في كل شيء، وأن يتوصلوا إلى اختيار شخص لحكمهم وإدارة شؤونهم بالانتخابات الحرة النزيهة؛ وأن يتولى أمورهم في البداية شخص متدين متزمت متعصب يركز فقط على العدالة من وجهة نظره فتخرب الدنيا ويثوروا عليه، ثم شخص لبرالي متفتح متحرر يركز فقط على الحرية من وجهة نظره فتخرب الدنيا ويثوروا عليه، ثم شخص متوازن متعادل مستنير ينجح في الجمع ما بين العدالة وبين الحرية في نفس الوقت فيزدهر المجتمع الصغير ويقوى، وهكذا، على أن يكون هذا الحاكم الأخير المستنير هو حنان ترك نفسها، بالرغم من القلق الكبير الذي كان يعتريه وهو يفكر أن حنان ربما تكون الآن محجبة، لكنه كان يحب حنان ترك ويتعاطف كثيراً مع أزمتها الروحية، وقرر أن تكون شخصيتها في المعالجة التي سيكتبها للمسلسل هي شخصية مدرسة حامل في شهرها الرابع ترافق التلاميذ.

تناول سامح تليفونه المحمول نوكيا 1280 إصدار مارس 2010 للبلدان النامية، واتصل برقم حنان ترك، وبالرغم من أنه لم يكن قد فتح بعد اللاب توب Compaq nx6110 الخاص به لكتابة المعالجة، فقد تعلم، وبعد خبرة طويلة في العمل في المجال السينمائي المصري، ومواقف سيئة، بل شديدة السوء تعرض لها من قِبل الزملاء والأصدقاء والرفاق السينمائيين، أنه حين تجيء فرصة للسيناريست فلا بد وأن يقوم بتثبيت الناس؛ ويشمل ذلك الادعاء كذباً بأن لديه معالجة حتى وإن لم يكن قد كتبها بعد، أو حتى الادعاء كذباً بأن لديه سيناريو كامل حتى وإن لم يكن قد كتب فيه حرفاً واحداً بعد، لأن تثبيت الناس في السينما مسألة شديدة الأهمية والحيوية، وأسهل شيء بعد ذلك هو كسب الوقت للقيام بالكتابة الفعلية، لكن، وبصفة عامة في مجال العمل في السينما، كان سامح يؤمن بأن التثبيت قبل الفتح.

المقطم

وقف نصار خلف عباس صابر؛ مخرج ورئيس تحرير فترة الأخبار المسائية الذي كان جالساً إلى العدِّة، والذي كان يتولى مسؤولية الكنترول روم في شِفت الليل، أي مناوبة الليل، في قناة "آر تي" الروسية، وكان عباس صابر منهمكاً في تحرير، أي مونتاج ومكساج، تقرير عن الأحداث الدامية والمشتعلة أمام مقر مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين بالمقطم لهذا اليوم، والذي يوافق الجمعة التالية لجمعة "الكرامة" التي وافقت يوم 22 مارس 2013، والتي دعت فيها القوى الوطنية المدنية إلى التظاهر أمام مكتب الإرشاد للتنديد باعتداء بلطجية جماعة الإخوان المسلمين على الصحفيين والنشطاء المدنيين، وكانت المواد الأوليّة التي يقوم عباس صابر بالمونتاج منها تظهر على أربع شاشات منصوبة على الحائط الشمالي لغرفة الكنترول روم، وكانت بعضها تُظهر المتظاهرين المدنيين وهم محتشدون حول المقر يطالبون بتنحي الرئيس محمد مرسي ويتهمونه بأنه رئيس جماعة الإخوان لا رئيس مصر، ومشاهد أخرى يظهر بها أنصار الرئيس محمد مرسي من الإخوان المسلمين والجماعات السلفية محتشدين هم أيضاً أمام مقر مكتب الإرشاد لمواجهة المتظاهرين المدنيين ومنعهم من الاقتراب من مبنى المقر، ومشاهد ثالثة تظهر فيها قوات الشرطة من الأمن المركزي تقف، كما يبدو، في موقف المتفرج على الطرفين، وإن كان المتظاهرون المدنيون قد اتهموها بالدفاع عن قبضايات وفتوات وبلطجية الإخوان والسلفيين في الأيام التي سبقت هذا اليوم، واتهموها أيضاً بالقبض على عدد من متظاهري القوى المدنية والزج بهم في سجون أقسام الشرطة بتهم التخريب والحرق والشغب وإغلاق الطرق، هذا بالرغم من تأكيد اللواء أحمد جمال الدين وزير الداخلية في تصريحات للصحف والقنوات الفضائية بالأمس أن: "الشرطة ملتزمة بحق التظاهر السلمي، وتأمين وحماية المنشآت العامة، ونؤكد على حيادنا، ولكن رجال الشرطة سيتصدون لأي محاولة اعتداء على المواقع الحيوية"، ومستدركاً: "ولن نتورط مع طرف ضد الآخر، ولن نكرر ما حدث في جمعة الغضب لأننا لسنا طرفاً في الصراع السياسي الدائر".

رفع نصار زجاجة المياه الطبيعية، التي كان يمسكها في يده اليسرى، والتي لم نستطع التأكد من الشركة المنتجة لها لأن يده كانت تغطي العلامة، ورشف من الزجاجة البلاستيكية رشفتين، ثم أنزلها وراح يضغط عليها بقبضته عدة مرات بعصبية وهو يقول في نفسه:

"لو لم يُخرج السادات لعنه الله الإخوان من السجون ويطلق أيديهم في البلد، ولو لم يسر مبارك الله يلعنه على خطاه ويهادنهم، ولو لم يسمح لهم الأمن الله يلعنه بالعمل علانية وسرية، ولو لم يقتسم معهم الحزب الوطني الله يلعنه البرلمان عن طيب خاطر، ولو لم تحدث الثورة، ولو لم يختلف الثوار ويحارب بعضهم بعضاً، ولو لم ينتهز الإخوان الله يلعنهم الفرصة ويقفزوا إلى صدارة المشهد السياسي، ولو لم يراهن الأمريكان الله يلعنهم على الإخوان الله يلعنهم، ولم لم يخلع العسكر الله يلعنهم الأندرويز للإخوان وللأمريكان الله يلعنهم، ولو اتفقت القوى المدنية على مرشح واحد يدعمه الجميع، ولو لمُتزوَّر الانتخابات ويتم التلاعب بنتائجها بعلم وموافقة العسكر الله يلعنهم، لما كنا واقفين الآن نتفرج على هذه المهزلة! كس إخت هيك شغلة!

لقد تم إيقاظ الوحش! على أي حال هو لم يكن نائماً تماماً، كان يتظاهر فقط بالنوم ليخدع الجميع، والآن البكتيريا، والفيروسات، والفطريات، والطفيليات، تغلبت على مقاومة حاجز الدم الدماغي ودخلت لمجرى الدم في المخ، وسوف يحدث التلوث لا محالة! وستتوالى المصائب، والأمراض، والجنون، والخرف، والشلل، winter is coming".

وإليك ما كان يقوم المخرج-رئيس التحرير عباس صابر بإخراجه وتحريره في التقرير النهائي الذي كانت القناة ستذيعه فوراً وعقب الانتهاء من الشغل عليه؛ والذي كان بخصوص أحداث اليوم، أي الجمعة التالية لجمعة "الكرامة"، وكانت بعض المشاهد بالتقرير هي مشاهد أصلية حصرية خاصة بالقناة قام بتصويرها مراسل القناة الذي كان متواجداً منذ الصباح الباكر على أرض الحدث، والذي كان برفقته كاميرامان ومسجل صوت لزوم العمل الاحترافي في البث الصالح للعرض على القنوات الفضائية وغير الفضائية، وتجدر الإشار إلى أن السيد عباس صابر كان يقوم بعملية المونتاج بنفسه على الهواء، فهو شخص متعدد المواهب، سبق له العمل من قبل كمونتير محترف، ومساعد إنتاج محترف، وكاميرامان محترف، ثم أخيراً كمخرج محترف، المهم، كانت الصورة النهائية التي تصل إلى المُشاهدين في البيوت بيانها كالتالي:

بدأ عباس صابر التقرير بسيكونس، أي تتابع في المشاهد لثيمة أو فكرة واحدة، يتناول بداية اليوم قبل بدء المظاهرات والاشتباكات المنتظرة والمتوقعة بين الطرفين؛ الإسلاميين والقوى المدنية، وكان الوقت ظهراً كما يبدو في الصورة، واختار عباس صابر وهو يمنتج الصور لقطة طويلة نسبياً للكاميرا وهي تقترب من مقر الإرشاد الإخواني من جانب دار المقطم للصحة النفسية،

ثم ظهرت بالصورة حشود وتجمعات للإخوان والسلفيين، وكان هناك ضباط أمن مركزي من الشرطة حولهم يقومون بحمايتهم كما يبدو في الصورة، وسُمعت هتافات من الواقفين من الإخوان والسلفيين:

نحن للدين الفداء نحن للدين الفداء

اللي خايف خايف ليه دي مش بلدك ولا إيه

ثم يقترب المراسل من شاب عشريني، يرتدي ملابس كاجوال، مُعصَّب الرأس بعصابة خضراء زرعي مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، بذقن حمراء خفيفة ومحفوف الشارب.

- المراسل: إنتو واقفين هنا من الساعة كام؟

- الشاب ذو الذقن الحمراء: أنا جاي هنا من الساعة 11.

- المراسل: من 11 الصبح؟!

- الشاب ذو الذقن الحمراء: آه.

- المراسل: وانت حضرتك جيت لوحدك ولا...

- الشاب ذو الذقن الحمراء: لا طبعاً أكيد معانا إخوانا التانيين يعني.

تفتح العدسة الزاوية، فيظهر حوله عدد كبير من الشباب في مثل عمره، وكلهم مُعصّبي الرؤوس بنفس العصابة الخضراء الزرعي و(لا إله إلا الله محمد رسول الله).

- صوت المراسل: حضرتك جاي من محافظة إيه؟

- الشاب ذو الذقن الحمراء: أنا من المنيا.

يهتف الشباب الملتفين حول المراسل:

ثوار أحرار هانكمِّل المشوار

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

يظهر وسط الهاتفين شاباً أسمر مفتول العضلات كلاعبي كمال الأجسام أو رفع الأثقال، على عينيه نظارة طبية، يقود الهتافات ومن حوله يرددون وراءه:

عمك مرسي والإخوان هاتلاقيهم في كل مكان

ثورتنا ثورة أحرار مش راسمين على الدينار

ثورتنا ثورة شجعان مش فوضى وقلة أدب

ولا برادعي ولا حمدين الاتنين (كلام ليس واضحاً)

تقترب الكاميرا من شجرة عجفاء ميتة ملتف حولها حشد من عساكر الأمن المركزي.

بينما تستمر أصوات الهتافات:

إحنا الإخوان الله أكبر

أقسمنا بيه لن نقهر

وكتاب الله بأيدينا

- المراسل: لو سمحت حضرتك، هوَّ إنت موجود ليه النهارده هنا عند مقر الإخوان؟

- أفندي بدين أصلع بذقن سوداء وشارب حليق: اللي هايجي جنب البيت دَوَّت، اللي هوَّ بيتي، هاقطم رقبته وأقطع رجله وارميه من فوق المقطم!

تتجه الكاميرا إلى مجموعة من الشباب الذين يدقون بأحذيتهم على الأرض بقوة كالعساكر وهم واقفون في أماكنهم، مرددين بانفعال:

فجر الإسلام قادم

ثورة بركان قادم

رمز الطغيان باطل

والأمريكان باطل

ويشرع المراسل في سؤالهم:

- المراسل: إنتو واقفين ليه النهارده هنا عند مكتب الإرشاد؟

- أفندي بشنب حليق اللحية: لحماية المقر.

- المراسل: حمايته من مين بالضبط؟

- الأفندي: من اللي جايين عايزين يحرقوه.

- المراسل: طب وحضرتك اتأكدت منين إن هما جايين عايزين يحرقوا المقر؟

- الأفندي: الدعوات موجودة على الفيسبوك.

يدخل من يسار الكادر أفندي آخر، خمسيني، بدين، حليق الشارب طويل اللحية المُشرَّبة بشعر أبيض، يرتدي بدلة كحلية ويُمسك في يده منديل كلينيكس واحد فقط، يتدخل في حوار المراسل مع الأفندي الأول قائلاً:

- الأفندي الثاني: آهو عشان الناس اللي بتقول قتل وضرب، شوف حضرتك الناس كلها، مافيش ولا واحد... ماسك في إيده منديل، أنا ماسك في إيدي منديل!

- المراسل: طب بص كده على اللي ماسكين شوم دول هناك!

تلتفت الكاميرا بان إلى اليمين حيث تشير يد المراسل، فنرى مجموعة من شباب الإخوان والسلفيين بالكاجوال وفي يد بعضهم عصي، وحين يرون الكاميرا قد التقطت صورتهم، يرددون بانفعال وراء قائد الهتافات الشاب العشريني الذي يرتدي فانلة بكم طويل أصفر كناري بلون فانلة منتخب البرازيل:

الله أكبر ولله الحمد الله أكبر ولله الحمد

الله أكبر ولله الحمد الله أكبر ولله الحمد

تقترب الكاميرا من شاب عشريني منهم، مُعصَّب الرأس بنفس العُصابة الخضراء الزرعي المكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، الشاب نحاسي البشرة، ضخم العضلات كلاعبي رفع الأثقال أو كمال الأجسام، بلحية وشارب، عليه أمارات الغضب، وفي يده عصا أو ماسورة حديدية فكنه ما في يده غير واضح لنا على نحو مؤكد.

- المراسل: قولي حضرتك زعلان قوي كده ليه؟!

- الشاب النحاسي (بغضب ممزوج باستنكار): زعلان!

- المراسل: حضرتك زعلان قوي كده ليه؟!

- الشاب النحاسي (بلهجة فلاحي، ويبدو كمن على وشك ضرب المراسل): زعلان عشان إخواتي وأبويا وأهلي وكل ... (ويتهته)، زعلان ليه!

قائد الهتافات الكناري يهتف، ويردد وراءه الشباب الذين تحلقوا حول المراسل:

الجهاد سبيلنا

والموت في سبيل الله أسمى أمانينا

إلا الله، إلا الله لا للمنصب لا للجاه

إسلامية إسلامية مصر هاتفضل إسلامية

يتحرك المراسل إلى اليسار، ويقترب من فلاح أربعيني بالجلابية النيلي، نحاسي البشرة هو الآخر، بذقن حليقة وشارب خفيف رشيق.

- المراسل: قولي حضرتك، إنت هنا ليه النهارده قدام مقر الإرشاد؟

- الفلاح النحاسي: ماعرفش ليه عندك الشيخ آهو هناك إسئل.

يتجه المراسل إلى حيث أشار الفلاح النحاسي النيلي، ويسأل الشيخ الخمسيني الذي يرتدي

ملابس كاجوال؛ جاكت ترنج سوت رصاصي على قميص وبلوفر رماديين، بذقن بيضاء، حليق الشارب.

- المراسل: ممكن أسأل حضرتك هوَّ إنتو ليه موجودين النهارده قدام مقر الإخوان؟

- الشيخ الكاجوال: والله إحنا بنحمي المقر بتاعي، والمقر أصلاً للإسلام ومش للإخوان بس، للإخوان وللإسلام.

- المراسل: لو حصل اعتداء على المقر هايكون رد فعل حضرتك إيه؟

- الشيخ الكاجوال: مش هايكون رد فعل، الشرطة (كلمة غير مفهومة)، ولو مافيش أي حماية... واحد جاي لحد بيتي يُعتبر رمز المكان بالنسبالي.

صوت قائد الهتافات الكناري، وترد خلفه أصوات كثيرة:

إحنا الإخوان الله أكبر إحنا الإخوان الله أكبر

يتدخل في الحديث أفندي أربعيني يقف بجوار الشيخ الكاجوال، أبيضاني، بذقن سوداء حليق الشارب:

- الأفندي الأبيضاني: إحنا مش جايين عشان نحمي المقر إحنا جايين نحمي الإسلام.

تتحرك الكاميرا إلى حيث يهتف الشباب الكاجوال الملتحي والذي في أيدي معظمهم عصي أو مواسير حديدية فماهية ما في أيديهم لم نتأكد منها تمام التأكد، وهم يرددون بانفعال وراء قائدهم الكناري:

الله غايتنا

والرسول قدوتنا

والقرآن دستورنا

يا رب، يا رب، يا رب

-قطع-

عصر/ خارجي

ضابط شرطة أربعيني بكرش، يرتدي بلوفر أسود على قميص أبيض، وفي يده لاسلكي، يتحدث معه سلفي بذقن شبرين:

- السلفي: الناس اتعورت! كنا راكبين أتوبيسات وفوجئنا على أول شارع 9 العيال داخلين علينا بدون مقدمات وكده، فيه أتوبيسات اتكسَّرت!

شاب ملتحي يصيح في الواقفين:

- يللا كتلة واحدة مع بعض.. هانعلمهم الأدب، دي بداية الغضب...

يُسارع كل الواقفين من الإخوان والسلفيين في الهتاف الجماعي بصوت عال:

هانعلمهم الأدب دي بداية الغضب

ويستمر الشاب الملتحي في قيادة الهتافات، ومن حوله يردون عليه:

السلفية والإخوان إيد واحدة في كل مكان

وُترفع المصاحف بالأيامن من عدد كبير من الملتحين، ورجال بطراطير ورق أخضر في أبيض عليها شعار الإخوان المسلمين، وفلاحين بجلاليب زرقاء ورمادية، وأفندية ببدل وجواكت وبلوفرات وترنج سوتات.

الله غايتنا

والرسول زعيمنا

والقرآن دستورنا

ثوار أحرار هانكمل المشوار

عزيمة إيمان

رجال المرسي في كل مكان

نحن للدين الفداء

ولتراق منا الدماء

قادم، قادم، قادم

الإسلام، قادم

من كل مكان، قادم

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

أفندي خمسيني، بذقن طويلة رمادية وشارب حليق، يرتدي بدلة كاملة فوقها بالطو رمادي صوف طويل، ونظارة طبية نصف شنبر، وعلى رأسه طاقية صوف سوداء ومطرزة بالأخضر كالتي تُلبس في المجتمعات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي قبل انهياره، يخاطب الحشد الذي يهتف:

- الأفندي الخمسيني: ماتستنزفوشي لإن احنا ليلتنا طويلة! أرجوكم ماتستنزفوشي، هاتناموا مني بعد ساعتين!

يرد صوت أحد الواقفين دون أن نراه في الكادر:

- (الصوت المتحمس): مش هانام.

نسمع صوت أحد قادة الإخوان من وراء الكاميرا يقول بحسم:

- (صوت القائد الإخواني): إسمع الكلام!

-قطع-

عصر/ خارجي

كل من رأيناهم في المشهد السابق إما نائمين أمام المقر العام لمقر الإخوان المسلمين، أو جالسين يبدو عليهم الإرهاق، وبعضهم مشغول بالتقليب في تليفونه المحمول، والدنيا بعد ما زالت نهاراً وبنفس إضاءة المشهد السابق.

-قطع-

ليل/ خارجي

من يبدو أنه طالب جامعي في بداية عشرينياته، بنظارات طبية، يرتدي جاكت ترنج سوت ويحمل حقيبة ظهر سوداء على كتفيه، يقود هتافات المدنيين أمام مقر الإخوان المسلمين، ومن حوله، وكلهم من الشباب من الجنسين، يرددون وراءه:

إمشي واعمل فينا معروف يا إخواني يا خنزير

إرحل، إرحل، إرحل

يا إخواني يا خنزير قدِّم عندك الضمير

يا إخواني يا عِّرة ثورتنا دي مستمرة

يا إخواني يا خنزير دم أخويا مش رخيص

-قطع-

ليل/ خارجي

مجموعة شباب من المدنيين يقتربون من سور مبنى مقر الإخوان، شاب لم يبلغ العشرين بعد، بجاكت رمادي بطرطور على رأسه ويحمل حقيبة ظهر سوداء على كتفيه يخلع شعاراً دائرياً من الصفيح الأخضر مثبت على سور المقر وعليه شعار الإخوان السيفين والله أكبر ولله الحمد وأعدوا، ويأخذه بعيداً ويختفي، فتتعالى أصوات رفاقه:

- حرام، حرام، حرام، لأ لأ لأ!

ونسمع على ما يبدو أنه صوته:

- (صوت المقتلع لشعار الإخوان): كسم الإخوان!

-قطع-

ليل/ خارجي

مدرعة أمن مركزي تقتحم الشارع مسرعة وينطلق منها سارينة الإسعاف.

-قطع-

ليل/ خارجي

ضابط أمن مركزي مُقنَّع وكل ملابسه سوداء يخاطب قائداً للمتظاهرين المدنيين، وهو شاب أسمر نحيف يرتدي جاكت أسود على بلوفر بني وقميص مزركش أبيض في أسود، وحوله بعض الرفاق من المدنيين يصغون للنقاش:

- الضابط: لو انت عايز تضرب معانا يا عم إحنا مش عايزين نضرب معاك، إحنا اخوات، ممكن تقفوا هناك تعملوا اللى انتو عايزينه باحترام.

يرد الشاب النحيف الأسمر:

- الشاب: طب يا باشا بعد إذنك مافيش قنابل غاز إحنا معانا ناس كبيرة.

- الضابط: مافيش أي حاجة، لو احنا حصل ضرب من عندنا يبقى ليك الكلام! إحنا واقفين آهو ماحدش هايتكلم بس ماحدش يحدف طوبة بعد إذنكو يا رجالة، نرجع ورا عشان خاطرنا، نرجع ورا يا جماعة والنبي اعملوا اللى انتو عايزينه طالما مش هاتخربوا ولا تحرقوا إحنا مش هانيجي ناحيتكو.

- الشاب: مافيش حرق، بس أقول لحضرتك على حاجة بس دي أنا شفتها بعيني، دلوقتي فيه

ناس من المليشيات بتاعة الإخوان واقفين من ورا...

- الضابط: والله ماحد هايقدر يقربلك طول ما احنا موجودين، أقسم بالله، والله ماحد منهم هايقربلك!

- الشاب: ماشي يا باشا.

وينسحب الشاب الأسمر النحيف، ويتبعه رفاقه المدنيين.

-قطع-

ليل/ خارجي

مدرعات الأمن المركزي المتمركزة أمام مقر جماعة الإخوان المسلمين تطلق قنابل غاز في ثلاثة اتجاهات.

(صوت أحد الإخوان، على ما يبدو):

- إدي! إدي! يا خرفان!

-قطع-

ليل/ خارجي

متظاهرين من المدنيين من الجنسين لم يبلغوا العشرين بعد يهتفون بالقرب من مقر الإرشاد:

يسقط كل كلاب المرسي يسقط كل كلاب المرسي

-قطع-

نهار/ خارجي

دزينة أو تكاد من لافتات بيضاء مستطيلة طويلة مستدقة مكتوب عليها بالاخضر الزرعي EMARA على هضبة رملية أمام مقر جماعة الإخوان المسلمين.

-قطع-

نهار/ خارجي

كتابة بالأصفر أسفل الشاشة على يسار المشاهد (لقاءات مع سكان المقطم)، على رجل ثلاثيني أصلع يتحدث من داخل دكان بقالة:

- اللي حصل يوم الجمعة اللي فاتت ده ماكنش ينفع يحصل أصلاً، كل المحلات كلها كانت قافلة أولاً، وقف حال لكل الناس، وحصل ضرب وحصل... حتى كان فيه أطفال... وكان البيوت كلها متأثرة جامد قوي والعربيات ولَّعت، مانزلناش الشغل أصلاً عامةً يوم الجمعة أصلاً خالص حتى تاني يوم كان فيه أثر من الدكان ومن الحاجات اللي كانت والعة دي والشارع والحريق اللي كان شغال دَوَّت، والله المستعان بقى على اللي هايحصل الله أعلم إيه اللي هايحصل تاني النهارده هاتحصل حاجة الله أعلم ولا إيه الله أعلم.

-قطع-

نهار/ خارجي

رجل ثلاثيني نصف أصلع داهن ما تبقى من شعره على جانبي رأسه بالفازلين، يتحدث من داخل محل أحذية، وتظهر وراءه صفوف من الأحذية الحريمي النصف بوت والبوت الكامل أسود وبيج على أرفف بيضاء:

- السَورة دي بقالها سنتين وي، من 25 يناير زي مابيقولوا، والله العظيم أول مرة أشوف اللي بيحصل ده الكنابل والضرب والولعة والشغل ده الإسبوعين اللي فاتو، والله أول مرة أشوفه! أول مرة أشوف سَورة، يعني سَورة 25 يناير دي شفناها في التلفزيون، وماكنتش مصدق اللي بيحصل لكن لما شفت هنا صدقت، ضرب، كنابل بتيجي بطريقة... بلكونات، يفط، إزاز زي ماقولتلك، آهو محلات وعربيات ولعت هنا وعربية ولعت هنا، الكنابل بتيجي مش عارف، مش عارف بيرموها إزاي وبيعملوها إزاي ولو اتفرجت على عساكر الأمن المركزي اللي بتتعامل مع اللي بيمسكوه إزاي، هايصعب عليك.

-قطع-

نهار/ خارجي

صاحب محل بيتزا أربعيني، يرتدي تيشرت أحمر على صدره شعار المحل،وخلفه رصَّة من العلب الكرتونية للبيتزا ذات الحجم الصغير عليها رسمة البيتزا وشعار المحل، وقائمة خلفه بأسعار السندوتشات مدون بها أصناف سندوتشات الدجاج والشيش طاووق والجمبري بدون أسعارها، يقول:

- الإخوان هجموا على الناس هنا قبلها بأسبوع، ضربوا الصحفية هنا أنا شفت بس الضرب بتاع الصحفية قبلها بأسبوع، لكن اللي شفته هنا ماشفتش حاجة، بس المحل بتاعنا كان اتكسر الجمعة اللي فاتت، زي ماركبنا ده، وده إزاز جديد، والله يا أخي أنا عاوز أقولك حاجة، الدكتور مرسي مسك غير الدكتور مرسي مسك إحنا عاوزين ناكل عيش، لا مرسي ولا غيره هايبقى رقيب علينا، لو كل واحد فينا بقى رقيب على نفسه حال البلد مش هايوصل لكده، ده اللى اعرفه، ده وقف حال، وفيه بطالة مقنعة كتير، حرام، حرام البلد دي البلد دي حرام، مصر ماتستاهلش يحصل فيها كل ده!

-قطع-

ليل/ داخلي

كتابة بالأصفر أسفل الشاشة يسار المشاهد (شهادات المعذبين في المقطم في جمعة الكرامة)، ثم تختفي الكتابة ويظهر محلها (القاهرة، تم التصوير في 23 مارس 2013)، على:

شاب لم يبلغ العشرين بعد، عاري الصدر، مُربَّط الرأس بشاش طبي، جالس في ما يبدو أنه غرفته ببيت أهله، صوته مرهق وخافت.

نسمع صوت الدكتورة من وراء الكادر وهي تقول:

- (صوت الدكتورة): مُصاب في الرأس، وفي الفخدة، وعلامات ضرب على ضهره، والقدم مكسورة، وسنانه مكسورة.

نسمع صوت أمه من خارج الكادر وهي تبكي:

- (صوت الأم): إلهي تتكسر رقابيهم يا رب!

تظهر كتابة بالأصفر أسفل الشاشة على يسار المشاهد (المصاب شريف مصطفى)، ويبدأ هو في الحكي:

- ماشي في الشارع عادي، فقلت أخش جوه الشارع بعيد عن الناس الواقفة، ماشي في الشارع عادي الشارع فاضي، لقيت ناس معاها شوم فأنا وقفت عشان ماحدش يضربني، قلتلهم أنا مش مع حد ومالیش دعوة بحد فواحد قام مديني بالشومة في دماغي، فأغمى عليّا ومحستش بنفسي إلا وانا قدام الجامع، لقيت الناس كلها متلمية عليّا، فلما حسيت إن انا هاموت قلتلهم أخش جُوَّه الجامع، بعد كده دخلوني جُوَّه الجامع بعدين قعدوا يضربوا فيّا، حطوني على الكرسي عشان أقول أي حاجة، قلتلهم أنا ماليش دعوة بحاجة أنا كنت في الشارع ماشي عادي، بس، قالولي إنت كداب قول مين اللي جايبك ومين اللي إداك فلوس؟ قلتلهم لأ أنا مافيش حد جابني ولا حد إداني فلوس أنا ماشي عادي حتى هما مسكوني وانا بتكلم في التليفون أنا مش مع أي حد، فقاموا مدخلني جُوَّه مع الناس اللي هما بيضربوهم وقلعوني التي شيرت وقعدوا يضربوني بالكرباج، وكانوا بيضربوا، بيتأكدوا بس إنهم يكسروا الرجل ويكسروا الإيد، كان ضرب بالكراسي في الوش عادي، الأطفال كانوا بيكسروا إيديهم بس، بيخلوهم يناموا على وشهم ويكسروا الإيد، ماكانش فيه حد فيهم أصلاً طلع سليم من الجامع، يعني أنا رحمة شوية عن الباقيين، المسيحي ده اللي مسكوه، قعدوا يضربوه بالكرباج لحد مابقاش فيه نفس، بعد كده خدوه عشان يعترف، وبعدين رموه تاني مع الناس، شالوا رجليه الاتنين وجابوا جدر الشجر الكبير دَوَّت وقعدوا يضربوه لغاية العضمة ما اتكسرت وبقت رجليه باينه من جوه، كسروا رجليه الاتنين، وإيديه، لما مابقاش قادر ياخد نفسه بقوا يضربوه بالعصيان على دماغه، وبعد كده بدأوا يضربوه على صِدره وهو أصلاً ماكانش حاسس بأي حاجة، حتى أنا نفسي استخبيت تحت الكرسي، منظر كنت خايف وكنت قاعد مستخبي ورا، وكل ما أستخبى يقعدوا يضربوا فيّا بالكرباج.

-قطع-

ليل/ داخلي

كتابة بالأصفر أسفل الشاشة على يسار المشاهد (مصطفى محمد، والد المصاب شريف

مصطفى)، على والده الخمسيني في غرفة المعيشة المتواضعة، يرتدي ترنج سوت أديداس كحلي مخطط بالأبيض، نحيف، طويل الوجه مستدقه، بلحية وشارب أشيبين وأسنان أهلكها التدخين، يقول:

- أنا بنتي اتصلت بيّا بقولها اتصلي بأخوكي شريف علشان أنا الرقم مش عايز يجمَّع معايا بيديني مشغول، فأخته اللي هي سماح اتصلت بيه رد عليها واحد قال لها أخوكي موجود عندنا في جامع بلال ومش هانطلعه إلا لما يعترف، يا إما تبعتي أبوه يشوفه، فاتصلت بيّا قالتلي شريف ممسوك في جامع بلال بن رباح، جيت أروح الجامع ماعرفتش أوصل، يعني رحت حوالي 3 مرات كل ما أروح ماعرفش أوصل الجامع، رحت اعمل محضر في القسم علشان يجيبولي الولد من الجامع، الحكومة قالتلي إحنا نفسنا مانقدرش نوصل لحد هناك! قبل اتنين ونص أنا اتصلت بالواد تاني، حوالي الساعة 12 كده ونص، رد عليّا واحد منهم، واخد بالك، حد بقول له مين إنت؟ قالي مالكش دعوة أنا مين إنت عايز مين؟ قلتله أنا عايز إبني شريف ما هو ده موبايل إبني شريف، قالي آه موبايل إبنك شريف! بس إبنك مش هاتشوفه تاني، لو عايز تلحقه بقي قبل ما يروح سينا هانرحَّله سينا عشان ده بلطجي، لما كلمت أختى بقى وعملت اتصلت بيهم في حقوق الإنسان وكده، فين ع الساعة اتنين ونص واحد اتصل بيّا على التليفون الأرضي قالي تعالى استلم إبنك من مسجد بلال، رحت لقيته مرمي على الأرض قدام الجامع، وحوالين منه مش عارف مش قادر أوصفلك بقى كمية إخوان قد إيه! وكلهم بسم الله ما شاء الله عمالقة! آه شريف لقيته زي ما انت شفت كده وهدومه كلها غرقانه دم، غير بقى اللي سمعته من الناس المتصابين، اللي مش لاقي حد، واللي مش عارف يقوم من على الأرض، كل ده مرمي قدام الجامع، دانا شفت واحد بتوكتوك، والله زي مابكلمك هوَّ والتوكتوك والأرض حتة واحدة!

-قطع-

ليل/ داخلي

كتابة بالأصفر أسفل الشاشة على يسار المشاهد (أحمد عبد النبي، مصاب، أحداث المقطم)، على شاب في أواخر العشرينيات، أسمر، نحيف، بذقن وشارب، يرتدي جاكت أسود، جالس في غرفة معيشته المتواضعة في بيته ووراءه صورته مع طفله الصغير وبجوارها صورة لميكي

ماوس بالأزرق، أثر جروح وكدمات بنفسجية في جبهته وخده الأيسر، يتكلم بصوت مرهق وينهج وهو يتكلم:

- الساعة أربعة ونص كده، أنا مروَّح البيت، طالع المقطم والمحلات كلها قفلت، كنت مروَّح، لقيت شوية من الإخوان راحوا موقفني بالماكنة، إنزل، بطاقتك، المهم لقوا البطاقة السيدة زينب، بتعمل إيه هنا؟ وانا بتكلم معاهم قبل ما اتكلم وقبل أي حاجة المواسير بقى بتنزل! دب دب دب دب! يا عم فيه إيه! وصاحبي مسكوه موتوه، موتوه في المستشفى مش نافع بيعمل عملية لوقتي، وانا مش قادر أنزل له، بس يعني... الله يرحمه! أنا شفته كده الله يرحمه بالنسبة للي حصل فيّا وفيه كده خلاص، المهم رحت إيه أمشي مع أربعين خمسين واحد كده مش هانضربك ولا نكلمك، قولنا بس إنت من أ ولا من ب؟ قلتله أنا راجل نجار وصنايعي، بيفتكروني بكدب عليهم وقالولي إنت من أ إنت قابض، وشوية يقولولي إيه تعالى ومش هانضربك بس قولنا إنت مع آني مجموعة، وأمشي معاهم شوية أروح مضروب أكتر، ومواسير، واحد شال شجرة وراح مديني بيها، والطوب ده كان في وشي! يمسكوا العمود المسلح ويدخلوني فيه! مشيت معاهم شوية راح واحد إيه صعبت عليه بقى، منهم، راح قايلوهم لا لأ ده واحدة واحدة عليه كده ده شكله مالوش في حاجة، قالوله لأ إنت شكلك إنت تبع مين يا عم إنت، قاله أنا من الاسماعيلية ومجموعة ب وراح مطلعله كارنيه، من اللي هوَّ الشيوخ عاملين كارنيهات لبعض علشان يعرفوا بعضهم فين، في المظاهرات، عيل صغير بيتضرب بقولهم، خفت عليه وانا واقف كده حرام، إرحموه! من كتر الواد اللي بيتضرب ده فعلاً صعب عليا، لقيت برضو اللي بيضربوا بيضربوا أكتر، بقول للجيش إلحقوا إلحقوا الواد الصغير اللي بيتضرب بره ده، حد من الجيش يجيبه، الجيش قال ما عندناش أوامر، الجيش ماعندوش أوامر إنه يحمي الشعب! والشرطة بتضرب في الشعب! واللي بيروح القسم يعمل محضر بيتحبس ويقوله إنت كنت بتخرَّب وبياخد 15 سنة وممكن إعدام، طب ناخد حقنا من مين؟!

-قطع-

ليل/ داخلي

كتابة بالأصفر أسفل الشاشة على يسار المشاهد (وحيد محمد، مصاب، أحداث المقطم)، على شاب عشريني، بذقن سكسوكة دوجلاس، عاري الصدر، مُجبَّس اليدين إلى المرفقين، مشوه الوجه

من أثر كدمات وجروح لا تزال تظهر منها الدماء طازجة، في غرفة نومه المتواضعة بالمنزل، يقول وهو مرهق بصوت محشور:

- اللي حصل إن أنا كنت بحط للماكنة بنزيم عشان مافيش بنزيمة فيها 80 غير البنزيمة اللي ورا المقر، قابلوني طبعاً واقفين كتير، رايح فين؟ رايح أحط بنزيمة، هاتحط بنزيم منين؟ من البنزيمة اللي وراكو، قاموا شايلني بالماكنة الماكنة اتقلبت على الأرض! قلعوني هدومي، خدوني عند المقر سحل، ومن المقر على البيت بتاع ربنا، التعذيب بقى اللي هوَّ ولامؤاخذة! بالجزمة على وشك، إنت فاهم، ويدوسوا دوس كده! طبعاً تتعور تجيب دم يجيبوا ميَّه ويغرقوك ميَّه، ويسحلوا خمستاشر عشرين شاب يتكتفوا إيديهم في إيدين بعض ويتجروا ع الأرض، وضرب وإهانة وقلة قيمة! صباعي ده مسكوهولي كده (يظهر إصبع سبابته اليمنى مُجبَّس) ولواهولي في الأرض ونزل عليه بركبته، تك، راح مكسور، إنت مين اللي مأجرك أ ولا ب؟ سلسلة فضة قطعوني بيها، من رقبتي (يُحني رقبته للكاميرا، فتظر آثار جروح ودماء مكان السلسلة)، كنت لابس سلسلة فضة، ماهو حضرتك أنا رقبتي متعورة بسبب السلسلة، وبالشوم في دماغي، وبالكرابيج، والدتي جت ماخلوهاش تشوفني إلا بعدها بكام ساعة، وأكتر ناس كانت بتضرب هي الكبيرة مش الصغيرة، بيسبّوا ويشتموا وكل حاجة، بقولك كانوا بيدوسوا على وشنا بالجزم! المسيحي ده اتضرب واتقطع، المسيحي ده اتقطع! وجابوا فرد حطوه جنبه، فرد خرطوش حطوه جنبه وصوروه، اللي ماكانش بياخد مطوة عشان يتصور بيها كان بيموت، لازم ياخد المطوة يتصور بيها.

-قطع-

ليل/ داخلي

كتابة بالأصفر أسفل الشاشة على يسار المشاهد (كريم حسن، مصاب، أحداث المقطم)، على شاب عشريني أسمر، مُربَّط الرأس بالشاش، لا تكاد الكلمات تخرج من فمه وهو ينهج:

- طالع من عند محطة قناة الإذاعة، طلع عليَّا حوالي أربع تنفار، اتشديت من على الماكنة، الأربع تنفار دول بقوا يزيدوا عن 80 نفر! فضلوا حضرتك بالشوم، وانت تبع فرقة إيه أ ولا ب؟ والضرب بالشوم والضرب بالحديد وبالعصيان، بكل حاجة حضرتك، وانت كافر يا عدو الله، في شرع مين ده! ليه كده أنا ماعملتش حاجة! أنا بنفسي منتخب الدكتور مرسي، منتخبه وقولنا دول

هايكون عندهم عدل ويجوا يمسكوا البلد، بعد ماننتخبهم ويمسكوا البلد يجوا يعملوا فيَّا كده!

-نهاية التقرير-

وكر الأفاعي

كانت الساعة قد جاوزت الخامسة مساءً بسبع دقائق أو تكاد، وكان الغروب قد بدأ يخيم تدريجياً على سماء القاهرة بينما كانت السيارة المتسوبيشي اللانسر الفضية الشَارك الهاي لاين الفول أوبشن الدواخل الزيرو المرشوشة الجانبين نظافة فقط ماكينة وفتيس وعفشة تمام والكاوتش والبطارية جُداد والفرش ألماني موديل 2005 تسير بسرعة معتدلة في طريق الهاي واي القاهرة- الواحات الصحراوي قاصدة مدينة دريم لاند التي بناها رجل الأعمال المصري أحمد بهجب، والتي يُقال إن البنك الأهلي وبنك مصر، شريكيه في المشروع، قد استوليا عليها وباعاها دون موافقته بعد ضغوط قيل وقتها إنها كانت من أحد أبناء الرئيس الأسبق المخلوع محمد حسني مبارك.

لم تكن قدما سامح، الجالس في مقعد الراكب الرئيسي بجوار السائق أشرف، قد وطئتا هذه المدينة من قبل، بالرغم من علمنا بأنه أحد المتسكعين الكبار في القاهرة، ولعل السبب هو أن دريم لاند كانت مدينة مغلقة، مُسوَّرة، محجوبة ومحجَّبة ومقتصرة على سكن الأثرياء وكبار الأثرياء وكبار كبار الأثرياء في القاهرة، ولعل السبب أيضاً أن يكون لبعدها عن القاهرة الكبرى بعض الشيء وعدم وجود مواصلات عامة إليها، أو بسبب أنك حتى لو ذهبت إلى هناك فلن يمكنك الدخول؛ لأنك ستجد حرس المدينة على أبوابها يمنعونك من الدخول، اللهم إلا إذا كنت تعرف أحداً من سكانها وطلب من الحرس السماح لك بالدخول لزيارته.

كان سامح يتأمل القذارة والعشوائيات وأكواخ الصفيح على صفي الطريق السريع ويستغرب من وجود هذا المستوى من الانحدار والقبح والقذارة، وقال في نفسه: "إن العشوائيات مقارنة بهذا هي أبراج سكنية! بل إن أكواخ الصفيح ومدن الصفيح في سان باولو هي أبراج سكنية مقارنة بهذا!"، ولعب الفأر في عبه لبضع لحظات، وقد ظن أن حنان ترك ومدام رجاء الجداوي تصوران بعض المشاهد في مسلسليهما في منطقة عشوائية تتطلب ظهور القذارة في الصورة، وأن اللقاء قد يكون في تلك القذارة، إلا أنه عاد ليذكر نفسه سريعاً بأنهما قد اتفقتا معه على أن اللقاء سيكون في مدينة دريم لاند، وأن أشرف السائق نفسه قد قال له إنه آت من هناك، وأنه مكلف بتوصيله إلى مكان التصوير في المدينة، والذي هو فيلا لوكس اللوكس، كما كان قد علم سابقاً من كل من

صديقه حمادة عفيفي المخرج المنفذ للمسلسل، وصديقه وتلميذه وحبيبه باسم يسى المساعد الأول للمخرجة في المسلسل.

وعلينا القول بإن مزاج سامح في تلك الساعة لم يكن في أفضل حالاته؛ فقد كان سوداوياً كئيباً متشائماً، كعادته هذه الأيام كما ولابد أنك لاحظت من قبل، على الرغم من أنه متجه الآن لمقابلة حنان ترك ورجاء الجداوي وصاحب الشركة المنتجة للمسلسل الذي تقومان بتصويره، بالإضافة إلى الكثير من الأصدقاء والمعارف من: المخرجة، إلى مساعدي الإخراج ومساعدي الإنتاج، ومدير التصوير وعمال الكاميرا، وفنيي الكرين، والماشينست ومساعديه، وعمال الإكسسوار، وعمال الإضاءة، والنجارين، والكهربائيين، والسائقين، وعمال البوفيه، إلى غير هؤلاء الكثيرون.

وكان سامح يأمل في أن يصل إلى اتفاق مع صاحب شركة الإنتاج لبدء الشغل على المسلسل الذي اقترحته حنان ترك ورجاء الجداوي وكتب له هو المعالجة الدرامية؛ والتي حازت على إعجابهما، وإعجاب منال الصيفي المخرجة، وإعجاب صاحب الشركة نفسه الذي لم يكن يعرفه سامح، وكان قد سمع من بعضهم أنه ينتج لأول مرة، وسمع كذلك أنه ذكي وطموح ومحب للدراما وللسينما.

ولعل السبب في سوداوية مزاج سامح أنهما مرا، في طريقهما إلى الفيللا التي يتم تصوير المسلسل فيها في دريم لاند، بمدينة الإنتاج الإعلامي، وشاهد هو والسائق أشرف أعداداً كبيرة من السلفيين الإسلاميين وأنصار الشيخ حازم أبو إسماعيل وهم يحاصرون بوابات مدينة الإنتاج الإعلامي التي كانوا يطلقون عليها اسم "وكر الأفاعي"، مانعين أي أحد من الدخول أو الخروج، ورأى سامح الجلاليب الباكستانية القصيرة التي تكشف نصف ساقي المرء، والذقون الطويلة الشبرين والتلاتة، إلى غير هذا من المناظر القبيحة والقذرة بالنسبة له، كما شم أنفه أيضاً رائحة نفاذة من شواء اللحم، فسأل أشرف السائق مستغرباً:

- هما بيشوا؟!

- آه ده علطول حضرتك! ما بيبطلوش شوي من الضهر لغاية بالليل!

قال أشرف السائق وهو يضحك، وتابع:

- الصبح بقى حضرتك تشم ريحة لحمة مسلوقة!

- لا مش معقول! بيفطروا لحمة الصبح!

- حلاليف حضرتك ولا مؤاخذة!

- لحمة مسلوقة الصبح، ولحمة مشوية الضهر، ويطلعوها علينا ولاد الكلب! كويس إنهم بعدوا عن المدينة اليومين دول وبيصوروا في دريم لاند.

- هوَّ فيه حد يقدر يصور دلوقتي في المدينة! دول لسه مكسرين لخالد يوسف العربية!

- سمعت آه، ولاد القحبة! لحمة وفِسا وبلطجة وقرف! ماهو الطاقة دي لازم يطلعوها في حاجة، ياكلوا لحمة ويفسّوا، ويضربوا الإعلاميين والفنانين، أو ينيكو النسوان، الطاقة لازم تطلع في حاجة، أمال إيه! هما جايبين معاهم نسوانهم؟

- معاهم آه، وجايبين معاهم عيالهم كمان، جايبين معاهم كل حاجة حضرتك.

- لحمة ونيك وبلطجة!

- لأ أشكالهم مش من القاهرة خالص، شكلهم من الصعيد والأرياف!

- آه جايين رحلة هنا بقى يقرفونا في عيشتنا، ويفسّوا في وشنا، ويحتلونا ولاد القحبة! حاجة تقرف!

- هوَّ احتلال فعلاً زي ماحضرتك قلت! أنا بعدّي من هنا تلات اربع مرات في اليوم، للأسف الأمور بتتدهور أكتر واكتر كل مرة أعدي فيها!

- ربنا يخلصنا بقى من القرف ده!

- آمين يا رب ربنا يسمع منك.

وأشرف السائق هذا ليس معرفة سابقة لسامح، فسامح يراه اليوم لأول مرة، وهو ليس من سائقي التصوير الذين يعرفهم وعاشرهم وأكل معهم وشرب، بل هو، كما علمنا، سائق سيارة أجرة

عادي ليس له أي علاقة بالسينما والتلفزيون والتصوير، وقد وفره لسامح باسم يسى المساعد الأول للمخرجة، حين كلمه سامح وقال له بمنتهى الصراحة، وكان لا يخجل منه لأنه كما سبق القول يُعد تلميذه وصديقه وحبيبه، على عكس حمادة عفيفي المخرج المنفذ للمسلسل، والذي هو أيضاً حبيبه وصديقه وتلميذه، لكنه لم يكن عشرة طويلة كما كان باسم يسى، الذي كان يقضي أوقاتاً طويلة في شقة سامح؛ يأكلان ويشربان ويتفرجان على الأفلام ويتناقشان، لذا لم يكن سامح يخجل منه كما يخجل من حمادة عفيفي، أو لعله لسبب آخر لا نعلمه، المهم في الموضوع أن سامح كلم باسم يسى في التليفون، حين تحدد ميعاد المقابلة مع حنان ترك ورجاء الجداوي وأمين عطية صاحب شركة الإنتاج، وقال له بمنتهى الصراحة إنه مفلس تماماً تماماً تماماً، وإنه لا يملك حتى أجرة المواصلات إلى مدينة دريم لاند، فقال له باسم يسى ألا يحمل هماً، وإنه سوف يتصرف ويرسل له سيارة بالسائق مجاناً، تكون تحت أمره وتصرفه، تأتي به من بيته في حدائق القبة إلى مدينة دريم لاند، وتنتظره حتى يُنهي مقابلته مع حنان ترك ورجاء الجداوي وأمين عطية المنتج، ثم ترجعه إلى بيته في حدائق القبة، وحين قال له سامح إنه لا يعلم كم ستستغرق مقابلته مع حنان ترك ورجاء الجداوي وأمين عطية؟ فقد يستغرق الأمر بضع ساعات، قال باسم يسى وهو يضحك: "العربية هاتكون تحت أمرك يا أستاذ طول اليوم مالكش دعوة انت بس، ولو عايز تروح بيها ليبيا توديك ليبيا مافيش مشكلة، إنت تؤمر بس يا أستاذ دي حاجة بسيطة خالص ماتحملش هم".

توقفت السيارة المتسوبيشي اللانسر الفضية الشَارك الهاي لاين الفول أوبشن الدواخل الزيرو المرشوشة الجانبين نظافة فقط ماكينة وفتيس وعفشة تمام والكاوتش والبطارية جُداد والفرش ألماني موديل 2005 أمام بوابة مدينة دريم لاند المُسَّورة، وتبادل السائق أشرف بضع جمل ضاحكة مع حارسي البوابة اللذين كانا بملابس رسمية زرقاء بلون السماء الرائقة، واللذان كانا يبدوان أنهما يعرفان أشرف السائق جيداً، فخمن سامح أن هذه المعرفة لابد وأن تكون من كثرة دخول وخروج أشرف السائق إلى ومن مدينة دريم لاند.

سمح الحارسان للسيارة بالدخول، فتهادت بسرعة بطيئة غير معهودة لدى سائقي سيارات الأجرة المصريين.

وساد الصمت داخل السيارة التي كانت تتوجه ولابد إلى موقع التصوير داخل المدينة، وراح سامح يتأمل الجمال والرقي والنظافة التي تراها عينيه لأول مرة في مدينة مصرية، وقال في نفسه:

"إن هذا المستوى من النظافة والرقي والجمال لم نره حتى في رحلاتنا السابقة إلى المدن الأوروبية سواء في تولوز أو أثينا أو فالتا، لابد وأن هذا الجمال يكلف ثروة!"

كانت الفيلل التي تراها عينا سامح من طابقين، مصممة على الطراز الأمريكي، بسور خشبي قصير يحوط كل منها، داخله حديقة صغيرة بها بعض الأشجار والنباتات المعمرة، وتعرفت عينا سامح الخبيرة في الزرع على نباتات: اليوكا الخضراء واليوكا الطلياني الأخضر في أبيض، والسنجونيوم أو رجل البطة أو كف الوزة الأخضر والأخضر الفاتح في أخضر غامق، والفجيرة، والعنكبوت أو الفلانجيوم، وأشجار الياسمين الهندي وكانت مزهرة وتفوح رائحة ياسمينها العطرة في الجو بالرغم من أننا في الشتاء والياسمين يزهر هو والفل في الصيف، والكثير من جلد النمر الأخضر الغامق في الأخضر الفاتح والأخضر في الأصفر، والكثير من جلد النمر القزمي، والكثير الكثير من الجهنمية المزهرة، والكثير الكثير الكثير من الكوليوس أو القطيفة أو السجادة بألوان متعددة ومتنوعة: الأخضر في الأحمر، والأحمر في الأصفر، والأصفر في البرتقالي، والأبيض في الأخضر، والأحمر الكامل، والكثير الكثير الكثير من الشفليرة الخضراء والشفليرة الأخضر في أصفر وكانت تسرح في بعض الفيلل على جدرانها الخارجية حتى الأعلى وكأنها مزروعة في القرميد نفسه، والكثير من عِمَّة القاضي بأحجام عملاقة لا بد وأن أعمارها قد تجاوزت العشرين سنة، وصبارات الكلانشو المتنوعة، وتحية العلم، وورد الصباح، وصبارات الكف أو التين الشوكي أو ميكي ماوس، وشوكة المسيح مزهرة بأزهار حمراء رشيقة ودقيقة ومبهجة، والجامبو الأحمر، والديورانتا الأخضر الفاتح في أخضر غامق في أبيض والأخضر في أصفر، وصبارات عُرف الديك أو النجمة بأحجام وأطوال عملاقة تتجاوز الثلاثة أمتار، وصبارات جناح الملاك بأحجام عملاقة، والياسمين البلدي غير المزهر بعد، والفل غير المزهر بعد، وأشجار الريحان، وأشجار ليمون مُقزمة مثمرة، وأشجار برتقال مُقزمة مثمرة، والزبرينا أو المكحلة المتدلية من الشرفات بألوانها الأحمر في أخضر والخطين الفضيين، وصبارات دموع الطفل بأحجام عملاقة، وأشجار الدراسينا البذور ودراسينا العُقل ودراسينا الذرة بأحجام عملاقة في الأركان المظللة، وأشجار نخيل مُقزمة وأشجار نخيل عادية طويلة وكلاهما مثمر، وأشجار موز تفوح منها رائحة البوتاسيوم النفاذة، وأشجار مانجو، وكذا، وكذا، وكثير غيرها.

قال سامح في نفسه: "هذه المدينة لن تدخلها الطبقة الوسطى إلا خدماً!" كما تسائل بينه وبين

نفسه عن شعور سكان العشوائيات التي ما هي بعشوائيات والتي لم ترتق حتى إلى مستوى العشوائيات التي لا تبعد عن أسوار دريم لاند إلا بضعة أمتار عندما يرون هذا المستوى من المعيشة والحياة والرفاهية والراحة ويقارنون معيشتهم التي لم ترتق حتى إلى مستوى الضنك والفقر والشظف بمستوى هؤلاء الناس! وقال في نفسه: "الواحد منهم لن يكون أمامه إلا أحد طريقين؛ إما الإجرام، وإما التطرف الديني، إما أن يصبح لصاً ومجرماً لكي يحصل على فتات من هذا النعيم، وإما شيخ جامع، وشيخ جامع من النوع المتطرف، بل شديد التطرف!"

وفكر سامح أن سكان العشوائيات المجاورة لابد وأن تتاح لهم فرصة الدخول مرة على الأقل إلى دريم لاند، أو دريم لاند 2، كما علم من أشرف السائق، لأنه هناك دريم لاند 1، وتقع بعد أو قبل هذه المدينة مباشرة، بحسب اتجاه سيرك وتوجهك إليها، فالمدينة، ولابد، تحتاج إلى عمال نظافة، وسباكين، وكهربائيين، ونجارين، وجناينية، وحراس، وعمالة أخرى للصيانة وخلافه، وهؤلاء من أين سيأتون إلا من الأحياء المجاورة لدريم لاند 2؟! وإن لم يدخلها ساكن العشوائيات المجاورة، التي ما هي بعشوائيات حتى، إن لم يدخلها كعامل، فسيدخلها كلص ومجرم! يتسلل عبر الأسوار المحصنة أو يقفز من أعلاها ويدخل للسرقة، المهم في النهاية أنه سيتاح لهم فرصة رؤية هذا المستوى من المعيشة وسيقارنون بينه وبين معيشتهم الأقل بكثير جداً جداً جداً من معيشة البهائم في الزرائب."

-2-

- يا ابني زي ما بقولك! دي خصلة معروفة فيه والكل عارف، بقولك ما بينزلش من الطيارة إلا وهوَّ واخد معاه كل حاجة ينفع تتشال! معالق شوك سكاكين سماعات، فوط حتى! أي حاجة تنفع تتحط في الهاندباج.

قالت مدام رجاء الجداوي بتأكيد وجزم العالمين ببواطن الأمور وبظواهرها أيضاً.

استمر تعجب سامح، وعلق قائلاً:

- غريبة قوي! ده رئيس السي آي بي! يعني يقدر يشتري الطيارة كلها لو عايز!

أكملت مدام رجاء الجداوي مؤكدة المعلومة:

- دي حكاية معروفة عنه من زمان، حتى قبل ما يعمل السي آي بي! من أيام ما كان بيشتغل في البنك الأهلي.

تدخلت حنان ترك هي أيضاً مؤكدة المعلومة لسامح، وهي ترفع ساقيها وتتربع على كنبة أصحاب الفيللا:

- مش الطيارات بس يا مدام رجاء، ده وحياتك ما بينزلش أي فندق إلا ويقشَّط كل حاجة في الأوضة!

صاح سامح مندهشاً من المعلومة الخطيرة عن الذي أسس البنك التجاري الدولي في مصر والذي اسمه يطابق اسم أحد كبار نجوم التمثيل في مصر:

- يا نهار أبيض! الفنادق كمان! على فكرة ممكن يبقى مرض، هوَّ مش محتاج، بس بتبقى متعة عند المرضى اللي زيه إنه ياخد حاجة هوَّ عارف إنها مش من حقه.

نادت مدام رجاء الجداوي في الهواء على لا أحد:

- الله! أمال فين السوداني يا ولاد، الله!

انشقت الأرض عن أحد مساعدي الإنتاج الذي لا نعرف له اسم، والذي وقف إلى يسار مدام رجاء الجداوي وإلى يمين حنان ترك وأمام سامح.

- بعتنا حد يجيبه والله يا أستاذة من ساعة ما قلتي! معلش ممكن عشان السكة لمدينة نصر طويلة شوية والدنيا هناك زي ما حضرتك راسية.

- طب كلموه في الموبايل طيب شوفوا هوَّ فين؟!

- حاضر يا أستاذة.

وأخرج مساعد الإنتاج هاتفه المحمول وانزوى في ركن ليتصل بالسائق الذي أرسله لإحضار الفول السوداني المحمص لمدام رجاء الجداوي من مدينة نصر.

قال سامح مبتسماً:

- إشمعنى من مدينة نصر يا مدام رجاء؟!

- ده أحسن واحد في مصر كلها تاكل منه فول سوداني!

- آهه، مين ده اسمه إيه؟

- دكان صغير كده مش كبير قوى اسمه عمر، في أول عباس العقاد.

علقت حنان ترك وهي تعدِّل من حجابها بإزاحة أطرافه السائبة إلى الوراء:

- السوداني بتاعه تحفة!

- مش كده برضو!

قال مدام رجاء الجداوي بصيغة السؤال وهي تريد التأكيد.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة والنصف بأربع أو خمس دقائق، وكان سامح قد أنهى المقابلة المهنية مع حنان ترك ومدام رجاء الجداوي ومنال الصيفي المخرجة وأمين عطية المنتج، وأبدوا جميعهم إعجابهم بالمعالجة الدرامية التي كان قد سبق أن أرسلها للأربعة عن طريق صديقه باسم

يسى المساعد الأول للمخرجة، واتفقوا على أن يبدأ سامح في كتابة الثلاث حلقات الأولى من المسلسل لكي يستطيع أمين عطية المنتج تسويقه لبعض شركات الإنتاج في الخليج وتبدأ الأموال في التدفق.

إذن لم يكن هناك سبب مهني لبقاء سامح حتى هذا الوقت مع حنان ترك ومدام رجاء الجداوي في كواليس تصوير مسلسل "نونة المأذونة"، مخاطراً بأن يطول البقاء ويدخل الوقت في ساعات حظر التجول، فبالرغم من أن هناك سيارة تحت أمره، كما تعلم، ستعود به إلى بيته في أي وقت يشاء، إلا أن البقاء في الخارج في القاهرة في أوقات حظر التجول أمر غير مستحب، ولعلك تسمع يومياً عن الكثير من حوادث الخطف التي تحدث أثناء حظر التجول، وسرقة السيارات، والاعتداء على المارة وعلى السائقين، والاغتصاب، وإطلاق النار العشوائي، وما إلى هذا.

كما أن سامح كان يعلم أنه يمثل عبئاً، إلى حد ما، على حنان ترك ومدام رجاء الجداوي، التي تقوم كل منهما من حين لآخر لتصوير مشاهدها في المسلسل، ثم تعود إلى ركن شبه مظلم في صالة الفيللا الواسعة لكي تستريح وتستعد لتصوير المشهد التالي؛ بالحفظ واسترجاع الديالوج والتمرين عليه، فبرغم العلاقة الجيدة لسامح مع كل من حنان ترك ومدام رجاء الجداوي، إلا أن وجوده أثناء فترات الراحة الخاصة بهما، والتي هي أيضاً فترات تمرين واستعداد للمشهد التالي، كانت تمثل عبئاً على كلتيهما.

لكن ما جعل سامح يتجاهل كل هذا ويرميه وراء ظهره، بالرغم من حساسيته المشهور بها في الوسط، هو أنه سمع أن سامي العدل قادم؛ فقد اتصل سامي العدل بالمخرجة منال الصيفي، أثناء المناقشات حول مسلسل سامح الجديد، وقال إنه في الطريق، وسأل عن عدد الموجودين جميعاً، بما فيهم الكومبارس، والعمال، والضيوف الذين جاءوا لمشاهدة التصوير إن وجدوا، وسكان الفيللا وخدمها إن وجدوا، فسألت منال الصيفي مدير الإنتاج الذي لا نعرف له اسماً، فأجرى بعض الحسابات بصوت عال في ذهنه، واستعان في الحسبة بسؤال مساعديه، ثم اتفقوا جميعاً على أن العدد الإجمالي هو 76 فرداً.

خمن سامح على الفور أن سامي العدل سيحضر معه أكلاً، مادام قد سأل عن عدد الموجودين، وخمن أن سيحضر كمية تكفي مئة شخص على الأقل، ماداموا قد قالوا له إن عدد الموجودين 76.

لكن سامح، والحق يقال، لم يقرر البقاء في اللوكيشن من أجل الطعام الذي سيحضره معه سامي العدل، وإنما لإنه يشتاق لرؤية سامي العدل شخصياً، فسامح كان يحب سامي العدل جداً.

وقد علمنا أنه سبق لسامي العدل أن أعطى بدلة ستيوارت هيوز لسامح؛ حين سُرقت شقته في دير الملاك أثناء تواجده كمساعد إخراج في فيلم لخالد يوسف، وسُرقت معه الثلاث بدلات التي كانت حيلته وقتها، واتفق أنه كان على وشك السفر إلى أثينا لعرض مشروع فيلم تسجيلي يرغب في صنعه على المانحين الأوروبيين الذين كانوا يتواجدون في أثينا في إحدى ورش العمل التي تنظمها الهيئة السمعية-البصرية بالاتحاد الأوروبي، وكان سامح يحتاج إلى بدلة رسمية وقتها، وعرف سامي العدل بالسرقة، وعرف بحاجة سامح للبدلة، وعرف أنه مفلس وعلى الحديدة وعلى باب الله، وكان وقتها سامي العدل يصور بعض مشاهده في فيلم خالد يوسف، فاصطحب سامي العدل سامح بعد التصوير إلى بيته، وفتح الدولاب الخاص ببدله، وطلب منه أن يختار واحدة لنفسه، وأصر إصراراً لا يمكن التملص منه، برغم محاولات سامح الخجول بطبعه في التملص، وأخيراً حاول سامح أن يختار أقل البدلات قيمة في نظره، واتضح فيما بعد أنها ستيوارت هيوز لا يقل ثمنها بحال من الأحوال عن 8 آلاف جنيه مصري، وعرف سامح بعد ذلك أن هناك بعض الموديلات من ستيورات هيوز يتجاوز ثمنها الخمسين ألف جنيه مصري.

ما زال سامح يحتفظ ببدلة سامي العدل الستيوارت هيوز إلى الآن، بالرغم من أنه حاول إرجاعها إلى سامي العدل بعد عودته من أثينا وعرض مشروعه هناك واستيفاء البدلة الستيوارت هيوز لغرضها، إلا أن سامي العدل شتمه.

وأنت لا تستطيع أن تزعل من سامي العدل إن شتمك، فهذه هي طبيعته وشخصيته وأسلوبه، طيب وجدع وصاحب صاحبه وصاحب حتى غير صاحبه، لكنه طويل اللسان لاذع السخرية حاد الألفاظ صريح طوال الوقت؛ الصراحة التي هي بنت الوقاحة إن كنت تعلم ما أعني.

لكن بدلة الستيوارت هيوز ليست هي السبب الأساسي في حب سامح لسامي العدل، فهو كان يحبه حتى من قبل واقعة الستيوارت هيوز، ويمكن القول إنه حب لله في لله، أو أنه كان يستجدع سامي العدل، أو أنه كان منبهراً بصراحته التي هي بنت الوقاحة، أو أن شخصيتهما قد توافقتا كما ينجذب القطب السالب للقطب الموجب في المغناطيسية، وليس معنى هذا أن سامح، أو لا سمح الله

سامي العدل، سالباً، فهو مجرد تعبير لفظي لزوم توضيح المعاني إن كنت تفهم ما أعني، فنحن نستطيع أن نجزم لك بكل ثقة أن كلاهما كان موجباً ماستراً دكراً ملو هدومه.

أما فيما يتعلق بعزومة الفسيخ والرنجة، فيتعين علينا القول إن هذا هو الطبيعي والعادي والمتوقع من سامي العدل المشهور بالكرم الحاتمي الطائي بين أصدقائه ومعارفه في الوسط الفني وغير الفني؛ فهو مثلاً لا يزور لوكيشن تصوير لكي يهنئ أصدقائه من المخرجين والمنتجين ونجوم التمثيل ببدء تصوير فيلم جديد لهم، إلا ويُحضر معه خمس علب بوبينات أفلام خام كهدية؛ُتكلف الشيء الفلاني، وهو الأمر الذي اقتبسه منه خالد يوسف على سبيل المثال، فأصبح هو الآخر لا يزور لوكيشن تصوير لصديق للتهنئة ببدء التصوير إلا ويُحضر معه علبتي خام كهدية.

أما وإن تصوير المسلسلات التلفزيونية لا يتطلب نيجاتيف خام من الذي يُستعمل في التصوير السينمائي، وأما وإن سامي العدل لا يستطيع أن يزور لوكيشن تصوير بإيد فاضية خال الوفاض، فلعل هذا هو سبب أنه قرر أن يعزم اللوكيشن كله على أكلة فسيخ ورنجة، وعليك أن تتوقع أنها ستكون مخلية ومن أفخر أفخر الأنواع في جمهورية مصر العربية، بل وأغلاها سعراً على الإطلاق، وأنها ستكون بكميات كبيرة مهولة تكفي الجميع وتفيض؛ كما توقع سامح نفسه حين سمع بأن سامي العدل عازم اللوكيشن على فسيخ ورنجة، فهذا هو العادي والطبيعي والمعتاد الذي يتوقعه المرء من سامي العدل.

ولا بد أن سامي العدل قد مر من أمام مدينة الإنتاج الإعلامي، وهو في طريقه إلى فيللا التصوير في مدينة دريم لاند، أو أنه كان بداخلها لتصوير شيء ما، أو في زيارة لأحد الأصدقاء هناك، لأنه حالما دخل إلى صالة الفيللا كان يصيح ساباً شاتماً قاذفاً السلفيين والإسلاميين المتناكين أزواج الشراميط الذين يحاصرون مدينة الإنتاج الإعلامي بألفاظ نستحي تكرارها على مسامعك.

وقد حصلنا، حصرياً، على النص الأصلي للمعالجة الدرامية التي كتبها سامح وقدمها إلى حنان ترك ومدام رجاء الجداوي وأمين عطية المنتج والمخرجة منال الصيفي، والتي حازت قبولهم جميعاً وثناءهم وإشادتهم وتقريظهم وكل هذا.

وإليك النص الأصلي الذي حصلنا عليه كما هو حرفاً حرفاً، بدون أي تعديل أو حذف أو إضافة أو تحسين أو تجويد من جانبنا، ولن نؤكد لك مرة أخرى على أمانتنا في هذا الصدد، فلا بد وأنك قد خبرتها واختبرتها الآن وصار في وسعك أن تثق فيها وفينا بعد ما تقدم.

معالجة أوليّة لمُسلسل تلفزيونيّ، بعنوان:

"البَلَد"

(اسم مؤقت)

فكرة

حنان ترك ورجاء الجداوي

معالجة دراميّة

سامح شكري

(1-1)

البلد

"مسلسل تلفزيوني تقع أحداثه في عدة أجزاء"

فكرة: حنان ترك ورجاء الجداوي معالجة درامية: سامح شكري

مسلسل (البلد) هو مسلسل درامي تشويقي تقع أحداثه في عدة أجزاء، ويُمثل كل جزء وحدة دراميّة تدور في ثلاثين حلقة حول فكرة واحدة عامة كبرى، وفي الوقت نفسه تتصاعد دراما المسلسل من جزء إلى جزء تالٍ في شكل يصل الأحداث ببعضها، ويُصعِّدها مزيداً من التصعيد، في لعبة تشويقية درامية مستمرة.

أولاً: الفكرة العامة التي ستميز كل موسم من مواسم المسلسل

1- الموسم الأول: مركز الثقل في الموسم الأول هو فكرة بناء المجتمع، فعندما يَملّ الأبطال من انتظار النجدة، وتفشل محاولاتهم الأولى في العودة أو الاتصال بالعالم الخارجي، سيبدأون في بناء المجتمع الذي سيعيشون فيه؛ مجتمع (البلد)، وستواجههم كل تحديات وصعوبات بناء المجتمعات، وسيكون على أبطالنا (الذين يتنوعون بحسب خلفياتهم الطبقية والعمرية والثقافية والسياسية والدينية والطائفية) أن يقوموا بحل هذه المشكلات، والتي تأتي متزامنة مع مشكلات مشابهة تواجهها العديد من الدول العربية إثر فشلها في مشروع بناء الدولة بعد استقلالها عن المُحتل الأجنبي.

2- الموسم الثاني: سيشهد اتساعاً لرقعة التنوعات الوطنية، والعرقية، والاختلافات الثقافية، عندما ينضم عدد من الأبطال الجدد ممن يحملون جنسيات عربية مختلفة إلى مجتمع (البلد)، بما يحمله ذلك من فرص ومخاطر للأبطال ولهدفهم في بناء مجتمعهم، ذلك الهدف الذي سيستمر أيضاً خلال هذا الموسم من المسلسل.

3- الموسم الثالث: سيحدث فيه توسيع أكبر للتنوعات، فنشهد بداية تكوّن مجتمع عالمي (كوزموبوليتاني)، حيث سنُدخل عدة شخصيات أجنبية (أوروبية وآسيوية وأفريقية وأمريكية)، لينضموا إلى أبطالنا المصريين والعرب في عزلتهم المستمرة في (البلد).

4- الموسم الرابع: سيتطور مجتمع (البلد) في هذا الموسم على نحو سريع في كل الاتجاهات

(الإيجابية والسلبية)، وسيشهد تنامي لظاهرة الأغراب (الأشرار) الذين يقومون بهجمات مستمرة عليه، ويكادوا أن يلحقوا به هزيمة كاملة وينجحوا في الاستيلاء عليه، لولا أن أموراً فائقة الغرابة ستحدث فتمنع تحقق الكارثة.

5- الموسم الخامس: وسنبدأ في ربعه الأول في الكشف عن الأسرار الكامنة وراء كل الألغاز التي اكتنفتها المواسم الأربعة السابقة، والتي حيرت المُشاهد في تفسيرها، وستكون بقية الموسم مخصصة لمحاولات تصالح لقيم تبدو متعارضة، وعلى نحو قد يمنح الأمل لمجتمع (البلد) في تحقيق الرقي الإنساني.

ثانياً: ملخص ومدخل الأحداث التي ستتطور تدريجياً خلال الموسم الأول

تدور أحداث الموسم الأول حول مجموعة من التلاميذ المتفوقين دراسياً في مراحل عمرية متعددة (10-19 سنة: من الصف الرابع الابتدائي حتى الثانوية العامة) برفقة عدد محدود من أساتذتهم في المدرسة، وقد تعرض الأتوبيس الذي يستقلونه، في رحلة تنظمها لهم إدارة المدرسة بمناسبة تفوقهم، إلى سلسلة من الحوادث المتتالية التي أدت به إلى الخروج عن المسار المعتاد للطريق هرباً من مطاردات بعض البلطجية وقطاع الطرق الذين انتشروا على الطرق السريعة بعد 25 يناير، وانتهى به الأمر إلى التحطم والاحتراق في مكان منعزل في الصحراء، قضى بعض الركاب نحبهم في الحادث، لكن الجزء الأكبر منهم (16 تلميذاً وتلميذة، و6 من الأساتذة وطاقم الإدارة) نجا من الحادث.

يواصل الناجون سيرهم على الأقدام بحثاً عن نجدة أو ملجأ قريب، يدخل عليهم الليل وهم مستمرون في سعيهم، ويوفقهم الحظ أخيراً بالعثور على مكان يستطيعون المبيت فيه.

المكان عبارة عن مبنى كبير متسع ذي طابقين، ويبدو قديماً للغاية ولا ينتمي للطرز المعتادة للعمارة في مصر؛ عمارته أقرب للمباني ذات الطابقين في الغرب الأمريكي في القرن التاسع عشر، ويحوط المبنى مساحة واسعة من الأرض الصحراوية الرملية، التي تبدو قاحلة وجرداء، ذلك ما سيكتشفونه في صباح اليوم التالي عندما يتفقدون المكان وما حوله.

المنزل مجهز من الداخل ببعض الأثاث ووسائل الراحة التي تبدو متهالكة لقدمها الشديد، وبه (في تناقض إسلوبي) بعض الأجهزة وأدوات المطبخ الكهربائية، وثلاجة كبيرة الحجم مليئة

بأطعمة صالحة للأكل، ومخزن للغلال والأطعمة (سيكفي الجميع لحوالي أسبوع)، وبعض أدوات النجارة والخشب والمسامير، ومياه جارية نظيفة، وكهرباء أيضاً (سيتضح لاحقاً أنها تتولد من سخانات ودوائر للطاقة الشمسية أعلى سطح المبنى)، والأغرب أن المكان بأكمله، والجوار كله، شاغر تماماً من أي أثر لكائن بشري.

ستسكن البنات في الطابق الثاني، والأولاد في الطابق الأول، وسيستكشفون محتويات البيت شيئاً فشيئاً، وفي النصف الثاني من حلقات الموسم الأول سيكتشفون أبواباً تقود إلى سراديب سرية داخل البيت يحوي كل منها العديد من المفاجآت، كما سيلاحظون، بالتدريج وبالتجربة، أن أركان البيت، وأجزاءه المختلفة، لها تأثيرات متنوعة على الصحة الجسدية والحالة النفسية، بالإضافة إلى مفاجآت أخرى عديدة يحويها المنزل، الذي لا يُنبئ مظهره المتواضع العتيق على احتوائه على مثل تلك الغرائب.

في اليوم الأول لهم في (البلد)، سيكتشفون أن المساحة الصحراوية الواسعة المحيطة بالمنزل محاصرة بدائرة كاملة مغلقة من الرمال المتحركة التي يستحيل اختراقها، وسيفقدون أحد زملائهم الذي سيغرق في الرمال أمام أعينهم ويفشلون في إنقاذه، فيكون أول ضحية من ضحايا (البلد)، وسيكف أبطالنا عن الرثاء له والحزن عليه عندما يكتشفون لاحقاً أنه قد قام بعمل شرير قبل أن يلقى حتفه بهذه الطريقة، ولاحقاً، سيتساءلون بخوف إن كانت لدى المكان القدرة على معاقبة من يقترف الشر؟ كما سيتساءلون أيضاً عن كيفية وصولهم إلى المنزل ليلاً دون أن يغرق أحد منهم في الرمال المتحركة، لكنهم لن يتمكنوا من الوصول لإجابة في هذه المرحلة.

وحالما يفيق أبطالنا من الصدمة سيشرعون في صف أحجار وأشياء أخرى حول الرمال المتحركة في شكل دائرة كبيرة تحوطها من الداخل وتكون لهم بمثابة علامة تحذيرية على عدم الاقتراب من محيطها القاتل.

ومما يزيد من غرابة دائرة الرمال المتحركة أنه في إحدى الحلقات، وحين تتأكد أبلة سعاد من كونها حاملاً، ستظهر بقرة سمينة ضخمة وعفية في الأفق وتعبر الرمال المتحركة بكل سهولة ويسر وتقف أمام المنزل في ظل ذهول وعدم تصديق الأبطال، وفيما بعد، في الربع الثاني من الموسم الأول، ستنجح مجموعة من التلاميذ في التغلب على عائق الرمال المتحركة ليصبح لديهم

الحرية في الخروج من الدائرة المغلقة والتجول في الصحراء القريبة واستكشافها، على أمل العثور على نجدة أو طريق يقودهم للعودة، وسيعثرون أثناء مغامراتهم الخارجية تلك على أشياء غريبة يستحيل تواجدها في البيئة الصحراوية.

من أهم ما سيكتشفه الأبطال بالصدفة أيضاً في أيامهم الأولى في (البلد)، أن أرضها الرملية، التي يبدو أنه من المستحيل أن ينبت فيها أي زرع، لها القدرة على إنبات البذور على نحو شديد السرعة، وبكميات وأحجام ضخمة، وسيجدون أن الماء الصالح للشرب، وللزراعة أيضاً، متوافر عن طريق خزان كبير للماء بجوار المنزل يستمد مياهه من مواسير مدقوقة في الرمال تسحب المياه، فيما يبدو، من بئر عميقة.

من خصائص هذا المكان الفريد أيضاً، أن من يعيش على أرضه لا يمكن أن يصاب بالمرض، بل على العكس، فله قدرة على تحسين صحة من كان يعاني من مرض سابق، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالحوادث المفاجئة التي تقع للأبطال، فمثلاً: من يقع أو يسقط أو يصطدم بشيء، لا يصاب بأذى جسدي، وإنما فقط يشعر بألم نسبي في المكان الذي أصيب به.

وبالنسبة للأجهزة الحديثة التي تتيح الاتصالات الخارجية، لا يوجد أي استقبال ولا إرسال من أي نوع بالنسبة للأجهزة الإلكترونية (الهواتف المحمولة، الإنترنت، البث التليفزيوني والإذاعي، البث اللاسلكي بمختلف أشكاله، إلى آخر ذلك).

ومن الأمور التي سيقوم بها أبطالنا وينجحون في تنفيذها، أن فريقاً منهم سيقوم بزراعة مساحات من الأراض المحيطة بالمنزل بغلال وخضروات متنوعة (وتثمر كلها حتى وإن زُرعت في غير موسمها، وبلا أية عناية أو مجهود خاص)، بعد أن يفطنوا إلى أن المخزون من الطعام الموجود في المنزل سيوشك على النفاد.

وفيما بعد، ستؤدي حالة الوفرة الاقتصادية والأمان إلى تحفيزهم على التفكير في قضايا أكبر من مجرد توفير الطعام اليومي؛ من قبيل تحسين نُظم إدارة مجتمعهم الناشئ، وسيكون لديهم الوقت لممارسة أنشطة فنية ورياضية وهوايات متنوعة تكشف عن الجوانب الإبداعية لدى كل منهم، وسيدخل بعضهم كذلك في مناقشات وجدالات حول أسباب وجودهم في هذا المكان، وهل هو

صدفة أم اختيار إلهي، وما هي الحكمة منه، وما ينبغي أن يكون عليه هدفهم الأسمى والأعلى في حياتهم في مجتمعهم الجديد بعد أن توفر لهم الطعام والماء والأمان والمأوى؟

كما ستثور أيضاً مشكلات تتعلق بتوزيع الفائض عن الحاجة من الطعام، والطريقة المثلى لتوزيعه وحفظه وحراسته وتنظيمه، وكذلك حقوق الجميع في الاستفادة من الابتكارات والاختراعات التي يتوصل إليها بعضهم، وستظهر بوادر الأنانية والجشع والاستغلال والفساد، لكن سيكون بمقدورهم، مع ذلك، إدارة هذه النوازع البشرية بطريقة يمكن السيطرة عليها، وسيتفقون على وضع قواعد محددة وواضحة (دستور) يُنظم أنشطة حياتهم، لكن هذا سيحدث بعد أن يثور أولاً جدل ساخن ومحتد حول مصادر وطبيعة هذه القواعد؛ من أين يأتون بها، وكيف ومن الذي يضعها؟ وهل يستعينون بالأديان، وكيف يتم ذلك؟ أم يلجأون للقوانين والدساتير في المجتمعات البشرية الأكثر تقدماً، أم للفطرة البسيطة، أم غير ذلك؟

وسيُضطر أبطالنا إلى الإجابة على العديد من الأسئلة وحل الكثير من المشكلات ليتمكنوا من البقاء والحياة على أرض (البلد)، أسئلة ومشاكل من قبيل: كيف يُقسِّمون العمل فيما بينهم؟ من يفعل ماذا؟ ومن سيقوم بهذا التقسيم وتحديد مهام كل شخص؟ وكيف سيختارونه (يختارون القائد)؟ هل بحكم السن، أم التدين والصلاح، أم القوة، أم العقل الراجح والحكمة، أم الشجاعة والمبادرة بالفعل؟

وسيُجرون، بالطبع، انتخابات فيما بينهم، وسيتعلمون، بعد تجارب وأخطاء، أن يلتزموا ويحترموا نتيجة الانتخابات حتى لو كانت بأغلبية بسيطة (51% مثلاً)، وسيُقرون في النهاية أن الجميع، بمن فيهم الأصغر سناً والغير مصريين، لهم أصوات متساوية وحقوق متساوية.

وفي مرحلة مبكرة، سينقسم مجتمع (البلد) إلى أغلبية ومعارضة، وبعد تجارب عديدة وانقسامات ومشاكل حادة، سيتعلمون أن يلتزم الجميع بالنظام والقواعد الأساسية التي وضعوها في البداية (الدستور)، بغض النظر عن الاختلافات بينهم.

وعموماً، فإن الصراع الكبير في (البلد) الذي سيدور في الموسم الأول، أثناء قيام أبطالنا ببناء مجتمعهم الجديد، سيكون حول كيفية الوصول إلى صيغة تجمع بين: (العدل) و(الحرية) في نظام ديمقراطي متحضر يسمح بالتعايش المتساوي وضمان الحقوق والواجبات لجميع أفراده،

وسيصلون في النهاية إلى هذه الصيغة، لكن ذلك لن يكون بلا تضحيات، حيث سيدفعون ثمناً باهضاً لذلك.

وبالإضافة إلى المشاكل الداخلية في (البلد)، سيواجه أبطالنا أيضاً أخطاراً خارجية، وستبدأ هذه الأخطار المتنوعة في الظهور شيئاً فشيئاً وتتصاعد أكثر فأكثر، فيتم، مثلاً، مهاجمتهم من قبل مُلثمين مجهولي الهوية لأسباب لا يعرفونها، وسيتم سرقة جزء كبير من محصولهم الزراعي وممتلكاتهم في (البلد) دون أن يعرفوا من قام بذلك، إلى جانب أخطار أخرى بعضها أكثر الغرابة.

وأثناء كل الأحداث والتطورات المتلاحقة في (البلد)، لن يكف أبطالنا (على الأقل معظمهم) عن الحلم، والأمل، والعمل أيضاً، من أجل العثور على سبيل للعودة إلى أهاليهم.

ثالثاً: المحاور الأربعة لدراما الموسم الأول

بالنسبة للمَحاور الدرامية التي ستدور فيها حلقات الموسم الأول؛ فستكون المحاور الأربعة التالية (ولكن ليس بوزنٍ متساوٍ لها جميعاً في كل حلقة):

1- المحور الأول: هو الفكرة العامة الرئيسية التي يتناولها الموسم الأول؛ فكرة بناء المجتمع في (البلد)، فعندما يَملّ الأبطال من انتظار النجدة وتفشل محاولاتهم الأولى في العودة أو الاتصال بالعالم الخارجي، سيبدأون في بناء المجتمع الذين سيعيشون فيه إلى ما لا يعلم إلا الله متى؟ وستواجههم كل مشكلات بناء الدولة والمجتمع، والتي يهمنا في هذا المسلسل أن تأتي متزامنة مع ما تواجهه العديد من الأقطار العربية في نفس التوقيت، بعد عقود طويلة من فشل مشروع بناء الدولة بعد استقلالها عن الاحتلال الأجنبي.

وسيكون على أبطالنا (الذين يتنوعون بحسب خلفياتهم الثقافية والسياسية ما بين اليمين، واليسار، والوسط، والإسلام السياسي، والصامتين غير العابئين بالمشاركة أو "حزب الكنبة") أن يقوموا بحل العديد من المشكلات التي تواجههم قبل نجاحهم في بناء مجتمعهم بالإجابة على كثير من الأسئلة والموضوعات، والتي سنختارها بعناية في المعالجة التفصيلية لحلقات الموسم الأول، من قبيل: الحرية وحدودها. كيفية إقامة نظام صارم يلتزم به الجميع بدون الجور على الحرية الفردية. الشفافية والمحاسبة، فكرة المساواة وأن لا أحداً فوق القانون والنظام. كيفية وضع دستور (نظام أساسي بسيط يلتزم الجميع بقواعده)، وهل ينبغي أن يكون دستوراً دينياً أم وضعياً (من

تفكير ووضع البشر)؟ وضع ضمانات دائمة ومستمرة (بغض النظر عن تغير الأشخاص والقادة) تكفل منع الفساد وتحقيق العدل. كيفية اختيار القائد، وحدود سلطاته، وكيفية تغييره إن لزم الأمر؟

وفي سعيهم لتحقيق هذا الهدف؛ أي بناء المجتمع العادل والآمن، سيأخذهم الحماس وقلة الخبرة إلى خوض أكثر من تجربة، فيفشلون مرتين ثم ينجحون في المرة الثالثة؛ سيُجربون الحرية التي بلا ضابط ولا رابط، وسيُجربون أيضاً محاولات فرض العدل بالقوة والقهر، وسيواصلون سعيهم، الذي لن يُكتب له النجاح إلا في الموسم الثاني على يد أبلة سعاد التي ستتولى قيادة (البلد) في نهاية الموسم الأول، فيتوصلون أخيراً إلى صيغة مثالية تجمع بين قيمتي الحرية والعدل بحيث لا تجور إحداهما على الأخرى.

وستلعب قيم العلم والابتكار والإبداع والاختراع دوراً مهماً وحيوياً في الحياة الجديدة لأبطالنا، ليس فقط في الجزء الأول من المسلسل، ولكن في الأجزاء التالية كذلك، وستسير قيم الإبداع والابتكار هذه جنباً إلى جنب مع أهمية قيم العمل والنشاط البدني.

2- المحور الثاني: محور اجتماعي-إنساني، يتمثل في العلاقات الاجتماعية بين الأبطال وبعضهم البعض وتطورها طوال الفترة الزمانية لأحداث الموسم الأول (9 أشهر): الخلافات بينهم، الحب والكراهية، العلاقات بين الإناث والذكور، العلاقات بين المختلفين من حيث الديانة أوالطائفة أوالجنسية أواللون، الاختلافات الطبقية والاقتصادية، التنوعات العمرية بين ثلاثة أجيال متنوعة، والاختلافات الثقافية المترتبة على ذلك.

ستكون كل الاختلافات السابقة مخاطر تهدد الأبطال بمواجهات وصراعات مستمرة، لكنها ستكون هي نفسها فرصاً أيضاً لمجتمع غني وقوي وصحي إذا ما عرفوا كيف يستفيدون من التنوع والاختلاف في إثراء مجتمعهم، إذا ما استطاعوا وضع أيديهم على السر؛ فهم الآخر والتسامح معه وقبوله بكل اختلافاته.

بل إن اسم (البلد) ذاته سينشأ بعد وصولهم لهذه القناعة، فيطلقونه على الأرض التي يحيون عليها حين يفكرون في اسم محايد يستوعب جميع الديانات والطوائف والجنسيات والثقافات والهويات والأعراق ولا يستثني أحداً مادام قد قَبِلَ الحياة في هذا المجتمع بسلام، وقَبِلَ بالآخرين في اختلافاتهم وتنوعاتهم، والتزم بنظامه ومبادئه.

وسنحرص على أن يكون هذا المحور بالذات في إطار من الواقعية، وسيتنوع دراميـاً مـا بـين الكوميـديا أحيانـاً، والميلودرامـا أحيانـاً أخـرى، والرصـد الاجتمـاعي لمشـاكلنا الاجتماعيـة فـي المجتمعات العربية أحياناً ثالثة.

3- المحور الثالث: محور خيالي ناتج مـن الظـواهر الغريبـة التـي يتعـرض لهـا الأبطـال فـي (البلد)، والخصائص الغريبة لهذا المكان الفريد الأشـبه بـالكنز الموفـور الخيـرات، وسـتطرح هـذه الغرابة أسئلة مستمرة عما إذا كان مـا نشـاهده هـو نتيجـة لظـواهر خارقـة للطبيعـة (أشـباح، جـن، سحر، كائنات فضائية من كواكب أخرى، وهلم جـرا)، أم أن لكـل حادثـة أو ظـاهرة غريبـة تفسـير واقعي علمي معقول؟

وسيتواجد الموقفان دائماً بين الأبطال الذين سيميل بعضهم لتفسير ما يحـدث تفسـيراً عجائبيـاً، فـي حـين سـينحاز آخـرون بحكـم تكـوينهم الثقـافي والتعليمـي إلـي التفسـير العقلانـي الـواقعي للظواهر،وسنحرص من جانبنـا علـى أن لا ننحـاز، حتـى آخـر لحظـة، لأي مـن الطـرفين تـاركين المُشاهد يتردد ما بين الموقفين المختلفين فـي التفسـير: التفسـير العجـائبي والتفسـير الـواقعي، فكـل منهما يحمل وجاهته وأسباب قوته.

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا سنحافظ على الدوام على أن تكتنـف المسلسـل العديـد مـن الألغـاز من هذا النوع، وفي كل مرة نجيب فيها على لغز منها ونكشف عن سببه الحقيقي للمُشـاهد، سـتكون الإجابة بمثابة فتح باب للغز أكثر غرابة، وكـأن المشـاهد بـإزاء لعبـة صـندوق الهـدايا الـذي مـا إن يفتحه حتى يجد صـندوقاً أصـغر بداخلـه، والصـندوق الأصـغر يحتـوي صـندوقاً أصـغر وأصـغر، وهكذا.

هذه الألغاز بالإضافة إلى سببها الفني في أن تمنح طابعاً تشويقياً مثيراً للمسلسـل، سـيكون لهـا مضمون مهم أيضاً، حيث ستلعب كرموز متكررة ومستمرة على أن ما يحيا عليه أبطالنا ليس فقـط مجرد قطعة أرض صحراوية منعزلة عن العالم، لكنها كنز ثمين يستحق الاعتنـاء بـه والكفـاح مـن أجل الحفاظ عليه وصيانته، وأن من يفعل ذلك تكافئه (البلد) بإظهار كنوزها وأسرارها الدفينة.

4- المحور الرابع: محور روحاني يتعلق بالتأمل والتفكير في القيم والمعاني الكبرى في حيـاة الإنسان، فبعد مرحلة معينة من تطور المجتمع في (البلد)، وتحديداً بعد أن تتحقق الوفرة في الغذاء،

سيأخذ بعض الأبطال في التأمل والتفكير في قضايا فلسفية من قبيل: ما هي مهمة الإنسان على الأرض، هل سنظل نأكل ونشرب وننام هانئين فقط، أم أن هناك شيئاً آخر أسمى علينا القيام به؟ لماذا جمعنا الله في هذا المكان، ولأي غرض، ولماذا نحن بالذات؟ وغيرها من الأسئلة، لكنها لن تأتي بطريقة فلسفية معقدة ولا متعالية على المُشاهد، بل في سياق المواقف الدرامية والجدل الحواري بين بعض الأبطال الذين تتسم مواقفهم بأنها على طرفي النقيض (مصطفى وحازم، مثلاً).

رابعاً: الديكور الرئيسي وموقع الأحداث الرئيسي في الموسم الأول

ستدور أحداث حلقات الموسم الأول جميعها في مكان واحد لن نغادره طوال الموسم؛ وهو منطقة واسعة من الصحراء محصورة داخل دائرة من الرمال المتحركة، يقع في منتصفها المنزل الغريب الذي تقدم وصفه، بالإضافة إلى بعض التلال والجبال والمنخفضات التي تتناثر في الصحراء، والتي سيخوض بعض أبطالنا من الشباب والتلاميذ مغامرات من أجل استكشافها في سعيهم لمحاولة الوصول إلى العالم الخارجي، فيتعرضون فيها لمشاهدات ومفاجآت عجيبة، لكننا سنظل على الدوام في منطقة الصحراء.

خامساً: الاستراتيجية العامة للسرد في الموسم الأول

خلال أحداث الموسم الأول لن نلجأ لتقنية الفلاش باك للتعرف على ماضي شخصيات أبطال المسلسل، بل سيكون كل التركيز حصرياً على الزمن الحاضر، وعلى صراعات ومواجهات وآمال وإخفاقات وإنجازات الأبطال في بيئتهم الجديدة التي سيستقرون فيها لعدة سنوات.

التركيز على الزمن الحاضر واستبعاد الفلاش باك هو نتيجة لانحياز فني من جانبنا في أن لا تكون هناك "حقيقة موضوعية" ثابتة ويقينية بشأن أبطالنا (تقدمها تقنية الفلاش باك بالضرورة)، بل سيكون هناك "وجهات نظر" ذاتية وشخصية متغيرة ومختلفة من حين لآخر، ومن شخصية لآخرى تجاه بقية الشخصيات، وسنحاول اللعب على "الحيرة" التي يقع فيها المُشاهد بشأن تقييم سلوك وأخلاقيات وكفاءة ونبل الشخصيات المختلفة، التي سيكون مضطراً لمتابعتها في "الحاضر" فقط، والحكم عليها بناءً على ما تقوم به في الزمن الحاضر في (البلد)، واتخاذ موقف ذاتي خاص به حيال الأقاويل ووجهات النظر المتنوعة التي تثيرها بعض الشخصيات تجاه الشخصيات

الأخرى، دون أن يساعده في ذلك معرفته بماضي "حقيقي ويقيني مُحدَّد" يقدمه له أسلوب الفلاش باك.

سادساً: الفكرة الكبرى والهدف العام في الموسم الأول

ينتمي المسلسل إلى ما يُسمى في تقاليد الفن والأدب بالروبنسونيّات (نسبة إلى رواية "روبنسون كروزو" للكاتب دانيل ديفو)، وهي ثيمة وشكل فني مُشوِّق، لكننا نطمح، بالإضافة إلى تحقيق المتعة والتشويق، إلى هدف آخر، لن ندعي بأنه هدف "تعليمي"، لكننا نتجاسر على وصفه بأنه "تنويري"، يُلمِّح أحياناً، ويُصرِّح أحياناً، بالاتجاه المستنير في طريق بناء المجتمع وإدارة الاختلافات، والاستفادة من التنوع كعنصر إيجابي في بناء الدولة، يضيف لقوة المجتمع وصحته وازدهاره.

لكنا سنحرص، في نفس الوقت، على أن يتم التعبير عن هذه الأفكار الثقافية والسياسية (التنويرية) بكل سهولة وبساطة، بطريقة تعتمد على المواقف الدرامية التشويقية من واقع الحياة اليومية لأبطالنا ومغامراتهم وصراعاتهم في (البلد)، وليس بأسلوب خطابي مدرسي أو تلقيني، بحيث تصل بسهولة إلى الشرائح المختلفة من المشاهدين، وبحيث تكون مفهومة حتى لأهالينا البسطاء في نجوع وقرى الريف والصعيد والبادية والصحراء، وبطريقة تعتمد، بجانب التشويق، على استدعاء وقائع قريبة حدثت بالفعل وما زالت ماثلة في ذهن المُشاهد، وعلى السخرية وخفة الظل في أحيان أخرى، وباللغة الواقعية اليومية للشارع المصري والعربي، وخصوصاً لغة الشرائح العمرية من المراهقين والشباب التي يمثلها معظم أبطال مسلسلنا.

سابعاً: الشخصيات الرئيسية في الموسم الأول

(أ)- المدرسات والمدرسون

- **تحية**: منتصف الخمسينيات، وكيلة المدرسة، مسلمة، مصرية: حازمة وقاسية، لكنها تحمل قلباً كبيراً لأم حنون، سيدة عملية تذكرك بربات المنازل المصريات الذكيات، الحازمات، العنيدات، الخبيثات خبثاً طيباً. ستتعرض لتجربة إنسانية تلزم بعدها الصمت لفترة، وستخرج منها أكثر صفاءً وروحانية.

- **سعاد**: أوائل الثلاثينيات، مدرسة الأحياء، مسلمة، مصرية: ذكية، نشيطة ومتحمسة، لكنها ستبدو في البداية منغلقة ومكتئبة ومترددة، لها تجربة مريرة مع زوج متسلط قاس عنيف، وقد انتهت هذه التجربة أخيراً، قبل الرحلة بأسبوعين، بالطلاق منه. بعد أسبوع تقضيه في (البلد) ستكتشف أنها حامل، وستقود المعارضة دائماً في الموسم الأول بغض النظر عن شخص القائد، حساسة تجاه الظلم والاستبداد والفساد، وستتولى القيادة في نهاية الموسم الأول بعد أن يوشك الخراب أن يلحق بـ (البلد).

- **لينا (سيلينا)**: أواخر العشرينيات، مدرسة تربية بدنية (ألعاب)، مسيحية مارونيّة، لبنانية: جميلة وتهتم جداً بشكلها وأناقتها، متعالية، لكن تعاليها هو قناع لخجل فطري، تحمل قلب طفلة شقية وطيبة، وهي عنيدة وحساسة تجاه كرامتها.

- **مصطفى**: أوائل الثلاثينيات، مدرس الرياضيات، مسلم، مصري: مثقف وقارئ نهم، يؤمن إيماناً كبيراً بالحرية، وماهر في اقتراح الأفكار البناءة وفي المناقشات والمجادلات المنطقية، هو أيضاً ساخر وحاضر النكتة، لكنه ضعيف الهمة ومتشائم ولا يُكمل الأعمال التي يبدأها.

- **حازم**: منتصف الثلاثينيات، مدرس التاريخ، مسلم، مصري: حافظ للتاريخ وأحداثه المهمة، لا يقل ثقافة عن مصطفى ودائم المجادلات معه، متحفظ في شخصيته عموماً، محافظ وتقليدي جداً،وشكاك أيضاً على نحو كبير، يحب تلخيص المواقف بعبارات بليغة يحفظها، وهو عكس مصطفى عالي الهمة ولا يستسلم مطلقاً.

- **وجدي**: منتصف الثلاثينيات، مدرس اللغة العربية، مسيحي أرثوذكسي، مصري: قوي ونشيط، متحمس وانفعالي، يحتاج دائماً من يعطي له الأوامر لأنه لا يُبادر بالفعل، هو الرجل الثاني والساعد الأيمن الذي يُعتمد عليه، يحاول دائماً أن يكون إنساناً متحضراً، ولا يخجل من الاعتراف بأخطائه كالأشخاص الأنقياء طيبي القلب.

(ب)- التلاميذ

- **عمر**: 18 سنة، 3 ثانوي، مسلم، مصري: قائد بالفطرة، ذكي ، هادئ، شديد الثقة بنفسه، ينجذب له زملاؤه، له عقلية منطقية، يُبادر بالفعل وقت الحاجة، يمد يد العون للغير، لكنه لا يتدخل في أمور الآخرين، يبدو كما لو كان بارد المشاعر، سريع جداً في اتخاذ القرار ولا يتردد.

- **بَحْريَّة (سعد)**: 17 سنة، 2 ثانوي، مسيحي أرثوذكسي، مصري: قوي ورياضي، مشاكس، عنيف أحياناً، محط إعجاب زملائه، جريء ومُحب للمغامرات، لكنه لا يحفل كثيراً بمساعدة غيره، يحترم الأقوياء، يبدو كمن لا يحمل مشاعر تعاطف مع المهزومين، لكنه في الحقيقة عاطفي على طريقته، وما يجعله يحترم عمر، في داخله، ويُقدّره، أنه يفتقد لسرعة عمر في اتخاذ القرار والتصميم عليه.

- **بوبو (بهجت)**: 19 سنة، أولى ثانوي، ديانته محل خلاف، مصري: بطل مصر في المصارعة الرومانية في فئته العمرية، انضم للرحلة بسبب تفوقه الرياضي، متأخر في الدراسة، قوي البنية جداً، ينفق معظم وقته في العناية بجسده وعضلاته وتمريناته اليومية والبحث عن الأغذية عالية البروتين، محبوب لأنه في أغلب الأحوال مسالم لا يعتدي على أحد ويساعد الضعيف إن احتاج إلى قوته البدنية، لكنه "يزودها" في بعض الأحيان ويشط في إيذاء البعض لأسباب تافهة.

- **كريم**: 16 سنة، أولى ثانوي، مسلم، مصري: بدين، يعشق الطعام ويتفنن في إعداده، ذكي، لا توجد فكرة لا يستطيع انتقادها وإيجاد ثغرات بها، لكنه غير قادر على ابتكار أفكار أصيلة بنفسه، حساس تجاه بدانته المُفرطة، مُجادل وخبيث وميال للانتقام.

- **حسن**: 15 سنة، 3 إعدادي، مسلم، مصري: نوبي، ساخر يسخر من الجميع، ومن كل القيم والأفكار، والمواقف، وحتى من نفسه، في خفة دم تجعله محبوباً من الكل، لكن سخريته لا تخلو من تلخيص صادق للأوضاع.

- **يوسف**: 15 سنة، 3 إعدادي، مسلم، فلسطيني: قارئ ومثقف، يحفظ كثيراً من الشعر، يقترب كثيراً من مستر مصطفى ويصادقه أثناء إقامتهما في (البلد)، بملامحه ونظرته، وروحه عموماً، لمسة أسى وحزن، لكنه أيضاً مُحب للحياة والمغامرة والتحدي.

- **نادر**: 14 سنة، 2 إعدادي، مسلم، مصري: خبيث، شرير في تفكيره، سيموت غرقاً في الرمال المتحركة في اليوم التالي لوصول الأبطال إلى (البلد)، وسيكتشف أبطالنا أنه غافلهم وقام بفعل قذر قبل أن يلقى حتفه.

- **ميدو (محمد)**: 13 سنة، أولى إعدادي، مسلم، مصري: انضم للرحلة بسبب المحسوبية، فأمه هي أبلة تحية وكيلة المدرسة، لديه حساسية تجاه اعتقاد الناس بأن الجميع يحابونه بسبب أمه، يحاول دائماً الابتعاد عن أمه، ويكره اسم (ميدو) جداً، وهو عادي القدرات متوسط المواهب لا يُميزه شيء محدد، إلا كونه مدمن لألعاب الكمبيوتر وماهر فيها، وسيعرف كيف يستفيد من هذه المهارة في خدمة مجتمع (البلد).

- **زياد**: 13 سنة، أولى إعدادي، بهائي، مصري: كسول جداً ويعشق النوم، لكنه ذكي ، له ذاكرة تسجيلية حادة تسجل كل شيء من أول مرة، وهو طيب ومتسامح، ومحب للمرح.

- **محب**: 11 سنة، 5 ابتدائي، مسيحي أرثوذكسي، مصري: عقلية تجارية خطيرة، موهوب في بيع أي شيء لأي شخص، لا يدري أحد من أين يأتي بالأشياء التي يبيعها، قادر على توفير سلع وأشياء غريبة في هذا المكان، وسيبدأ أولاً بالحصول على كل الأموال السائلة التي في حوزة أبطالنا (لسبب غير معلوم)، وحين تنفد أموالهم، سيبادلهم السلع مقابل أشياء ثمينة لديهم أو لقاء خدمات يؤدونها له، له صوت رائع وموهوب في الغناء الشرقي.

(ج)- التلميذات

- **علياء**: 18 سنة، 3 ثانوي، مسيحية كاثوليكية، مصرية: نشيطة ومجتهدة، هادئة في العموم، لكن لديها حس عملي ورغبة في الفوز دائماً، لكنها ستكون محبطة في (البلد) لأنها تود الرجوع إلى أهلها، وحبيبها، ومستقبلها في الجامعة، وسيكون لها دور مهم في بناء (البلد)، تجمع شخصيتها بين عملية المهندس المعماري وفنيته في نفس الوقت.

- **زوزو (زينب)**: 17 سنة، 2 ثانوي، مسلمة، مصرية: خبيثة بعض الشيء، تحب التزام الجانب القوي وتبادر إلى تملقه، طموحة جداً، وتبدو دائماً كما لو أن لديها أجندتها الخاصة السرية، بليغة ومفوهة في الكلام المنمق (قادرة على بلف أي شخص)، لها صوت جميل لكنها لا تغني إلا أجنبي.

- **سلمى**: 16 سنة، أولى ثانوي، مسلمة، مصرية: ذكية، معجبة بأبلة سعاد، ستصبح الصحفية المحترفة في (البلد) التي تثير العديد من القضايا المهمة والتحري عنها.

- **ليلى**: 14 سنة، 2 إعدادي، مسلمة شيعية، عراقية: جريئة ومقتحمة، متمردة، محبة للمغامرة، تجيد رياضات الدفاع عن النفس إجادة ممتازة، صريحة جداً وغير مجاملة، وتتمتع بدرجة عالية من النقاء والطيبة.

- **ميرو (أميرة)**: 12 سنة، 6 ابتدائي، مسلمة، مصرية: جميلة، وذكية، وتتخذ من أبلة لينا مثلاً أعلى لها، وتحاول تقليدها.

- **ياسمين**: 10 سنوات، 4 ابتدائي، مسيحية أرثوذكسية، مصرية: أخت محب (التاجر)، مهووسة بالنظافة والترتيب والتنظيم لدرجة لا تطاق، وستبدأ في تجهيز نفسها منذ الآن بما يلزم العروسة في زواجها.

أبو النمرس

راح رجب يتأمل صفوف الكتب المتراصة بنظام دقيق على أرفف المكتبة الضخمة التي تحتل كامل الحائط الجنوبي لغرفة المعيشة والاستقبال الواسعة في المنزل الصيفي لآل ستامبر، بينما كان هارولد ستامبر، الخمسيني، رئيس إدارة الشرق الأدنى وشمال أفريقيا بوزارة الخارجية البريطانية منهمكاً في إعادة ملء كأس رجب وكأسه بالوسكي السكتلندي البراميلي الفاخر باهظ الثمن من قارورة كبيرة زجاجية مكعبة ذات غطاء زجاجي مدبب، وهو مستمر في شرح الفرق بين "معضلة النفق" و"معضلة القطار" لرجب:

- وهكذا فكما ترى فإن معضلة القطار تتعلق بالجانب الأخلاقي في الاختيار وهل يمكن أن يختار المرء التضحية بالأقلية الموجودة على شريط السكة الحديدية حتى ينقذ الأغلبية من الموت المؤكد إن استمر القطار في مساره، لكن في معضلة النفق تنتفي مسألة حرية الاختيار تقريباً، لأن السيارة المسرعة في النفق من المحتم أن تصطدم بالطفل الواقف أمامها وإلا فإن ركابها سوف يموتون، ويموت الطفل أيضاً إن هي حاولت مفاداته والانحراف يميناً أو يساراً، لأنه حينئذ لابد لها من أن تصطدم بجدران النفق الضيق، فيموت الركاب، ويموت الطفل أيضاً إما لاصطدام الحطام به، أو لاشتعال السيارة بعد الحادث، المهم في الأمر أن النتيجة في النهاية هي كارثة على الجميع، تماماً مثل الحالة المصرية الآن على الأرجح.

أثناء حديث هارولد ستامبر، لفت نظر رجب بشدة وجود كتب عربية ضمن صفوف مكتبة المنزل الصيفي لآل ستامبر، ميَّز منها بسرعة قبل أن يلتفت لهارولد ستامبر ليتناول من يده الممدودة كأسه بعد إعادة الملء:

والآن أتكلم لخالد محي الدين، مجرد ذكريات لرفعت السعيد، التاريخ الذي أحمله على ظهري لسيد عويس، رحلة عمر: ثروات مصر بين عبد الناصر والسادات لرشدي سعيد، ذكريات من حياتي لعبد العظيم أنيس، كنت نائباً لرئيس المخابرات لعبد الفتاح أبو الفضل، مذكرات طالب بعثة للويس عوض، رجال ريا وسكينة: سيرة اجتماعية وسياسية لصلاح عيسى، مذكرات نجيب الريحاني لنجيب الريحاني، عُمر في العاصفة: سيرة ذاتية لأحمد عباس صالح.

ونحن من جانبنا نخمن أن رجب كان واقفاً أمام ركن التراجم والمذكرات والسير الشخصية

في المكتبة الضخمة المتراصة كتبها بنظام دقيق في حجرة المعيشة وصالة الاستقبال الواسعة بالمنزل الصيفي لآل ستامبر بمقاطعة كِنت الريفية التي تقع جنوب شرق لندن وُتلقب بـ "حديقة إنجلترا" لانتشار بساتين الفواكه بها وحدائق الأزهار وتبعد عن لندن مسيرة ساعة وربع تقريباً بالسيارة؛ هذا إن سلكت أقصر الطرق المباشرة من لندن إلى كِنت، وليس الطرق الالتفافية كالتي فرض مثلها الاحتلال الإسرائيلي على سكان فلسطين، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن إحدى صديقات سامح شكري الفلسطينيات قد توفي والدها عندما داهمته أزمة قلبية فأسرعوا بمحاولة نقله إلى أقرب مستشفى لإنقاذه، لكنهم اضطروا للسير في الطرق الالتفافية الاحتلالية الإسرائيلية من قريتهم طيبة في رام الله إلى أقرب مستشفى بالجوار، ومما زاد من فداحة المأساة أن أحد ضباط الاحتلال الإسرائيلي في أحد الحواجز الإسرائيلية قد تعمد تأخيرهم، وهو يعلم الحالة الحرجة للمريض، حتى لفظ المرحوم كنعان أنفاسه الأخيرة على الحاجز.

انضم رجب وهارولد ستامبر إلى إلزابث ستامبر ومَرجريت، وكانت إلزابث ستامبر ُتذكر رجب بجلوريا سوانسن في فيلم (شارع الغروب) لبيلي وايلدر؛ خصوصاً بعينيها الجاحظتين وطريقتها في التحديق في متحدثها، والشيء بالشيء يُذكر، كان هارولد ستامبر نفسه يُذكر رجب بسيسيل دي ميل، المهم، كانت مَرجريت وإلزابث ستامبر ما زالتا بعد في كأسيهما الأول ترشفان منه في بطء وعلى مهل، على عكس رجب وهارولد ستامبر اللذان أفرغا كأسيهما الأول بسرعة إفراغ بلاعة سالكة وواسعة للماء القذر.

كانت إلزابث ستامبر، الخمسينية، الممشوقة القوام، ذات الشعر البني الفاتح الآلا جارسون، تتحدث بمنتهى الهدوء ورباطة الجأش عن فيديو شاهدته في الصباح لقتل وسحل الشيخ حسن شحاتة والتمثيل بجثته هو وثلاثة مصريين آخرين من المنتمين للمذهب الشيعي، في قرية أبو مسلم في مركز أبو النمرس بمحافظة الجيزة المصرية، من قبل أهالي القرية من الفلاحين، هدوء ورباطة جأش كأنها تتحدث عن حالة الطقس وتوقعاته، بالرغم من بشاعة الصور في الفيديو المذكور، في حين كانت أمارات الحزن والانفعال تعلو وجه مَرجريت؛ ولعل مرد هذا أنها قضت بضع سنوات في مصر وعاشرت المصريين، بالرغم من أن منصبها الرسمي في وزارة الخارجية البريطانية كمتحدث رسمي باللغة العربية كان يحتم عليها الهدوء ورباطة الجأش، بل والبرود الانفعالي والبلادة العاطفية، عند تناول الموضوعات العامة والشؤون الدولية، كحال إلزابث ستامبر

زوجة هارولد ستامبر رئيس إدارة الشرق الأدنى وشمال أفريقيا بوزارة الخارجية البريطانية.

قالت إلزابث ستامبر:

- بشع! رأيتهم يقتلون الرجال ويجرونهم من أقدامهم عبر شوارع القرية! كانوا فلاحين! لا يتصور المرء كيف يمكن للمصريين أن يصلوا إلى هذا المستوى من العنف! وزوجات الفلاحين كن يطلقن من أفواههن ذلك الصوت الذي يصدرنه تعبيراً عن السرور في مناسبات الزفاف.

- زغرودة.

أوضحت مَرجريت، قائلة "غرودة" بالعربية.

- زاجروتا؟!

- نعم.

قال هارولد ستامبر وعلامات البرود على وجهه:

- الشيء الغريب أننا نعرف عن الفلاحين المصريين الوداعة وأنهم مسالمون للغاية، كيف وصلوا إلى هذا المرحلة من العنف، قتل وتمثيل بجثث في الشوارع!

- إنه الدين يا مستر هارولد!

علق رجب ببرود لا يقل عن برود هارولد ستامبر.

- ولكننا نعرف أن الإسلام لا يجيز هذه الأفعال، أليس كذلك؟!

- إنها النسخة السلفية من الدين، للأسف أن المجتمع المصري قد تغير بعد الانفتاح في عهد السادات، كيمياء المجتمع تغيرت ولم تعد مصر كما كانت، الدين الآن، وبنسخته السلفية، متغلغل في أعماق المجتمع، وخصوصاً في الريف والصعيد.

- نعم، سمعنا وقرأنا عن هذا.

- يكفي أن يقول شيوخ الإخوان أو السلفيين يمين فيذهب المصريون يميناً، أو شمال فيذهب

المصريون شمالاً، وهذا واضح في كل نتيجة لانتخابات جرت في مصر مؤخراً، من أول الاستفتاء على الإعلان الدستوري بعد الثورة حين قال الإخوان والسلفيون من يقول نعم سيدخل الجنة ومن يقول لا سيذهب إلى النار...

قاطع هارولد ستامبر رجب قائلاً بصيغة السؤال الذي ما هو بسؤال:

- إعلان طارق البشري، أليس كذلك؟!

- نعم، وفي كل استفتاء أو انتخابات بعد ذلك، حتى إن انتخاب مرسي نفسه كان مفاجأة للجميع! الرجل ضعيف جداً، أضعف من أن ينجح حتى في انتخابات مدرسة! لكن التيار الإسلامي حشد المصريين كلهم وراءه، من يقول نعم في الجنة ومن يقول لا في النار.

رشف هارولد ستامبر من كأسه، وقال ببرود:

- نحن نعلم مدى انتشار الأفكار الدينية والتيار السلفي في مصر، لكن كنا نتوقع من التيار المدني أن يحاول تغيير موازين القوى بعض الشيء، خصوصاً بعد 25 يناير.

رد رجب بسرعة:

- التيار المدني ليس له تأثير يذكر في المعادلة في مصر، لا تنخدع بصوتهم العالي على وسائل التواصل الاجتماعي وفي الإعلام، تأثيرهم يقتصر على المثقفين والفنانين في القاهرة، وربما في المجتمع المسيحي أيضاً، خارج هذا النطاق تأثيرهم تقريباً صفر، قوتهم صفر في الريف والصعيد والمدن الحدودية وباقي المدن المصرية، وهذا هو الأهم، هؤلاء هم من يذهبون لصناديق الانتخاب في النهاية، هذا بالإضافة إلى أن معظم التيار المدني نفسه يا سيدي متدين أيضاً! إن معظمهم من الريف والصعيد ويحملون بداخلهم النسخة الأخف من السلفية، هي ليست السلفية الجهادية، لكنها سلفية بشكل أو بآخر.

قال هارولد ستامبر:

- من الصعب أن تجد فلاحاً ملحداً.

وقالت إلزابث ستامبر:

- وكذلك الجراحين، من الصعب أن نجد جراحاً ملحداً، طبيعة العمل تجعلهما في مواجهة يومية لمعجزة الخلق.

كانت مَرجريت تهز رأسها مؤيدة لرأي رجب وهو يتحدث عن التيار المدني في مصر، ثم أعادت دفة الحديث إلى التيار المدني مرة أخرى بالقول:

- التيار المدني في مصر، عدد كبيرة من قياداته طلب من المصريين انتخاب مرسي، وأن يعصروا ليمون على أنفسهم وهم يفعلون ذلك، هذا تعبير مصري عن قيام المرء بشيء يكرهه مضطراً.

علقت إلزابث ستامبر، التي كان واضحاً أنها متابعة للشأن المصري عليمة به:

- كانوا خائفين من فوز المرشح المدعوم من الجيش وأن يعود نظام مبارك للسلطة من جديد.

- صحيح.

أيد هارولد ستامبر تعليق زوجته.

بينما حاول رجب أن يدعم مَرجريت، فقال مبتسماً:

- هناك نكتة سمعتها من صديق روسي هنا في لندن قد ترسم صورة جيدة للعلاقة بين الإسلاميين في مصر والتيار المدني.

ونظر نظرة اعتذار نحو إلزابث ستامبر قائلاً:

- لكن أخشى أنها خارجة بعض الشيء!

ضحكت إلزابث ستامبر، وقالت:

- كل النكات خارجة يا عزيزي، هذا هو طبيعة النكات، قلها ولا تقلق.

فقالها رجب باللغة الإنجليزية طبعاً، والتي أصبح فيها ضليعاً الآن، لكننا سنستأذن القارئ/ة الكريم/ة في بعض سعة الصدر، لأننا نفضل إيرادها في هذا المقام باللهجة المصرية، فدمها أخف

بالعامية المصرية.

قال رجب:

- فيه صياد راح الغابة يصطاد، فشاف دب كبير جداً، فقام مطلع البندقية بتاعته ومنشن عليه وضارب، اختفى الدب فجأة، فالصياد جري ناحية الدب، دوّر عليه مالقاهوش، شوية ولقى اللي بيخبط على كتفه، التفت، لقى الدب واقف وراه بيقوله:

"بص يا عم إنت ضربتني بالنار وانا مامتش، دلوقتي بقى الدور عليّا انا، فقدامك حل من اتنين، يا إما أكلك، يا إما أنيكك."

فطبعاً الصياد اختار إنه يعيش.

الصياد روح البيت زعلان جداً، إزاي الدب يعمل فيّا كده، وراح تاني يوم جايب بندقية أكبر، وراح الغابة وهو مصمم إنه ينتقم من الدب، شوية وشاف الدب واقف في نفس المكان، صوب عليه البندقية وضربه بالنار، وطلع يجري ناحيته وهو فرحان إنه قتله، بص مالقاش الدب، ولقى اللي بيخبط على كتفه من ورا، التفت، لقى الدب بيقوله:

"بص يا حلو بقى إنت عارف الاتفاق اللي بينا!"

المهم الدب ناكه تاني، الصياد روح البيت زعلان جداً، إزاي الدب ابن الكلب يعمل فيّا كده مرتين ورا بعض، أنا لازم انتقم منه، فراح جايب مدفع رشاش، وراح الغابة تاني يوم في نفس المكان، لقى الدب واقف، قام مطلع المدفع الرشاش ومخلصه كله في الدب، جري على المكان وهو فرحان إنه أخيراً قتل الدب، بيبص على الدب مالقاش الدب، لقى اللي بيخبط على كتفه من ورا، التفت، لقى الدب بيقوله:

"الله! ده انت شكلك مش جاي تصطاد بقى!"

وإن كنت لا تصدقنا في أن العامية المصرية ألذ في حكي مثل تلك النكات، وهذا من حقك بالطبع، فإليك النكتة في صيغتها الإنجليزية، ننقلها إليك بكل أمانة عهدتها فينا، وكما رواها رجب حرفاً حرفاً:

- A bear hunter goes deep into the woods. Suddenly, he sees an enormous bear. The hunter raises his gun, and, bang, he shoots. The bear disappears from view. "Got him!" he thinks. But then he feels a tap on the shoulder. He looks up to see the bear, who says: "No one takes a shot at me and gets away with it"! "You have a choice, either I can tear you to pieces and devour you now, or you can drop your trousers, bend over, and let me have my way with you". The hunter pulls down his trousers, and the bear does his worst.

Afterwards, the hunter hobbles into town somewhat bow-legged, and he buys a much bigger gun and goes back into the woods. And it isn't long before he sees the bear again. He raises his gun, bang, fires .But when the smoke clears the bear's nowhere to be seen. "Got him," the hunter thinks. But a moment later, he feels another tap on his shoulder, and the bear says: "You know what to do".

Now, after the bear's done his worst, the hunter heads back in town again and buys a bazooka. He goes back into the woods, he sees the bear, he takes aim and fires. Boom! But when the smoke clears, the hunter looks up to see the bear standing over him, and the bear says: "You're not in this for the hunting, are you!"

ضحك الأربعة؛ وقد لاحظنا أنهم قد ضحكوا ضحكاً عالياً، طويلاً مستمراً، مع انحناءات من جذوعهم ذات اليمين وذات الشمال، وهو ما ليس معتاداً لدى العاملين في السلك الدبلوماسي، الذين عودونا على أن ضحكهم يكون متحفظاً ومن بين الأسنان والضروس، وهذا دليل، ولا شك، على حسن اختيار رجب للنكتة وذكائه في هذا المقام.

بعد انتهاء الضحك، سأل هارولد ستامبر سؤالاً ليس موجهاً إلى أحد بالذات، قال:

- ولكن كيف بدأ كل هذا؟! ما السبب؟!

تصدى رجب فوراً للإجابة بكل ثقة، فقد كانت لديه المعلومات، التي استقى أغلبها من مكالمة هاتفية طويلة ليلة أمس مع العقيد يونس في القاهرة، قال:

- قبل الحادث البشع بيومين قام الداعية الإسلامي عاصم عبد الماجد بالتحريض ضد الشيعة في مصر في برنامجه التلفزيوني الذي يحظى بنسبة مشاهدة عالية للغاية.

- حقاً!

هكذا تساءلت إلزابث ستامبر بدهشة ما هي بالدهشة، فقد كانت أقرب إلى الاستنكار، ولك أن تعذرنا لأننا نجد صعوبة بعض الشيء في وصف انفعالات هذه الطائفة من الناس الذين ينتمون إلى عالم التحفظ الإيمائي والانفعالي.

وأضافت مَرجريت:

- الجو العام الآن في مصر يشجع على الإرهاب والعنف، الرئيس نفسه قام بتعيين أحد قتلة السادات محافظاً لمدينة الأقصر، واستضاف باقي قتلة السادات الذين على قيد الحياة في خطابه في ستاد القاهرة بمناسبة الاحتفال بنصر 6 أكتوبر على إسرائيل، حتى أن أعلام القاعدة رُفعت يومها في الاستاد!

- نعم، صحيح، لقد فوجئنا بهذا نحن أيضاً.

علق هارولد ستامبر بامتعاض، أو على الأقل نمى إلى علمنا بأنه كان أقرب إلى الامتعاض.

- شيء مؤسف!

قالت إلزابث ستامبر.

قال هارولد ستامبر، بعد أن شعر بروح الإحباط والكآبة قد سادت الجو:

- لكننا مع ذلك نثق في أن مصر سوف تنهض من هذه العثرة، ونتمنى أن يستطيع المصريون تبين الطريق في آخر هذا النفق المظلم.

ووجدها رجب فرصة لاستعراض معلومة، أوشائعة، نمت إلى علمه من أكثر من مصدر، بمن فيهم العقيد يونس نفسه، وغير العقيد يونس ممن لا نعرفهم، فالولد حريص غاية الحرص، ومتكتم أشد التكتم فيما يتعلق بمصادره التي يحصل منها على المعلومات في القاهرة.

قال:

- هناك شائعة قوية تسري في مصر هذه الآيام، سمعتها من أشخاص كثيرين، أن هناك انقلاباً عسكرياً سوف يحدث في مصر في الأول من مايو!

- لماذا الأول من مايو بالذات؟!

سألت إلزابث ستامبر.

رد رجب:

- عيد العمال!

وضحك رجب، وضحكوا جميعاً.

قال هارولد ستامبر:

- سفارتنا في القاهرة أعلمتنا بهذه الإشاعة بالفعل، هل تظن أن الجيش إذا كان مزمعاً أن يقوم بانقلاب أن يُسرِّب إشاعة مثل هذه؟

رد رجب:

- ربما هي بالونة اختبار لقياس مدى تأييد الرأي العام لانقلاب عسكري، ومعرفة من سيكون مع ومن سيكون ضد.

ضييق هارولد ستامبر عينيه مفكراً لثوان، ثم تمتم قائلاً:

- ممكن جداً، وممكن أيضاً أن تكون بالونة اختبار لقياس مدى تأييد فكرة الانقلاب داخل الجيش نفسه! فكما تعلم يا عزيزي أن الجيش المصري ليس شيئاً واحداً.

عبارة "الجيش المصري ليس شيئاً واحداً" أصابت رجب بصدمة، بالرغم من أنه كان يؤمن ويصدق في نفس هذه الفكرة، لكنه لم يحاول من قبل أن يصوغها في جملة واحدة بليغة، وبعد أن جالت الفكرة في نفسه جيئة وذهاباً، وبعد أن استحضرت معها بعض الأمثلة من هنا ومن هناك من التجارب الشخصية لرجب نفسه ومما سمعه من آخرين أيضاً، أيدت فكرة "الجيش المصري ليس شيئاً واحداً" نفسها في نفس رجب، الذي قال:

- نعم هذا صحيح، سلاح الطيران مثلاً كان في 25 يناير من المؤيدين لمبارك، وأتذكر أني قرأت في بعض كتب التاريخ أن سلاح الطيران كان مؤيداً كذلك للملك فاروق ضد ثورة يوليو، وقاموا في كلتا الحالتين بطلعات جوية في سماء القاهرة والإسكندرية لإظهار هذا ولإخافة خصوم النظام.

- صحيح، هناك أيضاً حقيقة أن عدداً كبيراً من ضباط الصاعقة المصريين هم الآن قادة كبار في القاعدة وفي داعش، وفي الكثير من الجماعات الجهادية في أفريقيا، نحن متأكدون من هذا، التطرف مستشري عندكم في سلاح الصاعقة.

"عندكم" ضايقت رجب أيما مضايقة؛ فما شعر به داخل نفسه، ونحن على يقين من هذا، رغم أن وعيه رفض الإقرار والتسليم به، أنه قد فشل حتى الآن في يصبح واحداً من هؤلاء القوم، وأنهم لم ينسوا بعد أنه مصري دخيل عليهم فلاح من وراء الجاموسة.

قال رجب بغيظ واضح:

- معظم ضباط الصاعقة من الفلاحين المتدينين، ثقافة الفلاحين مرة أخرى يا سيدي! ملعونة ثقافة الفلاحين!

دائرة الجحيم

أعد سامح لنفسه كأساً من براندي رأس العبد المصري ممزوجاً بالسفن أب؛ الثلث رأس العبد والثلثين سفن أب، وكان حينها يفكر في ما إذا كان من الأفضل؛ الأفضل بالنسبة له طبعاً، أن يكلم المخرج حمادة عفيفي في التليفون، أم يرد عليه بإيميل فقط؟

والموضوع وما فيه، كما علمنا، أن المخرج أحمد عفيفي، المعروف بين أصدقائه ومحبيه بحمادة عفيفي، كان قد طلب من سامح كتابة سيناريو أول فيلم طويل يخرجه، وقال له إنه سيقوم بإنتاج الفيلم بنفسه، بعد أن يبيع قطعة أرض في البلد؛ التي هي كفر شكر، القريبة من بنها، بمحافظة القليوبية بمصر، والتي هي نفسها أيضاً موطن الزعيم اليساري الكبير خالد محي الدين، وكانت الفكرة التي في رأس المخرج أحمد عفيفي هي عن شاب لاه دون جوان كثير العلاقات، تحبه جارته الشابة المتعلمة المثقفة التي نشأت معه منذ الصغر، تحبه حباً في صمت، وهو غير منتبه ولا واع لمشاعرها تلك، ويعاملها معاملة الأخت والصديقة وموطن أسراره وكاتمة أخباره التي يبوح لها بكل مغامراته العاطفية أولاً بأول، ثم تضطر تلك الفتاة أخيراً للزواج من ابن عمها الذي يعمل في تجارة الاستيراد من الصين، وحينها فقط، يبدأ صاحبنا الدون جوان هذا في الشعور بالحب تجاهها، ثم تتلاحق الأحداث، وكان المخرج أحمد عفيفي قد اختار عنواناً تجارياً جذاباً للفيلم هو (خطيب مراتي).

ورحب سامح بفكرة كتابة السيناريو فوراً، لعدة أسباب؛ منها على سبيل المثال لا الحصر: أن المخرج أحمد عفيفي هو صديقه، ويعد بمثابة تلميذه، وسيسعده أن يكتب له الفيلم الأول الذي سيقوم بإخراجه، وأزمع أن يحشد في هذا السيناريو كل خبرته الفنية وصنعته الحرفية لكي ينجح الفيلم نجاحاً تجارياً أولاً، ثم يحظى بالإشادة النقدية، على الأقل ببعض الإشادة النقدية، أما ثاني هذه الأسباب فكانت حاجة سامح الملحة للمال، خصوصاً بعد فشل مشروع مسلسل (البلد) الذي اتفق عليه مع حنان ترك؛ صاحبة الفكرة، والمنتج أمين عطية، الذي سبق له إنتاج مسلسل حنان ترك الأخير (نونة المأذونة).

والموضوع وما فيه، كما علمنا، أن حنان ترك، والمنتج أمين عطية، والمخرجة منال الصيفي، كانوا قد تحمسوا جميعاً أشد الحماس وفرحوا جميعاً أكبر الفرحات بالمعالجة الدرامية

التي كتبها سامح للمسلسل، وطلب منه المنتج أمين عطية البدء في كتابة حلقتين من المسلسل لكي يستطيع أن يروجه في دول الخليج ويأتي بالمال اللازم من هناك لإنتاجه، فقام سامح بالفعل، وفي فورة حماسته، بكتابة ثلاث حلقات، لا حلقتين فقط، وسلمهم لأمين عطية، وسلم نسخة لحنان ترك، وأخرى لرجاء الجداوي؛ التي شاركت حنان ترك في ابتكار فكرة المسلسل، وأعجبوا جميعاً أيما إعجاب بالكتابة، ثم مات الموضوع موتاً إكلينيكياً، فمرت شهور دون رد من المنتج أمين عطية، رغم محاولات سامح الكثيرة للاتصال به، وحين حاول أخيراً الاتصال بحنان ترك؛ التي كان من المقرر أنها ستقوم بنفسها بزيارة دبي لكي تأتي بالمال من هناك لأنها واسعة العلاقات كثيفة الصداقات بالمنتجين ورجال الأعمال الإماراتيين، لكي يعرف منها إلام وصلت الأمور في عملية الإنتاج؟ لم ترد حنان ترك على اتصالاته، فعرف حينها أن المشروع قد مات، وحزن كثيراً بالطبع، بالرغم من علمه بحقيقة أنه: في مجال الإنتاج السينمائي والتلفزيوني، من كل خمس مشاريع يكون المنتج والنجم فيها جادين ومتحمسين، ينجح مشروع واحد فقط ويرى النور، بينما تجهض الأربعة الأخرى لأسباب وظروف هيكلية بنيوية لا دخل للجدية ولا للحماس ولا لحسن النية فيها.

وقد علمنا أن سامح لم يتقاض مليماً واحداً حتى كتابة هذه الجملة نظير كتابة الثلاث حلقات الأولى من مسلسل (البلد)، بالرغم من حرصه على ألا يخط حرفاً واحداً في سيناريو إلا بعد التوقيع أولاً على العقد وتقاضي نسبة 10% من قيمة التعاقد، ولعل هذا التساهل الكبير والغير مسبوق من قبله، كان نتيجة ثقته الزائدة، واحترامه الزائد، وحبه الزائد، لحنان ترك، ورجاء الجداوي؛ التي شاركت حنان ترك في ابتكار فكرة المسلسل.

وقد علمنا أيضاً أن سامح لم يعمل منذ تلك الأيام، وبالتالي لم يتقاض أي أجر عن أي كتابة منذ تلك الأيام، لأنه تفرغ تماماً لكتابة الثلاث حلقات الأولى من مسلسل (البلد)، ثم تفرغ بعد ذلك لكتابة المعالجة الدرامية، وكتابة النسخة الأولى من سيناريو الفيلم الروائي الطويل الذي طلبه منه زميله المخرج محمد حمدين صباحي؛ ابن المرشح الرئاسي السابق حمدين صباحي.

والموضوع وما فيه، كما علمنا، أن المخرج محمد حمدين صباحي كان قد عرض فكرة لديه عن فيلم عن الأرق على سامح وطلب منه كتابة السيناريو، وهو الفيلم الروائي الطويل الأول الذي كان محمد حمدين صباحي سيقوم بإخراجه، وعلى ما يبدو لنا أن المخرج محمد حمدين صباحي

كان متأثراً بفيلم آل باتشينو (إنسومنيا)، أو لعله كان يعاني من حالة أرق مزمنة عقب أحداث 25 يناير 2011، أو لعلهما كلا السببين، المهم في الموضوع أن سامح وقتها كان خالي شغل، وكان خالي مال، وأتى العرض في أعقاب إحجام حنان ترك عن الرد على تليفوناته، فقال سامح في نفسه إن محمد حمدين صباحي، ولا بد، لديه إنتاج للفيلم، وأن أجره عن الكتابة لن يتأخر كثيراً، فمحمد حمدين صباحي كان ابن حمدين صباحي المرشح الرئاسي وقتها لرئاسة جمهورية مصر العربية، ولا بد أن بعض المنتجين، على الأقل بعض المنتجين، ولا نقول كلهم لإن الإنتاج السينمائي كان متوقفاً تماماً أيامها، سيتحمسون لإنتاج أول فيلم روائي طويل لابن الرئيس المُحتمل القادم لجمهورية مصر العربية، بالرغم من توقف عجلة الإنتاج السينمائي لانشغال الناس ببرامج التوك شوز التلفزيونية وما يحدث خلالها من صراع الديوك الصفري، لكنه هكذا قال في نفسه، ونحن ننقل لك ما دار في نفس سامح بكل أمانة عهدتها فينا.

وكالعادة، رغب سامح في رفع القيمة الفنية للمشروع، فبدلاً من نسخ فيلم آل باتشينو كما هو، اقترح على المخرج محمد حمدين صباحي أن يكتب معالجة سينمائية تدخل بعض الشيء في نطاق نوعية الخيال، ونوعية الساي فاي؛ أي الخيال العلمي، وهو نوع جديد على السينما المصرية والعربية، ونوع جديد على سامح أيضاً لم يسبق له الكتابة فيه، وتحمس المخرج محمد حمدين صباحي في البداية، حين روى له سامح فكرة الفيلم: شاب في أواخر العشرينيات من عمره، اكتشف أنه حين يمنع عن نفسه النوم ويظل مستيقظاً لأسبوع كامل، يُكوِّن الدم في جسمه عنصراً غريباً شاذاً، سماه سامح "العنصر إكس"، وهذا العنصر قادر على إنامة أي شخص يعاني من مرض الأرق المزمن، وهكذا يمتهن هذا الشاب هذه المهنة، ويروح يمنع النوم عن نفسه لأيام متواصلة، ثم يسحب بعضاً من دمائه، ويخلطها مع عصير البرتقال، ثم يبيع العصير السحري لبعض المؤرقين في القاهرة بعد 25 يناير؛ من شرائح عمرية وطبقية وفكرية ومهنية متنوعة، لكي يمنحهم النوم، مقابل مبلغ شهري زهيد من كل منهم يساعده على مواجهة تكاليف الحياة، واختار سامح اسماً للفيلم هو: "النَّوَّام".

وكانت للفكرة بذرة شبه علمية، حيث علمنا أن سامح قد استقاها من قرائته لكتاب (ألكسندر بوربلي، أسرار النوم، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1992)، وتحمس لها كثيراً، خصوصاً أنها ستجعله يطرق،

ولأول مرة في حياته المهنية الكتابية، نوعية الساي فاي والخيال العلمي والفانتازيا، كما حَمَّسه أيضاً موضوع أن النَّوَّام سوف يقابل عدة شخصيات متنوعة من زبائنه خلال الفيلم، وعلى هذا فستكون الفرصة سانحة لدمج نوعية أفلام الرحلة،مع نوعية أفلام الشخصيات، مع نوعية أفلام الساي فاي؛ أي ثلاثة عصافير في فيلم واحد.

وعلينا القول بإننا قد استطعنا الحصول على نسخة من المعالجة الدرامية التي كتبها سامح للفيلم وقدمها للمخرج محمد حمدين صباحي، الذي تحمس لها أيما حماس وفرح به أشد الفرحات، وطلب من سامح أن يشرع فوراً في الكتابة الأولى للسيناريو الفعلي، بل وحصلنا أيضاً على الكتابة الأولى للسيناريو الفعلي نفسها، التي كتبها سامح للمخرج محمد حمدين صباحي، دون أن يتقاضى أي أجر، بالرغم من حرصه على ألا يخط حرفاً واحداً في أي سيناريو إلا بعد التوقيع أولاً على العقد وتقاضي نسبة 10% من قيمة التعاقد، لكننا للأسف لن نستطيع عرض لا المعالجة الدرامية ولا الكتابة الأولى للسيناريو الفعلي في هذا المقام خشية الرجوع علينا باللوم أو بالتعويض أو بكليهما، فلا يخفى عليك أن حقوق المؤلف وما توفره من حماية للمؤلف بعض الشيء تمنع هذا الفعل؛ فقد قام سامح بتسجيل العمل في إدارة حقوق المؤلف بالمجلس الأعلى للثقافة برقم إيداع (1257).

ولعل التساهل الكبير والغير مسبوق من قبل سامح بخصوص مستحقاته المالية قبل الشروع في العمل الفعلي والكتابة، والذي لم يسبق له أن قام به إلا في مشروع مسلسل (البلد) لحنان ترك ورجاء الجداوي وأمين عطية، كان نتيجة ثقته الزائدة، واحترامه الزائد، وحبه الزائد، للمخرج محمد حمدين صباحي الذي طلب منه البدء في كتابة السيناريو قبل توفر الإنتاج للفيلم.

ثم توقف المشروع فجأة بعد هذا ومات بالسكتة القلبية، وشعر سامح أن المخرج محمد حمدين صباحي ربما لم تعجبه الكتابة الأولى لسيناريو الفيلم، أو لعله وجد أن تنفيذ السيناريو بهذا الشكل سيكون أكبر من طاقته، وأنه يريد شيئاً سهلاً ميسوراً بسيطاً في أول إخراج روائي طويل له، أو لعله سبب آخر لا نعلمه، المهم في الموضوع أن المشروع قد مات والسلام.

ونحن من جانبنا نميل إلى الظن بأن سامح نفسه قد رجح أن المخرج محمد حمدين صباحي قد خاف من السيناريو، دليلنا على هذا أن المنتجة السينمائية إسعاد يونس؛ رئيسة مجلس إدارة الشركة

العربية للإنتاج السينمائي، قد قالت مرة لسامح، تطييباً لخاطره، وفي مقام الاعتذار: "مش عارفة ليه يا ابني الممثلين بيخافوا من السيناريوهات اللي بتكتبها!" وكان هذا بمناسبة الموت الإكلينيكي لسيناريو قدمه للشركة العربية للإنتاج السينمائي، وتحمست له المنتجة إسعاد يونس أيما تحمس وفرحت به أشد الفرحات، بعنوان (الطيب والشرس)؛ وهو عن شاب مصاب بانفصام في الشخصية؛ طيب وشرس معاً في آنين مختلفين، كما هو ظاهر من اسم الفيلم، وكان من المقرر أن يقوم ببطولته؛ في كلتا الشخصيتين، الممثل السوري تيم الحسن؛ الذي تحمس في البداية لفكرة الفيلم التي طرحتها عليه المنتجة إسعاد يونس وفرح بها أشد الفرحات، ثم غير رأيه بعد قراءة الكتابة النهائية للسيناريو الذي كتبه سامح.

وهكذا، فحين عرض المخرج أحمد عفيفي على سامح كتابة فيلمه الروائي الأول، تحمس سامح كما تقدم، لأنه كان خالي مال، وخالي وفاض، وخالي إنجاز مهني، وخالي أشياء كثيرة أخرى نعف عن ذكرها رأفة بحاله ومشاعره النفسية وانفعالاته العاطفية، لكنه في هذه المرة قرر أن يطبق مبدئه الأصيل في المهنة، وأن يفتح موضوع الأجر مع المخرج أحمد عفيفي، الذي كان ذا طبيعة تجارية، نتيجة الثقافة العائلية ونتيجة الدراسة في كلية التجارة، ولقطها فوراً المخرج أحمد عفيفي وهي طائرة، فطمأنه بأنه سيتعاقد معه تعاقداً رسمياً، ويعطيه مبلغ العشرة بالمئة المقدم، لكنه من ناحية أخرى اعتذر له بأنه لن يمكنه أن يعطيه أجره العادي في السوق، وكان وقتها مئة ألف جنيه مصري عن السيناريو الروائي الطويل، لأن فلوس الأرض التي سيبيعها في كفر شكر لن تكفي لإنتاج الفيلم إن هو أعطى كل شخص أجره العادي في السوق، وأنه لن يمكنه أن يعطيه إلا أربعين ألفاً فقط، وقبل سامح، ليس فقط لحاجته الملحة والماسة والضرورية للمال، ولكن لأن الأمر كان بمثابة عرف وتقليد وقانون غير مكتوب لكنه يحظى باحترام الجميع في الوسط السينمائي؛ أن من يقوم من أهل المهنة بأول إنتاج له، أو أول إخراج له، يجب على الجميع من الزملاء مجاملته بألا يأخذوا أجرهم كاملاً عن عملهم أياً كان نوعية العمل من أول المؤلف إلى الممثلين والممثلات والمساعدين والمساعدات والمصورين والمصورات والماكييرين والماكييرات ومصففي الشعر والمصففات ومهندسي الديكور والمهندسات ومصممي الملابس والمصممات والمونتيرين والمونتيرات وعمال النجارة وعمال الكهرباء وعمال الديكور وعمال الإكسسوار وعمال الكاميرا وعمال الإضاءة وعمال البوفيه والسائقين وإلخ إلخ إلخ، وقدم السبت تلاقي الحد قدامك، وكله سلف ودين، والدنيا دائرة على الجميع.

وكتب سامح المعالجة الدرامية التفصيلية، التي تحمس لها المخرج أحمد عفيفي أيما تحمس وفرح بها أشد الفرحات، ثم كتب السيناريو نفسه، الذي تحمس له المخرج أحمد عفيفي أيما تحمس وفرح به أشد الفرحات، ثم أعطاه المخرج أحمد عفيفي الدفعة الأولى من أجره؛ والتي كانت 30% من قيمة التعاقد، وذلك بعد أن أصر المخرج أحمد عفيفي على أن يقوم قبلها سامح بعمل التنازل في الشهر العقاري عن حقوق المؤلف أولاً، وفعلها سامح بالرغم من أن العرف والمُتبع والجاري في الوسط السينمائي هو كالتالي: 10% عند التعاقد، 30% بعد الانتهاء من كتابة السيناريو، 30% بعد موافقة الرقابة والنقابة كليهما، 30% بعد التنازل عن حقوق المؤلف في الشهر العقاري.

وعقب التنازل عن حقوقه في الشهر العقاري، وأخذه 12 ألف جنيه مصري من المخرج والمنتج أحمد عفيفي، بعد أن خصم منها المخرج والمنتج أحمد عفيفي نسبة الـ 7% الخاصة بمصلحة الضرائب المصرية من المنبع، أي بعد أن أخذ سامح مبلغ الـ 11 ألفاً و 160 جنيهاً مصرياً فقط لا غير، اختفى المخرج والمنتج أحمد عفيفي، وحاول سامح الاتصال به، لكن المخرج والمنتج أحمد عفيفي لم يكن يرد على مكالماته لعدة أشهر، ثم اتصل به مؤخراً المخرج والمنتج أحمد عفيفي ليقول له بإنه قد أجرى بعض التعديلات على السيناريو الذي كتبه سامح للفيلم، وإنه سيرسل له نسخة بهذه التعديلات على الإيميل، وإنه يطلب منه رأيه في التعديلات بعد قرائتها، وما إلى هذا.

قرأ سامح النسخة الجديدة من السيناريو الأحمدي العفيفي بالتعديلات، ففوجئ بأنه فيلم مختلف تمام الاختلاف عما كتبه؛ أطول كثيراً جداً من النسخة التي كتبها، مليء بالترهلات واللونجيرات، وبالإضافة إلى أنه قد تم العبث في الحوار الذي كتبه على نحو شوه السيناريو، وتم إضافة مشاهد كثيرة ضعيفة للغاية، وعلاوة على هذا تمت كتابتها على نحو غير احترافي ولا مهني ولا دراماترجي بالمرة، وخمن سامح أن هذه الزيادات هي لإرضاء الممثلين الذين سيقومون بتأدية الأدوار، ومجاملة بعض الجميلات اللاتي سيظهرن بالفيلم، كما تم حذف أهم ما كتبه سامح من جمل حوارية، والتي كان يأمل أن ترفع من القيمة الفنية للفيلم؛ فأصبح الفيلم بهذا فيلماً خال من المعاني، وأقحمت نكات وإفيهات لا علاقة لها بالحبكة ظناً أنها ستضحك جمهور الصالة من المتفرجين والمتفرجات، الخلاصة، أن سامح شعر بالغيظ الشديد الممزوج بالحزن الشديد على عمله وبنات أفكاره ومهنته ومهنيته وصنعته وصناعته، وقرر فوراً أن يخلع يده من هذا العك الذي

لا يقبله على نفسه ولا على عمله أي دراماترجي ملو هدومه، وأن يطلب من المخرج والمنتج أحمد عفيفي أن يرفع اسمه ككاتب سيناريو من على الفيلم، وأنه يعتبر أن حقه قد وصله بالعشرة في المئة قيمة التعاقد والثلاثون بالمئة قيمة الدفعة الأولى، وحلالاً بلالاً الفيلم على المخرج والمنتج أحمد عفيفي، وليكتب هو اسمه على الفيلم ككاتب سيناريو أيضاً، بالإضافة إلى كونه المخرج والمنتج.

كان بودنا طبعاً أن نعرض عليك النسخة التي كتبها سامح من السيناريو، لتقارنها بنفسك بالنسخة التي قام المخرج والمنتج أحمد عفيفي بالتعديل فيها، وتخرج أنت شخصياً برأيك، فكلتاهما، كما عهدت فينا وفي شطارتنا في مثل هذه الأمور، متوفرتان لدينا والحمد لله نشكر ربنا، لكن للأسف لن نستطيع عرض أي منهما في هذا المقام خشية الرجوع علينا باللوم أو بالتعويض أو بكليهما، فلا يخفى عليك أن حقوق المؤلف وما توفره من حماية للمؤلف بعض الشيء تمنع هذا الفعل؛ فقد قام المخرج والمنتج أحمد عفيفي بتسجيل العمل في إدارة حقوق المؤلف بالمجلس الأعلى للثقافة برقم إيداع (1593)، ثم تسجيل العمل في الشهر العقاري المصري برقم طويل جداً ومعقد للغاية نعفيك من وجع الرأس بقرائته.

كان السؤال الذي كان يؤرق سامح حقيقة؛ هل يتصل به تليفونياً ليقول له هذا الكلام؟ أم يكتفي بإرسال إيميل فقط؟ وحسم أمره في النهاية وقرر أن يتصل تليفونياً، حتى يضع النقاط فوق الحروف، ويتأكد مئة بالمئة من أن المخرج والمنتج والمؤلف أحمد عفيفي سيرفع اسمه من على الفيلم، وأنه لن يُذكر بأي شكل من الأشكال في التترات.

وكانت الفكرة المسيطرة عليه وهو يرشف آخر رشفة من كأس براندي رأس العبد المصري الممزوج بالسفن أب، قبيل أن يتناول التليفون المحمول ليتصل بالمخرج والمنتج والمؤلف أحمد عفيفي، هي أن هذا سيكون هو قطع الحبل السري الأخير بينه وبين السينما، وأنه سيهجر هذه المهنة إلى الأبد، ولن يمارس الكتابة السينمائية بعد اليوم بأي شكل من الأشكال، وأنه سيعود لكتابة المراجعات النقدية للأفلام للصحف والجرائد العربية التي تدفع؛ وكلها من أقطار الخليج الآن، كسبيل وحيد للرزق، وأنه لو كان قد استمر في الكتابة للصحف طوال السنين السابقة لما تدهورت به الأحوال المادية على هذا النحو البشع، ولما وصل إلى مرحلة الاستعطاء والتسول من الذي يسوى ومن الذي مايسواش.

كان التلفزيون التوشيبا الأربع عشرة بوصة بحجرة نومه، والتي كانت هي أيضاً حجرة عمله، مفتوحاً على قناة (التحرير)؛ التي كانت تذيع بثاً حياً من ميدان التحرير بالاحتفالات الشعبية لتنصيب الفريق أول عبد الفتاح السيسي رئيساً لجمهورية مصر العربية، وسمع سامح وهو يهم ببلع رشفة براندي رأس العبد المصري الممزوج بالسفن أب الذي يخفف قليلاً من سوء طعمه؛ سمع المراسلة الميدانية للقناة التي تغطي الاحتفالات وهي تقول إن هناك بعض حالات التحرش بالفتيات والسيدات التي وقعت بالميدان، فانتبه سامح، وحوَّل نظره عن شاشة تليفونه المحمول، حيث كان يهم بالاتصال بالمخرج والمنتج والمؤلف أحمد عفيفي، إلى شاشة التلفزيون، وقد أنسته معلومة التحرش أن يبتلع رشفة براندي رأس العبد المصري بالسفن أب، فسمع مذيعة الفترة الإخبارية المكلفة بالربط في الستوديو المذيعة مها بهنسي وهي تعلق على معلومة التحرش التي ذكرتها المراسلة الميدانية:

"هيء هيء هيء مبسوطين! هيء هيء هيء الشعب بيهزر!"

بصق سامح رأس العبد المصري على وجه مها بهنسي، صائحاً:

- تفوه!

-2-

استند رجب بمرفقيه على سور الشرفة الألوميتال وأخذ نفساً من سيجارة الحشيش الذي اشتراه من القهوجي التركي نوري من مقهى (شجرة التين) بضواحي شمال لندن، وكانت لِديا تقف إلى يساره تدخن هي الأخرى سيجارة حشيش أعطاها لها رجب منذ قليل، وكانت تقول:

- خطر جداً! إنهم لا يضعون الشرف والنبل والنزاهة في ضبط المصنع وهم يبرمجون العسكر!

تمتم رجب مهمهماً وموافقاً:

- آهه، السياسيون هكذا عموماً!

فأضافت لِديا، بعد أن ضحكت ضحكة قصيرة قبل الكلام:

- لكن العسكر عندكم الآن سيستيقظون منتعشين في منتصف الليل بعد نوم في التابوت طيلة النهار!

ضحك رجب، وقال:

- لِديا، أنتِ ذكية للغاية!

ابتسمت لِديا، ونظرت لرجب قائلة في صيغة سؤال تقصد به الشكر:

- أتعتقد ذلك جقاً؟!

قال رجب:

- بالتأكيد! وحيث أنكِ ذكية فسوف أسألكِ سؤالاً في الذكاء وأنا متأكد من أنكِ ستستطيعين الإجابة بسهولة، هل تعرفين كيف يمكن أن نُدخل فيلاً في الثلاجة؟

ضحكت لِديا، وعرفت أنها نكتة من النكات التي في صيغة سؤال، وفكرت لثوان، ولم تجد إجابة ترضيها، فقالت في النهاية باستسلام:

- لا، كيف؟!

اعتدل رجب ووقف في مواجهة لِديا، وأجاب على السؤال، داعماً الكلام بإشارات من يديه:

- سهلة جداً! نفتح باب الثلاجة، نُدخل الفيل، ونغلق باب الثلاجة.

ضحكت لِديا، وأكمل رجب:

- علينا أن نفكر أولاً في الحلول البسيطة قبل أن نلجأ إلى الحلول الصعبة والمعقدة، طيب، هل تعرفين كيف يمكننا أن نُدخل زرافة في الثلاجة؟ سهلة كما رأيتِ!

قالت لِديا مبتسمة ومنساقة للعبة:

- نفتح باب الثلاجة، نُدخل الزرافة...

قاطعها رجب فوراً صائحاً:

- لاااااا! نفتح باب الثلاجة، نُخرج الفيل أولاً هاهاهاااا، هذه ثلاجة، لن تتسع!

وصنع بكفيه إشارة الصِّغر، بينما كانت لِديا تضحك.

*****

بمساعدة أماندا، استمرت مَرجريت في غرف أطباق العشاء في ركن المطبخ الصغير الذي كان جزءًا من صالة بيتها في لندن؛ والتي كانت صالة واسعة للغاية بأربع أرواح: صالة استقبال، وحجرة معيشة، وصالة طعام، ومطبخ؛ ووضعت كلتاهما محشي الفلفل الأخضر الحلو في أربعة أطباق، ومسقعة الباذنجان في أربعة أطباق، وقطع خبز التوست المحمص في طبق كبير، وأربع بولات زجاجية صغيرة من بابا غنوج الذي صنعه رجب ليلة أمس لأن بابا غنوج يصبح ألذ بكثير كلما بات في الثلاجة لعدة أيام، وأربع بولات زجاجية صغيرة من صوص الطحينة الذي صنعه رجب ليلة أمس لأن سلطة الطحينة تصبح ألذ بكثير كلما باتت في الثلاجة لعدة أيام، وطبق متوسط الحجم به وصفة سامح شكري من الطماطم المقطعة لنصفين والمتبلة بالثوم والخل والكسبرة الناشفة والكمون والملح وعصير الليمون.

ينبغي علينا هنا أن نشير إلى أن مَرجريت، ومن قبلها رجب، يدينان بالفضل لسامح شكري في موضوع الطبخ والطبيخ والطعام اللذيذ؛ لأنه هو من علمهما وصفات صنع كل ما سبق، بل وعلمهما وصفات لطعام لذيذ آخر أكثر بكثير مما سبق ذكره، وإن كان عشاء اليوم قد اقتصر على النباتيات بسبب أن أماندا وزوجتها لِديا كانتا نباتيتين، وكانت كلتيهما من عشاق الباذنجان والفلفل؛ كعدد كبير من النباتيات من اللسبينز أو العَمُوريَّات، وكانت المسقعة الشرقية العربية قد غزت لندن وضواحيها منذ عدة سنوات، واستطابها الإنجليز كثيراً؛ خاصة النباتيون منهم والنباتيات؛ وخاصة خاصة الجيز واللسبينز منهم أو السَدوميون والعَمُوريَّات.

أماندا هي الصديقة الصدوق لمَرجريت، وأقرب الناس إليها من أيام المدرسة الابتدائية، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنها كانت من المعارضات والمعارضين لارتباط مَرجريت برجب ارتباطاً رسمياً بالزواج الطبيعي التقليدي، بل وكانت هي من وقف حجر عثرة أمام تخطيطات رجب لإقناع مَرجريت بموضوع الزواج رسمياً، وكان هو على علم ويقين من هذا، لكنها لم تعد تستطع المعارضة الآن وبطن مَرجريت قد صارت مترين للأمام وصار الزواج الرسمي واجباً وحتمياً، خصوصاً نتيجة طبيعة عمل مَرجريت كمتحدثة رسمية باللغة العربية لوزارة الخارجية البريطانية.

ولم تكن دعوة أماندا وزوجتها لِديا على العشاء في بيت مَرجريت ورجب شيئاً استثنائياً أو نتيجة احتفال من نوع خاص، بالرغم من أن مَرجريت هي الآن في قمة سعادتها وهي تمشي في الشوارع وتدخل المكاتب في وزارة الخارجية البريطانية وبطنها مترين للأمام مثل أي امرأة حامل فخورة بحملها، وكانت بطنها فعلاً ملفتة للنظر بضخامة حجمها، برغم قصر قامة مَرجريت الشديد ونحافتها المفرطة، وهو ما كان مثار غمزات ولمزات وضحكات وتندرات الصديقات والأصدقاء والزملاء الدبلوماسيين والدبلوماسيات في العمل، ولعل الصبي الذي كان في بطنها سيخرج للدنيا شبيهاً بضخامة جسد أبيه وفي قوته وطوله وعرضه مثل ياسين البغل في "الثلاثية" إن كنت تدري ما أعني، نقول إنه بالرغم من سعادة مَرجريت الكبرى بحملها، بل وفرحتها بالغمزات واللمزات والضحكات والتندرات على كبر بطنها، إلا أن هذا لم يكن هو سبب دعوة أماندا وزوجتها لِديا على العشاء في بيتها، بل هو أمر طبيعي وشبه روتيني معتاد، فكلتا الأسرتين؛ إن جاز لنا اعتبار أن زواج اثنتين من العَمُوريَّات ممكن أن يصنع أسرة، وحتى وإن كانت أماندا وزوجتها لِديا هما الآن

في خضم عملية رسمية لتبني طفل صبي ذكر ليكون ابنهما فتكتمل بذلك صورة الأسرة الصغيرة السعيدة، وهو الأمر الذي صار على وشك أن يتحقق بعد نجاحهما في اجتياز العديد من المقابلات والاختبارات التي تستلزمها الموافقة على موضوع التبني في إنجلترا، ونجاحهما أخيراً في عملية التفتيش المفاجئة التي قامت بها إحدى المندوبات لشقتهما؛ لكي تتأكد من صلاحية الشقة لتنشئة طفل على نحو صحي وسليم، وللتأكد أيضاً من صحة البيانات التي قدمتها أماندا وزوجتها لِديا في استمارات طلب التبني، نقول بعد كل هذا الاسترسال الذي خرج بنا عن النقطة الأساسية، وإن كان الاسترسال هنا لأهمية الموضوع الفرعي؛ ألا وهو محاولة تبني اثنتين من العَمُوريَّات لطفل ليصبح ابناً لهما، نقول ونستأنف قول ما قدُقطع بالاسترسال؛ من أن كلتا الأسرتين، إن جاز لنا اعتبار أن أماندا ولِديا وابنهما المستقبلي أسرة، كانتا معتادتين على التزاور وقضاء الوقت معاً وتناول الطعام معاً، خاصة في أوقات العطلات الأسبوعية اللندنية؛ ويحدث هذا في العادة إما في بيت إحدى الاسرتين، أو قد تخرج الأسرتان معاً أحياناً للشرب وتناول الطعام في مطعم من مطاعم المدينة.

شرعت مَرجريت وأماندا في نقل أطباق الطعام إلى مائدة الطعام الصغيرة المستديرة، ولم تكن المسافة كبيرة، كما سبق وأن وصفنا هذا لك، ونادت مَرجريت بصوت عالٍ على رجب ولِديا بأن العشاء جاهز، ثم رجعت إلى المطبخ لكي تحضر زجاجة نبيذ أبيض يناسب الأكلة النباتية الباذنجانية، وجاء رجب ولِديا من الشرفة حالما سمعا نداء العشاء.

ولا يفوتنا هنا أن نطمئن محبي الطعام الشرقي العربي، ووخصوصاً محبي النباتيات والباذنجانيات والبابا غنوجيات والمحاشي وباقي السلطات والأطباق التي تقدم ذكرها بأننا سنقدم وصفات سامح شكري لتلك الأطعمة الشهية، أو على الأقل لبعض منها، كما علَّمها لكل من رجب ومَرجريت، بدون أي حذف أو إضافات أو تِكات أو حركات من جانبنا، وأما وقد وعدناك بهذا فسوف نوفي بوعدنا كما عهدت فينا قبلاً.

*****

- الفيديوهات التي رأيناها من التحرير كانت بشعة!

قالت لِديا؛ التي كانت تعمل منسقة لأربعة مشاريع متنوعة في منظمة هيومن رايتس ووتش

فرع لندن، قالت هذا تعبيراً عن مشاهداتها وانطباعاتها وانفعالاتها هي وزوجتها أماندا؛ والتي كانت تعمل ضابطة في قسم التفتيش في وزارة الداخلية البريطانية؛ أي أنها كانت مسؤولة عن التحقيقات في جرائم وفساد وانتهاكات وسوء سلوك العاملين في سلك الشرطة الإنجليزية في طول إنجلترا وعرضها وعمقها.

هزّت أماندا رأسها بحزن ممزوج بالقرف، والامتعاض؛ الذي هو الاستياء أس 3، ثم أضافت للتأكيد:

- بشعة بالفعل! يقولون إن المغتصبين يستدرجون الفتاة بإقناعها بأنهم هم من سيحمونها من المغتصبين، ثم يستفردون بها في بقعة مظلمة ويغتصبونها حتى والناس من حولهم!

قالت مَرجريت، التي يبدو أنها شاهدت بعض الفيديوهات التي من هذا النوع:

- لا يستطيع أحد التدخل، يرفعون المطاوي والسكاكين، ورأيت فيديو كان بعضهم فيه يُشكّلون حلقة حول من يغتصب الفتاة وهم يشعلون النيران من أنابيب البوتاجاز الصغيرة، وحالما ينتهي المغتصب من الفتاة يسلمها لأحدهم ويحل هو محله في الحلقة النارية، دائرة الجحيم،ُتسمى دائرة الجحيم!

ابتسمت أماندا في سخرية مريرة وقالت:

- حين يرى المرء هذه الفيديوهات يشعر أن الجحيم كان خاوياً لأن الشياطين كلها كانت في ميدان التحرير!

- الغريب أني رأيت الشرطة موجودة في المكان! رأيت زي الشرطة المصرية الأبيض حول الحشد الذي يغتصب الفتاة ولم يحرك الضابط ساكناً ولا فكر في إخراج مسدسه وإطلاق النار في الهواء حتى!

قالت لِديا هذا بأسى وقرف، فشرحت مَرجريت السبب:

- ليست لديهم أوامر من وزارة الداخلية المصرية.

وأصرت لِديا على إدانة الشرطة المصرية قائلة:

- وحتى لو! أي إنسان ذو حس سليم يرى أمامه هذا المشهد كان لابد أن يُخرج سلاحه ويطلق النار في الهواء على الأقل لتخويفهم، حتى ولو لم تكن لديه أوامر!

فحاولت مَرجريت إيجاد عذر آخر للشرطة المصرية، فقالت:

- ليسوا مدربين يا لِديا، وعليكِ أن تأخذي عنصر الصدمة في الحسبان.

فأصرت لِديا على موقفها، فقالت بحدة:

- لا هذا ليس عذراً على الإطلاق! الاغتصاب الجماعي ليس صدمة بالنسبة للشرطة المصرية! نحن نعلم أن هذه ليست المرة الأولى التي يتم فيها اغتصاب فتيات في التحرير والاتحادية، لقد وثقنا مئات الحالات من قبل، أنا شخصياً سأكتب تقريراً غداً عن استمرار حالات الاغتصاب الجماعي من أيام الثورة وحتى الآن، بل وحتى قبل الثورة! الزملاء في مصر قالوا إن حوادث الاغتصاب الجماعي كانت تتم في أواخر عهد مبارك، بالذات في الموالد عندكم.

وقالت عبارة "في الموالد عندكم" وهي توجه نظرها وحديثها لرجب الذي كان منهمكاً في التهام محشي الفلفل الرومي اللذيذ، وكان يتمنى لو كان لوحده حتى يأخذ راحته في مسك مخروط الفلفلاية بين يديه والتهامه بدلاً من منيكة الأكل بالشوكة والسكين المضطر لها بسبب وجود زوجته مَرجريت وصديقتها الأنتيم أماندا وزوجتها لِديا.

وكان من الطبيعي في أي سياق آخر أن عبارة "الموالد عندكم" كانت ستسبب الحرج لرجب؛ الذي يحاول هذه الأيام أن يتنصل من مصريته ويسعى جاهداً لكي يُنسي الإنجليز أنه مصري محاولاً الاندماج وسطهم حتى يعاملوه كابن بلدهم، لكن في ظننا أن ما كان يدور في خلد رجب ما كان له أن يسمح بأي تعكير لصفو مزاجه في تلك الليلة؛ ذلك أن مشاعر الانتصار والإنجاز والتوفيق والسداد كانت تغمره، كانت تغمره وتسبغ عليه من فضلها منذ الليلة التي قام فيها من على مَرجريت بعد واحد عظيم بالنسبة لها ومكسور عليه مليون ليمونة بالنسبة لرجب، حين قالت له البنت إنها أجرت اختبار بيتي على الحمل وظهرت النتيجة في شريط الاختبار إيجابية، ثم أتحفته بالخبر الذي كان ينتظره منذ سنوات عديدة؛ من أول يوم نام معها فيه ووضع في ذهنه خطة تحبيلها لإجبارها على الزواج منه ووضعها أمام الأمر الواقع، فقد قالت له البنت أخيراً وبعد طول

سنين: "ألا تظن أن الوقت قد أصبح الآن مناسباً للزواج؟" قالتها في صيغة سؤال وهو في أصله وجوهره موافقة على ما كان رجب يلح به عليها طوال السنين الماضية وكانت هي تتهرب.

يمر اليوم أربعة أشهر على تلك الليلة السعيدة المباركة بالنسبة لرجب، وقد أخَّر إتمام الزفاف المشاغل المهنية العادية والمتوقعة لشخص في أهمية ومشغولية مَرجريت المتحدثة الرسمية باللغة العربية في الخارجية البريطانية العظمى، بالإضافة إلى ما يتطلبه الزفاف في تلك المجتمعات الراقية من لوجستيات تتعلق بحجوزات قاعات وفنادق ومطاعم والاتفاق على نوعيات الأطعمة وكمياتها والزهور ونوعياتها وكمياتها وإرسال الدعوات واستقبال الموافقات وتعديل المواعيد بحيث تناسب كل المدعوين المهمين وخصوصاً من السلك الدبلوماسي، وما إلى ذلك.

وقد علمنا من جانبنا أن كل هذه الترتيبات قد انتهت أخيراً نهاية سعيدة وتم الإعلان عن أن الزفاف سيكون الأحد القادم بعد كل المشقات والمجهودات المرهقة في التحضير لحفل الزفاف التي بذلتها لمَرجريت والتي بذلها لرجب الذي ساعدها في التحضيرات لأنه كان العاطل بينهما فهو لا يزال بلا شغلة ولا مشغلة على الأقل رسمياً فنحن نعلم علم اليقين أنه لا يزال يعمل مخبراً سرياً لدى وزارة الداخلية المصرية وعلى كشوفات المرتبات والمكافآت لديها كما أننا نعلم علم اليقين أيضاً أنه يساعد مَرجريت في عملها الجديد بمعلوماته الفرش الطازجة التي يستقيها من ضباط الداخلية المصرية وغيرهم من مصادره في مصر كما نمى إلى علمنا أيضاً من مصدر بريطاني موثوق به جداً وأنت قد خبرتنا وخبرت معلوماتنا ومصادرنا الموثوق بها جداً من قبل أن الولد رجب هو الآن محل فحص واختبار وتقييم سري من قبل بعض الضباط في الإم آي سكس البريطانية الذين يفكرون جدياً في استخدامه ولكن كما تعلم أن هذه المسائل تأخذ وقتاً طويلاً بعض الشيء حتى تتأكد الأجهزة الأمنية من أن بإمكانها وضع ثقتها في مخبر سري جديد خصوصاً وإن كانوا يعلمون علم اليقين أنه لا يزال يعمل مخبراً سرياً لدى وزارة الداخلية المصرية وعلى كشوفات المرتبات والمكافآت لديها فإذا كان تجنيد مخبر سري جديد يتطلب الكثير من الحرص والتمحيص والبحث والتحريات والخطط فإن تجنيد مخبر سري قديم للعمل كدبل فيس بروحين واحدة في مصر والثانية في إنجلترا يتطلب من الحرص والتمحيص والبحث والتحريات والخطط أكثر بكثير جداً خصوصاً لدى الأجهزة الأمنية الاستخباراتية في الدول المتقدمة وخصوصاً خصوصاً لدى الأجهزة الأمنية والاستخباراتية في بريطانيا العظمى التي عُرف عنها أنها تأخذ

فوق وقتها وقتاً ووقتاً إضافياً فوق الإضافي لأنها تتبنى في هذا الصدد سياسة السلحفاة التي سبقت الأرنب بالرغم من بطء الأولى وسرعة الأخير والفضل كل الفضل في هذا للإصرارية والاستمرارية والدأب وسلولي سلولي بط شورلي شورلي.

- نعم، الموالد، فعلاً، هذا يحدث.

قالها رجب بكل برود وهدوء وتلامة، وبلا أي انفعال لا إيجابي ولا سلبي.

كانت العبارة المسيطرة على وعيه والتي يرددها في ذهنه الآن وفي كل وقت في هذه الأيام باستمرار، سواء أكان وحده أو في معية آخرين هي: "والله وجبت فيكي جون يا انجلترا! والله وجبت فيكي جون يا بريطانيا العظى! والله يا واد أخيراً ها تروق وتحلى! الحمد لله يا رب ألف حمد وشكر يا رب، منتهى الحمد ومنتهى الشكر يا رب، اللهم أنعمت فزد."

-3-

قال نصار للمذيعة والمراسلة الميدانية رودينا عوض الله نفس ما توقعت أن يقوله بالحرف الواحد.

قال لها:

- معلش يا رودي من بعد إذنك بدنا نشيل اللقطة تبع الضابط بالفيديو.

كانت رودينا عوض الله قد عملت من قبل في عدة صحف مصرية وتعرض عملها لمقص الرقيب كثيراً، فتعلمت بالخبرة، ومن بعض الزملاء من قدامى الصحفيين، أننا حين نريد تمرير شيء ما من تحت أنف الرقيب علينا أن نلهي عينيه بوضع شيء آخر واضح بيّن ملفت يستقطب نظره حتى يطالب بحذفه وننقذ بذلك باقي الشغل المهم بالنسبة لنا، وطبقت رودينا عوض الله ما تعلمته بالخبرة على التقرير الذي أعدته عن حوادث الاغتصاب الجماعي في ميداني التحرير والاتحادية في ليلة إعلان تنصيب الفريق أول عبد الفتاح السيسي رئيساً لجمهورية مصر العربية؛ والذي كان يحمل عنوان "دائرة الجحيم"، فتعمدت أن تدس لقطة ضابط الشرطة الذي يقف متفرجاً على دائرة الجحيم الملتفة حول الفتاة التي يتم اغتصابها جماعياً في ميدان التحرير دون أن يُحرك ساكناً، بالرغم من أن من حوله كانوا يصيحون فيه: "إضرب نار! إضرب نار!"، ولم يحرك ساكناً بالرغم من هذا، وكانت متأكدة تمام التأكد من أن نصار سوف يطلب منها حذف اللقطة، لأنها، هي وباقي زملائها في قناة "آر تي" الروسية، قد علموا علم اليقين أن هناك تعليمات من الإدارة في موسكو بعدم إحراج العسكر في الفترة الحالية، ولا إحراج الأجهزة الأمنية الشرطية والمخابراتية، ولا إحراج البيروقراطية الأمنية بصفة عامة، ونحن من جانبنا نرجح أن السبب وراء ذلك هو رغبة موسكو في إقامة علاقة طيبة مع النخبة العسكرية الجديدة التي ستتولى الحكم في مصر وكسب ودهم، ولعل ذلك بسبب كونها تراهن على أنه من المفيد، المفيد بالنسبة لها بالطبع، أن تقيم علاقة قوية مع البيروقراطية الأمنية المصرية التي ستحكم مصر وأنها سوف تستفيد من تقديم السبت وإبداء روح التعاون والمساندة والاستعداد لمساعدة الضباط الجدد عديمي الخبرة في إدارة شؤون البلاد، هذا بالرغم من عدم وجود تعليمات صريحة أو مباشرة لدى الصحفيين والإعلاميين العاملين في القناة بأن المؤسستين العسكرية والشرطية في مصر هما خط أحمر، لكن كل

المؤشرات والأحداث والوقائع التي جرت منذ العام الماضي، وتحديداً منذ وقوع الانقلاب العسكري المدعوم شعبياً في مصر في 30 يونيو 2013، ونجاحه في عزل الرئيس الأسبق محمد محمد مرسي عيسى العياط، قد أكدت لجميع العاملين في القناة هذه الحقيقة، فكما أن الكف ما هو إلا إصبع ثم إصبع، فكذلك الحقيقة ما هي إلا واقعة ثم واقعة، فالحقيقة هي الخيط الذي يربط الوقائع بعضها ببعض، فإذا ما ربطنا الوقائع التي حدثت بالقناة بعضها ببعض لوصل الجميع بسهولة ويسر ومنطقية إلى هذه الحقيقة، ولهذا السبب رمت رودينا عوض الله بلقطة الضابط أمام أعين الجميع مضحية بها لكي تنقذ تقرير "دائرة الجحيم" وتمرره من تحت أنف نصار.

ردت رودينا متعمدة أن تبدو مستاءة ومحبطة، وبعد أن أخرجت تنهيدة طويلة شعر نصار بسخونتها تلفح وجهه:

- ماشي يا ريس، مافيش مشكلة، إنت تؤمر، حاضر هاشيلها حاضر.

ثم أخرجت تنهيدة أخرى طويلة من أنفها هذه المرة وشعر نصار بسخونتها تلفح وجهه، فانتصب زبه، وقام واقفاً ولف حول مكتبه في اتجاه رودينا عوض الله التي كانت تجلس إلى يسار مكتبه، ونظر وهو يتحرك إلى باب المكتب الذي كان مغلقاً لزيادة التأكد واليقين من أن الباب مغلق، ووقف إلى جانبها وأمسك بذراعها من تحت إبطها الأيسر وأنهضها واقفة قبالة، ثم مال على ذراعها العاري وعضه، ورفع ذراعها لأعلى ودس أنفه وفمه في باطها وشمه بشبق ثم لحسه وأخيراً عضه.

- مش كده حد يدخل ولا حاجة!

- بدي اياكي هلق!

- طب استنى طيب لما نروّح!

- عم بقولك هيجان!

- آه يا وسخ!

ولفت ذراعها الأيمن الحر حول وسطه، وبعبصته، بينما كان نصار يأكل إبطها الأيسر شماً

ولحساً وعضاً.

- هانيكك يا خول!

كانت رودينا عوض الله قد صارت الآن تعرف عرفان اليقين مزاج نصار مديرها في الشغل، فزادت من قوة البعبوص ودسته مزيداً من الدس في طيز نصار حتى تصورت أن إصبعها سيخرق بنطلونه القماشي الخفيف.

- يا بنت القحبة!

- هانيك كس أمك يا معرص يا ابن المتناكة!

شعر نصار فجأة كأن ماءً مثلجاً قد صُبَّ عليه من قرنه لقدمه، حتى إن جسده قد ارتعش حرفياً، وفكر لثوان أن يصفعها، لكن تفكيره طال مما أفسد تنفيذ الفكرة، وأحست رودينا عوض الله بنفوره المفاجئ منها، وحارت في تفسير السبب، لكنها ستخمن فيما بعد السبب حين تستفرد بنفسها في المساء وتسترجع كل حركة وكل كلمة جرت بينهما وتقارنها بما كانت تفعله معه وتقوله له أثناء الجنس، لتعرف ما هي الإضافة الجديدة التي قالتها هذه المرة وجعلته ينفر ويبرد ويقفل فجأة هكذا على حين غرة.

همست رودينا عوض الله مستفسرة باستغراب:

- فيه حاجة؟!

- لا لأ، بس بدنا نخلص من التقرير ميشان يكون جاهز ع العرض، يللا انتي ع المونتاج وبعدين بنتقابل.

- طيب، براحتك، متأمرش بأي حاجة؟

فقال نصار وهو يتجه عائداً ليجلس إلى مكتبه:

- لما تخلصي بدي أحضر الفيديو.

- حاضر أول لما اخلص هاقولك.

وأضافت رودينا عوض الله وهي ممسكة بدرفة باب المكتب بعد أن فتحته:

- عايز الباب مفتوح ولا مقفول يا ريس؟

- سَكريه.

- تمام.

كانت صورة أمه هي المسيطرة على عقله في تلك اللحظة، وإن كنتَ على دراية بقناعات نصار وأفكاره ومعتقداته وما أشيع عنه منذ عدة سنوات في قناة (الجزيرة) القطرية من أنه ملحد مما تسبب في طرده من عمله كمراسل لـ (الجزيرة) في موسكو، لعلمت أن نصار ليس من الذين يترحمون على موتاهم، فقد علمنا علم اليقين بأنه كان لا يؤمن بالبعث بعد الموت، بل كان يؤمن بأن الموت هو الموت ولا شيء آخر بعده، لكنه كان يستخدم عبارة لإيميل حبيبي في المناسبات التي كان يتذكر فيها أمه الراحلة العزيزة جداً على قلبه، ولذا، فحين أغلقت رودينا عوض الله باب المكتب، تنهد تنهيدة طويلة من فمه وقد اجتاحته مشاعر الحنين لأمه، وتمتم بصوت مسموع:

- أما الأمهات فيبقين في الأرض.

-4-

كانت شاشة التلفزيون الإل جي الـ 42 بوصة الموضوعة على مكتبة قصيرة مكونة من رفين فوق بعضهما البعض وأشبه بالكومودينو الطويل تذيع برنامج "على هوى مصر" للصحفي ورئيس تحرير جريدة اليوم السابع خالد صلاح على قناة النهار والذي كان يستضيف الدكتور صفوت عبد العال، والذي هو لا دكتور ولا يحزنون، بل يكذب ويدعي أنه حصل على الدكتوراه في الإعلام والصحافة من جامعة في أوروبا الشرقية لا ندري ما هي؟! ولعله لهذا كان الصحفي والمذيع خالد صلاح لا يخاطبه بلقب دكتور طيلة الحلقة، لأن الصحفي والمذيع خالد صلاح مدقدق وعليم وخبير ويعلم الفولة ويعلم الكُفت، نقول إن الأخير كان يستضيف صفوت عبد العال، ولا نقول الدكتور، وصفوت عبد العال هذا هو باحث في شؤون الجماعات الإسلامية المتطرفة وعضو سابقاً ومطرود حالياً من حزب التجمع الوطني الوحدوي الديمقراطي لأسباب أخلاقية نعف عن ذكرها وهو أيضاً المالك الحالي ورئيس تحرير جريدة "المدخل" التي ظهرت في سوق الجرائد المصرية عام 2013 فور نجاح الرئيس الإخواني المسلماني محمد مرسي في انتخابات الرئاسة، وقد علمنا علم اليقين أنه أخذ التمويل بالكامل وكامل الكامل وفوقها زيادة من السرقة والنصب والاستغفال من الإخوة الأشقاء الإماراتيين بعد أن أقنعهم بفكرة إنشاء جريدة تفضح الإخوان المسلمين الحكام الجدد في مصر، وقد صار الآن أحد نجوم الشاشات على القنوات الفضائية المصرية بعد نجاح الانقلاب العسكري المدعوم من الشعب في الإطاحة بحكم الإخوان المسلمين.

وكان صفوت عبد العال يستعرض تسجيلات صوتية تم تسجيلها في السر وتم تسريبها الآن في العلن، ولا يدري أحد كيف حصل عليها؟! وإن كان اللبيب بالإشارة يفهمُ، ولعل معظم المشاهدين في مصر وباقي الأقطار العربية الشقيقة كانوا يدركون إدراك اليقين أنه قد حصل على هذه التسجيلات من الجهات الأمنية المخابراتية التي كان ولا يزال صفوت عبد العال يعمل معها، ولن نخفيك سراً إن قلنا إن زملاءه في حزب التجمع قديماً،وحين كان صفوت عبد العال لا يزال صحفياً ناشئاً جديداً على المهنة ويعمل مراسلاً صحفياً لجريدة الحزب التي هي "الأهالي" في وزارة الداخلية، كانوا يتندرون عليه قائلين: "صفوت عبد العال مراسل وزارة الداخلية في حزب التجمع!"

وكانت التسجيلات المُسربة التي ُأريد بها فضح أصحابها على الملاء هي لشخصيات من

التيار المدني المصري، ولم تكن للإسلاميين المتطرفين مثلاً، وهو مجال تخصص صفوت عبد العال هذا، المهم، كان صفوت عبد العال يستعرض تسجيلات سرية مُسربة من محادثات هاتفية محمولية للدكتور محمد البرادعي والصحفي إبراهيم عيسى في الوقت الذي كان فيه أحمد فرحات جالساً قبالة محب في حجرة المعيشة والاستقبال في بيت الأخير.

- اتفضل يا سيدي! آدي الوساخة آهى!

- ما هو ده إنتاج الحزب بتاعكو ها ها هه!

- يا عم طردناه م الحزب من زمان! ولف بعدها برضو لفة غريبة جداً تثبت لك إنه أمن مية في المية!

- سمعت إنه راح الوفد شوية، وبعدين أظن راح لزق لأبو العلا ماضي وربى دقنه شبرين، وقالوا أياميها إنه ما كانش بيسب فرض!

- وسعى كمان مع أبو العلا ماضي في تأسيس حزب الوسط، الوسط ابن القحبة! وبعدين قلب على أبو العلا ماضي وفضحه وطلع كل الغسيل الوسخ بتاعه! شوية وراح لزق لاحمد شفيق أيام ما كان مرشح نفسه لرئاسة الجمهورية! بقولك أمنجي يا عم!

- هوَّ صحيح صفوت كان هوَّ اللي بيكتب خُطب أحمد شفيق؟

- بيقولوا.

- وجاب فلوس الجرنال منين؟!

- الله أعلم بقى! تلاقيها نصابية ناصب على حد، فيه ناس زمايلنا حاول يجندهم في الجرنال بتاعه بيقولوا إنه جايب تمويل من الإمارات، فلوس جامدة جداً، عادل عبد الله كان عنده في المكتب بيتفق على المرتب بتاعه في الجرنال وبيقول سمع صفوت بيكلم عميد في أمن الدولة، عميد لسه شغال في الخدمة، شغال لسه في الخدمة، عرض عليه إيه بقى؟! مرتب عشر تلاف جنيه مقابل إنه يكتب مقال كل شهر في الجرنال! بيجند أمن الدولة ابن الوسخة ها ها هه!

- وعادل اتفق معاه على كام؟

- لأ رفض يشتغل معاه طبعاً! عادل على فكرة جدع جداً، بس خلاها تيجي من عنده هوَّ، من باب الصيت ولا الغنى يعني، عادل لما لقى ضابط أمن الدولة اللي عمره ما كتب في حياته غير تقارير أمنية هاياخد عشر تلاف في المقال قام قايل لصفوت أنا زيي زي الضابط! أنا كمان آخد عشر تلاف في المقال، فالموضوع وقف طبعاً.

- وصفوت كان عايز يديله كام؟

- أربع تلاف جنيه في الشهر على مقال كل أسبوع.

- طب ما يدفع العشر تلاف هوَّ هايدفع حاجة من جيبه! ماهي فلوس الإمارات!

- تلاقيه بيخنصر يا عم من فلوس التمويل ابن اللئيمة!

- ده أكيد! ودهان أول وش ودهان تاني وش وتقطيب الثقوب ها ها هه!

- اللي يأكدلك بقى إن التمويل إماراتي إن عادل بيقول إنه طلب منه السي في بتاعه، قاله هايبعته أبو ظبي للشيخ مش عارف مين عشان لازم يقرا السي في في الأول قبل ما يوافق.

- طب ما كده يبقى الإمارات رسمي!

- آه الإمارات يا عم! آهي ناس معدومة الشرف بتقلع اللباس للي يدفع!

- حاجة وسخة والله العظيم! وقالهم في الإمارات دكتور برضو ها ها هه!

- يا عم دول تلاقيهم عارفين عنه اللى احنا مانعرفهوش! المخابرات والأجهزة الأمنية عندهم جامدة جداً، مش زي الورق اللي عندنا اللي تنفخ فيها يطيروا، وفالحين بس يعملوا فيها رجالة ع الشعب! هما ساعات بس في الإمارات إيه تلاقيهم يحبوا ياكلوا البالوظة بمزاجهم، علشان هدف معين في دماغهم، بتقولوا عليه في انجلترا إيه؟ اللونج رَن؟

- لونج رَن أو لونج شَط أو لونج بلاي، تضحي ببيدق في الأول عشان تكش ملك في الآخر، لونج بلاي.

- لونج بلاي.

صب محب من زجاجة الِرد لِبل التي كان قد فرغ نصفها في الكوب الزجاجي البلوري المربع لأحمد فرحات أولاً، ثم في كوبه التؤام، وسارع أحمد فرحات بصب سفن أب على كوبه بنسبة النصف للويسكي السكتلندي والنصف من السفن أب، في حين قام محب بالمثل تماماً، وإن كان قد صب من زجاجة الكوكاكولا البلاستيكية اللتر ونصف بدلاً من زجاجة السفن أب البلاستيكية اللتر ونصف.

- بقولك يا احمد، الأنبا موسى كان عنده نص كده بالعربي وكان عايز يراجعه لغة عربية، إيه رأيك؟

- الأنبا موسى! الأنبا موسى يُؤمر طبعاً يا باشا هي دي عايزة كلام! هاتهولي بكره وانا أشتغل عليه في نفس اليوم.

- طب عظيم حلو قوي، على فكرة بيدفعوا كويس في الكاتدرائية.

- عيب يا ابني ماتقولش كده! هاخد فلوس برضو م الأنبا موسى!

- لأ يا احمد ده شغل يا عم! ده شغل للكاتدرائية وليه ميزانية، مافيش حاجة مخصوص هايدفعوهالك يعني!

- يا محب ماتقولش كده عيب أزعل منك! طب والله العظيم والمسيح والعدرا ماخد ولا مليم! عيب يا ابني ده الأنبا موسى!

- لأ ماهو كده هايزعل لو عرف! يبقى نوديها لحد تاني بقى!

- طق! بقولك أنا اللي هاراجع، وهازعل منك لو اتكلمت في الموضوع ده تاني! هازعل بجد! إنت عارف انا بحب الأنبا موسى قد إيه!

- وهوَّ كمان بيحبك قوي والله ودايماً يشكر فيك في كل مناسبة.

- ربنا يكرمه يا رب، راجل ملو هدومه، أمال إيه!

وفكر محب كيف يعوّض أحمد فرحات عن هذا الشغل المجاني، وهو الذي كان يؤمل أن

يساعده بقرشين من وراء المراجعة اللغوية لنص الأنبا موسى، والحقيقة، أن محب يبحث منذ فترة، ويتحين الفرصة منذ حين، لكي يساعد أحمد فرحات مالياً، لأنه كان يعرف ظروفه المالية الصعبة معرفة جيدة، فبالرغم من أن أحمد فرحات يعيش وحيداً حالياً، بعد سفر ابنته الدكتور سما إلى برلين للحصول على درجة الدكتوراه في تخصص طب الأطفال في المناطق الحارة، وهي المنحة التي ساعدها محب في الحصول عليها، ثم سفر الإبنة الصغرى الدكتورة فريدة لتلحق بأختها الكبرى الدكتورة سما في برلين لكي تحضّر لرسالة الماجستير في تخصص إصابات مفصلي الرسغ والمرفق في الملاعب الرياضية، وهي المنحة التي ساعدها محب في الحصول عليها، ويحق القول إنه بذل مجهوداً كبيراً في استثمار علاقاته المتشعبة والعميقة في آن معاً لكي يؤمن هذه المنحة لفريدة في برلين، وقد حرص حرصاً شديداً على أن تكون في برلين، حتى تكون برفقة أختها الكبرى، بالرغم من السهولة النسبية بالنسبة له في توفير منحة مماثلة لفريدة في إنجلترا أو سويسرا أو حتى في أي مدينة أخرى في ألمانيا نفسها، وكان ذلك بسبب اهتمامه بأن يصبح أحمد فرحات مرتاح البال لوجود البنتين معاً في برلين من ناحية، ولشعوره هو شخصياً بمسؤولية تجاه البنتين، تماثل، إلى حد كبير، شعور الأب ذاته تجاه بناته في الغربة.

قال محب في نفسه: "عموماً مش مشكلة، أنا راجع لندن بعد كام يوم وهاشوفله حاجة هناك معايا، مساعد باحث إقليمي مثلاً، أو أي افتكاسة تانية ينفع نطلع له منها قرشين حلوين، مسكين، عايش على الكتابة الصحفية والكتابة الصحفية ماتوكلش عيش! وده مصاريفه كتيرة وإيده سايبة مسرف زيادة عن اللزوم! صاحب واجب آه، اللي في جيبه لغيره آه، بس مش للدرجة دي يا احمد! زيادة عن اللزوم قوي! والشرب كمان بيكلف كتير، واحمد سمكة! بلاعة!

- بقولك صحيح، إنت عرفت إن رشيدة بوزيد في المستشفى ولا لأ؟!

- آه عرفت للأسف إنها اتعرضت لاغتصاب في التحرير! حاجة قذرة والله العظيم!

- للأسف حالتها وحشة قوي يا محب، زرتها النهارده الصبح في المستشفى لقيتها سرحانة ومش مركزة خالص، بالعافية عرفتني!

- الصدمة النفسية طبعاً!

- لأ وكمان جسدياً متبهدلة إإ.. من تحت يعني إإ... متبهدلة جامد جداً! للأسف، طق! زمايلها في القناة كانوا هناك وهما اللي كانوا بيقولوا، لازم تزورها يا ابني ما ينفعش ده واجب!

- أيوه طبعاً والله أنا فعلاً كنت ناوي بس، بس الحقيقة الواحد مُحرج! مش عارف آخد معايا إيه! أصل دي أول مرة أزور فيها واحدة مُغتَصبَة! آخد إيه آخد ورد! شوكلاتة! بقى ده اسمه كلام! أروح المستشفى لواحدة مُغتَصبَة وانا شايلها ورد ولا شوكلاتة، طق! إيه يعني مبروك عليكي الاغتصاب مثلاً!

وقهقه محب رغماً عنه، قهقهة هي من باب الضحك الأسود، على وزن الكوميديا السوداء إن كنت تعلم ما نقصد.

- إنت رحت بإيدك فاضية؟

- لأ، أخدت ورد.

- آهه.

وقال محب في نفسه: "بقى ده سؤال برضو! أحمد فرحات هايزور حد في المستشفى بإيده فاضية!"

- يا ابني خد أي حاجة أو ماتخدش مش دي القضية! البنت أصلاً مش حاسة بأي حاجة ولا حاسة بأي حد حواليها، إلا بالعافية يعني، هوَّ المهم إنك تروح بس، عشان البنت تشوفك وتعرف إن فيه ناس حواليها بتساندها وجنبها في محنتها، ماتنساش برضو إنها وحدانية في مصر، في غربة يعني! على حد علمي لغاية النهارده الصبح أهلها كانوا لسه ماجوش م الجزاير.

- لأ والله يا احمد هاروح بكره الصبح طبعاً ، والله العظيم انا كنت لسه بفكر فيها النهارده.

قال محب في نفسه إنه سيعطي أحمد فرحات وهو نازل زجاجتين من الِرد لِبل، وقال في نفسه أيضاً إن هذا أفضل بالنسبة لأحمد فرحات من هدية من زجاجة واحدة من البلاك لِبل؛ فمحب كان يعرف بالخبرة أنه بالنسبة لأحمد فرحات، الذي كان كثير الشرب كحوت، وككل كثيري الشرب كالحيتان، الكمية أهم بكثير بالنسبة لهم من الكواليتي، لإنه في النهاية، وبعد الكأس الثالثة، لا تعود

تفرق مع الشريّب النوعية والجودة والكواليتي.

كان التلفزيون ما زال يذيع برنامج "على هوى مصر"، وحدث أن صفوت عبد العال، الذي بت تعلم الآن أنه لا دكتور ولا يحزنون، قد ذكر اسم الرئيس السيسي في سياق حديثه، فوجدها محب فرصة لاستكشاف رأي أحمد فرحات في موضوع كان يعلم مسبقاً رأيه فيه، على الأقل منذ آخر مرةُفتح فيها الموضوع وتناقشا فيه.

- إنت رأيك لسه برضو زي ما هوَّ في السيسي؟!

- أيوه.

وسادت لحظة صمت بين الاثنين، أكمل أحمد فرحات بعدها مؤكداً موقفه ورأيه ونظرته في الرئيس المصري الحالي عبد الفتاح السيسي قائلاً:

- الراجل ده أنا أصلاً مش متوقع منه إلا مصايب وبلاوي!

- إشمعنى؟!

- يا ابني العسكر طول عمرهم كده! مش متعودين إلا على السمع والطاعة، زيهم زي الإسلاميين بالضبط، الوجه التاني لنفس العملة القذرة! وبعدين أنا مش فاهم يعني إيه فوضوني عشان أحارب الإرهاب! يعني إيه يعني! ماهو يا ابن العبيطة القانون بيديلك الحق في اتخاذ كل الإجراءات لمواجهة الإرهاب! مش لازم الإرهاب يا سيدي، القانون بيديلك كل الأدوات إنك تكافح الجريمة بمختلف أنواعها، إيه بقى حكاية فوضوني دي! ولا انت عايز بقى تشتغل بره القانون بقى ولا إيه؟!

- صحيح،عندك حق، بس برضو هوَّ لسه جديد في السلطة يا احمد، لسه بيتعلم.

- يا ابني انت تخيل عليك الحركات دي! وبعدين إيه حكاية القبض على الناس وعلى النشطاء وعلى المتظاهرين! لأ شكلها من الأول كده مايطمنش! حتى كل الإشارات اللي طالعة منه في الاقتصاد بتقول إنه رايح في سكة السادات، والسداح مداح بقى والقرف ده! ده بيقولك يا عم إنه معجب بالسادات! ومرة سمعته بيقول إنه بيقرا كتب أنيس منصور لما سألوه إيه هوَّ كتابك

المفضل! اتفضل يا سيدي، أنيس منصور!

- أنيس منصور ماشي أنا معاك يا احمد، نص لبَّة ونصاب، ماشي، إنما السادات ماله بس يا عم مش عاجبك ليه!

- آه مانا عارف إنه غاوي السادات! يا شيخ بلا قرف! هوَّ خرب البلد وغيَّر مصر وكميا مصر والمصريين إلا السادات! الله يلعنه لعنة الله عليه مطرح ماراح!

- يعني عايزها اشتراكية وناصرية تاني يا احمد! يا عم ده صحابها نفسهم أعلنوا إفلاسها! روسيا والصين النهارده رأسماليين أكتر من الأمريكان يا احمد وانت سيد العارفين! وبعدين زي ما في إشارات طالعة منه إنه رايح في سكة السادات فيه إشارات برضو إنه رايح في سكة عبد الناصر.

- لأ مش صحيح! ضحك ع الدقون يا عم! بينيّم اليسار بس! مش واخد بالك انت ازاي، ماينفعش تحقق أهداف عبد الناصر بسياسات اسماعيل صدقي!

- ولا اسماعيل صدقي ولا حاجة ماتكبرهاش يا احمد أمال! ده بس بيطبق القانون، مش انت بتحب القانون! طيب، القانون بيمنع التظاهر بدون تصريح، وبيمنع قفل الشوارع وتعطيل مصالح الناس، مش هوَّ ده برضو القانون!

- ماشي ياعم بكره نشوف! بكره نقعد ع الحيطة ونسمع الزيطة!

- ماتبقاش متشائم بس يا احمد!

- يا ابني انا محبب على قلبي ظني يطلع غلط، هوَّ احنا ناقصين! بعد كل التضحيات اللي الناس قدمتها دي، الناس العاديين اللي نفسهم يشوفوا بلدهم بتشد حيلها ويشوفوا نفسهم ويشوفوا ولادهم في حالة تسر!

- لأ إن شاء الله خير أنا متفائل والله.

- ماهو انا عارف إن الكنيسة مراهنة على العسكر! ليها حق طبعاً الواحد بيلتمس لهم العذر علشان اللي شافوا أيام مرسي! وعلشان تاريخ العلاقة بين الاتنين، من أيام عبد الناصر وفيه علاقة

قوية مع الكنيسة، باستثناء أيام الصدام بتاع البابا شنودة والسادات.

- شفت بقى أديك بنفسك قلت آهو! ماهواش كارت بلانش يعني!

- أتمنى تكون الكنيسة فاهمة ده، العلاقات السياسية زيها زي العلاقات بين البشر يا محب وانت عارف الكلام ده، الضغط مسألة صحية ولازم بيجيب نتيجة.

- الـ Push back.

- اسمه إيه؟

- الـ Push back.

- آه البوش باك بيجيب نتيجة، واللي قبلينا قالوا إيه، نيك العسكر وماتورهمش زبك!

- ها ها هه!

- إنما التسليم وقلع اللباس ده بيجيب نتيجة سلبية.

- الكنيسة يا احمد مساكين ضهرهم للحيطة! لا العسكر الأم تريزا، ولا الإسلاميين الأم تريزا! بس أظن بالنسبة للاقباط فِسا العسكر أهون من فِسا الإسلاميين ها ها هه! فِسا الإسلاميين ريحته بعيد عنك لاُتطاق، ريحته تموِّت!

- آهو كله فِسا.

ملاحق

أولاً- بعض وصفات الأكل لسامح شكري

إليك ما سبق أن وعدناك به من وصفات سامح شكري لبعض الأكلات التي قامت مَرجريت ورجب بصنعها على العشاء في بيتهما في لندن في ليلة الخامس من يونيو 2014، بمناسبة دعوة أماندا وزوجتها لِديا على العشاء عندهما في الشقة، وكانا يدينان فيها بالفضل لتعاليم سامح شكري في الطبيخ:

(أ)- طريقة سامح شكري في تحضير مسقعة الباذنجان

(1) يُقشر الباذنجان ويُقطع شرائح أو حلقات وُيتبل بالملح ثم يُحمر خفيفاً في الزيت أو السمن نصف تحمير حتى يصفر لونه، ثم يُرفع.

(2) تُعمل البصلية باللحم المفري (أو بدون لحم للنباتيين) في الزيت أو السمن المتخلف.

(3) تُوضع شرائح الباذنجان واللحم المفري (أو بدون لحم للنباتيين) بالتبادل في حلة أو دقيّة أو طاجن بحيث تكون الطبقة العليا من اللحم. يُتبل السائل سواء كان ماء أو بهريز بالملح والفلفل ويُسقى به الباذنجان.

(4) يُغطى الإناء ويُرفع على نار هادئة أو يُزج في فرن متوسط الحرارة حتى يتم النضج.

(5) يُقدم إما مغروفاً في صحن عميق أو يُقلب من الدقيّة أو يُقدم في الطاجن مباشرة.

وإليك طريقة عمل البصلية:

(1) يُفرى البصل ناعماً ويُقلي في الزيت أو السمن حتى يصفر لونه.

(2) يُقطع اللحم أو يُفرى (أو بدون لحم للنباتيين) ثم يُضاف للبصل ويُقلب على النار حتى يحمر الاثنان.

(3) تضاف الطماطم المصفاة (أو ملعقتين من معجون الطماطم المركزة مع كوبي ماء)

والملح والفلفل والكمون والكسبرة الجافة وفصين من الثوم المفري، وُتقلب على النار، حتى ينضج اللحم وتصبح الصلصة غليظة نوعاً ما ويُعرف هذا بانفصال السمن.

(4) يُضاف الماء أو البهريز ويُطهى على نار هادئة حتى النضج.

****

(ب)- طريقة سامح شكري في تحضير محشي الفلفل الأخضر الحلو (الفلفل الـكبة)

(1) يُغسل الفلفل الرومي الكبير سميك الحجم جيداً ويُزال الكأس باحتراس ثمُتزال البذور العالقة.

(2) يُغسل من الداخل.

(3) يُصفى من الماء ويُتبل بقليل من الملح والفلفل والبهار.

(4) يُحشى بالخلطة مع ترك فراغ من الأعلى بمقدار عقلة إصبع أو أقل قليلاً.

(5)ُتصب صلصة الطماطم على الحشو بداخل قطع الفلفل.

(5)ُتزال البذور من الكأس ويُقطع جزء من عنقه، ثم يُغطى الفلفل بالكأس المعدة وقد لا يُغطى.

(6) يُرص في حلة ويُوضع له مقدار من الزيت أو السمن وقليل من الماء المُملح.

(7) يُرفع على نار هادئة ويُترك حتى يلين الفلفل وينضج الأرز. يُرتب بنظام في الصحن المعد ويُقدم.

لعمل صلصة الطماطم التي سنصبها على الفلفل المحشو:

المقادير: نصف لتر من عصير الطماطم (أو ملعقتين كبيرتين من صلصة الطماطم على كوبي ماء) - ملح - فلفل - كمون - فصان من الثوم المدقوق - كسبرة جافة.

لعمل الصلصة: نضع كل المقادير السابقة في حلة أو إناء ويُغطى الإناء، وُترفع على نار هادئة، وُتترك لتغلي حتى يصبح قوامها غليظاً نوعاً ما.

****

(ج)- طرق عمل خلطة الحشو

أولاً- حشو الضلمة (بدون لحم):

يُخلط الأرز مع البصل المفري المُتبل بالملح والفلفل، ويُضاف البهار، والمقدونس، والطماطم المقطعة قطعاً صغيرة، والقليل من النعناع الأخضر أو الجاف، ويُقلب الجميع جيداً بعضها ببعض مع إضافة الزيت، وتستعمل للحشو.

وهناك طريقة ثانية للضلمة:

(1) يُحمر البصل المفري في الزيت تحميراً خفيفاً جداً.

(2) يُضاف الأرز ويُقلب جيداً فوق النار.

(3) تُضاف قطع الطماطم (أو طماطم مصفاة) وُتقلب إلى أن يمتص الأرز العصير.

(4) تضاف باقي المقادير: الملح والفلفل والبهار والمقدونس والنعناع، وُتستعمل الخلطة بعد أن تبرد.

ثانياً- الحشو بالعصاج:

وله طريقتان: الحشو النيء، والحشو نصف الناضج.

الحشو النيء:

(1) يُفرى البصل ناعماً ويدعك بالملح والفلفل، ويُضاف إليه اللحم المفري.

(2) تُقطع الطماطم قطعاً صغيرة، أو تُصفى.

(3) ينقى الأرز ويُغسل جيداً، ثم يُصفى من مائه.

(4) تُخلط جميع المقادير بعضها ببعض مع الملح والفلفل والبهار والمقدونس والقليل من النعناع الجاف أو الأخضر. تُستعمل الخلطة للحشو.

الحشو نصف الناضج:

كالمقادير السابقة في الحشو النيء.

الطريقة:

(1) يُفرى البصل ويُحمر تحميراً خفيفاً، ثم يُضاف إليه اللحم المفري ويُقلب حتى يحمر.

(2) يُضاف الأرز النقي المغسول ويُقلب على نار هادئة.

(3) تُضاف الطماطم وتُقلب إلى أن يمتص الأرز العصير.

(4) يُضاف المقدونس والنعناع ويُقلبان مع الخلطة مدة دقيقتين.

(5) تُترك الخلطة لتبرد قليلاً ثم تستعمل للحشو.

****

(د)- طريقة سامح شكري في تحضير سلطة بابا غنوج

المقادير: نصف كيلو باذنجان أسود كبير - بصلتان كبيرتان - 2 فلفل أخضر كبة - نصف كوب طحينة - 3 ملاعق زيت زيتون أو ذرة - 4 ملاعق كبيرة خل + نصف ليمونة - 6 فصوص ثوم - ملح - كمون - كسبرة جافة - شطة حسب الرغبة.

الطريقة:

(1) تُغسل جميع الخضر جيداً، وتجفف، ثم يُقطع الباذنجان والبصل قطعاً كبيرة، وقد يُترك الفلفل صحيحاً بعد تنظيفه من البذور أو يُقطع قطعاً كبيرة.

(2) يُشوى الباذنجان والبصل والفلفل في فرن حار حتى تمام النضج.

(3) عمل سلطة الطحينة:

المقادير: 4 ملاعق طعام من الطحينة - ملعقتان مملؤتان من الدقيق - ثوم مدقوق - كسبرة جافة - كمون - ملعقة خل - عصير ليمونة - ملعقة زيت ذرة - نصف ملعقة شاي من الملح - ماء - شطة ومقدونس أخضر حسب الرغبة.

الطريقة: نضيف الدقيق للطحينة وُنقلب سريعاً حتى تصير عجينة متماسكة، ثم نضيف الثوم والكسبرة الجافة والكمون والخل وعصير الليمون والملح والزيت وُنقلب جيداً، ثم نضيف القليل جداً من الماء وُنقلب جيداً حتى تشرب الطحينة الماء، ونكرر إضافة القليل من الماء والتقليب حتى نحصل على القوام المناسب، وقد نضيف الشطة حسب الرغبة، وأوراق المقدونس الأخضر حسب الرغبة.

(4) بعد أن تبرد الخضر المشوية في الفرن (الباذنجان والبصل والفلفل الرومي)، نضربها جميعاً في الكبة أو نفرمها ناعماً في المفرمة.

(5) نقلب الهريس في بولة كبيرة، ونضيف إليها سلطة الطحينة، ونقلب الجميع جيداً حتى تمتزج بعضها ببعض. قد نضيف الشطة حسب الرغبة، وقد نجملها بالمقدونس حسب الرغبة (في حالة عدم إضافة كليهما لسلطة الطحينة من قبل).

(6) نضع بابا غنوج في علبة أو إناء محكم الغلق، ونتركه في الثلاجة.

****

(هـ)- طريقة سامح شكري في تحضير صوص الطحينة

كما تقدم شرحه في بابا غنوج (بند 3).

****

(و)- طريقة سامح شكري في تحضير الطماطم المتبلة

(1) تُنتقى الطماطم متوسطة الحجم الصلبة والمستديرة، وتُغسل جيداً.

(2) تُقطع الطماطم لنصفين بالتساوي.

(3) التتبيلة: ثوم مدقوق، وكسبرة جافة، وكمون، وقليل من الخل، وقليل من عصير الليمون، وملح حسب الرغبة، وقد تضاف الشطة حسب الرغبة. تُخلط جميعاً جيداً.

(4) يُوضع بعض من التتبيلة فوق كل نصف حبة طماطم بحيث تغطي التتبيلة السطح تماماً.

(5) تُرص في علبة أو إناء محكم الغلق، كل نصف حبة بجوار النصف الآخر والتتبيلة لأعلى، وتُغلق العلبة جيداً وتوضع في الثلاجة.

****

(ز)- طريقة سامح شكري في تحضير الميَّة الساقعة

المقادير: ماء من الصنبور، أو مياه معدنية من الزجاجة - مكعبات ثلج من حوض مكعبات الثلج من فريزر الثلاجة.

(1) نملىء ترموس شاي أو شفشق مياه سعة لتر له غطاء محكم بالماء لثلثيه.

(2) نضيف 10 مكعبات ثلج.

(3) نغلق الترموس أو نغطي الشفشق، ويُترك ليبرد.

ثانياً- تقرير لِديا ماكنزي

تعليق وشرح:

حصل رجب على نسخة ورقية من تقرير لِديا، والحق أن البنت نفسها هي من أعطه النسخة العربية من التقرير؛ آملة أن يراجع لغته العربية ويصحح منها ما وجب التصحيح ويضبط لغوياً ما وجب الضبط؛ ذلك أنها لم تكن تثق كثيراً في زميلتها المترجمة العراقية لولا عبد الجبار؛ ولعل عدم الثقة هذا كان نتيجة لبعض الإشكالات التي نشأت عن ترجمات ندى عبد الجبار حين تم توزيع النسخة العربية على وسائل الإعلام والصحافة العربية، فنُفهم ما لم تكن منظمة هيومن رايتس ووتش فرع لندن تقصده، أو لعل عدم الثقة ذلك كان نتيجة لسبب آخر وراء علمنا ومعرفتنا، فنحن نخمن مجرد تخمين في هذا المقام، والمهم في الموضوع أن لِديا قد أعطت رجب نسخة ورقية من النسخة العربية من تقريرها لكي يقرأه بحجة المراجعة اللغوية التي ذكرناها لك.

ومن جانبه وجدها رجب فرصة عظيمة لكي يرسل التقرير إلى العقيد يونس في مباحث أمن الدولة المصرية؛ والذي سبق وأن عبَّر لرجب، وفي أكثر من مناسبة، بل وحتى بلا مناسبة، عن استياءه من تقصيره في خدمة الأمن القومي المصري، ذلك أن الولد رجب قد كف عن إرسال أي معلومات مفيدة للعقيد يونس فور أن استقر به الحال في لندن، وبالرغم من أن تقرير لِديا كان معداً أساساً لكي يتم توزيعه على وسائل الإعلام والصحافة العالمية، والمصرية أولاً وفي الأساس، وبالتالي لم يكن تقريراً سرياً أو غير معلوم أو مُتكتَّم عليه، بل وكانت منظمة هيومن رايتس ووتش فرع لندن تزمع توزيعه على وسائل الإعلام بعد يومين كما علمنا، إلا أن رجب قد أرسله للعقيد يونس على أي حال، بل لعله لهذا السبب أرسل التقرير، ولعله منى نفسه بأن يكون بهذا قد رفع العتب عن نفسه وذر الرماد في عيني العقيد يونس وكسر عينيه، ولعله منى نفسه بأن يُسكت هذا الفعل الوطني في خدمة الأمن القومي المصري إلحاح العقيد يونس عليه بإرسال أي معلومات والسلام حتى ولو كانت تافهة أو عديمة القيمة من وجهة نظر رجب، ولعله هذا هو سبب إرساله لتقرير كان سيُنشر على أي حال على نطاق واسع في وسائل الإعلام المصرية ذاتها بعد ثمانية وأربعين ساعة بالتمام والكمال، أو لعل ما كان في نية رجب شيئاً آخر غير هذا، فنحن نخمن هنا مجرد تخمين.

وإليك تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش فرع لندن عن تنامي حالات الاغتصاب الجماعي للفتيات والسيدات المصريات بعد 25 يناير 2011، والذي أعدته كبيرة الباحثين في شؤون الشرق

الأوسط وشمال أفريقيا بالمنظمة؛ الباحثة ومنسقة المشاريع لِديا ماكنزي، وكما صدر عن المنظمة نفسها، وبنفس النسخة المُصححة لغوياً من قِبل رجب حين أعادها إلى لِديا ماكنزي التي قامت بتوزيعها على الصحافة ووسائل الإعلام البريطانية والمصرية والعالمية، حرفاً حرفاً وتشكيلاً تشكيلاً وعلامة ترقيم علامة ترقيم، بلا زيادة ولا نقصان، ذلك أن ماُنشر في الصحافة العالمية قد تم اختصاره، لاعتبارات المساحة، وماُنشر في الصحافة المصرية قد تم التلاعب به والتغيير فيه والحذف منه والإضافة إليه على هوى كل صحيفة؛ أو الأدق القول: على هوى كل رئيس تحرير أو رئيس ديسك، ولا يخفى عليك ما تزخر به الصحافة المصرية وما هو منتشر فيها من عدم المهنية وتدليس وتزييف وانعدام للضمير إلى آخر هذا مما أنت هارشه عن الصحافة المصرية والصحفيين المصريين والصحفيات المصريات، ومثلك سيد العارفين.

الاغتصاب الجماعي للمرأة المصرية في زمن الربيع العربي

9 يونيو 2014

لِديا ماكنزي

هيومن رايتس ووتش- لندن

شهدت مصر وقوع على الأقل 9 حالات اعتداءات جنسية على النساء واغتصاب بالآلات الحادة والأصابع في الأسبوع الماضي وحده.

وقد تابعنا التعديلات القانونية الأخيرة في قانون العقوبات المرتبطة بجرائم الاعتداءات الجنسية، ووجدنا أن التعديلات خطوة غير كافية لمحاسبة مرتكبي جرائم العنف الجنسي التي طالت على الأقل 600 فتاة وامرأة تم اغتصابهن خلال الفترة من فبراير 2011 إلى مايو 2014، والتي شملت اغتصابات جماعية واعتداءات جنسية جماعية بالآلات الحادة والأصابع، والآلاف من النساء اللاتي تعرضن إلى تحرش جنسي.

إن التصدي لهذه الظاهرة يحتاج إلى استراتيجية متكاملة لمكافحتها وتشريع قانوني شامل في مصر. ونحن ندرك أن التعديلات القانونية المُشار إليها جاءت نتيجة لضغط مستمر من قبل المجموعات والمنظمات النسوية على ضرورة محاسبة ومسائلة مرتكبي جرائم العنف الجنسي، بالإضافة إلى تفشيها في الثلاث سنوات ونصف الماضية والتي نتج عنها تداعيات مأساوية مثل جريمتي قتل فتاتين تعرضا للتحرش الجسدي واللفظي في محافظتي أسيوط والغربية في عامي 2012 و2013، وجريمة الاعتداء الجنسي على طالبة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة يوم 16 مارس 2014، وجرائم الاغتصاب الجماعي والاعتداءات الجنسية الجماعية في المناطق التي تشهد ازدحاماً وأجواءً احتفالية؛ مثل ميدان التحرير وأمام قصر الاتحادية ومناطق أخرى مختلفة؛ حيث تم توثيق أكثر من 250 حالة وقعت بين نوفمبر 2012 ويناير 2014.

يضاف إليها ما وقع الأسبوع الجاري أثناء الاحتفالات بتنصيب الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في 3 يونيو 2014، والتي ظهرت على الهواء مباشرة في بعض قنوات التلفزيون المحلي أثناء نقل الاحتفالات، كما شهدت احتفالات الأمس 8 يونيو 2014 في ميدان التحرير بمناسبة حلف

يمين الرئيس الجديد اعتداءات جنسية جماعية واغتصابات جماعية وحشية، حيث قمنا بتوثيق تسع حالات مماثلة للاعتداءات والاغتصابات المُشار إليها بالآلات الحادة والأصابع، والتي يسفر عنها عادة إصابات جسدية بالغة للناجيات، والجدير بالذكر أن الحكومة المصرية استمرت في عدم قدرتها على التصدي لتلك الجرائم نتيجة لغياب منظومة استراتيجية متكاملة.

ونحن مستمرون في مطالبة الدولة المصرية والآليات الوطنية باتخاذ التدابير اللازمة وتطبيق استراتيجية وطنية متكاملة، تشمل وزارات الصحة والعدل ومصلحة الطب الشرعي ووزارة الداخلية ووزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي للتصدي لتلك الظاهرة، وتطبيق منظومة تضمن حق السلامة الجسدية للنساء وتواجدهن في المجال العام، وتخصيص موازنة للدولة تشمل نشر إحصائيات ومعلومات شفافة خاصة بالعنف الجنسي ضد النساء، كوسيلة لضمان التصميم والتطبيق الفعال للاستراتيجية المُشار إليها.

كما نؤكد على ضرورة أخذ الإجراءات والتدابير اللازمة لحماية النساء اللاتي يقمن بتحرير محاضر في أقسام الشرطة خاصة بوقائع التحرش الجنسي التي يتعرضن إليها ومساعدتهن على المضي في الإجراءات القضائية، حيث قمنا بتوثيق الكثير من الحالات التي شهدت قيام أفراد أسر المتحرشين بالضغط على من يتم التحرش بهن لعدم المضي في الإجراءات القانونية المعنية بالرغم من تحريرهن محاضر لعدم التعرض، مما يهدد أمن وسلامة النساء ويعكس عواراً واضحاً في الإجراءات القانونية الخاصة بتلك الجرائم.

أولاً- جرائم الاغتصاب الفردي والجماعي وقانون العقوبات المصري:

نؤكد من جانبنا على ضرورة تعديل المواد 267 و268 في قانون العقوبات المصري ليشمل تعريف مفصل وواضح للاغتصاب ليشمل الاغتصاب الفموي والشرجي، والاغتصاب بالآلات الحادة والأصابع، وتعريف واضح للاعتداء الجنسي، بالإضافة إلى ما سبق ذكره بخصوص الاستراتيجية الوطنية وموازنة الدولة.

كما لا زلنا نطالب بلجنة وطنية مصرية مستقلة لجمع المعلومات والأدلة وتقصى الحقائق في الأحداث التي واكبت 30 يونيو 2013 -والتي أُنشئت بقرار رئيس الجمهورية السابق رقم 698 لسنة 2013 وتم إعادة تشكيلها بقرار رئيس الجمهورية رقم 4 لسنة 2014- والتي قامت بمد فترة

تحقيقاتها إلى 21 سبتمبر 2014 بالتحقيق الفوري في تلك الجرائم وضمان محاسبة مرتكبيها، وإنشاء لجنة مستقلة ومختصة بالتحقيق في تلك الجرائم، نظراً لطبيعتها الخاصة والتي تحتم ضرورة وجود آليات تحقيق تتناسب مع طبيعة تلك الجرائم.

ثانياً- خلفية عن التعديلات القانونية:

أصدر الرئيس السابق المستشار عدلي منصور قراراً نشر في الجريدة الرسمية المصرية في العدد 23 (تابع) بتاريخ 5 يونيو 2014 ينص على تعديل في قانون العقوبات المصري، والمتمثل في تعديل المادة 306 (أ) وإضافة المادة 306 مكرر (ب) إلى قانون العقوبات المصري للتصدي لجرائم التحرش الجنسي.

حيث تنص المادة 306 (أ) مكرر من قانون العقوبات المصري المُعدّلة على: يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر وبغرامة لا تقل عن ثلاثة آلاف جنيه ولا تزيد على خمسة آلاف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من تعرض للغير في مكان عام أو خاص أو مطروق بإتيان أمور أو إيحاءات أو تلميحات جنسية أو إباحية سواء بالإشارة أو بالقول أو بالفعل بأية وسيلة بما في ذلك وسائل الاتصالات السلكية أو اللاسلكية.

وتكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة وبغرامة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه ولا تزيد على عشرة آلاف جنيها وبإحدى هاتين العقوبتين إذا تكرر الفعل من الجاني من خلال الملاحقة والتتبع للمجني عليه.

وفي حالة العودة تضاعف عقوبتا الحبس والغرامة في حديهما الأدنى والأقصى.

ويتوافق تعبير "التعرض للغير" مع نفس الفلسفة القديمة للمشرع المصري في عدم تخصيص نوع محدد لجريمة التحرش الجنسي، وهو ما نلح عليه بأن يكون هناك نوع محدد في التشريع المصري تحت بند "التحرش الجنسي"، وهو نفس ما تطالب به كل المنظمات والمجموعات النسوية المصرية والدولية منذ عدة سنوات.

وقد انصب التعديل على رفع الحد الأقصى للجريمة في صورتها البسيطة من سنتين إلى ثلاثة سنوات وعلى رفع الغرامة من خمسمئة جنيه إلى ثلاثة آلاف جنيه حتى خمسة آلاف جنيه، وقد

اعتبر المُشرع أن "الملاحقة والتتبع" تكرار للجريمة، ورفع الحد الأدنى للعقوبة إلى سنة وكذلك الغرامة من خمسة آلاف جنيه إلى عشرة آلاف جنيه.

وتم إضافة مادة جديد فى قانون العقوبات تحت مسمى المادة 306 مكرر (ب) التي تنص على: يعد تحرشاً جنسياً إذا ارتكبت الجريمة المنصوص عليها في المادة 306 مكرر (أ) من هذا القانون بقصد حصول الجاني من المجني عليه على منفعة ذات طبيعة جنسية، ويعاقب الجاني بالحبس مدة لا تقل عن سنة وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تزيد على عشرين ألف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين.

فإذا كان الجاني ممن نص عليهم في الفقرة الثانية من المادة (267) من هذا القانون أو كانت له سلطة وظيفية أو أسرية أو دراسية على المجني عليه أو مارس عليه أي ضغط تسمح له الظروف بممارسته عليه أو ارتكبت الجريمة من شخصين فأكثر أو كان أحدهم على الأقل يحمل سلاحا تكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنتين ولا تجاوز خمس سنين والغرامة لا تقل عن عشرين ألف جنيه ولا تزيد على خمسين ألف جنيه.

أدخلت تلك المادة كلمة "التحرش" لأول مرة في قانون العقوبات المصري وحاول المشرع وضع تعريف للفعل المؤثم "التحرش الجنسي"، ولكنه للأسف ربط التعريف بقصد حصول الجاني من المجني عليه على منفعة ذات طبيعة جنسية، الأمر الذي يفتح مجالاً واسعاً لتأويل تلك الوقائع لقصد الجاني بدلاً من استقصاء مدى الضرر الواقع على المجني عليه، إذ أن نقاش نية الجاني في تلك الجرائم والتأويلات التي تتبع ذلك قد تفرغ المادة من مضمونها وتحد من فعالية تطبيقها.

وفى الفقرة الثانية أضاف المشرع "السلطة الوظيفية للجاني" كظرف جديد مشدد للعقوبة، إذ أن السلطة الوظيفية للجاني قد تدفعه للتحرش بزملاء العمل أو مرؤوسيه تحت ضغط الحاجة أو العمل.

ثالثاً- شهادات بعض ضحايا الاغتصاب الجماعي في مصر:

تزامنت احتفالات اليوم العالمي للمرأة هذا العام بكثير من المآسي للمرأة المصرية، حيث تواجه المرأة في ظل التغيرات السياسية التي تشهدها مصر واقعاً مختلفا فرض عليها الترهيب

والانتهاك الجسدي. كانت هذه الانتهاكات فيما مضي تحاط بالسرية والكتمان لما يمكن أن تجلبه على الضحية من نفي وتهميش في المجتمع الذي تعيش فيه، لكن هذه المواقف تغيرت كثيراً، وبدأت المرأة المصرية في كسر حاجز الصمت لتؤكد على حقها في التعبير عن الرأي، وأن العار يجب أن يلحق بمرتكب الجريمة لا بالضحية.

هذه الشهادات ليست قصصاً خيالية، أو سيناريو لفيلم رعب، وإنما هي حقيقة، حقيقة ترويها ثلاث من الضحايا اخترن كسر حاجز الصمت، وقمنا بتوثيقها لهن ضمن برنامج توثيق شهادات الضحايا اللاتي تم اغتصابهن جماعياً في مصر خلال العامين الماضيين، وقد اخترنا هذه الشهادات الثلاث كون أنها ترسم صورة لممارسات عنف ممنهجة ومنظمة ضد النساء المصريات؛ وخصوصاً الناشطات منهن واللائي يشاركن في الحراك المدني في صورة المظاهرات والمسيرات الشعبية المطالبة بالحرية والديمقراطية والعدالة والدستور المدني في مصر.

(أ)- الشهادة الأولى: (سوسن مصطفى)؛ إحدى الناجيات من اغتصاب جماعي وقع في محيط ميدان التحرير في 23 نوفمبر 2012

سأحكي حكايتي التي تشبه الكثير من الحكايات، الموت كان قريباً، ُانتهكت، ُاغتصبت في قلب ميدان التحرير بين جموع من البشر لا أعرف دينهم، ذئاب بشرية نهشت وانتهكت كل ما هو خاص، عنف وشبق وغريزة ولا أحد قادر على إنقاذي، كنت أواجه الموت والاغتصاب لمجرد أني أنثى. الأم والأخت والإبنة والجارة والصديقة مجرد أنثى. على ناصية شارع محمد محمود، شارع الشهداء وعيون الحرية جردوني من جنسيتي، من انتمائي لهذا المشهد.

الجمعة 23 نوفمبر 2012 في تمام الساعة السادسة والنصف مساءً نزلت أنا وصديقتي لنعلن رفضنا للدستور المشوه، وسط الملايين ممن نزلوا لنفس الغرض، تمشينا حول الصينية في الميدان ووصلنا لناصية شارع القصر العيني وشارع محمد محمود، كانت الشرطة تلقي قنابل مسيلة للدموع بغزارة وبدأ الركض والتدافع، أمسكت بيد صديقتي ولكني فقدتها بعض لحظات. آخر شيء سمعته منها هو أن هناك من يتحرش بها وسط التدافع. حين استطعت الرؤية مرة أخرى لم أجد صديقتي، ووجدت صديق لي كان هارباً من الغاز بالقرب مني، قلت له إن صديقتي هناك

يتحرشون بها، فذهبنا لننقذها وقد اكتشفت وقتها أني فقدت الموبايل.

وجدت صديقتي وحولها المئات من الأشخاص، حاولت أن أخلصها أنا وصديقي لكنهم دفعونا سوياً فوقعنا فوق بعضنا، ثم فصلونا إلي دائرتين، وقتها لم أدرك أي شيء، لم افهم ماذا يحدث؟! من هؤلاء؟ كل ما كنت أدركه أن هناك المئات من الأيادي تجردني من ملابسي وتخترق جسدي بكل وحشية، لا سبيل للنجاة فالكل يقول إنه يحميني وينقذني لكن ما كنت أشعر به أن الدوائر القريبة مني والملتصقة بجسدي يغتصبونني بأصابعهم من الأمام ومن الخلف، بل وأحدهم كان يقبلني من فمي، أصبحت عارية تماماً، وتدفعني الكتلة الملتفة حولي إلي الممر المجاور لمطعم هارديز، أنا داخل هذه الدائرة المغلقة بإحكام وكلما كنت أحاول أن أصرخ وأن أدافع عن نفسي وأن استنجد بمخلص كانوا يزيدون من عنفهم واغتصابهم، وقعت في مياه المجاري الموجودة أمام هارديز وأدركت في هذه اللحظة أن في الوقوع موتي، قررت أن أحافظ على هدوئي طالما الصراخ يتبعه عنف أكبر، وحاولت أن أبقى واقفة أتشبث بأيديهم التي تخترقني،

ثم في الممر بجوار هارديز وقعت مرة أخرى في بلاعة المجاري ذاتها وأنا عارية، استطعت أن أنجو من الموت دهساً تحت أقدامهم، وجدت باب لعمارة، حيث يقف البواب خلف الباب ولا يريد أن يفتح، بقيت محجوزة في مدخل العمارة وقتاً طويلاً، تتدافع الأجساد من حولي وأيديهم ما زالت تنتهكني، بل وكنت أرى منهم من يقف في أماكن عالية لكي يتمكن من المشاهدة مجاناً ليغذي إحباطاته الجنسية بالمشاهدة، أشعر أني قضيت وقتً طويلاً في هذا الركن، إلى أن ألقى لي أحدهم بلوفر والذي كان شبه مستحيلاً أن أرتديه فالأجساد تلتصق بي وتمنعني من ارتدائه، نجحت في لحظة ما أن أرتدي البلوفر وهي اللحظة التي سمعت مجموعة من الشباب على يساري يتفقون على أن يأخذوني لمكان آخر، وعلى حد تعبير أحدهم "ناخدها وبعدين واحد واحد يا شباب"، وفجأة بدأت الكتلة البشرية تدفعني مرة أخرى ولكن ليس في اتجاه المستشفى الميداني، دفعوني في الاتجاه المعاكس في اتجاه خرابة مظلمة، خفت من أن ينتهي بي الحال في هذه الخرابة، حاولت الوصول لقهوة في الطريق لكنها لم تفتح وكذلك محل للأدوات الإلكترونية أيضاً لم يفتح بل وتحرش بي أحد العاملين بهذا المحل وأنا أمر من أمامهم.

شعرت بيأس جعلني أستنجد بهذا الرجل الذي أمامي مباشرة والذي كنت أختبئ خلفه لأستر عورتي، والذي كانت أصابعه تعبث بمؤخرتي، أخذت أستعطفه قلت له إني أم، وهذه حقيقة، وقلت

له إنه رجل شهم وبطل وأنا قد اخترته لكي يحميني وتوسلت إليه لكي يفسح لي طريقاً للمستشفى الميداني.

لا أدري حقاً ما دفع هذا المتحرش لإنقاذي بعدما توسلت إليه؟! ولا أعرف كيف فجأة أشهر حزاماً وأخذ يضرب كل من حوله ويصرخ فيهم بجنون: "أنا اللي هاحميها، أنا اللي هاحميها"، لا أدري كيف استيقظ ضميره؟! لكني وجدت نفسي أزحف لأصل للمستشفى الميداني، هناك رأيت أول سيدتين فشعرت بالنجاة، كان نصفي الأسفل ما زال عارياً تماماً، فألقتا عليَّ البطاطين وسط محاولات للمتحرشين لاقتحام المستشفى والالتفاف حولي مرة أخرى، أعطى لي أحدهم سرواله وآخر موبايله لكي أتصل بأحد، بدأت أرى أصدقائي وهم يحاولون اختراق الكتل البشرية الملتفة حولي، كان شيئاً في غاية الصعوبة أن أتمكن من الخروج من المستشفى الميداني لكي أصل لبيت صديقة لي قريبة من المستشفى، حين صعدت لبيتها كان المتحرشون لا يزالون ينتظرون أسفل العمارة.

أشعر أني لم أحكي الحكاية كما حدثت حقاً، الوصف أقل بشاعة مما حدث لي ولصديقتي التي عرفت بعد ذلك أن المتحرشين أخذوها إلي عابدين، وأن من أنقذها كانت سيدة عظيمة من عابدين.

أشعر بالأسف والحزن والأسى لما حدث من حالات أخرى بالأمس 25 يناير 2013، لذا قررت أن أقول شهادتي هذه لكي يعلم كل من يريد أن يدفن رأسه في الرمال أن ما يحدث جريمة بشعة قد تحدث لأمه أو أخته أو ابنته أو لصديقته أو حبيبته.

التحرش مرض اجتماعي متفشي من سنين في مصر، يستخدمه النظام الحالي لكي يرهب به الفتيات والسيدات، ولكن يجب أن يعلم الجميع أن قضية التحرش هي قضية اجتماعية وليست سياسية فقط، وما يحدث في الأعياد والمناسبات والأماكن المزدحمة تشهد على ذلك، لا أعرف إن كانت هذه الشهادة ستُحدث اختلافاً أو تغييراً، فما زالت الانتهاكات تُمارس، ولكنه أضعف الإيمان.

(ب)- الشهادة الثانية: (ياسمين البرماوي) إحدى الناجيات من اغتصاب جماعي وقع في محيط ميدان التحرير في 23 نوفمبر 2012:

أنا ياسمين البرماوي أحترف عزف الموسيقي وليس لدي أي نشاط سياسي، علاقتي بميدان التحرير ترجع إلى أيام الثورة الأولى وشاركت في المظاهرات بشكل متكرر لأني شعرت بضرورة المشاركة الفعالة في الحراك السياسي المطالب بالتغيير.

في الأيام الأولى للمظاهرات كان الرجال من التيار الديني ينظرون إلى فكرة نزول المرأة إلى الشارع للتظاهر باحترام كبير، كان هناك رجال ملتحون يبتسمون لنا راضين عما نقوم به وبنوع من التقدير لما نفعله، هؤلاء كانوا مواطنين عاديين اتحدوا على هدف واحد هو إسقاط نظام مبارك.

بعد تنحي مبارك اختلفت الأجواء الموجودة في الميدان، ظهرت لعبة السياسة واضحة وبدأ نوع من الاستقطاب السياسي، علاقتي بالميدان بعد الثورة علاقة وثيقة تؤهلني لرصد هذا التغير فأنا كنت موجودة هناك في كل الأحداث الكبري، في محمد محمود الأولى والثانية ومجلس الوزراء وجميع الجُمع المهمة وذكرى الثورة.

بعد 11 فبراير وتنحي مبارك تبدلت الأجواء تجاه وجود النساء في المظاهرات، وتبدل شعوري أنا شخصياً بالأمان المطلق الذي كنت أشعر به في أيام الثورة الأولى، بدأت أسمع عن عمليات تحرش وبدأت ألاحظ عمليات تحرش، ولكن ما حدث لي كان فوق التصور حتى مع الحادث الذي تعرضت له الصحفية الأمريكية سارا لوغان.

كنت أشعر أن هذا حدث لها بسبب أنها أجنبية والتصور المغلوط عند الناس أن الأجانب جميعهم جواسيس، بالإضافة إلى أن قطاعاً من المجتمع المصري مريض بالهوس الجنسي ويعتبر الأجنبية "مباحة".

كل رجل مصري يعرف أن ابنته وزوجته وأخته وأمه تتعرض للتحرش في الشارع بداية من اللفظ البذئ إلى اللمسة، وأكثر من ذلك، السكوت على التحرش الذي يحدث في المجتمع كل يوم كان نتيجته وقوع عمليات اغتصاب جماعي للنساء في الشوارع، المتحرش الذي كان فيما مضى يهرب بمجرد مواجهته ويخجل من فعلته أصبح اليوم يقف في الشارع ويغتصب ويشارك في اغتصاب جماعي في الشارع.

يوم الجمعة 23 نوفمبر الساعة الخامسة نزلت مع صديقة من البيت للمشاركة في الاحتجاج على الإعلان الدستوري الذي أصدره الرئيس مرسي، كان يوماً حافلاً والميدان كان مليئاً بالناس من كل طوائف المجتمع حتى حزب الكنبة نزلوا، فالأجواء كانت مشحونة منذ يوم 19 نوفمبر ومقتل الناشط جيكا، وكان هناك ضرب في المتظاهرين، نزلت من جهة شارع القصر العيني على ناصية شارع الشيخ ريحان، أنا كنت واقفة في الخلف ولاحظت وجود مدنيين مندسين وسط المتظاهرين يقومون بسحب المتظاهرين واحداً تلو الآخر ويقومون بتسليمهم إلى الأمن.

أود أن أقول إن التحرش الجماعي يحدث بعد المغرب، فالنساء يتم التحرش بهن في الظلام وفي الخفاء، ويمكن بالفعل أن يكون هناك تحرش بينك وبينه ثلاثة أمتار ولن تلاحظ ذلك، لأن البنت تكون في الأسفل على الأرض.

عندما تم محاصرتي كانت هناك دائرة حولي من المتحرشين يقومون باغتصابي ودائرة أوسع تبث شائعات، مرة قالوا إني أحمل قنبلة على بطني ومرة أخرى زعموا أنني جندي أمن مركزي، هذا يثبت أن الموضوع منظم.

تحديداً منذ ٢٣ نوفمبر بدأ هذا الأسلوب في التحرش والاغتصاب الجماعي الوحشي، ستة نساء تعرضن لنفس التجربة في هذا اليوم، أي في المليونية التي تم الإعلان عنها مسبقاً بعد الإعلان الدستوري، نزلت مليشيات التحرش والاغتصاب الميدان يومها.

ما حدث لي أنه كان هناك حشد كبير لهذا اليوم والكثيرون فرحوا لعودة الميدان إلى سابق عهده، كانت هناك حشود كثيرة وجميع الأطياف السياسية موجودة، فيما عدا التيارات الدينية بالطبع، الجميع اتفق على رفض قرارات مرسي، كل هذه الطاقة الإيجابية تحولت إلى طاقة سلبية، فبعد خمس دقائق فقط من دخولي الميدان شعرت بالقلق، كانت هناك طاقة سلبية وشعور بعدم الارتياح لدي ولدي صديقتي فقررنا أن نترك المكان بعد دقائق، بدأنا نتحرك صوب الصينية في الميدان وفوجئنا بمجموعة كبيرة من الناس تجري باتجاهنا.

أنا معتادة في حالات التدافع على الثبات لأنني أعلم أن التدافع قد يؤدي إلى الموت أحياناً، لحظات واكتشفنا أنهم يجرون ناحيتنا، أنا وقعت في الأرض وبدأت صديقتي في الجري، كانت هذه لحظات رعب حقيقي، وبدأوا في لمس أجسادنا والتحرش بنا واغتصابنا، لم يكن لدي أي استعداد

نفسي أو تخيل لما حدث لي، كنت مأخوذة تماماً ومذهولة، لم أسمع أبداً أن هذا يحدث، أخذوني غدراً وبدأوا في تمزيق ملابسي بالمطاوي، بعد قليل سقطت بجواري قنبلة غاز وكان هناك شاب شهم لا أعرفه حاول مساعدتي على القيام أثناء انتشار الغاز وتفرق المتحرشين من حولي مؤقتاً، أثناء ذلك شاهدت صديقتي كانت تبحث عني بعد أن حاولت الاستغاثة ببعض من تعرفهم، كانت متصورة أننا تعرضنا لهجوم قذر بغرض السرقة وفعلاً تمت سرقة حقائبنا وهواتفنا النقالة، وكنت ما زلت على الأرض تقريباً في نفس المكان الذي تم فيه سحل ست البنات، حاولوا تخليصي من أيدي المتحرشين لكن لم يتمكنوا من ذلك، بدأوا يضعون طوقا ضيقاً حولي وحول صديقتي أما الشاب الذي جاء لينقذني فقد تم سحله هو الآخر وإبعاده عنا، وبدأت عملية الاغتصاب بشكل وحشي، جلست على الأرض، كانت هذه هي طريقتي في حماية نفسي، حاولت الهرب والاستنجاد ببواب عمارة ورفض البواب أن يفتح حتى ولو مجرد انفراجة بسيطة تسمح لي بالنفاذ.

طوال الوقت كنت ممسكة بزمام بنطالى لكنهم استمروا في تمزيقه بالمطاوي، كانوا يقوموا بتحريكي معهم في هذه الدائرة، لم أعد أتذكر تفاصيل هذه التجربة التي استمرت تسعين دقيقة كاملة.

حاول بعض المارة تخليصي من أيديهم، على سبيل المثال، قابلت شخصاً فيما بعد وقال لي إنتِ كنت بطلة وأنا حاولت أن أخلصك بمساعدة آخرين باستخدام دراجة نارية وفشلنا.

لم أكن أدرك ما حولي وكانوا يحركونني حاملين إياي من الأطراف الأربعة، فجأة ظهرت سيارة كادت أن تدهسني وفوجئت بهم يحملونني على مؤخرة السيارة، سمعت أصوات تسأل ماذا ستفعلون بها قالوا أنهم سيأخذوني إلى عابدين كي يغتصبونني.

كان المغتصبون لديهم شعور بالغل والحقد تجاهي، شعور بالرغبة في الانتقام، لم يكونوا يفعلون ذلك بغرض المتعة الجنسية ولكن كان هناك تعمد إلحاق الأذى وإحداث إصابات بالمطاوي في جسدي، لم أسمع كلمة نابية، لم يتهمني أحد بأنني ساقطة مثلاً أو أي شيء من هذا القبيل، كل هذا وهم ينهشون جسدي، كل جسدي كان كدمات وجروح وخربشات وإيذاء بالمطاوي، من يريد الاغتصاب الجنسي لن يُشرّح من يود الاستمتاع بها جنسياً بمطواة، صحيح أن بعض المهوسين جنسياً يجدون لذة في إيذاء الضحية، لكن ما هو المبرر أن يفعل ذلك وهو يزعم أنه يحميني؟! كيف

يمكن أن يحدث نفس السيناريو بالاعتداء الجنسي العنيف على أربعين فتاة بنفس النمط؟! هل أصبح جميع الناس في مصر مرضي بالسادية الجنسية؟! صحيح أن هنالك مشكلة هوس بلمس جسد المرأة ولكن هذه السادية الجنسية والتلذذ بإيذاء الضحية ليس مرضا متفشياً في الشارع، هناك فتاة اغتصبوها بمطواة أدخلوها داخلها، ما هي المتعة في ذلك؟! لقد تم الاعتداء في نفس هذا اليوم على ثلاثة وعشرين بنت بنفس الطريقة وبنفس المكان وخلال مدة خمس ساعات.

الحقيقة أنني طوال الوقت كنت أشعر أنهم يريدون أن يكسروني، أن يذلوني، وأنا كنت أقاوم بكل ضراوة.

أصعب لحظة مرت عليَّ هي حين وصلت لمدخل عمارة زحفاً أثناء الاعتداء عليَّ وبواب العمارة رفض أن يفتح لي خوفاً منهم على الرغم من توسلاتي، توسلت اليه ولكنه كان خائفاً من البلطجية الذين حولي، كنت أنظر اليه خلال ثقب الباب وأحاول أن استنجد به، لم يفتح الباب وعندما وضعت ظهري على الباب أكثر شيء سبب لي الألم أنني رأيت مجموعة من الناس كانوا ينظرون إليَّ من أرصفة مقابلة ويضحكون، وكنت أنظر إليهم في عيونهم حتى يلاحظوا كم الألم والمعاناة التي أشعر بها ولم يستجب أحدهم لتوسلاتي بل استمروا في السخرية والضحك.

في هذه الليلة، وبعد أن انتهت الحادثة، لم أذهب للبيت، خشيت أن أذهب للبيت خوفا على أمي خفت أن يحدث لها شيء حين تعرف ما حدث لي، كانت ملابسي مهترئة تماماً، كنت أرتدي جلباب السيدة المعلمة التي أنقذتني من المتحرشين في عابدين، وقضيت الليلة لدي صديقتي، لم أستطع أن أبلغ أمي أو أخي بما حدث لكن بمجرد أن وصلت إلى البيت تناولت الأدوية وعالجت الجروح التي تعرضت لها، لم أبك أبداً، كان لدي نوع من الصدمة.

صديقتي التي تعرضت للاعتداء الوحشي في نفس الليلة تفرقت عنها ولم أعرف ماذا حدث لها؟ وبمجرد أن تحدثت إليها قلت لها يجب أن يعرف الناس كلهم بتفاصيل هذا الاعتداء الوحشي، كان لدي إصرار من أول لحظة على أن أكشف كل الحقيقة، قلت لها لابد أن نفضحهم، كان همي الوحيد عائلتي، كنت أخشي على أمي من الصدمة، عندما كتبت شهادتي على الفيسبوك أمي عرفت بما جرى لي، شعرت أولاً بإحساس الأم، لاحظت أمي اهتمامي المفاجئ بقضية التحرش وشعرت بأنني لم أعد كما كنت سابقاً، ففهمت، ومع ذلك لم أستطع أن أواجهها أو أتحدث إليها لمدة شهر

كامل عن تفاصيل ما حدث، كل ما استطعت أن أقوله لها هو إنني تعرضت للضرب وحادث سرقة، ولم أذكر لها أنني تعرضت لاعتداء جنسي أو تعرية أو غير ذلك، لكنها فهمت.

بعد شهر تجرأت على مواجهتها وسألتها هل فهمت ماذا حدث لي؟ قالت لي نعم أعرف، ربنا معاكِ.

(ج)- الشهادة الثالثة: (هانيا مهيب) إحدى الناجيات من اغتصاب جماعي وقع في محيط ميدان التحرير في 25 يناير 2013:

اسمي "هانيا مهيب"، صحفية حرة ومدربة إعلام، وواحدة من السيدات اللاتي تعرضن لاعتداء وحشي في يوم الاحتفال بالذكري الثانية للثورة في الخامس والعشرين من يناير.

أول مرة نزلت فيها ميدان التحرير كانت يوم جمعة الغضب في 28 يناير، ولكني شاركت قبل الثورة في وقفات احتجاجية ضد نظام مبارك وتعرضت للضرب يوم 25 أبريل عام 2005.

أنا معتادة علي الذهاب إلى التحرير، ولكن نظراً لظروف كثيرة لا أستطيع أن أشارك في كل حدث، لكنني غالباً ما أستجيب لدعوات النزول إلى التحرير إذا كنت مقتنعة بجدوى ذلك وإذا كانت القضية تمسني أنا وتهمني شخصياً مثل قضايا المرأة والدستور.

أنا مع القصاص للشهداء وإطلاق سراح المعتقلين لكن لا أستطيع المشاركة في كل هذه المناسبات.

أنا معتادة علي الذهاب إلى التحرير بمفردي ولم أشعر يوماً بالخوف من النزول إلى ميدان التحرير خاصة وأن الحديث عن التحرش الجماعي لم يكن معروفاً، وعادة ما أفضل عدم الارتباط بمجموعة معينة لأن الاتصال في هذه الأوقات يكون صعباً نظراً لكثافة العدد.

يوم 25 كنت أشارك في مسيرة إلى الاتحادية وذهبت الي هناك وأحسست أن العدد قليل، أحببت أن اشارك في شيء أكبر فانتقلت إلى التحرير، دخلت إلى الميدان في حدود الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر.

شعرت فوراً بشيء غريب وغير طبيعي، مجموعات تتصدع والتدافع بشكل مريب، قلت لنفسي سوف أحاول أن ألتقي سريعاً بصديقة كنت قد عرفت أنها ستذهب في هذا اليوم إلى الميدان.

حاولت عبور الميدان وحدث تدافع وبدأت أرفع صوتي بغرض التعريف بوجودي وإشارة على أنني أتعرض لمضايقات.

فوجئت برجلين يحاولان دفع الشباب بعيداً عني، غير أن أحدهما رمقني بنظرة قاسية جداً ووقحة، وفجأة وجدت مجموعة من الفتيات تحيط بي كما لو كن استشعرن بخطر لم أدركه بعد، بعد ثوان فوجئت بمجموعة من الشباب يشدونني بعنف من وسط دائرة البنات اللواتي حاولن حمايتي فلم يفلحن.

تم انتزاعي في نهاية الأمر من وسط البنات بعنف، حاولت البنات المقاومة وحاولت أن أقاوم، لكن في نهاية الأمر تم انتزاعي ووضعي فى دائرة بدأت تضيق شيئاً فشيئاً وأصبحت دائرة محكمة.

وعلي مدي خمس وأربعين دقيقة كنت أتعرض لعملية انتهاك كامل، تمزيق ملابس، شد شعر، عنف.

بعد يوم الحادث أدركت أن الاعتداء الذي تعرضت له هو من قبل عصابات مأجورة، وبعد أن انتهت هذه التجربة البشعة وبدأت أستعيد تفاصيل ما حدث وأستمع إلى شهادات النساء الأخريات اللائي تعرضن لنفس الاعتداء الوحشي تأكدت أن العملية ممنهجة ومنظمة بدرجة كبيرة.

هناك ثلاث مجموعات متورطة: مجموعة تقوم بخلق نوع من التزاحم والتدافع فيحدث هرج ومرج فتصاب المرأة أو الفتاة بالخوف والرعب، ثم تأتي مجموعة ثانية تدعي أنها ستساعد الفتاة أو السيدة على تخطي هذا الزحام وتقوم بانتزاع البنت المصابة بالرعب وتنتزع البنت من المجموعة الأولى وتقوم بعمل دائرة ضيقة جداً لتبدأ عملية الانتهاك البشع لجسدها.

في كثير من الأحيان شوهدت مجموعة ثالثة في دائرة أكبر تحيط بهذه الدائرة الضيقة تكون مسلحة بأسلحة بيضاء تقوم بمنع أي شخص يحاول الاقتراب من الفتاة ومساعدتها.

من الضروري أن أقول إنه طوال خمس وأربعين دقيقة كنت أتعرض فيها للانتهاك البشع لم

أسمع أي لفظ خارج أو جارح ممن كانوا يقومون بانتهاكي، كل ما كانوا يقولونه "حذار، حرام عليكم هذا، إنها كأختكم"، كلها إشارات توحي بأنهم يقومون بمساعدتي وليس بانتهاكي.

كل ما كنت أفكر فيه كيف سأخرج من هذه الورطة وكيف سأهرب؟ ومع ذلك لم يكن لي لا حول ولا قوة طوال عملية الانتهاك وحتي لحظة دخولي إلى عربة الإسعاف.

وعندما توسمت فى شخص أنه يمكن له أن يساعدني توسلت إليه أن يتركني كي أرتدي ملابسي ولكن لم يحدث ولم أعرف إن كان هو من المعتدين أم لا؟!

كان الأمر ملتبساً تماماً، لم أعرف من الذي كان يحاول مساعدتي ومن كان يقوم بانتهاكي، لدرجة أنني كنت أتعرض للانتهاك حتي لحظة دخولي لسيارة الإسعاف، من كانوا يحملونني إلى سيارة الإسعاف كانوا في الواقع يقومون بالاعتداء الجنسي علي وبانتهاكي.

لو كانوا يرغبون بالفعل في مساعدتي فلماذا لم يتركوني حتي أتمكن من ارتداء ملابسي؟! كان هناك تعمد في إظهاري عارية أمام الناس هذا كان واضحاً، كانت هناك جرأة ووقاحة مبالغ فيها.

من كان يقوم بذلك كان يدرك تماماً أنه في حماية من حرضه علي القيام بذلك، كانوا على معرفة ويقين أنهم سيفلتون من أي عقاب.

المعروف أن التحرش مشكلة موجودة في المجتمع المصري، لكن ما تعرضت له كان مختلفاً عن التحرش الذي يحدث مثلاً في الشوارع المزدحمة أيام العيد أو في المواصلات العامة، لا، ما تعرضت ليس له علاقة بموضوع الرغبة الجنسية أو الكبت الجنسي عند البعض الذي يؤدي إلى التحرش الذي نعرفه، هذا عمل سياسي ممهنج ومدبر، ما هي المتعة التي يمكن أن يشعر بها شخص يفعل ذلك في ميدان عام ويضطر أن يصارع ويخطف واحدة وحتي لا يمكن له أن يعبر عن أي شعور بالنشوة أو اللذة الحسية؟!

هذه عملية سياسية وممنهجة ومقصود بها إلحاق العار بالمتظاهرات وكسرهن وإلحاق العار بأسرهن وتخويف النساء والفتيات من فكرة التظاهر والمشاركة السياسية وبالتالي تنحية عدد كبير من المتظاهرين من التحرير.

أتذكر الآن قصة المراسلة الأمريكية سارا لوغان التي تم اغتصابها في ميدان التحرير، وأدرك الآن أن هذا ما حدث لي تماماً.

بعد أن تم وضعي في عربة الإسعاف كان إحساسي مغايراً، فرغم الفزع والجزع الذي كنت أشعر به فإنه كان بداخلي قدر كبير جداً من الغضب وقلت لنفسي إن أفضل شيء هو أن أقف على رجلي لأنني لست معتادة على الانكسار، أنا لست انهزامية، لا يمكن أن استسلم لأحد يحاول أن يكسرني، كان لدي يقين أنني سأقف مرة أخرى علي قدميّ علي الرغم من إدراكي أن الحصول على حقي بالقانون مسألة شبه مستحيلة.

صديقاتي كانوا خير معين لي لتخطي هذه الأزمة، كن يدركن أنني لست في حاجة إلى أحد يربت على كتفي، وكن يقلن لي: "لا تخافي، إفضحيهم وافضحي المتسببين في هذه الكارثة".

الحمد لله أن الله حباني بزوج متفهم ومحب، وعائلة لم يكن لديها مشكلة في أن أخرج على الملأ وأقول إنني تعرضت لهذه التجربة المروعة.

من المؤسف أن لجنة حقوق الإنسان في مجلس الشورى، والتي يُفترض أنها تعرف التزامات مصر الدولية بمواثيق حقوق الانسان أن تقول: "إن النساء اللائي تعرضن للانتهاك هن السبب في ذلك، وإنهن ذهبن إلى أماكن ما كان لهن أن يتواجدن فيها"، هذا الكلام يكرس لأسوأ ما هو موجود في الثقافة الموجودة في المجتمع وهو تحميل الفتاة أو السيدة ذنب الجريمة، في حين أنهن الضحايا.

أما بالنسبة لمن يقول بإن القوى التي تدعو إلى التظاهر عليها أن تتحمل مسؤولية تأمين المظاهرات، فهذا الكلام يعتبر في نظري كلاماً غير مقبول بالمرة، نحن في دولة ولسنا في غابة أو مجموعة من القبائل دون ضابط أو رابط، لدينا دولة ولدينا وزارة داخلية ولدينا شرطة يجب أن تحافظ على أمن المواطنين، المرأة موجودة في كل مكان في المجتمع المصري وهي تعمل وتعول أسراً، كيف يمكن أن نمنع المرأة من الوجود الطبيعي في المجتمع؟!

أما من يتفاخرون من الجماعات الإسلامية بأن عمليات التحرش هذه لم تحدث في أوساط السلفيين أو الاخوان وإنما تحدث حين يكون الحشد أو المظاهرة للمدنيين فقط، فأعتقد أن هذا شيء مثير للشك وليس شيئا إيجابياً، بمعنى أن ذلك لم يحدث بينهم وإنما هو موجه للآخرين، ليس لدي

دليل على أن لهم يداً في التحرش والاغتصاب الجماعي، ولكن هذا ما أفهمه من مثل هذه التصريحات.

ثالثاً- كتاب التعريفات

شرح وتعليق:

حصلنا على بضع صفحات من كتاب سامح شكري المعنون (كتاب التعريفات)؛ وهذا الذي نجحنا في الحصول عليه كان مكتوباً في عدد من صفحات بعض الكراسات والكشاكيل والأجندات وظهور الرزنامات السنوية من سنين مختلفة ومن قطع وأحجام ونوعيات ورق متنوعة، ولعل سامح كان يخط ما يخطر على باله من حين لآخر على أي شيء يقع تحت يده ويكون في متناوله وقتها، ولعله لهذا لم ننجح إلا في الحصول على ما بين أيدينا فقط، ولا نعلم إن كان هناك نصوص أخرى خفيت عنا أم أن هذا هو كل ما كان لديه حتى كتابة هذه السطور؟

وقد قمنا من جانبنا بترتيب النصوص المبعثرة وفهرسناها حسب الأبجدية العربية حتى يسهل الوصول إلى التعريفات الواردة بها، ونود أن نلفت النظر إلى أن سامح شكري لم يقم بتسجيل هذه النصوص باسمه في إدارة حقوق المؤلف بالمجلس الأعلى للثقافة، حسب علمنا، وبالتالي فلا جناح علينا حين نوردها في هذا المقام كما وجدناها، ولا نظن، ولا ينبغي، أن نؤاخذ على هذا قانونياً، ولا أن يُرجع علينا بطلب للتعويض المالي.

التعريفات

(أ)

- **(4-2-4)**: في بعض الأحيان يتوجب عليك تغيير الخطة؛ أن تدافع بعشرة، وترمي سمسم قدام.

- **آخر الخط**: الموتى هم الأشخاص الذين لا يمكن أن يحدث لهم أي شيء أكثر من ذلك، هم متحررون تحرراً تاماً. ولعل كافكا كان يقصد بقوله: "هناك أمل، ولكن ليس بالنسبة لنا"؛ أن الموت هو وحده من يحرر الفرد حقاً من قيود الأسر.

- **أدب كبير، أدب صغير**: الروايات الكبرى، العظيمة، لا تكمن عظمتها الحقيقية في الحبكات الرئيسية، بل في الغرف الجانبية؛ في التفاصيل؛ عبارة، انفعال، فكرة، تصرف، وصف، حُكم قيمة، أو تفاصيل صغيرة من تلك المبثوثة في الثنايا والهوامش والأطراف. الحبكات القوية المنظمة الدقيقة لا تنتج إلا روايات صغيرة من الدرجة الثانية وما دونها، مهما روَّجت لها آلات وآليات تجارة البست سيلرز، ومهما هلل لها النقاد والقراء. الرب يكمن في التفاصيل، كذلك الأدب.

- **آدم وإبليس**: الضعيف يهزم القوي.

- **أفول التأييد للثورة**: عملية تحول الوفاء إلى سخط.

- **الأمل**: الأمل في أن ينصلح حال مصر، في أن ينصلح حال العرب، في أن ينصلح حال الكوكب، بينما الظروف هي هي، ووعي الناس هو هو، يشبه محاولة بناء سد على نهر مستمر في جريانه.

(ب)

- **البدايات**: يكون الفنان في أفضل حالاته في الافتتاحيات، لأن وعيه يكون في أقوى حالاته. كذلك الثورات.

- **البطن**: يُقال إن الجيوش تزحف على بطونها، صحيح، وكذلك الشعوب، الاقتصاد إما أن يرفع، وإما أن يخسف إلى سافل سافلين. مفتاح الشعوب، كما مفتاح الجيوش، هو الاقتصاد. ولعله

لهذا لم يقدروا على مصر وعلى باقي دول الوطن العربي بالحروب، فاستعبدوها واستعبدوهم بالاقتصاد.

- **البيروقراطية الأمنية**: طبول الأمنجية تُقرع حسب رقص الأقوى.

(ت)

- **التاجر**: التعريف البسيط والمستقيم للتاجر هو: من يشتري رخيصاً ويبيع غالياً. لا يوجد تعريف آخر للتاجر، والبقال، وسائر تلك الطائفة إلا هذا. هذا هو عين الاستغلال، وإن فتحت عينيك سترى أن تسعة أعشار الاستغلال على الكوكب هو في مهنة التجارة.

- **التجمهر**:تُبهت شخصية الفرد في الأخرى التي بجواره أثناء فعل التجمهر، وتنتقل المشاعر والأحاسيس كالذبذبات في الهواء من واحد لآخر.

- **تزييف**: ليس صحيحاً أن العملة الجيدة تطرد العملة السيئة من السوق، الواقع يعلمنا أن العملة الأكثر سوءًا هي التي تطرد العملة السيئة من السوق.

- **التضامن**: فكرة التضامن غريبة حقاً عن المصريين، الذين لا تزال تحكمهم قيم "نمط إنتاج الفلاحين". هناك قانونان أساسيان يحكمان نمط إنتاج الفلاحين؛ أولهما، أن مصالح الفلاحين معزولة عن بعضها البعض، على عكس عمال المصانع الذين تجبرهم طبيعة العمل الصناعي؛ المعتمد في أجزائه على بعضه بعضاً، على التضامن؛ سلمنى نظيف أسلمك نظيف. الفلاح على العكس، قد يكون تضررمحاصيل جيرانه في صالحه هو شخصياً. القانون الثاني هو اعتماد الفلاحين جميعاً على سلطة مركزية قوية توزع الماء على الجميع، وقادرة على حماية تدفقه، والدفاع عنه. لذلك، وإلى حين أن تتغير قيم "نمط إنتاج الفلاحين" إلى قيم "المجتمع الصناعي"، فأغلب الظن أن مصير "الثورة" سيكون مثل مصير العديد من الهبَّات الفجائية العشوائية التي قام بها الفلاحون على مدار تاريخ مصر، ولم تسفر أيها عن نتيجة إيجابية لصالحهم؛ مجرد وقدة تذكي الروح، لفترة قصيرة جداً، ثم تعود الأمور إلى طبيعتها؛ إلى نمط إنتاج الفلاحين، الذي يُشكل آليات عمل الثقافة العامة المصرية منذ آلاف السنين. حين يبرق في ذهنك فجأة هذا المعنى البسيط كل البساطة، الواضح كل الوضوح، يتضح لك كل شيء بيقين رياضي، وتدرك كل شيء إدراكاً تاماً

وشاملاً، وتشعر ساعتها بأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن صدرك حين تسلم بالأمر الواقع: مافيش فايدة.

- **التقدم**: التقدم هو أن يصبح الإنسان سيداً على مصيره. وكلما تساءلتَ عما إذا كان مجتمع متقدماً أم منحطاً، اسئل نفسك: هل الفرد فيه سيد على مصيره؟

- **التكفيري**: قابيل يسترضي الرب بدم أخيه.

- **تناقض**: معظم المبادئ العظيمة ينادي بها أناس وضعاء.

- **التنويري**: غريب ينوح بصوت أعلى من صوت المفجوع.

(ث)

- **الثابت والمتحول**: الجنة مكان، الجحيم زمان.

- **الثورة**: مثيرة للأعصاب على نحو لا يسمح للخبرة الحقيقية بالتغلغل داخل وعينا، لأن عنصر الصدمة الذي تتأسس عليه ولا تستطيع بطبيعتها الاستغناء عنه يُفعِّل بداخلنا جداراً لا إرادياً واقياً يحمينا من تلك الصدمات المتلاحقة، فلا ينفذ أي شيء حقيقي له قيمة إلى الوعي. تغلغل الخبرة يحتاج إلى السكون، والدعة، والاسترخاء.

- **الثورة**: لا تصبح الثورة ثورة إلا إذا غيَّرت القيم. بهذا المعنى فإن الثورة الفرنسية ثورة، والثورة الصناعية ثورة، وثورة يوليو ثورة حتى وإن قام بها العسكر. من هذا الباب لا نستطيع وصف ما يحدث في مصر الآن بأنه ثورة، صحيح أنه نجح في الإطاحة بالحاكم، لكنه لم يُغيَّر القيم، ولا حتى اقترب قيد أنملة من عملية تغييرها.

- **الثورة**: لا ينبغي لنا إلباس الاحتجاج ثوب الثورة، فالجميع يحتجون، ويغضبون، لكن الثورة شيء آخر، هي أكبر من الاحتجاجات، وأكبر من الغضب والاستياء، هي عمل منظم، يتطلب إدارة حازمة، وسيطرة قوية، وزعامة عظيمة. الثورة هي سيطرة للفكر والعقل والإرادة، بينما الاحتجاج هو سيطرة للإحساس والمشاعر والانفعالات.

- **الثورة بلا قيادة**: أبعار ظباء لها مشم المسك في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح البعر.

(ج)

- **الجزيل والركيك**: الفن أكثر اقتصاداً، وأناقة، وبلاغة، وتماسكاً، وتطوراً من الحياة العادية. الثورة أكثر ركاكة، وتهدلاً، وتفككاً، وطفحاً، وتناقضاً، وبربرية من الحياة العادية.

- **الجشع فضيلة**: هي أيديولوجية رأسمالية الغابة، النيولبرالية، الرأسمالية المنفلتة من عقالها، وعبّر عنها سمسار البورصة الحرامي الأفاق جوردن جيكو في (وول ستريت، 1987) أصدق تعبير، حين قال: الجشع فضيلة، الجشع صحي، الجشع مفيد. الجشع يعني: المزيد، والمزيد، والمزيد. هي نفسها أيديولوجية الخلية السرطانية.

- **الجنس**: لا يسفر لقاء جنسي بين اثنين عن شعور بالرضى إلا إذا كان الجنس يتضمن إخضاعاً، لهذا يندر أن يصل الرجل ذو الميول العادية، إن لم يكن مازوخياً، إلى درجة الإشباع بإقامة علاقة مع امرأة تؤمن في داخلها إيماناً راسخاً بتحررها واستقلاليتها. لهذا يُقال أيضاً إن الاغتصاب هو أعلى درجات المتعة.

- **الجنس خارج إطار الزواج**: لا يُدين الرب، بصفة عامة، الجنس خارج إطار الزواج، طالما كان بالتراضي، وهذه هي ملاحظتي الشخصية التي امتدت عبر سنين طويلة من ممارسة الجنس خارج إطار الزواج. أقصد، أنه في بعض الأحيان، تشعر شعوراً يكاد يقارب اليقين بأن الله غير راض عن العلاقة مع هذه أو تلك بالذات، بالرغم من كل شيء، كأن تكون البنت طيبة، أو مظلومة، أو أمينة، أو خلافه. وفي أحيان أخرى، تشعر نفس الشعور القوي بأن الرب راض عن هذه العلاقة بالذات، وقد تكون الست فيها كل العبر، أو سوء الخلق، أو حتى الإجرام، أو قد لا تكون، المهم، أنك تشعر، وتستدل على هذا بكل الدلائل والعلامات، بأنه راض عن تلك العلاقة، بل ويدعمها، وييسرها، ويكافئك عليها فوق ذلك.

- **الجواهر**: الحياة مثل رحلة لجمع الجواهر في حقيبة. حين نرحل يرحل البعض منا بالحقيبة وهي معه ممتلئة بالجواهر، فينمحي أثره هو والجواهر معاً. البعض الآخر يفكر في أن يمنح كل الجواهر التي معه في الحقيبة للآخرين، فيظل خالداً في ذاكرتهم، وفي ذاكرة العالم.

(ح)

- **الحثالة**: يفرزون القمامة ويأخذون منها المخلفات الصلبة والمعادن والزجاج والورق والبلاستك لإعادة تدويرهم، ويأخذون المخلفات العضوية والغذائية لعمل السماد، وتبقى في النهاية كومة مقرفة قذرة غير معروف كنهها ولا ماهيتها، هذه هي الحثالة. حلها الوحيد أن تُحرق، لا يمكن حتى دفنها في باطن الأرض لأنها ستلوث التربة. في رحلة حياتنا على هذا الكوكب نقابل الكثير من الحثالة.

- **حدود**: نقطة الكرامة هي هي نقطة الألم. حد الكرامة هو هو حد الألم.

- **الحرية**: الحرية كالطعام، تؤكل لقمة لقمة.

- **الحرية في الرأسمالية**: هي نفسها الديمقراطية في أثينا القديمة؛ ديمقراطية السادة مُلاك العبيد.

- **الحضارة**: عظمة الحضارة المصرية القديمة، والحضارة الصينية القديمة، وكذا اليونانية والهندية، هي أنها حضارات نشأت من الصفر، لم تبن على منجزات حضارات سالفة، ولم تقم على أنقاض غيرها، كما حصل مع باقي الحضارات التي احتلت غيرها وبنت عليها.

- **الحقيقة**: حقيقة مصر هي في المجموع، لا في نسبة الـ 5%، وهذا ما سيظهر جلياً سافراً في كل مرة تُجرى فيها انتخابات نزيهة.

- **الحكم النقدي**: صوابيته تتضمن تقديراً للعواطف والانفعالات، وليس تقمصاً لها، لأن التقمص يعلو بالعاطفة فوق مستوى العقل النقدي، ويُغرقه، ويلغيه.

- **الحلم**: لا نحلم إلا بما كان لدينا وضيعناه.

- **الحماسة**: المفرط في الطاعة مفرط في التمرد.

- **حماية**: التعقيد في البناء، والتعقيد في الأسلوب، يحميان جويس، بينما يبدو دوستويفسكي عارياً مُلقى تحت الأضواء الكاشفة.

(خ)

- **خبائث**: يفتقد الإسلام، كدين، إلى فكرة الاعتراف، الاعتراف المسيحي الفردي الخاص في غرفة الاعتراف، والاعتراف العام أيضاً على الملأ. ولعله لهذا السبب يبدو الكائن الإسلامي أشد خبثاً من بقية الكائنات. الاعتراف يخفف الإحساس بالألم، ولعله لهذا يبدو الكائن الإسلامي أكثر عنفاً من بقية الكائنات، أكثر غطرسة، وأقل تواضعاً وقدرة على الاعتذار.

- **خدمة ذاتية**: الخبرة لا يمكن تمريرها من شخص لأخر، هناك ديفيندر يقطع دائماً التمريرة، هذا الديفيندر اسمه: النزق.

- **خصوص اللفظ وعموم السبب**: يُحكى أن راهباً عظيماً في الزن شعر بدنو أجله، وأراد أن يستخلف أنجب تلاميذه، واتفق أن اثنين من تلاميذه كانت تنطبق عليهما الشروط، فاجتمع بهما، وقال:

"سأورث زعامة الطائفة لمن يستطيع منكما أن يمشي على الماء."

أحد التلميذين أسرع وجمع كل ما خف وزنه وغلت قيمته مما يملك، وغاب في رحلة طويلة باحثاً عمن يستطيع تعليمه كيف يمشي على الماء؛ سافر شرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً، جاب الأرض كلها، وفي نهاية الرحلة الطويلة استطاع أخيراً أن يتعلم كيف يمشي على الماء. عاد الرجل العجوز إلى قريته وهو فخور بما صنع، متوقعاً أن يصبح هو زعيم الطائفة خلفاً لمعلمه الراحل، إلا أنه فوجئ بزميله الآخر وقد أصبح هو زعيم الطائفة من مدة طويلة. سأله في دهشة وغضب:

"لقد قال المعلم قبل أن يرحل إنه سيورث زعامة الطائفة لمن يستطيع منا المشي على الماء، وأنا طفت الأرض كلها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً حتى عثرت على من يعلمني كيف أمشي على الماء، فهل استطعت أنت المشي على الماء حتى يقرر معلمنا أن يجعلك خليفته؟!"

رد رفيقه:

"طبعاً، ومن أول يوم."

"من أول يوم! كيف؟! مستحيل؟!" سأل الرحالة العجوز الذي تعلم المشي على الماء بعد طول

سنين.

رد الزعيم النجيب:

"ولا مستحيل ولا يحزنون، حين طلب منا المعلم المشي على الماء، ذهبت واستأجرت زورقاً، وركبته، ومشيت به على الماء، سهلة."

- **الخطوة الأولى**: كل العلاقات الإنسانية، بما في ذلك العلاقات العاطفية، تلف وتدور حول القضية الجوهرية: من الذي يبادر بالخطوة الأولى؟

- **الخطيئة**: كلما مضى العمر بالمرء اتضحت له حقيقة أن الخطيئة الكبرى هي وهن العزيمة والتكاسل عن العمل. في العمل السعادة، ومحظوظ هو من يتبصر تلك الحقيقة في صدر شبابه.

- **الخلود**: له بداية وليس له نهاية.

- **أخلاق الفن**: يتيح لنا الفن فرصة الدخول في حياة الآخرين بدلاً من البقاء منعزلين في عوالمنا الخاصة، بهذا المعنى فإن الفن شقيق الأخلاق، من دون اضطراره إلى إعطاء دروس أخلاقية. الفن يمكننا من تخيل تجارب بشر آخرين غيرنا، وهو لهذا يعمِّق مشاعرنا وعواطفنا من ناحية، ومن ناحية ثانية يمكننا من فهم العالم، وفهم وجهات نظر الآخرين، ومن ثم نفهم دوافع تصرفاتهم على هذا النحو أو ذاك. الفهم يعني التسامح، ونزوعاً أقل للتعالي والتنمر.

- **الخوف لا يأكل الروح**: الخوف أثناء مشاهدة فيلم رعب ليس خوفاً حقيقياً، لكنه خوف متخيل متوهم، خوف فني إن جاز التعبير، يختلف عن الخوف الحقيقي الذي نشعر به في أوليات الفوضى وبداياتها، ثم نعتاد على هذا الخوف أيضاً فيصبح هو الآخر خوفاً فنياً.

- **الإخوان**: جذع سوء خرَّب السوس أصله.

- **الإخوان والثوار**: أعمى يُدلس نفسه في العور.

- **الإخوان والعسكر**: الفرق بينهما أن الإخوان ماكرون على نحو واع، لعله بسبب أن أساسهم الأخلاقي ملعوب فيه.

- **خيانة**: إحذر ممن تضع فيهم ثقتك وتبوح لهم بأسرارك، لأنهم الوحيدون القادرون على خيانتك، وسيفعلون، هذه طبيعة البشر، الطبيعة الأولى.

- **الخيال**: يؤمن الرومانسيون بأن الخيال هو أنبل ملكات البشر، لكننا نعلم يقيناً بأن كل سلاح فتاك كان من اختراع الخيال، وأشنع الجرائم وأفظعها كانت من ابتكار الخيال، فكر مثلاً في القتلة المتسلسلين.

(د)

- **الدهشة**: من كثرة الوبال والبلايا التي يقترفها الإسلامجية هنا وهناك وفي كل مكان، يصل الإنسان إلى حالة لا يعود معها يُدهش من أي شيء، للدرجة التي سيكون بعدها من المدهش حقاً أن يُدهشنا شيء.

- **دوستويفسكي**: كلما أعدت قراءة دوستويفسكي وجدته بوذياً أكثر منه إنجيلياً على الطريقة الأوروبية أو أرثوذكسياً على الطريقة الشرقية.

- **ديَّة الحقيقة**: الليالي البيضاء.

(ر)

- **الرائحة**: رائحة الدم هي نفسها رائحة الصدأ.

- **الرائحة**: أجمل روائح العالم: القهوة، ونشارة الخشب، والسيجار الكوبي، والجوافة، وبخار الكشري المصري.

- **رأس المال**: رأس المال جبان، لذلك دائماً ما يتبع العسكر.

- **الرأسمالية**: قاطع طريق.

- **الرأسمالية والدين**: شوف الاتنين ماشيين مع بعض ازاي، شوف معشقين هنا مع بعض ازاي، شيل الخط ده مين يسند الخط ده، لازم يقع.

- **الراهن**: اهتمام المرء بالخاص والآني والراهن أكثر من المجرد والعام والشامل هو علامة

على غياب الذوق الجيد.

- **الراوي العليم**: حين نقرأ كلمة "رواية" على غلاف الكتاب ننحني فوراً لسلطة الراوي، ولا نطرح أسئلة عما يقوله، لأننا نسلم من البداية بأن الراوي واسع المعرفة، عليم بكل ما يخص الحكاية التي يرويها لنا. في الثورات، كما في حالات الفوضى، ليس ثمة راوٍ عليم.

- **الرب**: لا تجده في الأديان وإنما تجده خارج الأديان. لا يمكن تصور أن يبعث الله برسالته لشعب واحد، أو أمة واحدة، أو عرق واحد، دوناً عن باقي الكوكب، ثم يختارهم ويفضلهم على باقي البشر. الله ليس لجماعة واحدة، الله للجميع.

- **الرب والأديان**: الأديان كلها زائفة، كاذبة، مُلفقة، من صنع الإنسان لا الرب. كيف يستقيم أن يحافظ الرب على سريته ومجهوليته وستره حتى الآن، ثم يخون كل هذا بإرسال رسائل كاشفة واضحة مُفصّلة؟!

- **الرب والساعة السويسرية والمنكرون**: إذا اتيحت للمرء فرصة النظر لبطن الساعة السويسرية من الداخل، أو أي ساعة أخرى، فمن المستحيل عليه تخيل أن هذه الدقة، والنظام، والتعقيد، والسلاسة في العمل، يمكن أن تنشأ صدفة، أو توجد نفسها بنفسها. فما بالك بالإنسان من الداخل، أو أي كائن حي آخر، والكون، وكل موجود. لا أعرف كيف يغفل المنكرون عن هذه الحقيقة الشارقة كالشمس بضمير مرتاح. يمكننا أن نكفر بالأديان، طبعاً، فالله الحقيقي خارج الأديان، لكن أن ننكر الفكرة نفسها، هذا، ولا بد، خداع صريح للنفس.

- **الرب والشيطان**: كثير من الرهبان، ومن عامة المؤمنين أيضاً، ممن يفقدون إيمانهم، يفقدونه لعدم استساغتهم فكرة أن يوجد الشر، والظلم، والوحشية، والقبح، وأن يعيث الشيطان فساداً في الأرض، بينما الرب ساكت صامت ساكن لا يمد يده لوقف هذا الشر. يفقد إيفان كارامازوف إيمانه، لا لأنه لا يستطيع تقبل فكرة وجود الشر في العالم، فهو على استعداد لقبول وجود الشر إلى جانب وجود الرب، ربما لحكمة عليا كبرى نهائية لدى الله، ولكنه لا يستطيع تصور كيف يمكن للرب أن يسمح بتعذيب طفلة صغيرة بريئة هشة لا حول لها ولا قوة، عذاباً وحشياً، بشعاً، مميتاً؟!

ما لم يفكر فيه أحد هو أن الشيطان لا وجود له. من الذي اخترع سردية الشيطان؟ لا أدري

من هو أول من اقترح الفكرة، لكني متأكد من أنها حرفت التفكير البشري، وصرفته، زوراً، في اتجاه خاطئ. أنا أؤمن بأن الرب والشيطان هما شيء واحد؛ يتصرف أحياناً كخير، ويتصرف أحياناً كشر، يفعل هذا، ويفعل هذا، ولا وجود لقوى أخرى تعارضه أو تستفزه بشرها. أفكر في الرب مثل الجزئ متناهي الصغر في فيزياء ما دون الذرة؛ الذي يتصرف أحياناً كجسيم؛ وبالتالي يخضع لقوانين فيزياء الأجسام، ويتصرف أحياناً أخرى كموجة؛ ويخضع عندها لقوانين الضوء، هو هو من يتصرف مرة هكذا، ويتصرف مرة أخرى عكسها وضدها. الله هو الخير والشر، مثل النهار والليل، وعلى المرء أن يحبه في كل أحواله؛ كلاً كاملاً متكاملاً، بصرف النظر عما يفعله. يقف الرب مع الشرير، أحياناً، لا لأنه يورطه في شره، أو لأنه يمنحه حرية الاختيار وسيعاقبه في النهاية على شره، أو سيكافئ المظلوم فيما بعد، بل لأنه، ببساطة، يريد هذا، يحب هذا، يرغب في هذا، كما يريد ويحب ويرغب في إيقاع الحروب والكوارث والمجاعات والمصائب، كما يريد ويحب ويرغب في منحنا كل ما لا يمكننا تصوره من أشكال ومقادير الخير والجود. وأحسب أن المدرسة الصوفية الإسلامية التي تقول بـ "الشكر" هي أقرب إلى هذا الفهم والتصور، على خلاف مدرسة "الصبر"؛ فالمرء في مدرسة الشكر لا يصبر على الشر فقط، بل يشكر الرب على شره، لأن الشر منه، لا من قوى أخرى ظلامية تؤذينا وهو وقف يتفرج. الله محبة، صحيح، لكن الأصح أن الله هو كل شيء؛ هو المحبة، وهو كل شيء آخر بخلاف المحبة، وعلينا أن نحبه في كل حالاته. ولعل من قال إن "الله محبة" كان يقصد هذا المعنى، لا المعنى الدارج بأن الله هو الذي يحب، ولكن كان قصده أنك لن تعرف الله، حقيقة، إلا حين تحبه أنت، بصرف النظر عن أفعاله، بصرف النظر عن خيره وشره.

- **رجل الأعمال والإنسان**: الفرق بينهما أن الإنسان حين يفتح لك باب المصعد لا يطلب منك مقابلاً.

- **الرحمة**: الرحمة فضيلة لا شك، لكن لا ينبغي لها أن تخرج لسانها للعدل.

- **الرواية**: يقول ستندال إن الرواية هي مرآة تطوف في الشوارع. أنا عندي أن الشوارع هي التي تطوف في الرواية، والواقع هو الذي يحاكي الأدب، فنحن لا ننتبه في الواقع إلا إلى ما نبهنا إليه العمل الفني.

(س)

- **السخرية**: أخطر شيء على السلطة هي السخرية، لأنها تقتل الهيبة، وأخطر شيء على التراجيديا أيضاً هي السخرية، لأنها تلطخ المأساة وتسخفها.

- **السر**: سر نجاح وانتشار الأفلام الشعبية، والروايات الشعبية، والمسلسلات الشعبية، هي بساطة التصنيف الذي يقدمه سلم القيم الخاص بها؛ السماء للأخيار، وللأشرار الجحيم. ويرجع كذلك إلى محاولتها لإقناعنا بامتياز القلب على العقل. من المدهش في روايات دوستويفسكي، برغم شعبيتها، أنها لا تستند إلى هذا السلم؛ سلم فساد وصلاح الشخصيات، بل إلى سلم آخر، بسيط أيضاً، هو مستوى الكبرياء لدى الشخصيات، إلى الدرجة التي ُتثار فيها شخوصه النسائية وتحركهم الشهوة بناء على كبرياء الرجل أكثر من باقي صفاته الجسدية أو الشخصية.

- **السكوت**: عن صاحب (الأغاني) أن حَجناءَ بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبتِ، ما هجوتَ قوماً قط إلا فضحتهم إلا التَيْم (جماعة من رعاء الغنم كانوا يؤذون جرير، لكنه كان يسكت عنهم)! فرد جرير: يا بُني، لم أجد بناءً أَهدمُه ولا شرفاً أضعه. ما فيش! إيدك والأرض!

- **الأسلوب**: من يفكر بواسطة الكلمات يفكر كخطيب، لا كمفكر.

- **السلطوية**: كثير من الحكام والزعماء العرب، خصوصاً العسكر منهم، على الدرجة الأولى، أو الثانية، أو الثالثة، من سلم اختلال عقلي خطير، سيُوصل ولا بد إلى نهايات محزنة.

- **الإسلامجي**: يصلب نفسه زوراً على الحرية من حيث هو يأخذها منك.

- **الإسلامجية والدين**: ينظر العامة للدين بالتعظيم، وينظر له الإسلامجية بالتصغير.

- **الإسلامجية والإسلام**: كاختلاف العجين عن الدقيق، برغم أن الأصل واحد.

- **السوق**: لا يُلقي السوق بنظرته على أحد إلا ويُيبسه.

(ش)

- **الشراهة**: سبحان الذي يُحي بالسم ويُميت بالغذاء.

- **الشيوعي**: يحب الشيوعي الناس، لكنه يحب المال أكثر من سائر الناس. في العلن، هو يحتقر المال ويزدريه، لكنه يحلم به في كل ليلة ينام فيها.

(ص)

- **الصدف المتكررة**: حين تتكرر الصدفة أكثر من مرة لا تصير صدفة.

- **صليب مزيف**: لو كانت الثورة شخصاً طبيعياً لكان في وسعها إقامة دعوى قضائية لتشويه سمعتها ومطالبة الكثيرين من الذين يصلبون أنفسهم زوراً عليها بالتعويض.

- **صوابية الثوار**: حتى الساعة العطلانة تكون صحيحة مرتين في اليوم.

(ض)

- **ضوضاء**: ثمة اعتقاد قديم بأن تأثير السحر يبطل بالضوضاء. كذلك في الثورات.

(ط)

- **طزاجة**: الكتابة المدهشة لا تكون إلا نتاج تفتيش الكاتب عن أسلوبه الخاص. النص الذي يزعزك وأنت تقرؤه، ويعيد تعريفك للأشياء، هو نتاج لسعي الكاتب للاستقرار على أسلوب فريد، غاشم في قوته، يجبر أفكارك المسبقة على الاستسلام والخنوع أمامه. حين يصل الكاتب أخيراً إلى هذا الأسلوب، تصبح كتاباته باردة، لأنها تكون استنساخاً لنفس الصورة المثالية التي وصل إليها قبلاً.

- **الطفل**: الرؤية المحدودة، والمجتزأة، التي يتصف بها "الثوار" تعني أنهم لا يستطيعون فهم تجربتهم فهماً متماسكاً، صحيح أن رؤيتهم لما يفعلون قد تسفر عن إثارة، أو حيوية، أو انتشاء، أو هياج، أو ذعر، لكنها تعني أيضاً أنهم لا يمكنهم فهم النظام الذي يرزحون تحته؛ النظام الاجتماعي، والمنطق القاسي للمجتمع برمته. قد يكون لديهم وعي سياسي آني، لكنهم يفتقدون بشكل صارخ إلى الوعي الاجتماعي، لذلك ليس لديهم إدراك لهيكلية الظلم الاجتماعي إلا الشيء القليل. حاصل جمع "الثورة" بهذا المعنى تكون أكثر قليلاً من صفر. إن الأنقياء من "الثوار" يحدقون في العالم بعيني طفل.

- **الطفولة**: ما من تشوه إنساني أو انجراف في الطباع إلا ونجد مصدره في الطفولة، وما من لذة في الاستسلام للسقوط والتدني والانحطاط إلا ونجد مصدرها في الطفولة، وما من انقسام في الشخصية إلا ونجد مصدره في الطفولة.

- **الطقس**: من المثير تأمل ما للطقس من تأثير عظيم قد يغفل عنه أغلب الناس. على المستوى العام الكبير، فكر في الحروب والمجاعات التي سببها الطقس، وفي الزلازل والبراكين والأعاصير والتسونامي، والهجرات الجماعية، وحرائق الغابات. وفكر أيضاً، على المستوى الفردي الشخصي، في ما للطقس من تأثير علينا؛ على أمزجتنا، وقدرتنا على العمل، ومشاحناتنا وشجاراتنا، وعلى كسلنا أو همتنا وحماسنا، بل وعلى قدرتنا وكفاءتنا على التكاثر. نجيب محفوظ كان يمسك عن الكتابة طوال أشهر الصيف المصري الحار الرطب المقرف، وأظن أن مدام هوفمن قد أشارت مرة إلى أثر قسوة الطقس الروسي على إحساس دوستويفسكي بالزمن، وصعوبة هضم الأوروبيين لتشابك وغزارة وتناقضات أفكار شخصياته، لأنهم يخضعون للمنطق الغربي في تعاقب حركة الليل والنهار، والصيف والشتاء.

- **الطول المثالي**: المهاويس والرؤوساء التنفيذيون للشركات الكوكبية الذي يسعون لإطالة عمر الإنسان وإيصاله للأبدية لا يدركون أن الحياة ليست قصيرة على الإطلاق، ولا هي أيضاً طويلة طولاً مملاً، بل هي في طولها الحالي في غاية المثالية.

(ع)

- **العسكر**: من استرعى الذئب فقد ظلم نفسه.

- **العواطف والوقائع**: يستحيل أن نفهم العواطف والانفعالات دون أن نفهم أولاً الوقائع، يستحيل أن نفهم سلوك شخص دون أن نفهم أولاً الأسباب التي قادته إلى هذا السلوك. ليس ثمة وجود مستقل لمشاعر أو أفكار أو أهواء في صورة صرفة وفي عزلة عما يحيط بها، هي دائماً مخلوطة بالبيئة.

- **العقل**: العقل هو الأساس عند بلزاك، بينما نجد دوره مدمراً عند دوستويفسكي؛ راسكولنيكوف على رأس القائمة، وستافروجين، وإيفان كارامازوف.

- **العهد القديم**: حين نقرأ التوراة لا نشعر بأن يهوه هذا هو رب للجميع، بل زعيم لطائفة خاصة من البشر، ليس عنده أي مانع من أن يأمر جماعته بالسلب والنهب وقتل الأطفال في الشعوب الأخرى. لعل كل الأديان كذلك؛ الرب فيها ليس للجميع، وإنما لجماعته فقط. الرب الحقيقي نجده خارج الأديان.

- **إعادة برمجة**: غاية المثقف التنويري هي تغيير القماشة، لا تغيير الترزي.

- **إعادة القراءة أو المشاهدة**: الكتاب أو العمل الفني ثابت، أنت من تتغير مع كل إعادة قراءة أو مشاهدة.

(غ)

- **الغموض**: السر أجمل كثيراً من الكشف، لأن يوجد سر فذلك أجمل، وأقوى، وأعظم. ولعله لهذا لا بد وأن يحيط كل نظام ملكي أو كهنوت ديني نفسه وأعضاءه بشبكة معقدة من الأسرار، والتقاليد البالية، والطقوس التي تبدو لنا غير مفهومة في سياق عصرنا.

- **الغياب**: أجمل ما في حياة الإنسان يحدث في الغياب لا في الحضور، مع النسيان لا مع التذكر. شكسبير يقول: إذا جلستُ على حافة النهر واضعاً ساقاً على ساق، فسوف تطفو جثة عدوي بجواري. السماء تساعدنا، لكننا نفسد هذه المساعدة بالتدخل والفعل. قد أفلح من لم يفعل. قد أفلح من لم فعل.

(ف)

- **الإفراط والتفريط**: الإحساس الضعيف أكثر مما ينبغي بالوطن، أو بالفكرة، أو بالأيديولوجيا، أو بالحبيب، هو علامة وهن في الشخصية، تماماً كالإحساس القوي أكثر مما ينبغي بهم.

- **فزع**: إن استطعت نزع الخوف عن عقلك، لن تكون الأمور سيئة كما تبدو.

- **الفضيلة**: الفرد يستحيل أن يكون فاضلاً بمفرده في المجتمع، مثل استحالة أن يلعب لاعب كرة قدم مباراة وحده. لذلك ينعزل الراهب في الصحاري والجبال إن أراد الفضيلة الفردية. ولعله

لهذا السبب لا يبدو جوزف ك قادراً في أي من أعمال كافكا على الفكاك من أسر الحالة العامة الهيكلية البنيوية للمجتمع، بالرغم من كل محاولاته وسعيه الذي لا يتوقف.

- **الفل**: سارع بقطف فلك حين يزهر.

- **الفن**: الفن لا يقضي على القبح، وإنما يروِّض البشاعة، فتصير أكثر احتمالاً.

- **الـفوَه**: البلاغة، وإجادة الكلام، ليست موهبة يؤتاها المرء فطرة، بل هي أمر يُحصَّل بالمران، ويُجاد بالتكرار والجهد.

(ق)

- **اقتصاد السوق**: يُلفظ في العاميتين المصرية والشامية "اقتصاد السوء"، وهو أصوب.

- **قانون السوق**: من معه يُعطى ويُزاد، ومن ليس معه يُؤخذ منه.

- **القاهرة**: مدينة شؤم، بُنيت في ساعة مشؤمة، ولم تقهر يوماً إلا أبناءها.

(ك)

- **كآبة ما بعد الوعي**: ثمن الاكتشاف فادح، لكن ثمن الفعل الصائب أكثر فداحة.

- **الكِبر**: نقيض المحبة ليس البغض، بل الكِبر.

- **الإكسير**: هو في الكيمياء العربية القديمة ما يُحوِّل المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة، ما يُحوِّل الرصاص إلى معدن شريف، ولعلنا في الوطن العربي في حاجة إلى الإكسير ليحول مجتمعاتنا الخسيسة إلى مجتمعات شريفة، وعندي أن هذا الإكسير ليس إلا وعي العامة.

- **الكهولة**: كانوا فيما مضى يحترمون كبار السن؛ بوصفهم مستودع الخبرة، صاروا الآن، وخصوصاً في المسلسلات والأفلام الأمريكية وتابعيها من باقي سينمات العالم، مصدراً للحرج لغيرهم، لعله بسبب أن المسنين يذكروننا بالماضي الذي نسعى لتناسيه.

- **الكيف**: جورج واشنطن، وتوماس جيفرسون؛ الأبوان المؤسسان لأمريكا، كان كلاهما من

زارعي القنب، حملاتهما الانتخابية تم تمويلها من أرباح القنب. جوهر أمريكا تأسس على القنب، الدستور الأمريكي وإعلان المبادئ كتب على ورق القنب. الحضارة الأمريكية قامت على القنب والمخدرات والماريوانا. لعله لهذا تدين الحضارة الأمريكية الراهنة تدخين السجائر، بينما تتساهل أيما تساهل مع المخدرات. هل سمعت عن جريمة قتل بسبب علبة سجائر؟! يطلقون على الانتشاء بسبب المخدرات: "هاي"، ومقابله "لو"، أي أن حالهم منخفض في القاع، قاع القاع، والمخدرات هي التي تعلو بهم لأعلى. في المقابل، تأسست الحضارة المصرية القديمة على ورق البردي؛ ورق التصوير والكتابة والفنون والآداب.

(ل)

- **لذة الأماني**: التمني أجمل مليون مرة من التحقق. حين نتمنى نتمنى كل الأشياء الجميلة، اللذيذة، العظيمة. في التحقق يتحقق شيء واحداً فقط، أو اثنين هما الأكثر إلحاحاً، ونخسر الباقي.

(م)

- **مباهاة الثوار بأن الثورة بلا قيادة**: قالوا للعارية أين تذهبين؟! قالت: أكسب أهلي ذماً!

- **المتظاهر**: المتظاهر المغفل قد يفهم أسباب الثورة ودوافعها وأهدافها عند مستوى أقل بكثير من مستوى اللاشعور، يفهم الثورة من دون محاولة لفهم الثورة، وهذا خبر سار لكل المغفلين، وربما كان في الإمكان أيضاً فهم النظرية العامة للنسبية من دون محاولة فهمها، ربما كنا جميعاً في مكان ما من أعماقنا فيزيائيين نوويين.

- **المثقفون والسلطة**: المثقفون أمام أعاصير السلطة وتقلباتها سذج، سذاجة هي أخت الهزء لا بنت البراءة. نرجسية المثقف واستعلاؤه يهيئان له فهمه لظاهرة لا يفهمها. يتوهم المثقف أن السلطة حسناء نائمة في الغابة وهو من سيوقظها، في حين تعلمنا التجارب أنه كمن يدخل بحراً من الرمال المتحركة، كلما تحرك فيه غرق أعمق. السلطة تجرف الإرادة، وتجرف المعرفة حتى ولو كانت المعرفة بديعة أو عبقرية. طبيعة السلطة في جوهرها هي اشتمالها على الأضداد والنقائض في تعايش تجاوري فصامي كاتحاد دكتور جيكل ومستر هايد. هي ليست كالفيزياء لها قوانينها الثابتة الصارمة في كل زمان ومكان. الفيزياء هي الفيزياء، لا يمكنك تغيير قوانين الفيزياء. لكن

السلطة هي ظاهرة اجتماعية يستحيل وضع قوانين لها لأن الإنسان بوسعه دائماً أن يغش. تظل السلطة غامضة وعصية على الفهم برغم كل ما سوِّد من ورق بشأنها. حتى بالنسبة لفلاسفة "العلوم السياسة" لا تزال السلطة هي أرنب أليس الأبيض.

- **المحامي**: يتعلم المحامي في كلية الحقوق كيف يدافع عن القانون، ثم يخرج إلى الحياة العملية فتعلمه كيف ينتهك القانون بشكل أفضل.

- **المحرك**: ما يحرك الإنسان المتمدن هو الإحساس بالكرامة. عند الإسلامجية هو مرتبط بالقرآن، وعند أصحاب الأديان عموماً مرتبط بالدين، لا بالقيم الرومانية.

- **مصر**: مصر دولة كبيرة يحكمها أناس صغار. صنايعية يحكمهم مديوكر نص لبَّة. رجال يحكمهم خولات.

- **المِلكية**: ما من مالك إلا هو مملوك.

- **المنتصر المهزوم**: المنتصر يصبح أقل انتصاراً حين يضحك.

- **المهنة "عاملة جنس"**: الاصطلاح الجديد الذي ظهر في الصحافة والإعلام الغربيين، والذي يُسمي العاهرات "عاملات جنس"، يجعل المرء يتساءل حقاً: إذا كانت العاهرة أو العاهر عاملة أو عامل، فما هي أدوات الإنتاج؟! الرأسمالية تسطو على آخر رأسمال لليسار؛ الأسماء، والمعاني، والقيم. لم يعد لليسار اليوم إلا هذا، وها هو يُسرق من قبل رأسمالية الغابة، وفي وضح النهار. تشعر الرأسمالية في داخلها بالدونية، فتحاول التطهر بالسطو على رأسمال عدوها. وحين تفعل ذلك نشم رائحة ديماجوجية في الهواء. هذا أيضاً عين ما يفعله الإسلامجية، يسطون هم أيضاً على رأسمال اليسار، فيسمون تنظيماتهم وجماعاتهم بأسماء الحرية والعدالة والمساواة والتنمية والبناء. المشتركات ما بين الإسلام السياسي والرأسمالية أكبر بكثير مما يمكن للمرء أن يتخيله.

(ن)

- **الإنجاز**: يشعر الثورجي بالظمأ إلى عمل بطولي يحققه بسرعة وينال به الإعجاب والمدح. الإنجاز الحقيقي يقتضي جهداً وعرقاً، ويتطلب صبراً وتراكماً، مثل العلم الذي لا يُحصَّل إلا

بالمثابرة الطويلة الممتدة.

- **نصيحة سوداء**: نصيحة بولونيوس لابنه لِرتيس في (هاملت): "فوق كل شيء، كن صادقاً مع نفسك"، هي نصيحة بتغليب "الطبيعة الأولى" للإنسان؛ أي الغريزة، على "الطبيعة الثانية"؛ أي على القانون والنظام اللذان لم تصل إليهما البشرية إلا بعد سلسلة طويلة ومؤلمة من الفواجع، والحروب، والمذابح، والإبادات الجماعية، التي خرجت منها البشرية بنتيجة وجوب فرض سلسلة طويلة من "اللا يجوز" على الفرد، إن هو رغب في العيش ضمن جماعة مستقرة يحظى بحمايتها. ماذا لو أنك قاتل بالفطرة، أو مغتصب بالفطرة، أو كذاب بالفطرة، واتبعت نصيحة بولونيوس وقررت أن تكون صادقاً لفطرتك؟!

- **النقاء الثوري**: بين النقاء الثوري وبين العبط، كما بين البراءة وبين العبط، شعرة رهيفة.

- **نيتشه**: مثل نيتشه، كل من يرنو لرفعة الإنسانية عموماً وتقدمها عموماً، نجده عدو للبشر متى اقترب من إنسان، أي إنسان، اقتراباً شخصياً.

(هـ)

- **الهامش**: أنا لست في المركز، أنا على الهامش، أنا على هامش ما أنتمي إليه. رحمة الله عليك يا بيسوا.

- **الهجرة غير الشرعية**: الإنسان لا يركب البحر إلا إن كان البحر أحن عليه من اليابسة.

- **هندسة إقليدس**: لا نستطيع فهم الثورة، أو أي حدث صادم، ونحن مُدمَجون فيه. صوابية الحكم تتطلب أن نكون على مسافة من الحدث الذي نحكم عليه. إذا انتفت هذه المسافة، وصرتُ أنا والحدث سواء، سوف أفقد ملكة معرفة ما يحدث، ولن يبقى أحد ليؤدي مهمة الفهم. تعريف المسافة في بديهيات هندسة إقليدس: هي اتفاق مسبق على علامتين مختلفتين.

- **الإهانة**: التواضع يطهر النفس، بينما تدنسها الإهانة، التواضع يفتح أبواب الفردوس، بينما تفتح الإهانة مصاريع جهنم. الإهانة؛ أي الجرح المعنوي الذي يتعذر شفاؤه، تحط من قيمة النفس الإنسانية، وتجعلها تنقلب إلى نقيض التواضع والخضوع الإرادي الذي تمليه الحرية. الإهانة تفرز

الشعور المغالى فيه بالتكبر والحقد الوحشي الجارف. الجنة هي عالم لا أثر فيه للإهانة.

(و)

- **الوحدة**: الوحدة الحقيقية هي في التواجد بين الناس. حين تكون بمفردك تكون كاملاً. الكامل كامل، مستكفي بذاته، وتواجد آخر معه ينتقص من هذا الكمال.

- **الوسيط**: ينظر الغرب للشرق من خلال عيون المستشرقين، أو الأفاقين، أو العنصريين، أو الإسرائيليين، وفي أحسن الأحوال، ينظرون إلينا بعيني مراقب لمح منظراً مدهشاً وهو في قطار، فصوَّره. أقل القليل منهم هو من تتاح لهم فرصة النظر نظرة مباشرة ومستقيمة إلينا.

- **الولادة**: لا أعرف لماذا لا أتحمل مشاهد الوضع في الأفلام والمسلسلات؟ تصيبني بالنفور، والاشمئزاز، بالرغم من حبي لمشاهد التعذيب واستمتاعي بمشاهدتها، إن كانت مصنوعة بشكل جيد. ولعله ليس العنف، ولا الدماء، ولا المعاناة، هي التي تصيبني بالنفور من مشهد الولادة، بل فكرة أن روحاً جديدة طازجة على وشك القدوم للحياة، والانضمام إلى بؤسنا على هذا الكوكب وكل هذا القرف الذي نحيا فيه.

(ي)

- **اليأس**: من يحاولون تغيير المجتمع يصلون دائماً إلى الشعور بأنهم يلعبون بلياردو مع مينيسوتا فاتس.

- **اليأس**: يدفع اليأس الناس للصلابة، وللشجاعة، وللنبل، وللتضحية، وللتفكير السليم، وللفعل السليم، بشرط أن يكون اليأس يأساً تاماً كاملاً لا مخرج منه ولا معين عليه، لأن اليأس التام يلغي غريزة البقاء المسؤولة عن كل دناءة، وسفالة، وحقارة، وحطة ، وجبن، وسفاهة.

- **اليد الإلهية**: هي كل واقعة لا تستطيع الفيزياء تفسيرها.